الوَسِيلَةُ الأَدَبِيَّةُ
إِلَى العُلُومِ العَرَبِيَّةِ

تأليف
العلَّامة اللغويّ الناقد الأديب
حُسَين بن أحمد بن حُسَين المرصفي
مدرِّس العلوم العربيَّة وعلوم الأدب بدار العلوم الخديويَّة المصريَّة
رحمه الله تعالى
(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

المجلد الأول

دار المنهاج

الوَسِيلةُ الأدبِيَّة

إلى العُلُومِ العَرَبِيَّةِ

١

بسم الله الرحمن الرحيم

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

عني به

الدكتور محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

المجلد الأول

دار المنهاج

الطَّبْعَةُ الأولَى

١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

اسم الكتاب : الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية

المؤلف : العلامة حسين المرصفي (ت ١٣٠٧ هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب : لغة وأدب

مقاس الكتاب : (٢٥ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٨١١)

عدد الأجزاء : (٢)

عدد المجلدات : (٤)

نوع الورق : شاموا فاخر

نوع التجليد : مجلَّد كرتوناج

عدد الصفحات : (٢٠٨٠ صفحة)

عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

9 789953 541976

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 97 - 6

دار المنهاج
لبنان ـ بيروت
هاتف: 806906 05 ـ فاكس: 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع
لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع الملك فهد ـ جانب البنك الفرنسي
هاتف رئيسي 00966 12 6326666
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص. ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 . 6510421

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 . 5273037

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 . فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 . فاكس 8383226

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 . فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 . فاكس 2011913

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 . فاكس 4937130

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 . فاكس 8432794

الطائف

مكتبة أم هاني

هاتف 7320809

عرعر

مكتبة المتنبي العلمية

هاتف 6628586

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربيّة السّعوديّة

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822 - جوال 0122107253

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حَوَلي

تلفاكس 22616490 - جوال 99521001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حَوَلي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الدار العالمية - الدار البيضاء

هاتف 052282882 - فاكس 052283354

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

مكتبة الريان - المنامة

هاتف 0097339247759

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039 - جوال 03662783

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمّان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

دار السنابل - دمشق

هاتف 0988156620 - فاكس 2237960

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق - الموصل

هاتف 7704116177 - فاكس 7481732016

جمهورية الجزائر

دار المشرق والمغرب - الجزائر

هاتف 0780380501 - 0559380141

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية تشاد

مكتبة الشيخ التيجاني ـ أنجامينا

هاتف 0023599978036

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 006231352297

جوال 00623160222020

ماليزيا

مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية داغستان

مكتبة دار الرسالة ـ محج قلعة

هاتف 0079285708188

مكتبة نور الإسلام ـ محج قلعة

هاتف 0079882124001

هاتف 0079887730306

الهند

مكتبة الشباب العلمية ـ لكنهو

هاتف 00919198621671

بنغلادش

مكتبة الحسن ـ دكا

هاتف 008801675399119

جمهورية جنوب أفريقيا

دار الإمام البخاري

هاتف 0027114210824

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف 02126381633 ـ فاكس 02126381700

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928 ـ فاكس 0148052997

إنكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

هاتف 01217739309 ـ جوال 07533177345

فاكس 01217723600

الولايات المتحدة الأمريكية

مكتبة الإمام الشافعي ـ جورجيا

هاتف 0017036723653

أستراليا

المكتبة الإسلامية

هاتف 0061297584040

Virgin MEGASTORE

فيرجن وفروعها في العالم العربي

جميع إصداراتنا متوافرة على

nwf.com

نيل وفرات.كوم

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

Furat

فرات

Furat.com

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

قالوا في «الوسيلة الأدبيّة»

الكتاب الأوّل الّذي راض خيال شوقي، وصقل طبعه وصحّح نشأته الأدبيّة.. هو بعينه الّذي كانت منه بصيرة حافظ أي: كتاب «الوسيلة الأدبيّة» للمَرصَفيّ

مصطفى صادق الرّافعيّ

«الوسيلة الأدبيّة» أنشأت أكثر من شوقي وحافظ
وبعثت الشّعر من مرقده
وأحيت للأدب العربيّ دولةً جديدة

الأمير شكيب أرسلان

قالوا في العلّامة المرصفيّ

بلَوْتُ ضروبَ النّاسِ طُرّاً فلم يكنْ
سوى المرْصَفيّ الحَبْرِ في النّاسِ كاملُ
هُمامٌ أراني الدّهرَ في طيِّ بُرْدِهِ
وفقّهني حتّى اتّقتْني الأماثلُ
أخٌ حين لا يبقى أخٌ، ومجامِلٌ
إذا قلّ عند النّائباتِ المجامِلُ
بعيدُ مَجالِ الفكر لو خالَ خِيلةً
أراكَ بظهر الغيب ما الدّهرُ فاعلُ
طرحْتُ بني الأيّام لمّا عرفتُهُ
وما النّاسُ عند البحثِ إلّا مخايِلُ

فلو سامني ما يورِدُ النّفسَ حتفَهَا

لأوْردْتُهُا .. والحبُّ للنّفسِ قاتلُ

فلا برحَتْ منّي إليه تحيّةٌ

تَناقَلُها عني الضّحى والأصائلُ

ولازال غضَّ العُمْرِ ممتنعَ الذُّرا

مَربعَ الفَنا تُطوى إليه المراحلُ

محمود سامي البارودي

إنّ أُستاذي الوحيد الّذي أَعُدُّ نفسي مدينًا له

هو الشّيخ حسين المرصفيّ

أحمد شوقي

طليعة الكتاب

بقلم
فضيلة الإمام الأكبر أ. د أحمد الطيّب
شيخ الأزهر، رئيس مجلس حكماء المسلمين

لهٰذا السِّفر الجليل قصَّةٌ يحسُنُ تسجيلها في هٰذه التَّقدمةِ ؛ وهيَ أنِّي أثناء دراستي بكلية أُصول الدِّين كنتُ أهرب ـ بينَ الحين والآخر ـ مِنَ القراءة المفروضة في المقرَّرات الدِّراسيَّة من علوم النَّقل والعقل إلىٰ قراءةٍ حُرَّةٍ لها طَعمٌ مختلفٌ ومذاقٌ خاصٌّ ؛ وهيَ القراءةُ في كتب الأدب نثراً وشعراً ، بقدر ما يتَّسعُ له الوقت ، وحسبما نمتلِكُه من هٰذه الكتب الَّتي كنَّا نعدِلُ في قسمة (المصروف) بينَها وبين النَّفقات الضَّروريَّة ؛ من إيجارٍ ومأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ .

وكانت مؤلَّفاتُ عميد الأدب العربي الدكتور/ طٰه حسين مِنْ أَحبِّ الكتب إلىٰ قلبي ، وكنتُ أجدُ في قراءتها متعةً للذوق والشُّعور ، وتأثيراً ملموساً في ترقية أفكارِنا ، وانفتاح وعينا علىٰ تجارب الحياة بكلِّ ما تضطرب به مِنْ آمالٍ وآلامٍ ، ومن دموعٍ وابتساماتٍ ، وعِبَر وَعِظَاتٍ ، ومعَ أن كتاباته كانت تجنَحُ ـ في بعض المواطن ـ إلىٰ شيءٍ من النَّقد السَّاخر لمناهج تدريس الأدب في الأزهر الشَّريف مرَّةً ، وفي دار العلوم مرَّةً أُخرىٰ ، ومدرسة القضاء الشرعي مرَّةً ثالثةً ، إلَّا أنَّ هٰذه الكتابات لم تكُن لِتُثيرَ في نفوسنا ـ نحنُ أبناءَ الأزهر ـ شيئاً من الحفيظة يُعكِّر على الشَّغَف بهٰذا الأُسلوب الرَّشيق الَّذي كُنَّا نحارُ في وصفه : هل هو شعرٌ منثورٌ ، أو نثرٌ منظومٌ ، أو هو فنٌّ مبتكرٌ من فنون القول ، لا هو هٰذا ولا هو ذاك .

وكانَ كتابه : « في الأدب الجاهلي » في مقدِّمة ما حرصتُ علىٰ قراءته ؛ لِما

ثارَ حولَ أصله المسمَّى : « الشِّعر الجاهلي » من ضجَّةٍ فِكريَّةٍ ، مُزِجَتْ مِنْ جَدَلٍ دينيٍّ وآخرَ أَدبيٍّ في قِصَّةٍ قديمةٍ معروفةٍ ، وقد لفت هٰذا الكتابُ أنظارنا ـ نحن الطُّلاب ـ وفي صفحته الأُولىٰ إلىٰ تلخيص دراسةِ مذاهبِ الأدب في مصرَ علىٰ عهده ، وكيفَ أنَّها انحصرت في مذهبين : مذهبِ القدماء في أروقة الأزهر ، والمذهب الأُوربي الذي استحدثَهُ المستشرق الإيطالي (نلينو) في الجامعة المصريَّة ، وتابعَهُ عليه ثُلَّةٌ من زملائه المستشرقينَ ، وقد تولَّىٰ تدريسَ الأدب علىٰ طريقة القدماء الشَّيخ (سيد المرصفي) ، واضطلع فيه بشرح أُمَّهات كتب الأدب والنقد في اللُّغة العربيَّة ؛ مثلَ : « ديوان الحماسة » ، وكتاب « الأمالي » ، وكتاب « الكامل » للمبرِّد .

وقد أثارت كلماتُ الدكتور طٰه حسين عن شرح كتاب « الكامل » للشيخ سيد المرصفي ضمن كتابه « في الأدب الجاهلي » ، وكتب أُخرىٰ رغبةً عارمةً في البحث عن الكتاب ؛ للاستعانة به علىٰ تلمُّس الطَّريق الصَّحيح لقراءة آدابنا العربيَّة ، والدُّربة علىٰ فهمها ، غيرَ أنَّه سرعانَ ما رغبتُ عن هٰذا الكتاب حين نصحني أحدُ الخبراء من الورَّاقينَ بأنَّ كتاب « **الوسيلة الأدبيَّة** » للشَّيخ الأزهري العبقري حسين المرصفي . . أنسب وأسرع في تكوين مَلَكة الطَّالب الجامعي الأدبيَّة والعلميَّة من كتاب « **رغبة الآمل من كتاب الكامل** » للشيخ سيد بن علي المرصفي (١) .

وهٰكذا استبدلتُ البحثَ عن كتاب : « **رغبة الآمل** » بالبحثِ عن كتاب « **الوسيلة الأدبيَّة** » للشَّيخ حسين المرصفي عند الورَّاقين في حي الأزهر ، ومنطقة مستشفىٰ أحمد ماهر ، وحي السَّيِّدة زينب ، ولٰكن بدا لي واضحاً ـ بعد طول بحث وطلب ـ : أنَّ هٰذا الكتاب لم تُكتَب لَه الشُّهرةُ أو الانتشارُ مثل كُتبٍ أُخرىٰ أدْونَ منه قيمةً وأقلَّ وزناً ، وسرعانَ ما انقطعَ الرَّجاء وغاضَ

---

(١) صدرت الطبعة الأولىٰ من هٰذا الكتاب عن مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) ، وأعادت نشره أخيراً دار الذخائر مصوراً عن الطبعة الأولىٰ بدون تاريخ .

الأمل في اقتناء نسخةٍ منه ، ثمَّ ما لبثت الفكرةُ أن ارتحلت برُمَّتِها إلىٰ هامش اللَّاشعور .

وظلَّ الأمرُ كذٰلك حتىٰ فاجأنا الأستاذ المحقِّق المدقِّق الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي [1] بتحقيق الجزء الأوَّل من « **الوسيلة الأدبيَّة** » ، الَّذي كانَ يداعِبُ أحلامَ كثيرينَ ممَّن يعرفونَ قدر التُّراث ، وقدرَ المتضلِّعين مِنْ حياضِهِ من جهابذة العلم وأساطين الفِكر ، وما إن ظهرَ هٰذا الجزء في عام (١٩٨٢ م) ، من الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب . . حتَّىٰ تلقَّفه النَّاس تلقُّفَ الباحث عن ضالَّته بعد يأسٍ ونسيان ، وظننَّا أيامئذٍ أنَّ أجزاءَ « **الوسيلة** » سوفَ تصدُر وتتلاحقُ تباعاً ، غيرَ أنَّه كانَ علينا أن ننتظرَ عشرةَ أعوامٍ أُخرىٰ ليصدرَ الجزءُ الثاني في عام (١٩٩١ م) ، ثمَّ ليسدَلَ ستارُ الإهمالِ بعدَ ذٰلكَ علىٰ هٰذا السِّفر الجليل ، وعلىٰ مؤلِّفه العلَّامة الكبير ، ويُهملَ ذكرُهما في ساحة التَّعليم والثَّقافة والفِكر والأدب .

إلىٰ أن ساقت الأقدارُ رجلاً شاءَهُ اللهُ أن يكونَ رائداً في كتيبة إنقاذِ تراثِ المسلمينَ في أيَّامنا هٰذه ، ونفضِ التُّراب عن محياه المضيء ، وبعثِه من مراقد البِلىٰ والضَّياع ؛ وهوَ الأستاذ عمر سالم باجخيف ؛ صاحب دار المنهاج بجدَّة ، الَّتي نشرت أُمهات التَّراث ، ومنها تراث الفقه الشَّافعي كـ « **نهاية المطلب في دراية المذهب** » لإمام الحرمين الجويني ، و« **النَّجم الوهَّاج** » للدَّميري ، و« **البيان** » للعمراني ، ومؤلَّفات الإمام الغزالي وفي مقدِّمتها : « **إحياء علوم الدِّين** » وكثيرٍ من مؤلَّفاته الأُخرىٰ ورسائله ، وغيرِ ذٰلكَ من كنوز التُّراث الحديثيِّ واللُّغويِّ والصُّوفيِّ .

---

(١) عبد العزيز الدُّسوقي (١٣٤٣ ـ ١٤٣٦ هـ/١٩٢٥ ـ ٢٠١٥ م) وُلِد في مركز قويسنا بمحافظة المنوفية ، وكانت نشأته الأولىٰ أزهرية ، حصل على الابتدائية والثانوية الأزهريتَين ، وحصل على الدكتوراه في الأدب والنَّقد من كُلِّية آداب عَينِ شمس ، وهو أوَّل رئيس تحرير لمجلَّة « الثَّقافة الجديدة » المصرية ، ويُعتَبر من الأُدباء والنُّقَّاد الذين أثروا الحياة الفِكرية الأدبية المصرية خلال النصف الثاني من القرن العشرين . انظر « من أعلام العصر : كَيف عرفتُ هٰؤلاء ؟ » لمُحمَّد رجب البيُّومي : (٢٠٥ ـ ٢١١) .

وكنتُ أَلمُسُ في النَّاشرِ في كلِّ مرَّةٍ يزورني فيها بمشيخة الأزهر غيرةً نادرةً ، وعزيمةً صادقةً ، وإخلاصاً لله ورسوله ، وتجرُّداً مُتعالياً على المادَّة وظلماتها .

وقد شجَّعني شغفُهُ بإحياء التُّراث علىٰ أن أطلب إليه نشرَ « **الوسيلة الأدبيَّة** » بحسبانِها ذخيرةً وكنزاً مِنْ ذخائر الأدب العربي وكنوزه في القرن التَّاسع عشر والقرن العشرين ، وذكرتُ له بعضاً مِمَّا احتفظَتْ به الذَّاكرة عن مؤلِّفها العلَّامة الشَّيخ حسين المرصفي ، والَّذي يَعدُّه أدباءُ مصرَ وعلماؤها من أكابر روَّاد النَّهضة العلميَّة وحركة إحياء الأدب العربي ، وتجديده ، وبعث تراثه ومصادره .

وكنتُ أشكُّ في أن يأخذَ الأستاذُ عمر هٰذا الأمر مأخذَ الجدِّ ؛ فالكتابُ مفقودٌ ـ تقريباً ـ في أسواق الكُتُب قديمها وحديثها ، وهوَ مجهولُ القَدر لدىٰ طلَّاب العلم وشباب الباحثين ، وأُسلوبه ـ إن طُبع ـ غيرُ مألوفٍ ولا مأنوسٍ لديهم ، وكلُّ هٰذه « مثبِّطاتٌ » لا تُغري النَّاشرينَ بالإقدام علىٰ طبعِ مرجعٍ ضخمٍ في علوم اللُّغة والأدب ، يؤولُ مصيرهُ إلى المخازن ورفوفها المتربة .

لٰكن سرعان ما تبدَّدت هٰذه الشُّكوك حينَ شرحَ الله صَدْرَ صديقنا الكريم لإعادة هٰذا السِّفر إلى الحياة مَرَّةً ثانيةً ؛ بإخراجه مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّور ، ولم تمضِ أيَّام قلائلُ قبل أن يزورَني في مكتبي ، ومعَهُ نسخةٌ مُصوَّرةٌ مِنَ « **الوسيلة الأدبيَّة** » في طبعتها القديمة الوحيدة الَّتي لم يُقدَّر لها أن تُطبعَ مرَّةً أُخرىٰ منذ صدور الجزء الأول منها عام (١٨٧٥ م) بمطبعة المدارس الملكيَّة بالقاهرة ، والجزء الثاني عام (١٨٧٩ م)[١] بالمطبعة ذاتها بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، ومعَ وعدٍ كريمٍ بالطَّبعة الثانية من « **الوسيلة الأدبيَّة** » في ثوبٍ تزهو « **الوسيلة** » بجماله ، وتستعيد بجلاله ريادتَها ومكانتَها السَّامقة مِنْ جديدٍ .

وأخيراً ؛ هٰذه هيَ « **الوسيلة الأدبيَّة** » بمجلَّداتها الأربعة ، وفي طبعتها المتألِّقة ، خذها أيُّها القارئُ الكريمُ ، وأطبق عليها بجمع يديك ، شادياً كنت

---

(١) انظر مقدمة تحقيق الدكتور/ عبد العزيز الدسوقي للوسيلة الأدبية ، جـ ١ ، ص ٧ .

في طلب اللغة والأدب ، أو ضارباً في حياضها بحظٍّ وافرٍ ؛ فهـٰذا سفرٌ نادرٌ في بابه ، يستوي في الحاجة إليه الطَّالب والأستاذ والمثقَّف والأديب علىٰ حدٍّ سواء ، بل هوَ درَّةٌ فريدةٌ أملاها هـٰذا الشَّيخ الأزهري الكفيف علىٰ طلابه ، ولم يجرؤ عالِم ولا أديبٌ في عهدِه ولا فيما تلاه مِنْ عهودٍ حتَّى الآنَ أن يأتيَ بمثل ما أتىٰ به هـٰذا العلَّامةُ الأوحدُ المتفرِّد في علمه وأستاذيَّته وبصيرته .

هـٰذا ؛ وقد كانَ في الحُسْبان أن أكتُبَ كلمةً وافيةً عن « **الوسيلة** » ومؤلِّفها ، ولـٰكن وجدتني سأكرِّر كثيراً ممَّا كُتِب عنهُما ، ولا أُضيف جديداً لِما كتبه أساتذةٌ فُضلاء مُتخصِّصون في الأدب العربي وعلوم اللُّغة ، وبخاصَّة مقدِّمة الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي عن الشَّيخ حسين ، للجزئين المنشورين في تسعينات القرن الماضي ؛ وذٰلك لِما امتازَ به الدُّكتور الدُّسوقي رحمه الله من ريادة في نهضتنا الأدبيَّة ، ومن دراسةٍ عبقريَّةٍ ضاربةٍ في جنبات هـٰذا السِّفر وفي أعمق أعماقه ، معَ إنصافٍ ذبَّ عن الشَّيخ المرصفي كثيراً ممَّا أصابه من جرَّاء الغيرة وأخواتها ، وهو إنصافٌ لا يفي به إلَّا مَن هو في وزن الدُّكتور الدُّسوقي ؛ سعةً في العلم ، ويقظةً في الضَّمير ، وأمانةً في أداء الكلمة ، ورغبةً إلى الله في القول والعمل .

هـٰذا ؛ وكنتُ قد جمعتُ طائفةً من المصادر الَّتي ترجمتْ للشَّيخ حسين المرصفي ، وسَرَّحتُ فيها النَّظر ، وحصَّلتُ منها الكثيرَ ممَّا كنتُ أتطلَّع لمعرفته ، وكنتُ أجهلُه مِنْ سيرة الشَّيخ ، وآثرتُ أن أُلحِقَها هنا في هـٰذه الكلمة الموجزة ، بعناوينها ، وأسماء مؤلفيها ؛ فقد تلقىٰ رغبةً في صدور بعض الشَّباب مِنَ الحريصينَ علىٰ لُغتهم العربيَّة لعلهم يتنبهونَ إلىٰ أنَّ هـٰذه اللُّغة هي سرُّ قوَّتهم ، ومناطُ عزِّهم ، وسبيلُ استعادةِ مجدهم ، وهـٰذه المصادر هي :

ـ الدُّكتور عبد العزيز الدُّسوقي : حسين المرصفي ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٩٠ م) ، رقم (٢) من سلسلة نقَّاد الأدب .

ـ محمَّد عبد الغني حسن : أعلام مِنَ الشَّرق والغرب ، دار الفكر العربي

(١٩٤٧ م) . فصل بعنوان : (أول رائد في تدريس الأدب العربي : الشَّيخ حسين المرصفي ت ١٨٨٩ م) ، (ص ٦٧ ـ ٨١) .

ـ عبد الحي دياب : التُّراث النَّقدي قبل مدرسة الجيل الجديد ، دار الكتاب العربي للطِّباعة والنَّشر (١٩٦٨ م) (ص ٣٩ ـ ٥٤) .

ـ رسالة الكلم الثَّمان ، للشَّيخ حسين المرصفي ، تحقيق ودراسة الدُّكتور أحمد زكريا الشَّلق ، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (٢٠١٤ م) .

ـ الشَّيخ حسين المرصفي : جهوده البلاغيَّة والنَّقديَّة ، إعداد الطَّالب عبد الله أحمد العطَّاس ، رسالة ماجستير ، إشراف الدُّكتور عبد الواحد علَّام (١٤٠٦ ـ ١٤٠٧ هـ) ، كُليَّة اللُّغة العربيَّة ، جامعة أُمِّ القرى ، المملكة العربيَّة السُّعوديَّة (نسخة مصورة) .

شكرَ اللهُ للأخ الأستاذ/ عمر ، ولدار المنهاج ، ولكُلِّ العاملينَ بها علىٰ هٰذا المعروف الذي أَسْدَوه إلى الأُمَّة الإسلاميَّة ، ولُغتها العربيَّة ؛ لُغة القُرآن ، وحصن العرب وسَنَد المسلمينَ .

مشيخة الأزهر
٢٧ من جمادىٰ الآخرة سنة ١٤٤٠ هـ
الموافق : ٤ من مارس سنة ٢٠١٩ م

أحمد الطيّب
شيخ الأزهر
رئيس مجلس حكماء المسلمين

بين يدي الكتاب

حمداً لمن خلق الإنسان علمه البيان ، ورفد الأمة المحمدية بمعجزة الفرقان .

وصلاة وسلاماً علىٰ من أعطي جوامع الكلم ، واختصر له الكلام اختصاراً ، وعلىٰ صحابته والتابعين .

وبعد :

فإن **الوسائل** هي الطرق الموصلة إلى المقاصد ، وصُنَّاع الصروح الأدبية متفننون في إتقانها ، متمرسون في تبيانها ، يركبون مطايا الإبداع ، ويرتشفون كؤوس البلاغة ، ثم يمجونها من لهواتهم على الطروس شهداً مصفّىً ، يستهوي كل من ذاقه ، ويشفي من علل الجهل .

فكم من ذوَّاقة يستأسر لنفثات الأدباء ، « وإن من البيان لسحراً » !!

كيف أنجو وأسرها إيماء والشراك العيون نفسي الفداء (١)

ولا مراء عند أولي المعرفة : أن بناء **الوسائل الأدبية** يعتريها التفاوت البياني ؛ بالنظر إلى الإيضاح والإفصاح عن مكونات أي فن من فنون الأدب .

وقد أجمع أولو العلم علىٰ أنه متىٰ تعاضد التبيان والتحقيق في هندسة التأليف . . فإن المعروض العلمي ترتفع قيمته ، وتعلو مكانته ، وتسمو منزلته ، ويلبس تاج القبول ، ويعم نفعه .

(ب)

وبين يديَّ الآن كتاب « **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية** » قد جمع بين البيان الأدبي والتحقيق المعرفي .

---

(١) من أبيات لكاتب هٰذه الأحرف .

إضافة إلىٰ مزايا سامية ارتفع بها إلىٰ منزلة تقاصر عنها كثير من الأسفار الأدبية المعاصرة ، فأجرى الأقلام معنِقةً للإعلام بعلياء مكانته ، وأنطق الألسن لتبيان مناقبه وسمو شرفه ؛ لأنه أبهر الناظرين فيه بما أودعه من فوائد فرائد ، وبما طرزه بمحاسن بنت عدنان ، وبما حبره قلمه من أدبٍ عالٍ ، وتأليف بديع .

فكم منادمٍ له ووارد منهله الروي !! وكم ناظر في فنونه ومقتبس من عيونه !!

إنه نسيج هٰذا الأزهري العبقري ، فمن طالع هٰذا السفر . . يجزم بأن منتجه بحر الفنون ، وقاموس البلاغة ، ومعجم الأدباء ، **فهو بدر يتجول في بروج التحقيق والتدقيق .**

من نادم « **وسيلته** » . . علم أنه كان أعجوبة عصره ، وأن ما وشّاها به من العلوم والحكم تدل علىٰ مكانته الرفيعة ، ورسوخه العلمي .

وهبه المولىٰ جل وعلا عقلاً ثاقباً ، وفكراً صائباً ، وقلماً لامعاً ، وهٰذه « **الوسيلة** » من آثاره الروائع ، نسيجها محكم ، ووشاحها ذهبي ، **تباعد فيها عن الحشو والإخلال** ، وسبكها في قوالب الفصحاء ، فلا حذف ولا إعلال .

فرحمه الله تعالىٰ ، وصب علىٰ جدثه شآبيب المغفرة والرضوان ، وغمره بعفوٍ يفوز به في يوم التناد .

(ج)

ولعمري ؛ لقد أردت أن أقيد هنا أحرفاً تومئ إلىٰ رفعة شأن الكتاب ، وتشيد بناسجه ، فسقطت في يم الحيرة ، وطفقت أتردد : من أين أبدأ ، عن أي خصيصة أتكلم ، وبأي المزايا أترنم ؟

تكاثرت الظباء علىٰ خراش فما يدري خراشٌ ما يصيد

نعم ؛ إن هٰذا الكتاب ضم بين خوافيه علوم العربية ، ونثر جواهر من

المعارف تطوق أعناق الأدباء بفرائدها ، وتصقل الأذهان بعوائدها ، ويستهدي المتأدبون بضيائها .

ففي طيات هٰذا الكتاب أكثر من ثلاثة عشر فناً من العلوم العربية ، تتلامع سناها في صفحاته ، ففواكهه العلمية دانية للأدباء ، وفوائده المصفوفة معروضة للنبلاء ؛ فقد اصطفىٰ من لغتنا الجميلة أحلاها ، وامتص برسوخه رحيقها ، واقتطف من السنة النبوية أحاديث تدعو إلىٰ مكارم الأخلاق ، وتنشر محاسن الدين .

كما ضمن « **الوسيلة** » روائع من نفثات يراعته ، وقيد فوائد تشي برسوخه وإتقانه .

فمن أراد التزود من علوم العربية ، والتأدب بأدب القوم . . فليسامر هٰذا الكتاب ، وليجعله من زمرة الأصحاب والأحباب .

أعز مكان في الدجىٰ سرح سابحٍ وخير جليس للرجال كتاب

وقد اضطلعت عزيمة الشيخ الموفق أبي سعيد عمر بن سالم باجخيف وأخيه خادم العلم أبي نصوح محمد غسان عزقول الحسيني الدمشقي بإعادة نشر هٰذا الكتاب ؛ بعد أن منَّ الله عليَّ بتصحيحه وضبطه ومراجعته وتدقيقه ؛ لما في نشره من النفع العام ، وخدمة الشرع الحكيم .

وها هو يتبدىٰ في طبعته الأنيقة ، وحلته الجديدة ، وتعليقاته المفيدة يتهادىٰ ، فالله تعالىٰ ينفع به .

يوم الثّلاثاء
(١٢) ربيع الأنور (١٤٤٠ هـ)
(٢٠) نوفمبر/تشرين الثّاني (٢٠١٨م)
الطّائف

وكتبه
د. محمّد عبد الرحمن شميلة الأهدل
الأزهَرِيّ

ترجمة

العلّامة الأديب، النّاقد الأريب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفيّ

رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ[1]

(ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٩٠ م)

اسمه ونسبه

هو الشيخ العلامة ، والنابغة الفهامة ، المدرس المحقق ، والأديب المدقق ، الشيخ : حسين بن أحمد بن حسين أبي حلاوة الكبير ، المرصفي .

قال عنه الأستاذ محمد عبد الجواد في ترجمته له : (كان المترجم له معجزة زمانه ، ونابغة عصره ، وقد شع نوره ، وانتشر شعاعه ، فأضاء الأفق العلمي ؛ لقربه من أعرق القرىٰ ، وكشف عن فضل « مرصفا » وأهلها . . .)[2] .

نشأته وتعلمه

نشأ العلامة المرصفي في قرية (مرصفا) التي كانت منبتاً للعلماء ؛ فقد نبغ فيها كثير منهم حتىٰ صارت النسبة إليها مفخرة من المفاخر ، فها هو ذا المرصفي لم ينسب إلىٰ أحد أجداده ، بل نسب إلىٰ قريته التي غدا لا يُعرَف إلا بها ، ولا تُعرَف إلا به .

قال عنها الأستاذ محمد عبد الجواد : (إن نسبة التعليم فيها عالية ، وخاصة

---

(١) مصادر الترجمة : « الخطط التوفيقية الجديدة » للعلامة علي مبارك باشا (١٢٥/١٥ ـ ١٢٦) ، وكتاب « الشيخ الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول للعلوم الأدبية بدار العلوم » للأستاذ محمد عبد الجواد ، ترجم فيه للمؤلف ، و« الأعلام » للزركلي (٢٣٢/٢) .

(٢) من مقدمة كتاب الأستاذ محمد عبد الجواد « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣) .

التعليم الأولي ، فلا تكاد تجد فيها أمياً ، والمتعلمون فيها كثير ؛ ولذلك يضرب بها المثل ، فيقال : جاهل مرصفا أعلم من علماء الشموت ، والشموت : قرية تبعد عن مرصفا بنحو أربعة آلاف ذراع ، ويقال أيضاً : لو كان العلم ينبع من الحيطان . . لنبع من حيطان مرصفا)[١] .

ومرصفا : إحدىٰ قرىٰ مركز (بنها) بمحافظة (القليوبية) ، وهي من القرى القديمة التي كانت عامرة قبل الإسلام[٢] ، ولأهلها اعتناء زائد بالعلم والتعليم ، وقد ذكرها ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قائلاً : (نُسب إليها قوم من أهل العلم)[٣] .

أخرجت لمصر وللعلم والعربية منذ أجيال عشرات من حملة ألوية العلم والأدب والفضل ؛ فمن يذكر المرحوم الشيخ زيناً المرصفي . . يذكر مفخرة من مفاخر الجيل الماضي ، ومن يذكر مترجمنا العلامة حسيناً المرصفي . . يذكر النبوغ والعبقرية ، وكذلك تجد أهل مرصفا من المشتغلين بطلب العلم أو بخدمته[٤] .

والد العلامة المرصفي

هٰذا ؛ وإن والد العلامة المرصفي من العلماء الأعلام ، ذكر صاحب « الخطط التوفيقية » : أنه كان بين علماء مرصفا الفضلاء الشيخ أحمد بن حسين المرصفي ، ويكنىٰ بأبي الحلاوة ، دخل المكتب بعد بلوغه ثماني عشرة سنة ، فحفظ القرآن الكريم في ستة أشهر ، واشتغل بالعلم حتىٰ صار إماماً فيه في

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٢١) .

(٢) انظر « الخطط التوفيقية الجديدة » (١٢٠/١٥) .

(٣) معجم البلدان (١٠٧/٥) .

(٤) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٢٠) ، وذكر فيه أيضاً عن النسبة لهٰذه القرية (ص ٢٦) : أن عدداً من أهلها قديماً نزح منها ، واستقروا في بلاد وقرىً أُخَر ، فأطلق عليهم لقب (المرصفاوي) ؛ ليتميزوا عن المرصفيين المحتفظين بعادات قريتهم وطباع أهلها .

أقرب زمن ، وأخذ عن جماعة من فضلاء الأزهر ، فلازم الشيخ داوود القلعاوي وسمع منه الكتب الستة ، وأخذ عن الشيخ الدمهوجي والفَضَالي والقُويسني والشَّرقاوي .

وكان رحمه الله تعالىٰ زاهداً حافظاً ، يميل إلىٰ حب العزلة ، لم يُرَ في وليمة إلا نادراً ، وكثيراً ما كان يدعوه الأمراء إلىٰ منازلهم فلا يجيبهم ، وكان يزور الإمام الشافعي رضي الله عنه ماشياً علىٰ كبر سنه .

وكان رحمه الله تعالىٰ مهيباً في درسه ؛ بحيث لا يستطيع الطالب أن يرفع فيه صوته ولو بالسعال .

سافر في مبدأ أمره إلى الصعيد مع بعض مماليك العزيز المرحوم محمد علي ، وأقام هناك سنتين ، ثم رجع وانقطع للعلم بالأزهر إلىٰ أن توفي رحمه الله تعالىٰ ، وعمره اثنتان وسبعون سنة [١] .

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد أن من طلاب الشيخ أحمد المرصفي : العلامةَ محمداً الأشموني ، ومن معاصريه العلامةَ الباجوريَّ ، وأورد صورة إجازة من العلامة الأشموني يجيز الشيخَ محمد حفني ناصف بروايته عن العلامةِ الباجوري والشيخِ أحمدَ المرصفيِّ أبي حلاوة ، وكفىٰ بإجازة العلامة الأشموني هٰذه دليلاً وشاهداً علىٰ مكانة والدِ مترجَمِنا هٰذا .

ملامة وعتب علىٰ مؤرخي الأدب

لم يتبين لنا علىٰ وجه التحديد سنة ولادة العلامة المرصفي ، ولولا بضعة أسطر كتبها عنه العلامة علي مبارك باشا . . لما علمنا من سيرته شيئاً .

قال الأستاذ محمد عبد الجواد مستغرباً ومتعجباً : (ولأقف هنيهة أُسائل فيها مؤرخي الأدب عن إغفالهم ترجمة الشيخ ترجمة وافية مفصلة ، تظهر

(١) الخطط التوفيقية (١٥/١٢٤ ـ ١٢٥) بتصرف يسير .

مناحي شخصيته ، وتميط اللثام عن استعداده وكفايته ، وتفصح عن جوانب عبقريته ، وتوضح لماذا كان معجزة زمانه .

ويظهر أن الترجمة للشيخ حسين المرصفي كانت شاقة ، لمن جاؤوا بعد علي مبارك باشا ، فأغفله المرحوم جرجي زيدان بك ، وهو يترجم لقرابة تسعين علماً من أعلام النهضة في كتابه المشهور : « تراجم مشاهير الشرق » ، كما تركه الأستاذ حسن السندوبي في كتابه « أعيان البيان » ، الذي ترجم فيه لطائفة من أعلام الأدب والشعر منذ عصر محمد علي .

وأعجب من ذٰلك كله : أن يتركه المغفور له أحمد تيمور باشا ، وهو يترجم لأربعة وعشرين عيناً من أعيان العلم والأدب في كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » الذي طبع بعد وفاته !!

وما زال حظ الشيخ المرصفي يضؤل من الأسطر التسعة التي تفرد بها علي مبارك باشا في « خططه » حتىٰ بلغ نصيبه ثلاثة أسطر من الترجمة في كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » للأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو نصيب لا يقوم كفاء ما أسداه الشيخ إلىٰ دراسة تاريخ الأدب من خدمات ، علىٰ أن مؤرخنا المنصف عبد الرحمٰن الرافعي بك لم يفته ـ وهو يترجم لأعلام الأدب في عصر إسماعيل ـ أن يردد بضعة الأسطر التي جاءت في كتاب علي مبارك باشا ، وهي المصدر الوحيد في ترجمة الشيخ الجليل .

والحق : أن الشيخ المرصفي لم يترك لنا ترجمة تفي بحاجات المؤرخ ، أو تلقي ضوءاً قوياً علىٰ حياته .

وأكثر من هٰذا : أنه لم يمد المؤرخ بما يكفي لدراسته دراسة لا تشق على الذين يأتون من بعده ؛ فقد كان معاصراً لعلي مبارك باشا ، وكان صديقاً له ، وقد كان في مقدوره أن يمده بطرف من أخباره ؛ ليذكر في كتابه « الخطط » كما كانت عادة علي مبارك باشا مع رجالات عصره ؛ فقد كان يرجو أن يمدوه بآثارهم ليدونها في كتابه .

وإني قد أبحت لنفسي نقل هٰذه الفقرات الثلاث من الأستاذ محمد عبد الغني حسن في ترجمته ؛ لأنها تمثل أصدق تمثيل ما كان يدور بخلدي وقت أن فكرت في الكتابة عنه ، وقبل اطلاعي علىٰ هٰذه الترجمة وإن كنت أخالفه في بعض قضاياه ، كما سيتضح ذٰلك فيما بعد .

وإذا كان العجب قد استولىٰ على الأستاذ من ترك تيمور باشا ترجمته للشيخ . . فقد كانت مفاجأة مدهشة أن أجده أغفل الشيخ مع ترجمته لبعض تلاميذه ؛ مثل الشيخ أحمد مفتاح ، ومع ذكره بعض أشعار هٰذا التلميذ في الشيخ الحسين ، حين قال في شيخيه : حسن الطويل ، الذي خلف الحسين : [من الكامل]

دَارُ ٱلْعُلُومِ شَكَتْ فِرَاقَ أَبِي ٱلْهُدَىٰ ... اَلْمَرْصَفِيُّ ٱلْحَبْرُ أَوْحَدُ ذا ٱلزَّمَنْ

فَأَجَبْتُهَا : حَسَنُ ٱلْمَعَارِفِ بَعْدَهُ ... لَا تَجْزَعِي إِنَّ ٱلْحُسَيْنَ أَخُو ٱلْحَسَنْ

وهٰذا أيضاً مع ترجمته للشيخ زين المرصفي ، مع أنه كان صهر الحسين ، وإني أستبعد ألا يكون تيمور باشا عارفاً قدر الحسين !! وقد يكون السر في إغفال ترجمته : أن الكتاب طبع بعد وفاة الباشا ، فأسقط الترجمة من قام بالطبع)[١] .

ومن الاطلاع على الوقائع يتبين أن ولادة العلامة حسين المرصفي كانت تقريباً مطلعَ القرن التاسع عشر ، نحو عام (١٨١٥ م) ؛ لأن وفاته كانت سنة (١٨٩٠ م) ، وعاش أكثر من سبعين سنة رحمه الله تعالىٰ .

ثم ذكر الأستاذ محمد عبد الجواد بعض الأسباب التي اعتقد أنها السبب في إهمال ترجمة العلامة حسين المرصفي ، ثم قال : (ومن أهم الأسباب التي عملت علىٰ إغفال مؤرخي الأدب الترجمة للشيخ . . عدم مقدرتهم علىٰ تقويم علمه وفضله من كتبه ؛ فإن من يريد الترجمة له ترجمة قيمة . . لا بد له من

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩ ـ ١١) .

قراءة كتبه وآثاره التي خلفها ، حتىٰ يستشف منها فضل الشيخ ومقدرته ، وسعة أفقه في العلم والأدب ، وليس هـٰذا الأمر بالهين أو اليسير على الذين كتبوا عن غيره من معاصريه ؛ لعدم إلمامهم بالفنون التي احتوتها مؤلفاته .

هـٰذا ؛ ولست أوافق الرأي القائل : بأن الشيخ لم يترك ترجمة تفي بحاجات المؤرخ . . . إلىٰ آخره ، **بل في الحق** : أن ما ذكره علي مبارك باشا عن الشيخ فيه الكفاية ، بالنسبة لدائرة المعارف التي وضعها في « خططه » ، وما يريده هـٰؤلاء من المعلومات عن الشيخ . . لم تكن تستحق التسجيل في نظره ، وبخاصة إذا علمنا أن الشيخ كان يثافنه ويجتمع به في مجالس خاصة ، ومحافل عامة .

ولولا ما كتبه علي مبارك باشا من الأسطر التسعة عن الشيخ في « خططه » ، عرضاً في الكلام علىٰ قرية « مرصفا » والتي أصبحت مصدراً يستقي منه كل من يتعرض لترجمته . . لكان الشيخ نسياً منسياً)[١] .

قال عنه العلامة علي مبارك باشا بعد أن ذكر ترجمة والده في « الخطط التوفيقية » : (وقد ترك ابنه العلامة الشيخ حسيناً : من أجلاء العلماء وأفضلهم ، له اليد الطولىٰ في كل فن ، وقل أن يسمع شيئاً إلا ويحفظه ، مع رقة المزاج ، وحدة الذهن ، وشدة الحذق .

اجتهد في التحصيل وحفظ المتون ، حتىٰ متن « جمع الجوامع » ، و« تلخيص المفتاح » .

وتصدر للتدريس ، وقرَّأ بالأزهر كبار الكتبِ كـ « مغني اللبيب » في النحو لابن هشام ، وله تآليف مفيدة ، أجاد فيها وأفاد ؛ منها : كتاب « الوسيلة الأدبية في علوم العربية » ، جمع فيها نحو اثني عشر فناً ، وتكلم باللسان الفرنساوي ، وقرأ الخط العربي والفرنساوي في أقرب زمن مع انكفاف بصره ؛ وهو حروف اصطلح عليها اصطلاحاً جديداً ، تدرك بالجس باليد .

---

(١) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ١٢) .

وقد أنشأ الخديوي إسماعيل من ضمن ما أنشأ من المدارس ، مدرسة للعميان يتعلمون فيها هٰذا الخط مع فنون أخر ، وكان الشيخ حسين معلم العربية في دار العلوم وبالمدارس الكبرىٰ وبمدرسة العميان)[1] .

لقد أوفىٰ رحمه الله تعالىٰ على الغاية ، وجاء بخلاصة الخلاصة ، وقد هيأ المولىٰ سبحانه الأستاذ محمد عبد الجواد لهٰذه المهمة ، قال في مقدمة بحثه : (**وقد شجعني علىٰ ذٰلك** : أني لم أجد من ترجم لهٰذا الشيخ الجليل ترجمة تليق بمركزه ، وتفصح عن قيمته ، وتلقي ضوءاً يكشف عن شخصيته .

هٰذه الأسباب وغيرها حفزتني إلى الترجمة لهٰذا العالم الأديب ، والنادرة الفذ ، حتىٰ أستمتع بلذة البحث عن هويته ، في مهامِهِ الظلام التاريخي الحالك ، الذي كان يسود جوه وعصره ، وسأتتبع حال الشيخ من خلال تلك الوصاوص[2] التي عثرت عليها حين كنت أجمع أصول « تقويم دار العلوم » ، وسأتخذ من هٰذه الذرات مصابيح تضيء تاريخ الشيخ ، وتكشف عن أفق علمه الواسع ، وفضله السابغ ، مستعيناً بما أستنبطه من مؤلفاته القيمة النادرة ، ومما أتلقطه من أفواه بعض تلاميذه ومعاصريه ، ومن سمع عنه من بعض عارفيه ومشاهديه .

وإني لأعتبرها فرصة ذهبية ـ كما يقولون ـ أن أندمج في غمار من يعمل علىٰ إظهار فضل هٰذا العالِم البارع ، الذي يدعوه كل من تحدثت معه في تاريخه : معجزة زمانه ، ونادرة وقته ، مع أنه لم يفكر أو لم يوفق أحد من قبل في الترجمة له ، والحديث عنه في كتاب خاص !!)[3] .

ومن مفاتيح البحث عن سيرة الشيخ : آثاره ومؤلفاته ، وما يلقاه الباحث في ثنايا سطورها ، مما يشير إلىٰ سعة في الاطلاع ، وتبحر في العلوم والفنون ، مع اتساع أفق معلوماته الخاصة والعامة .

---

(١) الخطط التوفيقية (١٥/١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٢) الوصاوص : جمع وصواص ؛ وهو الخرق في الستر بمقدار عين تنظر فيه .

(٣) الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول (ص ٩) .

ومع أن العلامة المرصفيَّ كان كفيف البصر . . لٰكنه ذو بصيرة ثاقبة ، وكم قد سبق من البصراء فلم يدركوا شأوه رحمه الله تعالىٰ ، وكأن لسان حاله يردد ما قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : (من البسيط)

إِنْ يَأْخُذِ ٱللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ... فَفِي لِسَانِي وَسَمْعِي مِنْهُمَا نُورُ
قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ ... وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَٱلسَّيْفِ مَأْثُورُ (١)

وقال أبو العلاء المعريُّ : (من الوافر)

وَقَالُوا قَدْ عَمِيتَ فَقُلْتُ كَلَّا ... وَإِنِّي ٱلْيَوْمَ أَبْصَرُ مِنْ بَصِيرِ
سَوَادُ ٱلْعَيْنِ زَادَ سَوَادَ قَلْبِي ... لِيَتَّفِقَا عَلَىٰ فَهْمِ ٱلْأُمُورِ

ولقد أشار الأستاذ محمد عبد الجواد إلىٰ أن الشيخ حسيناً المرصفيَّ أصابته علة وهو في الثالثة من عمره أذهبت بصره ، ولم يكن أكمه ، وكان الشيخ إبان طلبه للعلم ملازماً للأزهر الشريف ، فلا يفارقه أياماً ولياليَ على الرغم من قرب بيت والده من الجامع الأزهر ؛ لأنه كان في (الباطنية) ، وكان من عادته أن يأكل مرة واحدة في اليوم والليلة (٢) .

تدريسه في الأزهر الشريف

كان تدريسه في الأزهر أُولىٰ ثمرات نبوغه ونتائج اجتهاده ، قال العلامة محمود الطناحي في كتابه « مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث » : (أنشئت مدرسة

---

(١) قال العلامة خليل بن أيبك الصفدي رحمه الله تعالىٰ في « نكت الهميان » (ص ٧٢) : (قلَّ أن وجد أعمىٰ بليداً ، ولا يرىٰ أعمىٰ إلا وهو ذكي ؛ منهم : الترمذي الكبير الحافظ ، والفقيه منصور المصري الشاعر ، وأبو العيناء ، والشاطبي المقرئ ، وأبو العلاء المعري ، والسهيلي صاحب « الروض الأنف » ، وابن سيده اللغوي ، وأبو البقاء العكبري ، وابن الخباز النحوي ، والنيلي شارح « الحاجبية » وغيرهم ، والسبب الذي أراه في ذٰلك : أن ذهن الأعمىٰ وفكره يجتمع عليه ، ولا يعود متشعباً بما يراه ، ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئاً نسيه . . أغمض عينيه وفكر ، فيقع علىٰ ما شرد من حافظته ، وفي المثل : أحفظ من العميان . . .) .

(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٣٨) .

دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » ، وتولى التدريس فيها أفذاذ الرجال ، وكان علىٰ رأسهم الشيخ حسين المرصفي ، هٰذا الأزهري الضرير الذي تولى التدريس بالأزهر ، ثم كان أستاذاً للأدب العربي وتاريخه بمدرسة دار العلوم ، وكان يعرف الفرنسية ، وهو من عظماء رجال الإحياء ـ أي : إحياء التراث ـ وألف كتابه « الوسيلة الأدبية » وهو مجموع محاضراته علىٰ طلبة دار العلوم ، ولهٰذا الكتاب أثر ظاهر في إحياء اللغة وآدابها ، وقد انتفع به كل من تخرج في دار العلوم ، وكل أبناء الجيل عامة . . .)[1] .

لقد تصدىٰ للتدريس في الأزهر قبل صدور القانون الذي ينظم إجازة التدريس أو شهادة العالمية سنة (١٢٨٨ هـ) ، واستمرَّ في التدريس بعد صدوره ، وكان واحداً من الأساطين التي يعتمد عليها بدار العلوم ، والذي سماها بهٰذا الاسم صديقه العلامة علي مبارك باشا صاحب « الخطط التوفيقية » ، وكانت أشبه بمجمع علمي أو جامعة شعبية ، تلقىٰ فيها المحاضرات في كل فن ، ومن المحاضرين البارزين فيها الشيخ حسين المرصفي لمدة ثمانية عشر عاماً ، وتخرج علىٰ يديه عدد كبير من فطاحل العربية والأدب ، وظهر فضله ، وانتشر ذكره ، وكان يدرس العلوم الأدبية ؛ وهي التي تتضمن : النحو والصرف ، ورسم الحروف ، وحروف المعاني ، والعروض والقوافي ، والإنشاء وعلوم البلاغة ، وأدبيات اللغة والمنطق ، ولما أرادوا رفع مستوى المدرسة والطلاب . . أضاف الشيخ حسين المرصفي للطلاب درساً في « المقامات » ، ودرساً في كتاب « التمرين على القراءة في اللغة العربية » ، وهو كتاب يتضمن خمساً وعشرين مسامرة في مسائل عامة ؛ كونية ونباتية وحيوانية وطبيعية وفلكية ، ومن يتصدىٰ لتدريسها . . لا بد أن يكون واسع الأفق ، غزير المعلومات ، مع تباينها وتنوعها ، وعندما تنظر في عناوينها تدرك بأنه يملك عقلية فذة ، ونظرة ثاقبة في غور الأمور ، وبصيرة سبقت الأبصار والمبصرين .

---

(١) مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي (ص ٣٦) .

وذكر الأستاذ محمد عبد الجواد مثالاً لتبحره وغزارة علمه ؛ وهو : أنه دخل الفصل أول السنةِ فسأل : من الأول ؟ فرد عليه الأستاذ الحناوي : أنا ، فقال الشيخ : أعوذ بالله من قول « أنا » ، وسأله عن اسمه ، فقال له : الحناوي ، فأخذ الشيخ يسأله عن النسبة في كلمة (الحناوي) : هل هي قياسية أو غير قياسية ، وقال : الحناوي أو الحني ، نسبة إلى الحنة أو الحناء ؟

ثم شرع يتكلم علىٰ نبات الحنة وأثرها في الصناعة وتلوين الورق ، وفوائدها وغير ذٰلك ، ويذكرون أنه قضىٰ نحو أسبوع في الكلام على الحناء .

وفضلاً عما يفهم من سعة اطلاع الأستاذ . . تجد أنه يتبع طريقة التعليم بالمناسبة ، وهي خير طريقة لتثبيت المعلومات عند الطلاب [1] .

وكان يرتب الطلاب في الصف أول السنة بترتيب مخصوص ؛ بحيث يعرف مكان كل طالب ، ويحفظ أسماءهم ، فإذا حصل همس أو عبث . . نادىٰ باسم الطالب ، وكان يشعر بغياب من لم يحضر ، ولو دخل الطالب خلسة . . كان يقول : من الذي شوش علينا الدرس ؟!

وإذا سمع صريف القلم . . نادىٰ علىٰ صاحبه بالكف عن الكتابة ، وكان مرهف الحس ، حاضر الذهن ، سريع البديهة ، شعلة من الذكاء ، دقيق الملاحظة .

تدريسه بمدرسة العميان

تأسست هٰذه المدرسة الخصوصية في عهد الخديوي إسماعيل سنة (١٨٧٥ م) ، واستمرت إلىٰ سنة (١٨٨٩ م) ، وكانت الأُولىٰ من نوعها بمصر ، وإن وجود العلامة المرصفي مدرِّساً بها مع تدريسه بدار العلوم ساعده علىٰ

---

(١) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٤٤) ، ونقل أن طلابه كانوا يروون عنه أشياء تشبه الأساطير كما هي العادة في الكلام على العباقرة مما يستدل من ذٰلك علىٰ نبوغه وتبحره ، وأنه كان خارقاً للعادة في حياته رحمه الله تعالىٰ .

تعلم الخط العربي والفرنسي علىٰ طريقة (بريل Braille) من خلال جس الحروف باليد .

وقد أتقنها الشيخ رحمه الله تعالىٰ ، ووصل في تعلمه اللسان الفرنسي إلىٰ أن صار يترجم كتباً عن الفرنسية إلى العربية ، وكان ذٰلك في وقت يسير ، وكان يمتلك آلة كاتبة في ذٰلك العصر .

مؤلفاته

لقد عاش العلامة المرصفي في عهد محمد علي وعباس الأول وسعيد ، وأدرك عهد إسماعيل وتوفيق ، فكان في عهد هٰذين الأخيرين في طليعة المؤلفين ؛ لأن مؤلفاته لم تظهر إلا بعد تدريسه بدار العلوم ، وربما وقف علىٰ أمور في تدريسه الطلبة أحوجته إلىٰ تجديد الأساليب وتنويع الخطاب والأمثلة ، فجاء بمَعينٍ عذب وردَهُ واستقىٰ منه أجيال وأجيال ، فأضحىٰ بحق معلم الجيل الأول ، وشيخ مؤلفي العصر الحديث بلا منازع !!

قال العلامة المحقق محمود شاكر في كتابه القيم « أباطيل وأسمار » : (فأنشئت مدرسة دار العلوم سنة « ١٨٧٢ م » أي : قبل وفاة رفاعة الطهطاوي بعام واحد ، فتولى التدريس فيها رجل من **عظماء رجال الإحياء . . هو الشيخ حسين المرصفي** ، فكان له أثر عظيم جداً علىٰ كل من تخرج في دار العلوم ، واقترن وجود المرصفي بظهور شاعر فذ ، نقل اللغة يومئذ من حال إلىٰ حال ، فأسقط عن الهمم تلك الأغلال التي كانت تمسكها إلى الأرض ، وتقعدها بالعجز عن توهم إدراك الأوائل في نصاعة العبارة وتجويد الشعر ، وهو الإمام الأول محمود سامي البارودي ، المولود سنة « ١٨٤٠ م » ، وظهر اسمه وشعره في نحو هٰذا الوقت ؛ أي : « ١٨٧٠ م » ، وبدأت العربية من يومئذ تستعيد شبابها وقوتها ، وانطلقت الألسنة من عقال العجز **بفضل هٰذين الرجلين**)[(١)] .

---

(١) أباطيل وأسمار (ص ١٣١) .

وأما مؤلفات هٰذا العالم الكبير . . فأهمها أربعة كتب ؛ هي :

١ ـ « **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية** » وهو أهم كتب العلامة وأشهرها ، وهو كتابنا هٰذا الذي شرفنا الله بخدمته وبعثه من جديد .

٢ ـ « **زهرة الرسائل** » طبع بمصر دون تاريخ ، كما أشار إلىٰ ذٰلك سركيس (١) .

٣ ـ « **دليل المسترشد في فن الإنشاء** » مخطوط في ثلاثة مجلدات ، وكان العلامة يلقيه في المحاضرات التي يدرسها في دار العلوم علىٰ طلبته .

٤ ـ « **رسالة الكلم الثمان** » في العلوم السياسية أو التربية الوطنية (علم الاجتماع) ، وهي تسمية مبتكرة جديدة ، يتكلم فيها المؤلف على (الأمة ، والوطن ، والحكومة ، والعدل ، والظلم ، والسياسة ، والحرية ، والتربية) ، وقد استفتحها بعد البسملة بهٰذين البيتين : (من مجزوء الكامل)

أَرْجُو قَبُولَ هَدِيَّةٍ ... لَقَّبْتُهَا ٱلْكَلِمَ ٱلثَّمَانِ
أَهْدَيْتُهَا لِأُولِي ٱلنُّهَىٰ ... فِتْيَانِ أَبْنَاءِ ٱلزَّمَانِ

ثم أعقبها بقوله : (هٰذه رسالة ، ألتمس من قرائها أن يخصوها بجانب عظيم من عنايتهم ؛ حتىٰ لا يفوت فهمهم شيء مما تشير إليه بعض عباراتها ، وأن يكرروا النظر لاستثبات معانيها ، وبها أخاطب أذكياء الشبان من أهل هٰذه الأزمنة ، التي ابتدأتها الألطاف الحاضرة ، شرحت فيها كلمات جارية علىٰ ألسن الناس لهجوا بذكرها في هٰذه الأوقات ؛ كلفظ الأمة والوطن والحكومة ، والعدل والظلم والسياسة ، والحرية والتربية ، وأرجو من الله تعالىٰ كما هداني لذٰلك أن يستعقب المنفعة المنهوض لتحصيلها) (٢) .

فهي رسالة جديرة أن تُخدَم وتُقرأ وتُدرس .

---

(١) معجم المطبوعات العربية (٢/١٧٣٥) ، وعزاه له في « الأعلام » (٢/٢٣٢) ، وعزاه أيضاً لمحمد بن حسن نائل المرصفي (٦/٩٥) ، ولعل الثاني سبق قلم .
(٢) انظر « الحسين بن أحمد المرصفي الأستاذ الأول » (ص ٩٢ ـ ٩٣) .

لقد كان العلامة المرصفي نادرة عصره ، ودرة وقته ، حاملاً لواء النهضة ، أمضىٰ عمره في التدريس ، وأوصل رسالته ، وأدىٰ أمانته ، وسبق مَن معه وكثيراً ممن قبله ، لقد غرس لأهل مصر بل وللعربية جمعاء غرساً لا يقلع إلىٰ يوم القيامة .

لقد تزعم رجال النهضة الحديثة ، وأخرج روَّاداً للحضارة من دار العلوم ؛ أمثال : محمد دياب ، وحفني ناصف ، والشيخ مفتاح ، والشيخ زيد ، وسلطان محمد ، وحسن توفيق العدل ، كما أخذ عنه من غيرهم أمثالُ : البارودي ، وعبد الله باشا فكري أميرَي البيان والشعر في وقتهما ، وكذٰلك أمير الشعراء أحمد شوقي ، والشيخ حمزة فتح الله . . . وهٰكذا ؛ كان بحق شيخَ النهضة الأدبية .

ومن ثماره : أن تلاميذه هم الذين ألفوا الدروس النحوية : محمد بك دياب ، ومحمد صالح باشا ، وحفني ناصف بك ، والشيخ مصطفىٰ طموم ، ومحمود عمر بك ، وسلطان محمد بك ، هٰؤلاء هم مؤلفو الدروس النحوية للمدارس الابتدائية والثانوية ودروس البلاغة للمدارس الثانوية ، ثم جاء الشيخ أحمد الحملاوي وألف « شذا العرف في فن الصرف » و« زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » ، واتبع طريقة المرصفي في التأليف .

وفاته

بعد حياة مليئة بالعلم دراسة وتدريساً ، وكتابة وتأليفاً . . لبىٰ نداء ربه سبحانه وتعالىٰ ، وانتقل هٰذا الطود الشامخ إلىٰ رحمة الله تعالىٰ ، ولسان الحال ينشد : (من البسيط)

لِـكُـلِّ شَـيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَّ نُـقْـصَـانُ ... فَـلَا يُـغَـرَّ بِـطِـيـبِ ٱلْـعَـيْـشِ إِنْـسَـانُ

وَهَـٰذِهِ ٱلـدَّارُ لَا تُـبْـقِـي عَـلَـىٰ أَحَـدٍ ... وَلَا يَـدُومُ عَـلَـىٰ حَـالٍ لَـهَـا شَـانُ

وكانت وفاته في السنة التي توفي فيها صديقه عبد الله فكري باشا (١٣٠٧ هـ) غير أن وفاة الأخير كانت في يوليو سنة (١٨٩٠ م) .

والواقع : أن وفاته كانت يوم الأحد (٥) من جمادى الآخرة سنة (١٣٠٧ هـ) ، ويوافق (٢٦) من يناير سنة (١٨٩٠ م) ؛ فقد جاء في عدد الوقائع المصرية الصادر يوم الاثنين (٢٧) من يناير سنة (١٨٩٠ م) النعي الآتي :

إنا لله وإنا إليه راجعون

في اليوم الماضي انتقل من هٰذه الدار الفانية إلىٰ دار الكرامة والرضاء ، العالم الشهير ، العلامة الكبير ، **الشيخ حسين المرصفي** ، مدرس العلوم العربية والآداب الشرعية بمدرسة دار العلوم الخديوية .

وقد شيعت جنازته في مشهد حافل ، كان فيه كبراء أهل العلم ـ يؤمهم حضرات أصحاب الفضيلة : شيخ الجامع الأزهر ، ومفتي الديار المصرية ـ وغيرُهم ، وعدد عظيم جداً من حضرات نظار المدارس الأميرية وموظفيها ، ورجال المعارف العمومية ، وكثير من الوجوه والأعيان .

ثم صلي عليه في الجامع الأزهر الأنور ، وتليت هناك قصائد الرثاء علىٰ ما جرت به العادة في موت العلماء الكبار ، ودفن بغاية التبجيل والتوقير ، رحمه الله رحمة واسعة ، وعزىٰ آله وذويه وأهلَ العلم والفضل فيه العزاءَ الجميل .

هٰذا ؛ وقد حُمل جثمانه إلىٰ مقره الأخير بقرافة العفيفي ، بالقرب من الشيخ عبد الله المنوفي ، والشيخ عليش .

رحمه الله رحمة الأبرار

لمحاتٌ مضيئةٌ
عن الوسيلة الأدبيّة إلى العلوم العربيّة

دلالة العنوان :

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (1) .

إن اسم الشيء هو الصورة الدالة علىٰ صفاته ، ولمَّا كان العنوان أول شاهد علىٰ أي عمل . . كان لا بدَّ من نظرة تأمُّلية فيه تميط اللثام عن الغاية من ورائه .

الوسيلة : هي المنزلة عند الملِك وذي السلطان ، وهي الواسطة والدرجة والقربىٰ ، ويرادفها : الأداة والطريقة والأسلوب ، والعلامة المرصفي قد ابتغىٰ إلىٰ علوم العربية وسيلةً أحسَنَ في مبناها ومعناها معاً ، فجاء العنوان مصدِّقاً لما بين يديها ؛ إذ قامت وسيلته على النظرِ في القديم الموروث من عصور الازدهار ، بعلومه وأدبه ونقده ، ثم بعثِه بعثاً جديداً ؛ ليكون الأداةَ المنتظرة لإيقاظ الراقدين من سباتهم .

فلمَّا اشتمل الكتاب علىٰ علوم العربية جميعِها . . هدَفَ إلىٰ تقديم ثقافة كاملة متكاملة ، بأسلوبٍ جديد وطريقةٍ بيانية ، تصل بالقارئ إلى البغية المنشودة في تعلُّم وتعليم العربية ، فالعلوم عند المؤلف ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة للغاية الأسمىٰ والمنزلة الأعلىٰ ؛ ألا وهي الارتقاء بالقارئ إلىٰ معرفة مكامن الجمال وإدراك مواطن الحسن في هـٰذه اللغة .

سبب ودافع التأليف :

بدايةُ الكتاب محاضراتٌ ألقاها الشيخ المرصفي علىٰ طلبة (دار العلوم)

---

(1) سورة المائدة : (٣٥) .

أولَ إنشائها ، إملاءً على الشيخ حسنٍ أبي زيد سلامة الذي أشرف فيما بعد علىٰ طبعها ، بل إن هـٰذه المحاضرات كانت نواةَ إنشاءِ هـٰذه الدار التي أصبحت كليةً عريقةً ثم جامعةً فيما بعد .

وترتبط أسباب تأليف الكتاب بحركة الإحياء نهايةَ القرن التاسعَ عشرَ وبدايةَ القرن العشرين ؛ أي : مع عصر النهضة ، حيث إن فلسفة الشيخ تنطلق من وضع كل شيء في موضعه المناسب ؛ كما بيَّنها في كتابه « الكلم الثمان » ، فيتحقق بذٰلك العدلُ وينتفي الظلمُ الذي هو سبب التخلف .

وقديماً قال أبو الطيِّب المتنبِّي : (من الطويل)

وَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

فالكتاب أداة لوضع الإنسان العربي وغير العربي ممن أراد تعلُّم العربية علىٰ جادة الطريق القويم للنهوض بفكره ، ومن ثم النهوض بالأمة .

منزلة الكتاب وقيمته العلمية :

ظهرت ميول الشيخ الأدبية واضحةً جليةً بعد إتمام تعليمه في الأزهر الشريف ؛ فقد بدت هـٰذه الميول في دروسه بمدرَّج (دار العلوم) ، ووجد الطلاب فيها منهجاً جديداً لم يألفوه ، ولم يسمعْه شيوخ الأزهر ولا عرفه ذوقُ العصر .

جاء الكتاب بأسلوب جديد ، واتَّخذَ فيه النقدُ طابعاً لغوياً وبيانياً ، عرض فيه المؤلف علوم العربية عرضاً مختلفاً ، ولا سيما علوم البلاغة في الجزء الثاني منه ؛ من خلال الحديث عنها حديثاً نظرياً ، مُبيِّناً منزلة كل علم منها ، ثم تطبيقياً ؛ من خلال عرض نصوصٍ أدبية ونقدها وموازنتها بنصوص بعض القدماء والمحدثين ، معلِّقاً ومصححاً بعضَ ما شذ وندَّ عند القدماء في كتبهم .

عدَّه النقاد المعاصرون أولَ كتاب أدبي نقدي أُلِّف في علوم العربية في هـٰذا

العصر علىٰ منهج حديث ، فأدخل المؤلِّف بكتابه على التفكير الأدبي ما أدخله تلميذه العلامة محمد عبده فيما بعد على التفكير الديني والاجتماعي ؛ حيث مثَّلت مادتُه وأسلوبُه ثورةً وانقلاباً في مجال النقد والدراسات الأدبية ، أثَّرَتْ في مسار الثقافة العربية بالتزامه منهجاً علمياً غيرَ معهود في أيامه ، فكان مؤلِّفُه أباً روحياً لروَّاد النهضة الأدبية الحديثة ، ساهم في تشكيل عقولهم وتكوين أذواقهم ، وكان ملهماً للأدباء والشعراء باستنهاض مواهبهم وتحريك ملكاتهم .

لقد وجَّه الكتاب الأدب العربي وجهة جديدة ، صحَّحَتْ مساره في حركة البعث والإحياء ؛ من خلال النقل المباشر عن التراث والانتقاء منه وانتقاده في محاولة لإحياء الأدب العربي والتجديد فيه .

منهجه :

يمثل الكتاب اتِّجاه الانتقاء والانتقاد ، فجاء بمحاولة إحيائية واعية وناضجة ، كان هدفها تجديدياً أصيلاً ، وهـٰذا الاتجاه مع احترامه وإجلاله للتراث . . إلا أنه لا ينقاد له كلَّ الانقياد ، ولا يسلم له كلَّ التسليم ، بل إنه يتناوله ويفحصه ، ثم يستمد منه ما يتلاءم مع حاجة العصر ، فيحاول أن يعين القارئ علىٰ إنتاج تصوراتٍ ودلالاتٍ ؛ من خلال نصوص التراث التي يسوقها فيه ، يحيي بها فكره ويهدم الفجوة بينه وبينها ، مروراً بهدف إحياء الفكر العربي ووصولاً لهدف إحياء الأمة العربية .

اتَّبع العلامة المرصفي أسلوباً علمياً رصيناً ، يقوم على التدقيق والتحقيق ، والتأمل العميق ، بهدف الوصول إلىٰ غايته المنشودة بوضع الشيء في موضعه المناسب ، وكان أميناً في النقل عن كتب غيره ممن سبقوه أو عاصروه ؛ فهو يشير في الغالب إلى المنقول عنه إلَّا ما ندر ، ثم إنه لا يكتفي بذكر اسم المنقول عنه ، بل ينعت فيه صاحبه بما يليق به من النعوت والأوصاف .

وتأتي نقوله أحياناً خالية من التعليق ومن محاولة التجديد ، وهـٰذا يرجِّح

أن الشيخ متمسك بالقديم أشدَّ التمسك ، لكن تأتي اختياراته بما يلائم مقتضيات عصره .

ولم يكن العلامة المرصفي في كتابه ناقداً فحسب ، بل كان مؤرخاً أيضاً ؛ حيث إنه يأخذ علىٰ عاتقه مهمة الكشف عن نشأة وتطور كل فن قبل أن يفصل حديثه عنه ، فكان يحرص عند مطلع كل باب أن يستحضر تاريخ العلم الذي يتناوله ، موضحاً تطوره وذاكراً أهم أعلامه .

وكان كثيرَ الاستطراد ما دام يرىٰ في ذٰلك فائدة للموضوع الذي يتناوله ، وكثيرَ الاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، والحكايات ، والنوادر ، قاصداً بذٰلك أن يُمدَّ القارئ بأكبر قدر من الشواهد التي تعينه علىٰ تربية ملكته الأدبية وتحسين ذوقه ، وهو في استشهاداته يراعي التسلسل الزمني وتدرُّج العصور التاريخية ، وبذٰلك يكون قد أرسىٰ قواعد المنهج التاريخي في الدرس الأدبي .

وأخيراً خلَّصَ العلامة المرصفي العلومَ العربية ، ولا سيما النحو والبلاغة من تعقيدات كتب الأقدمين ، فمهَّد السبيل لظهور مؤلفات بأسلوب جديد علىٰ يد تلامذته من بعده .

مضمونه :

إن الكتاب موسوعة عربية شاملة ، ودائرة معارف متكاملة ، وهو شبيه بكتب الأمالي العربية ، غيرَ أنه شمل علوم العربية جميعَها ؛ فتناول فيه المؤلف ما يزيد على اثنين وعشرين فناً ؛ هي : (النحو ، والبلاغة ، والعروض ، والقوافي ، والكتابة ، والإنشاء ، وقرض الشعر ، والموازنات الأدبية ، والطرائف ، والأمثال ، والمقامات ، والنقد ، واللغة ، والمقولات العشر ، والتاريخ ، وتواريخ نشأة الفنون ، وتاريخ التربية ، والكتَّاب ، وتدوين العلوم ، ونشأة اللغة العامية وعلاجها ، ومخارج الحروف) .

أما منهجه في عرض هٰذه الفنون . . فإنه لا يجري فيه مَجرىٰ كتب التراث ؛ فنجده يترك تقسيمها ويهجر تبويبها ، فلا يستعمل ألفاظَ : (المقدمة ، والباب ، والفصل ، والكتاب) ، بل يأتي بألفاظ جديدة ؛ هي : (المقصد ، والصدر ، والجهة ، والقسم ، والتقسيم) .

وقد جاء أصل الكتاب في جزأين ، جعل المؤلف الجزء الأول مدخلاً للفنون التي تناولها في الجزء الثاني وتمهيداً نظرياً لها ؛ فتكلم علىٰ مقصدين ؛ **الأول : في المنطق** ، **والثاني : في اللغة** ، وقسَمَ الثاني أقساماً ثلاثة ؛ الأول : في فقه اللغة ، والثاني : في الصرف ، والثالث : في النحو .

واهتم في هٰذا الجزء بتعريفات العلوم ، والقواعد العامة ، والمسائل النظرية المتصلة بالأدب ، والتأصيل النظري للعلوم الإنسانية ، وأنهىٰ كلامه عليه بخاتمة تحدث فيها عن أحسن طرق تحصيل العلوم العربية .

أما الجزء الثاني . . فتكلم فيه كلاماً مفصلاً علىٰ مقصدين ؛ **الأول : في البلاغة وفنونها** : البيانِ والمعاني والبديعِ ، وألحق به الحديث عن العروض والقوافي ، **والثاني : في الكتابة** ، وتحدث فيه عن الإنشاء أو صناعة الترسل ، وألحق به فصلاً عن صناعة الشعر .

❋ ❋ ❋

وصف النّسخة المعتمدة

تم إخراج هٰذا الكتاب النفيس بالاعتماد على النسخة التي طُبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالىٰ ، وهٰذا وصفها :

تتألف هٰذه الطبعة من مجلدين بينهما تباين من حيث الحجم وسنة الطبع .

المجلد الأول : يتألف هٰذا المجلد من (٢١٦) صفحة ، مع أربع صفحات لمحتوى الكتاب ، فهو لطيف الحجم مقارنة مع المجلد الثاني ؛ لأنه يعادل ثلث المجلد الثاني .

المجلد الثاني : يتألف من (٧٠٤) صفحات ، مع ست صفحات لمحتوى الكتاب .

جرىٰ إثبات عنوان الكتاب في المجلد الأول : « **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية** » ، واختلف اختلافاً بسيطاً في المجلد الثاني فأثبت هٰكذا : (**للعلوم العربية**) باللام بدل (إلىٰ) ، ولعل سبب الاختلاف هو ما سنذكره من التفاوت في تاريخ طبع المجلدين .

وأثبت في المجلد الأول وصف المؤلف بقوله : (تأليف الفاضل العلامة ، واللوذعي الكامل الفهامة ، المتوكل علىٰ ربه العلي ، حضرة الشيخ حسين المرصفي ، معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية) .

وأثبت في بداية المجلد الثاني : (تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفي ، مدرس علوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية) .

والذي يلفت الانتباه ويستحق التأمل : هو تاريخ الطبع للمجلدين ؛ فقد أثبت مصحح الكتاب في **نهاية المجلد الأول** تاريخ طبعه ، وهو سنة

(١٢٩٢ هـ) مع أنه أثبت علىٰ صفحة العنوان سنة (١٢٨٩ هـ)[١] .

وأثبت في نهاية المجلد الثاني أنه طبع سنة (١٢٩٦ هـ) ، وبين المجلدين أربع سنوات ، إضافة إلىٰ أمر آخر ؛ وهو أن المجلد الأوَّل طبع **بمطبعة المدارس الملكية** بدرب الجماميز بالقاهرة المحروسة ، والمجلد الثاني طُبع **بمطبعة باب النيل البهية** ، بخط باب الشعرية من مصر المحمية[٢] .

* * *

(١) لعله أرسل إلى المطبعة سنة (١٢٨٩ هـ) ، ثم أُنجز سنة (١٢٩٢ هـ) ، ثم أرسل الثاني إلىٰ مطبعة ثانية وأنجز سنة (١٢٩٦ هـ) ، والله أعلم .

(٢) وقد تأيد هٰذا الملمح بما سطره العلامة محمود الطناحي في كتابه القيم « مدخل إلىٰ تاريخ نشر التراث العربي » (ص ٤٢) وهو يتكلم عن المطابع التي أنشئت بعد المطبعة البولاقية (الأميرية) فقال : (وأول هٰذه المطابع : المطبعة الأهلية التي عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، وقد أنشئت سنة « ١٨٦٠ م » . . . ثم تلتها مطبعة وادي النيل سنة « ١٨٦٦ م » ، وقد أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وطبع فيها صحيفة وادي النيل إلىٰ جانب بعض كتب التراث ، وفي هٰذه المطبعة تم طبع كتاب « الوسيلة الأدبية » للشيخ حسين المرصفي سنة « ١٢٩٦ هـ » ، وكان قد بدأ طبعه بمطبعة المدارس الحكومية بدرب الجماميز سنة « ١٢٩٢ هـ » . . .) .

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هٰذا الكتاب النافع المفيد على النسخة الأصلية التي طبعت في حياة المؤلف رحمه الله تعالىٰ وفق الخطوات الآتية :

ـ نسخ الكتاب عن هٰذه النسخة ، ومعارضته بها بدقة وتمعن .

ـ كتابة الآيات القرآنية الكريمة برسم المصحف الشريف ، من رواية حفص عن عاصم ، والتنبيه على القراءات الأُخَر إن استشهد بها المؤلف ، وحصر هٰذه الآيات بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

ـ تخريج الأحاديث النبوية ، والأخبار والأقوال المأثورة ، والحِكَم والأمثال ، والقصص والشواهد الواردة في الكتاب من مصادرها التي عزا لها المؤلف دون الاستطراد في ذٰلك ؛ مراعاة لمقصود المؤلف من الكتاب ، كيف لا ؛ وقد جعله نبراساً للطلاب ، ومرجعاً للكتاب ؟!

ـ عزو الأبيات الشعرية ـ مع كثرتها في الكتاب ـ إلىٰ دواوين الشعر وكتب اللغة والأدب ، والبلاغة والنحو ، مع ذكر اسم البحر الشعري دون الاستفاضة في التخريج أيضاً .

ـ أضفنا بين معقوفين [ ] بعض التصويبات ضمن النص اعتماداً علىٰ مصادر المؤلف رحمه الله تعالىٰ ، وأضفنا أيضاً بعض العناوين بين معقوفين ؛ ليسهل تقسيم مواضيع الكتاب وفهرسته .

ـ ضبطنا النص بالحركات الإعرابية مع ضبط المشكل منها ؛ تيسيراً على الطالب والقارئ .

ـ زينا الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة ؛ زيادة في إيضاح النص وتيسير فهمه .

ـ أثبتنا عنوان الكتاب كما ورد في المجلد الأول ، وأشرنا إلىٰ سبب اختلاف ذٰلك خلال وصفنا لنسخة الأصل المعتمدة .

ـ قسمنا الكتاب إلىٰ أربعة أجزاء متقاربة ، الأول منها : أبقيناه علىٰ تقسيم مؤلفه رحمه الله تعالىٰ ، وقسمنا المجلد الثاني من الأصل إلىٰ ثلاثة أجزاء ؛ تيسيراً على القارئ والطالب .

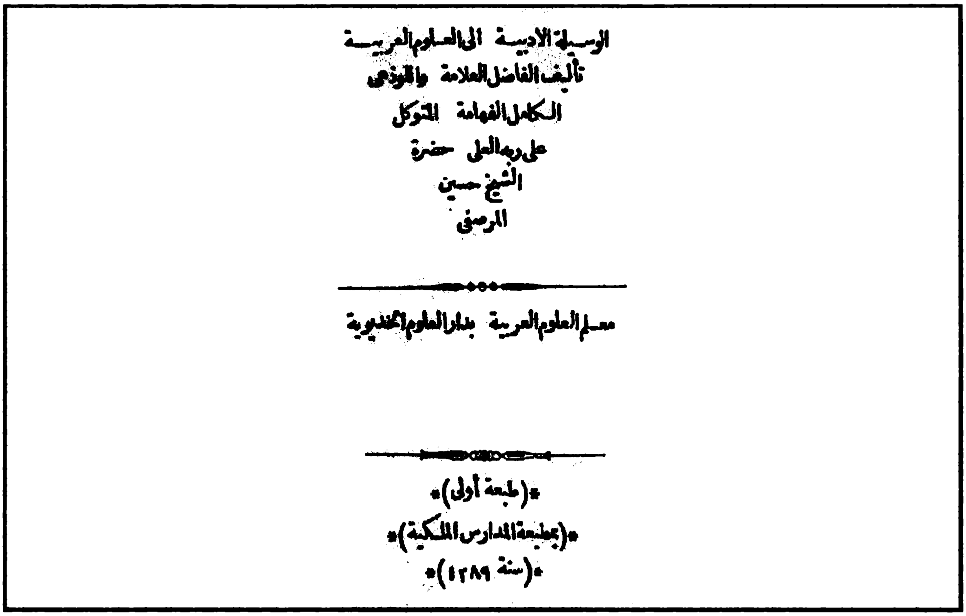
ـ ترجمنا للمؤلف ترجمة موجزة مختصرة ، وقدمنا للكتاب بمقدمة توضح أهميته ومنزلته بين كتب النقد الحديث ، مع بيان منهجه ومضمونه .

ـ صنعنا فهرساً لموضوعات الكتاب .

وفي الختام : نسأل الله الملك العلام ، أن يكتب القَبول لهٰذا الكتاب وينفع به جميع الأنام ، وأن يجعلنا خداماً لدين الإسلام ولكتب الأئمة الأعلام ، وأن تكون هٰذه المؤلفات شافعة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحمد لله رب العالمين

صور من النسخة المعتمدة

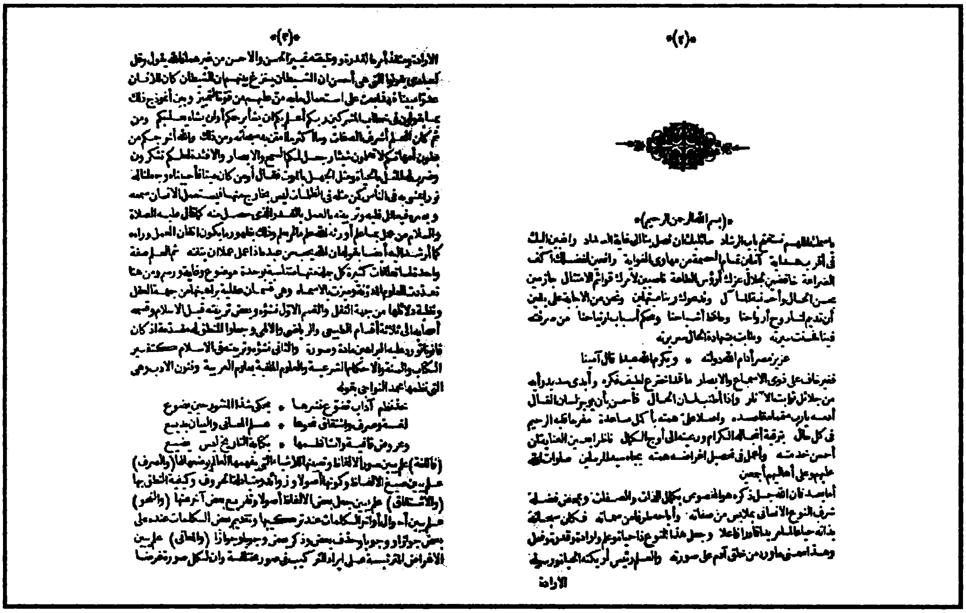


الوسيلة الأدبية الى العلوم العربية
تأليف الفاضل العلامة والوذعى
الكامل الفهامة المتوكل
على ربه العلى حضرة
الشيخ حسين
المرصفى

معلم العلوم العربية بدار العلوم الخديوية

(طبعة أولى)
(بمطبعة المدارس الملكية)
(سنة ١٢٨٩)

ورقة العنوان من المجلّد الأوّل



(٢)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عزيز مصر أدام الله دولته ❊ ويكرم الله عبدا قال آمينا

(٣)

الورقة الأولى من المجلّد الأوّل

(٢٦٤)

سالفة انك او ضيع ما انفضى تصير ترابا او يخلب بعضها حشرات وهوامر نسمة المناظر رديئة الاحوال وتؤذيه بلدغها وتنزل المتباغضين بسخطه ذلك من اللوم والتعنيف والمقت من العقلاء الناس يستقيه اولئك الناس الذين يتظاهرون بدعاوي غير صادقة

والدعاوى ما لم يقيموا عليها * بينات ابناؤها ادعياء

فالطريقة المثلى كما سبق تنبيهك عليه وارشادك له ان يبتدئ الطالب بتحصيل الفنون الاصلية صافية نقية من الشبهات والاعتراضات وايراد العبارات المتعرضة تحفظ الفاظها ومعانيها فيما يرد عليه استاذه من الكتب التي يتعلم بها والاشعار المخصصة فيها فاذا اتقن ذلك واعتاد لسانه ان ينطق بالكلام العربية كما كانت العرب تنطق بها انتقل الى معرفة الفنون البلاغية التي يستفيد بها دقائق المعاني الاشارية المصونة وراء المعاني الاصلية ليبلغ بذلك درجة اتقان الاتيان حسب اقتضاء الاحوال فارقا بين كل مقام وغيره كخطبة المنبر غير خطبة عقد الصلح وهما غير خطبة عقد المهادنة ونبذ العهد وهي غير خطبة الاملاك والعبارات عن صيغ العقود والشهادات والمشارطات غير عبارات التعزيات والتهنئات والبشارات وهكذا وطريق الوصول الى ذلك معرفة الفنون البلاغية وكثرة القراءة في منشآت المتقدمين على اختلاف انواعها بتعقل لسياقاتها وسياقاتها ومبادئها واوساطها وغاياتها مع الصبر على ذلك والتأني في تحصيله كما قيل

لا تحسب المجد تمرا انت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وقيل

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله * ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلى * يسيرا يعش دهرا طويلا اخا ذل

وكما قيل

اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا
اما ترى الحبل بتكراره * في الصخرة الصماء قد اثرا

وقيل

ما وهب الله لامرئ هبة * افضل من عقله ومن ادبه
هما حياة الفتى فان فقدا * ففقده للحياة اليق به

وزمن

(٢٦٥)

وزمن التحصيل هو زمن انفس العمر حيث تكون النفس منشرحة والقوى مستكملة والروح فرحا بامتثال امر مولاه وذلك بوجب الاعراض من الشهوات والاغماض عن كثير من اللذات كما كان يقول احد شيوخ الحديث مسلم بن الحجاج النيسابوري بعد كتبه ما يفصل له من نتائج اعماله وقراءته كتابه انه لا ينال العلم براحة الجسم فيحصل الطالب المجتهد على ذلك الحد حصول امر قلما يكون في حسابه وتحت نظره وهو انه اذا مسه بعض الضعف اللازم لخلقة الحيوان واحتاج الى سكون راحة وتحفظ من آلام امور لم تكن تؤثر فيه ايام التهاب شبيبته تأثيرها فيه ايام فتضعها استقلالا وضعتها عليه من بابس البرد وبلة الرطوبة وجد ماوى كافيا وملبسا واقيا وخدمة مريحة وما يعينه على عبادة ربه وسداد رأيه الذي يكون انفاقه وتلقيته الراغبين فيها بتنفع وينفع امته ويكون في تلك الحالة مستقرا في الرتبة النبوية التي ليس وراءها رتبة شرف وبالله التوفيق لاقوم طريق

يقول المفتقر الى الطاف ربه المنان عبده احمد مروان قد تم بحمد الله الجزء الاول من الوسيلة الادبية للعلوم العربية ويليه الجزء الثاني اوله (المقصد الثالث) في فنون البلاغة تأليف الفاضل الامجد والاستاذ الاوحد حضرة العلامة الشيخ حسين المرصفي وذلك في عهد نظارة صاحب المعارف السنية دولتلو محمد طوسون باشا ناظر عموم المدارس والاوقاف المصرية ومستشارية الامير الجليل سعادة حسن باشا راسم وصار هذا الطبع بملاحظة حائز قصب السبق في ميادين البراعة ناظر قلم الروضة ومطبوعات المعارف على ذمة يد زاعه بمطبعة المعارف الملكية سنة الف ومائتين واثنين وتسعين هجرية وازكى الصلاة واتم السلام على النبي وآله واصحابه الائمة الاعلام آمين

الورقة الأخيرة من المجلّد الأوّل

الجزء الثانى من الوسيلة الادبية للعلوم العربية

تأليف حضرة الشيخ حسين المرصفى

مدرس علوم الادب بدار

العلوم الخديوية

المصرية

٢

(طبعة أولى)

(طبعت بمطبعة المدارس الملكية بدرب الجماميز)

من القاهرة المحروسة

(سنة ١٢٩٢ هجرية)

ورقة العنوان من المجلّد الثّاني

•(٢)•

•(بسم الله الرحمن الرحيم)•
•(المقصد الثالث في فنون البلاغة)•

اعلم أن هذه الفنون وغيرها من علوم العربية كما سبقت الاشارة اليه انما قصد اليها لما همهم في تحصيلها بتتبع الكلام العربي يسمعونه منهم ويروونه عنهم وأول من تنبه لاستخراج هذه الفنون واتقانها معيارا لصناعة الكلام حسب ما تقتضيه الشاعران الشهيران مسلم بن الوليد وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي ولكن ابتدأناه ولغا كانا يعتنيان بها ويسميانها البديع ولما أكثرا من استعمال مقتضياتها وتبعهما بعض شعراء ذلك العصر ظنا بحيلهم مع زخرفة الالفاظ كما سينكشف لك في فن البديع ان شاء الله تعالى أخذ الشعر هيئة غير هيئته العربية حتى ان فحول الشعراء إذ ذاك كانوا يقولون قد أفسد هؤلاء الشعر بذلك الشيء الذي يسمونه البديع ولم يزل يتزايد الحديث في ذلك الى ان جاء عبد الله بن المعتز وقدامة الكاتب فوضع كل منهما موضوعا مخصوصا ثم اتسع القول فيه بعد وأقبل عليه كتاب الانشاء وهو البيان وهذا انموذج تآليف الاوائل في هذه الفنون ابتدأ بعضهم كتابه بقوله البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان ثم أخذ في بيان كل منها والاستشهاد عليه وذكر تفاوت البلغاء فيه ولما اتسعت دائرة القول في العلوم الفلسفية بين المسلمين حتى أفضى بهم التكلم في تخليص العقائد الاسلامية وازاحة الشبه منها الى كشف حقيقة النبوة وبيان جهة اعجاز القرآن رأى الناس نفع هذه الفنون في معرفة اعجاز القرآن الذي هو برهان الدين الحق فصار من العلوم الدينية واشتغل بها طائفة من الناس وأكثروا فيها من التأليف وأولهم الشيخ عبد القاهر وبحسب اختلاف جهات البحث ميزوا الفنون وخصوا كلا بلقب وهي ثلاثة فنون فن يبحث عن الالفاظ من حيث كونها مستعملة في معانيها التي وضعت لها أو فيما يناسبها اعتمادا على المناسبات وهو فن البيان وفن يبحث عن المركبات من حيث تختلف صورها لاختلاف الاغراض منها وهو فن المعاني وفن يبحث عن أحوال تعرض من الكلام تكسبه حسنا وهو البديع وابتدأ بفن البيان لأن في علم المعاني لطائف تعلم والبديع تابع لهما فنقول

ان

•(٣)•

ان من نعم الله التي أسبغها علينا ظاهرة وباطنة ان وهبنا هذا الصوت نصوره حروفا نصوغ منها كلمات نضعها لتلك الاشياء التي يتناولها تعقلنا وتناولها الحس أم لا نحضرها بها عند المدرك متى أحببنا ذلك فتلك الاشياء حينئذ تسمى معاني وتعييننا الكلمات لها يسمى وضعا واحضارها بها يسمى دلالة ثم ان الشيء من الاشياء يتعلق به وينسب اليه أمور اما داخلة فيه وهي أجزاؤه واما خارجة عنه كأسبابه ومسبباته ومشابهاته والكلمة المستعملة فيه بحسب ما ينطق به جملة متصلة عند النطق بها فاحضار الكلمة اياه يسمى دلالة المطابقة واحضارها الجزء يسمى دلالة التضمن واحضارها ما عدا الاجزاء من المتعلقات يسمى دلالة الالتزام ولذلك يقال ان الكلمة الموضوعة للشيء موضوعة لاجزائه وما يرتبط به وضعا تبعيا واذن يتبين لك ان كل ما يحضره اللفظ عند مدركك يكون له معنى لك ان تريده وتقصد تفهيم مخاطبك اياه منه حيث تريد الحديث عنه والحكم عليه الا ان الشيء الذي له الرتبة الاولى من الملاحظة عند الوضع هو الذي يتبادر الى الفهم ويجب حكم المخاطب بأنه مرادك وان الحديث عنه وعليه الحكم وغيره انما يحكم المخاطب بأنه مرادك اذا أصحبت اللفظ بأمر يدل على أنه مرادك فالالفاظ باعتبار الاوضاع الاصلية والمعاني الاولية تسمى حقائق وباعتبار الاوضاع التبعية والمعاني الثانوية تسمى مجازات فاللفظ اما حقيقة واما مجاز والحقيقة ان وقفت بها الملاحظة عند معناها الاولي لكونه المقصود بالافادة [illegible] بعض المعاني بنصب دليل على ذلك سميت حقيقة صريحة والا سميت حقيقة كناية والمجاز والكناية كما سبقت الاشارة اليه هما موضوع هذا الفن

•(الكلام على المجاز)•

لفظ المجاز اسم مكان من جاز الطريق اذا قطع جوزه أي وسطه وانتهى لغايته تقول هذا الطريق مجاز لكنا نسميه مجازا باعتبار انك تنتهي منه وتخرج عنه الى غيره واللفظ المسمى مجازا مسلك تخرج بالملاحظة من معناه الاصلي الى المعنى المناسب له الذي تريد افادته وتفهيم المخاطب اياه ومن هنا يمكنك أن تحد المجاز بأنه اللفظ الذي تعتمد في تفهيم مرادك منه العلاقة والقرينة المانعة لمخاطبك أن يفهم غير مرادك والقرينة هي الامر الذي نصب لفظ المجاز من حال أو لفظ آخر والعلاقة هي المناسبة والارتباط بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وقد بحث العلماء عن العلاقات التي لاحظتها العرب في مجازاتها

الورقة الأولى من المجلّد الثّاني

•(٧٠٢)•

بما ورد به الله مع الجماعة وبالجملة فان في الشركة من عظيم الخير والبركة ما تشهد به العيان ولا حجة أكبر من العيان الا ترى الى هذه الشركة [illegible] العزيزية المصرية المؤسسة في ظل الحضرة الملكية بحسن الهمم العلية الداورية كيف نجحت أسبابها وانتشرت فوائدها لاربابها وسلكت على أحسن سبيل في البحر الملح وفي نهر النيل وكيف صارت عونا حسنا على التجارة والسياحة وتسهيل طريق الحجاج بعناية الله الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وانا لنرجو لها مزيد التقدم بجليل همة الجناب الخديوي من جميل انعامه ونراها كالطائر بانت علائم نجابته قبل ابان فطامه لا شك انها من حسنات تولي النعم الخديوي الاكرم الداوري الافخم الذي تعطرت الافواه بطيب ذكر حسناته وعلمت الشفاه بتكرر شكر آلائه فأدام الله دولته السنية غرة في جبهات الاعصار كما جعل حكومته العادلة المرضية قرة لعيون الامصار هذا والرجو كل الرجا من حضرات أهل المعارف وأربابها أن لا يبخلوا على اخوانهم بما هو في امكانهم من المقالات المفيدة والآراء السديدة والافكار الناتجة والاخبار الصادقة لتدرج فيما يحرر من صحف الوقائع وتنشر ولتسطر في صفحات الايام وتذكر فقد نعهد مأمور الوقائع [illegible] كل ما يرد اليه من هذا القبيل والله تعالى يوفقنا لما فيه الخير والرشاد ويهدينا سواء السبيل

وقلت مضمنا الشطر الأخير

وقائع مصر الآن [illegible] * [illegible] (م)
[illegible] * [illegible] الوقائع

وقلت مضمنا أيضا

يا أهل مصر لكم [illegible] * [illegible] (م)
[illegible] * [illegible] الوقائع [illegible]

ذلكم أيها الاخوان [illegible] أسأل الله [illegible] حسن عنايته [illegible] من الاكلف القريب [illegible] العبد الله [illegible] الكتاب [illegible] حرمة الله [illegible] الاخوان [illegible] هذا

المجموع

•(٧٠٣)•

المجموع غاية الاعتناء [illegible] التعليم ومن ارادة التوسع بعد أن عرف الصراط المستقيم وقد اشتمل [illegible] الايضاح [illegible] والله سبحانه وتعالى [illegible] والوسيلة اليه [illegible] سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ورضي الله عن أوليائهم وسائر التابعين

يقول أسير الشهوات وكثير المساوي والهفوات [illegible] حسن ابن الشيخ أبو زيد سلامه غفر الله ذنوبه [illegible] والمسلمين أجمعين بجاه نبيه الصادق الامين بعد حمد من جعل لغة العرب وسيلة لمعرفة فنون الادب والصلاة والسلام على أشرف منتخب وآله وأصحابه الفائزين بأعلى الرتب والتابعين المتمسكين من التقوى بأقوى سبب قد تم باسعاف الالطاف الجليلة طبع مجموع الفنون الادبية المسماة بالوسيلة [illegible] على [illegible] بنات فكر اخترعتها الفكر [illegible] وعرائس [illegible] محاسن كريمة فهو وسيلة الادب ومبلغ [illegible] الارب [illegible] البحر الحبر [illegible] صاحب البيان [illegible] علامة وقته وفريد عصره الشيخ حسين المرصفي لا زال [illegible] بكمال العناية [illegible] والنهاية [illegible] والتصحيح [illegible] هذا المجموع [illegible] لينال غاية ما يتمناه ويفوز بتحصيل ما يهواه ويخرج [illegible] من أسر الجهول [illegible] أهل الفضل وليتلقى هذا المطبوع بحسن القبول [illegible] الكريم [illegible] الوصول وكان تمام طبعه وحسن ترتيبه ووضعه بمطبعة [illegible] النيل البهية [illegible] من مصر المحمية [illegible] الخديوي التوفيقي [illegible] توفيق [illegible] على العباد [illegible] لكل حاضر وباد [illegible] الرعية [illegible] سائر البرية [illegible] الكبير أوائل شهر الله رجب الاصم الاصب سنة ١٢٩٦ ست وتسعين ومائتين بعد الالف من هجرة من كان يرى من أمامه كما يرى من الخلف صلى الله وسلم عليه وآله وصحبه وكل منتم اليهما [illegible] ختام [illegible] على الفلاح آمين

الورقة الأخيرة من المجلّد الثّاني

الوسيلة الأدبية

إلى العلوم العربية

تأليف

العلامة اللغوي الناقد الأديب

حسين بن أحمد بن حسين المرصفي

مدرس العلوم العربية وعلوم الأدب بدار العلوم الخديوية المصرية

رحمه الله تعالى

(ت ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م)

خطبة المؤلف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمِكَ اللَّهمَّ نستفتحُ بابَ الرشادِ ، سائليكَ أن تصلَ بنا إلىٰ غايةِ السَّدادِ ، راغبينَ إليكَ في أقربِ هدايةٍ ، آملينَ تمامَ العصمةِ مِنْ مهاوِي الغوايةِ ، رافعينَ لفضلِكَ أكفَّ الضراعةِ ، خافضينَ لجلالِ عِزِّكَ أرؤسَ الطاعةِ ، ناصبينَ لأمرِكَ قوائمَ الامتثالِ ، جازمينَ بحسْنِ الحالِ وأحسنيَّةِ المآلِ .

وندعوك ربَّنا مبتهلينَ ، ونحنُ مِنَ الإجابةِ علىٰ يقينٍ : أن تديمَ لنا رَوْحَ أرواحِنا(١) ، وحافظَ أشباحِنا ، ومُحكِمَ أسبابِ ارتياحِنا ؛ مَنْ صرَّفتَهُ فينا فحسُنَتْ سيرتُهُ ، وطابَتْ بشهادةِ الحالِ سريرتُهُ .

عَـزِيـزَ مِـصْـرَ أَدَامَ ٱللهُ دَوْلَـتَـهُ ... وَيُـكْـرِمُ ٱللهُ عَـبْـداً قَـالَ آمِـيـنَـا(٢)

فغيرُ خافٍ علىٰ ذوي الأسماعِ والأبصارِ ، ما قدِ اخترعَ لطيفُ فكرِهِ وأبدىٰ سديدُ رأيِهِ ؛ مِنْ جلائلِ ثوابتِ الآثارِ ، وإذا أطنبَ لسانُ الحالِ . . فأحسِنْ بأن يُوجِزَ لسانُ القال !!

أدِمْهُ يا ربِّ مُتمِّماً مقاصدَهُ ، واصلاً عليَّ همَّتَهُ بأكملِ مُساعَدةٍ ، مُفرِّحاً قلبَهُ الرحيمَ في كلِّ حالٍ ؛ بترقيةِ أنجالِهِ الكرامِ ورعيَّتِهِ إلىٰ أوْجِ الكمالِ ، ناظراً بعينِ العنايةِ لِمَنْ أحسنَ خدمتَهُ ، وأعملَ في تحصيلِ أغراضِهِ همَّتَهُ ، بجاهِ سيِّدِ المرسلينَ ، صلواتُ اللهِ عليهِم وعلىٰ أهاليهِم أجمعينَ .

---

(١) رَوْح ـ بفتح الراء ـ : الاستراحة .

(٢) البيت من البسيط ، وفيه اقتباس ظاهر بتصرف من قول مجنون ليلىٰ ، كما في « ديوانه » (ص ٢٨٣) :

يَـا رَبِّ لَا تَـسْـلُـبَـنِّـي حُـبَّـهَـا أَبَـداً ... وَيَـرْحَـمُ ٱللهُ عَـبْـداً قَـالَ آمِـيـنَـا

أما بعد :

فإنَّ اللهَ جلَّ ذكرُهُ هوَ المخصوصُ بكمالِ الذاتِ والصفاتِ ، وبمحضِ فضلِهِ شَرَّفَ النوعَ الإنسانيَّ بملابسَ مِنْ صفاتِهِ ، وأباحَهُ طَرَفاً مِنْ سماتِهِ ، فكانَ سبحانَهُ بذاتِهِ حيّاً عالِماً مريداً قادراً فاعلاً ، وجعلَ هـٰذا النوعَ ذا حياةٍ وعلمٍ وإرادةٍ وقدرةٍ وفعلٍ ؛ وهـٰذا معنىٰ ما وردَ مِنْ خَلْقِ آدمَ علىٰ صورتِهِ [١] .

والعِلْمُ رئيسٌ ؛ أريكتُهُ الحياةُ ، ورسولُهُ الإرادةُ ، ومُنْفِذُ أمرِهِ القدرةُ ، ووظيفتُهُ تمييزُ الحسَنِ والأحسَنِ مِنْ غيرِهما ؛ فاللهُ يقولُ : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [٢] ، فهـٰذا بعثَ على استعمالِ ما بهِ مَنَّ عليهِم مِنْ قُوَّةِ التمييزِ ، وبيَّنَ أُنموذجَ ذٰلكَ بما يقولونَ في خطابِ المشركينَ : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ [٣] ، **ومِنْ ثَمَّ كانَ العِلْمُ أشرفَ الصفاتِ .**

وما أكثرَ ما امتنَّ به [٤] سبحانَهُ !! ومِنْ ذٰلكَ : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [٥] .

وضربَ لهُ [٦] المثلَ بالحياةِ ، ومَثَّلَ الجهلَ بالموتِ ، فقالَ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ ؟! [٧] .

---

(١) إذ أخرج البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨/٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « خلق اللهُ آدمَ علىٰ صورته . . . » الحديث .

(٢) سورة الإسراء : (٥٣) .

(٣) سورة الإسراء : (٥٤) .

(٤) يعني : العلم .

(٥) سورة النحل : (٧٨) .

(٦) أي : العلم .

(٧) سورة الأنعام : (١٢٢) .

فيَستعمِلُ الإنسانُ سمعَهُ وبصرَهُ ، فيَعقِلُ قلبُهُ ، وتربيتُهُ [1] بالعملِ بالقَدْرِ الذي حصلَ منهُ ، كما قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ . . أَوْرَثَهُ ٱللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » [2] ؛ وذٰلكَ بظهورِ ما يكونُ إتقانُ العملِ وراءَهُ ، كما أرشدَ إليهِ أيضاً بقولِهِ : « إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ » [3] .

❊

ثمَّ العِلْمُ : صفةٌ واحدةٌ لها تعلُّقاتٌ كثيرةٌ ، كلُّ جملةٍ منها متناسبةٌ بوَحدةِ موضوعٍ وغايةٍ ورسمٍ ؛ ومِنْ هنا تَعدَّدَتِ العلومُ المُدوَّنةُ ، ومُيِّزَتْ بالأسماءِ ؛ وهيَ قسمانِ :

عقليةٌ : براهينُها مِنْ جهةِ العقلِ .

ونقليَّةٌ : دلائلُها مِنْ جهةِ النقلِ .

❊ ❊

والقسم الأول : نشوءُهُ وبعضُ تربيتِهِ قبلَ الإسلامِ ، وقَسَمَهُ أصحابُهُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ : الطبيعيِّ ، والرياضيِّ ، والإلـٰهيِّ ، وجعلوا المَنطِقَ لهُ مُقدِّمةً ؛ إذ كانَ قانوناً تُورَدُ عليهِ البراهينُ مادةً وصورةً .

❊

والثاني : نشوءُهُ وتربيتُهُ في الإسلامِ ؛ كتفسيرِ الكتابِ والسنَّةِ ، والأحكامِ الشرعيَّةِ ، والعلومِ المُلقَّبةِ بعلومِ العربيةِ وفنونِ الأدبِ ؛

---

(١) أي : العلم .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١٤ ـ ١٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٩٢٩) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

وهيَ التي نظمَها محمدٌ النواجيُّ بقولِهِ[1] : [من الكامل]

خُـذْ نَـظْـمَ آدَابٍ تَـضَـوَّعَ نَـشْـرُهَـا ... يَحْكِي شَذَا ٱلْمَنْثُورِ حِينَ يَضُوعُ

لُـغَـةٌ وَصَـرْفٌ وَٱشْـتِـقَـاقٌ نَـحْـوُهَـا ... عِـلْـمُ ٱلْـمَـعَـانِـي وَٱلْـبَـيَـانُ بَـدِيـعُ

وَعَـرُوضُ قَـافِـيَـةٌ وَإِنْـشَـا نَـظْـمُـهَـا ... بِـكِـتَـابَـةِ ٱلـتَّـارِيـخِ لَـيْـسَ يَـضِـيـعُ

فاللغةُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ صورَ الألفاظِ ، وتعيينَها للأشياءِ التي يَفهمُها العالِمُ بوضعِها لها .

والصَّرفُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ صيغَ الألفاظِ ، وكونَها أصولاً وزوائدَ ، ومتبادلةَ الحروفِ ، وكيفيةَ النطقِ بها .

والاشتقاقُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ جعلَ بعضِ الألفاظِ أصولاً ، وتفريعَ بعضٍ آخَرَ عنها .

والنَّحْوُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالَ أواخرِ الكلماتِ عندَ تركيبِها ، وتقديمَ بعضِ الكلماتِ عندَهُ علىٰ بعضٍ جوازاً ووجوباً ، وحذفَ بعضٍ وذكرَ بعضٍ وجوباً وجوازاً .

والمعاني : عِلْمٌ يُبيِّنُ الأغراضَ المُترتِّبةَ علىٰ إيرادِ التركيبِ في صورٍ مختلفةٍ ، وأنَّ لكلِّ صورةٍ غرضاً .

والبيانُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ المجازَ والكنايةَ .

والبديعُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ أحوالاً تَعرِضُ للَّفظِ فتكسوهُ حُسْناً ورَونقةً .

والعَروضُ : عِلْمٌ يُبيِّنُ الأوزانَ التي وَزَنَتْ بها العربُ شعرَها كيفيَّةً وكمِّيَّةً .

---

(١) أوردها العلامة نصر الهوريني في « المطالع النصرية » (ص ٩) ونسبها لمحشي « القاموس » العلامةُ ابن الطيب الفاسي في « إضاءة الراموس » .

والقوافي : عِلْمٌ يُبيّنُ أحوالاً تَعرِضُ لأواخرِ الأبياتِ ؛ منها ما يكونُ لازماً ، ومنها ما يكونُ زينةً ، ومنها ما يكونُ عيباً .

والإنشاءُ : عِلْمٌ يُبيّنُ كيفيةَ تأليفِ الخطبِ ، ورسائلِ المخاطباتِ ، وما أشبهَ ذٰلك ، ويُسمَّىٰ فنَّ الكتابةِ والنثرِ ، وصاحبُهُ الكاتبَ والناثرَ .

والنَّظمُ : ويُقالُ لهُ : القريضُ وقَرْضُ الشِّعرِ ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيّنُ كيفيةَ النَّظمِ في الأغراضِ المُختلِفةِ ؛ مِنْ حِكَمٍ ، ووعظٍ ، ونسيبٍ ، ومدحٍ ، وعَتْبٍ ، وتعطُّفٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذٰلكَ .

والكتابةُ : ويُقالُ لها : فنُّ الرسمِ والخطِّ ؛ وهوَ عِلْمٌ يُبيّنُ رسمَ الحروفِ علىٰ هيئاتٍ مخصوصةٍ حَسَبَ ما عليهِ الاصطلاحُ .

والتاريخُ : عِلْمٌ يُبيّنُ أسماءَ مشاهيرِ الناسِ ، وأزمنتَهُم ، وأمكنتَهُم ، وأعمارَهُم ، وأعمالَهُم .

ولعلَّ للتاريخِ الإسلاميِّ خصوصيَّةً أوجبَتْ عدَّهُ مِنَ العلومِ العربيَّةِ ، ولذٰلكَ أبدلَهُ بعضُهُم بالمحاضراتِ ؛ وهيَ النوادرُ في الفنونِ المُختلِفةِ التي يُحاضِرُ بها بعضُ الناسِ بعضاً في مسامراتِهِم .

وموضوعُ ما قبلَ عِلْمِ الخَطِّ : اللفظُ .

وباختلافِ الجهةِ تَنوَّعَتِ العلومُ ، وقدِ اختارَ بعضُ الناسِ في ترتيبِ تحصيلِ العلومِ العربيَّةِ ما قالَ بعضُ شعراءِ المغاربةِ : [من مجزوء الرجز]

اَلْعِلْمُ شَيْءٌ حَسَنٌ ... فَكُنْ لَهُ ذَا طَلَبِ
فَٱبْدَأْهُ بِٱلنَّحْوِ وَخُذْ ... مِنْ بَعْدِهِ فِي ٱلْأَدَبِ
وَإِنْ أَرَدْتَ بَعْدَ ذَا ... جَاهاً وَفَضْلَ مَكْسَبِ
فَٱحْفَظْ أُصُولَ مَالِكٍ ... وَٱعْرِفْ فُرُوعَ ٱلْمَذْهَبِ

فَـــإِنَّ قَــوْلَ مَــالِــكٍ　　سِــلْسِــلَــةٌ مِــنْ ذَهَــبِ

ولكونِ المغاربةِ أتباعَ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه . . قالَ ذٰلكَ شاعرُهُم .

واختارَ بعضٌ الابتداءَ باللغةِ .

واختارَ بعضٌ الابتداءَ بتعريفِ أنواعِ الأشياءِ التي عُيِّنَتِ الألفاظُ بإزائِها .

ولكلٍّ وجهٌ ، والأخيرُ أَحكَمُ ، وإن كانَ لا بدَّ مِنْ تحصيلِ مِقدارٍ مِنَ اللغةِ يكونُ به التمكُّنُ مِنَ المخاطباتِ الأوليَّةِ .

* * *

تمهيدٌ

[في تعريفِ الأدبِ]

اعلمْ : أنَّ الأدبَ معرفةُ الأحوالِ التي يكونُ الإنسانُ المُتخلِّقُ بها محبوباً عندَ أُولي الألبابِ ، الذينَ هُم أُمناءُ اللهِ علىٰ أهلِ أرضِهِ .

مِنَ القولِ في موضعِهِ المناسبِ لهُ ، فإنَّ لكلِّ قولٍ موضعاً يَخصُّهُ ؛ بحيثُ يكونُ وضعُ غيرِهِ فيه خروجاً عنِ الأدبِ ، كما قالَ جَرْوَلٌ الشاعرُ المشهورُ بالحطيئةِ (١) : [من المتقارب]

فَــإِنَّ لِــكُــلِّ مَــقَــامٍ مَــقَــالَا

❊

ومِنَ الصَّمتِ ـ وهوَ السكوتُ المقصودُ ـ في موضعِهِ .

فإنَّ للصمتِ موضعاً يكونُ القولُ فيه خلافَ الأدبِ ؛ يرشدُ إلىٰ ذٰلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً ؛ قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ » (٢) .

وفي « لاميَّةِ الطُّغرائيِّ » (٣) : [من البسيط]

وَيَا خَبِيراً عَلَى ٱلْأَسْرَارِ مُطَّلِعاً أُصْمُتْ فَفِي ٱلصَّمْتِ مَنْجَاةٌ مِنَ ٱلزَّلَلِ

---

(١) انظر « ديوان الحطيئة » برواية وشرح ابن السكيت (ص ٣٣٥) ، والبيت بتمامه :

تَـحَـنَّـنْ عَـلَـيَّ هَـدَاكَ ٱلْـمَـلِـيكُ فَـإِنَّ لِـكُـلِّ مَـقَـامٍ مَـقَـالَا

(٢) أخرجه هناد في « الزهد » (١١٠٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٤١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ مرسلاً ، وأخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٩) .

ولبعضِهِم (١) : [من الطويل]

عَـجِبْـتُ لِإِزْرَاءِ ٱلْـغَـبِـيّ بِـنَـفْـسِـهِ وَصَمْتِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ بِٱلْعِلْمِ أَحْزَمَا
وَلَـلـصَّـمْـتُ خَـيْـرٌ لِـلْـغَـبِـيّ وَإِنَّـمَـا صَحِـيفَـةُ لُـبِّ ٱلْـمَـرْءِ أَنْ يَـتَـكَـلَّـمَـا

والكلامُ المُنبِّهُ علىٰ مواضعِ الأقوالِ وعلىٰ مواضعِ الصمتِ . . كثيرٌ .

ومِنَ الأحوالِ التي يكونُ التخلُّقُ بها أدباً . . وضعُ **الأفعالِ في مواضعِها** ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٢) ، فنبَّهَ سبحانَهُ علىٰ أنَّ المطلوبَ : العفْوُ المُصلِحُ دونَ المُفسِدِ .

وقـالَ النـابغـةُ الـجَعـديُّ بيـنَ يـدَيْ رسـولِ اللهِ صـلَّى اللهُ عليـهِ وسلَّمَ (٣) : [من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْـمٍ إِذَا لَـمْ تَـكُـنْ لَـهُ بَـوَادِرُ تَـحْـمِـي صَـفْـوَهُ أَنْ يُـكَـدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ لَـبِـيـبٌ إِذَا مَـا أَوْرَدَ ٱلْأَمْـرَ أَصْـدَرَا

فقالَ لهُ النبيُّ : « لَا يَفْضُضِ ٱللَّهُ فَاكَ » (٤) .

---

(١) وهو الخطفىٰ جدُّ جرير ، والبيتان بروايتهما هنا عند الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٤٤) ، ولـٰكن في « البيان والتبين » (١/٢٢٠) ، و« عيون الأخبار » (٢/١٧٥) : (العَيِيّ) بدل (الغبي) ، ولا تخفىٰ مناسبته ، وأثبتنا اسم كتاب الجاحظ بياء واحدة (التبيُّن) لأن محققه العلامة عبد السلام هارون رحمه الله تعالىٰ نصَّ في كتابه « قطوف أدبية » (ص ٩٧ ـ ٩٨) أنه بياء واحدة ، ثم قال : (وسأعيد هـٰذه التسمية الصحيحة إلىٰ نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله تعالىٰ) ، فاعتمدنا هـٰذا التصويب في هوامش هـٰذا الكتاب كله ، ونسأل الله أن يعيد الناشر التسمية إلىٰ نصابها ؛ فإن المنية اخترمت المحقق رحمه الله تعالىٰ .

(٢) سورة الشورىٰ : (٤٠) .

(٣) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان النابغة الجعدي » رضي الله عنه (ص ٨٥) ، وانظر « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٠٩) ، وفيهما : (حليم) بدل (لبيب) .

(٤) أخرجه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦/٢٣٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/١٣٢) عن سيدنا النابغة الجعدي رضي الله عنه .

وقالَ أبو الطيِّبِ[1] : [من الطويل]

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱلْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

فَوَضْعُ ٱلنَّدَىٰ فِي مَوْضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلْعُلَا ... مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيْفِ فِي مَوْضِعِ ٱلنَّدَىٰ

والناسُ في الأدبِ متفاوتونَ تفاوتاً عظيماً ؛ فمَنْ قرأَ العلومَ ، وطافَ في البلادِ ، وعاشرَ طوائفَ الناسِ بعقلٍ حاضرٍ وتنبُّهٍ قائمٍ وضبطٍ جيدٍ ؛ حتىٰ عرفَ العوائدَ المختلفةَ ، والأهواءَ المتشعِّبةَ ، ومَيَّزَ الحسنَ منها وتَخلَّقَ بهِ . . يكونُ بالضرورةِ أكثرَ أدباً ممَّنْ قرأَ وخالطَ ولم يطفْ ، وممَّن قرأَ وطافَ ولم يعاشرْ .

وموافقةُ جميعِ الناسِ أمرٌ غيرُ ممكنٍ ؛ فإنَّ الدِّينَ والعقلَ يمنعانِ مِنِ ارتكابِ أمورٍ لا يَسُرُّ بعضَ ذوي الأهواءِ غيرُها ، وأولـٰئكَ همُ السفهاءُ الذينَ لا ألبابَ لهُم ، فهُم بمنزلةِ قُشورِ الأشياءِ التي لولا لبُّها . . لم تَصلُحْ إلَّا للنارِ أو ما أشبهَ .

فيجبُ على الإنسانِ لأجلِ أن يكونَ محبوباً عندَ الناسِ ، حاصلاً علىٰ أغراضِهِ منهم . . أن يطلبَ الأخلاقَ المحمودةَ عندَ أُولي النُّهىٰ ؛ ليتحلَّىٰ بها ، ويَتخلَّىٰ عن أضدادِها ، وأن يعرفَ أنَّهُ لا سببَ لفسادِ الأقوالِ والأفعالِ حتىٰ تكونَ مشنوءةً مبغوضةً . . إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، فلا بدَّ لهُ مِنِ اجتهادٍ عظيمٍ في طلبِ مواضعِ الأشياءِ ؛ ليأمنَ كثيراً مِنَ الغوائلِ ومُكدِّراتِ النفوسِ ، ومِنَ العيبِ الفاحشِ ؛ وهوَ نقصُ القادرِ على التمامِ ، كما قالَ أبو الطيِّبِ أحمدُ بنُ الحسينِ المشهورُ بالمُتنبِّي[2] : [من الوافر]

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ شَيْئاً ... كَنَقْصِ ٱلْقَادِرِينَ عَلَى ٱلتَّمَامِ

---

(١) البيتان ضمن قصيدة في « ديوان المتنبي » (ص ٢٨١) ، وقوله الآتي : (بالعلا) متعلق بقوله : (مضرٌّ) بعده .

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٤) من قصيدته التي مطلعها :

مَلُومُكُمَا يَجِلُّ عَنِ ٱلْمَلَامِ ... وَوَقْعُ فَعَالِهِ فَوْقَ ٱلْكَلَامِ

وهـٰذهِ أمثلةٌ تُرشِدُكَ إلىٰ كيفيةِ تَعرُّفِ محاسنِ الأشياءِ ومواضعِها :

المثالُ الأوَّلُ
في التخلُّقِ ببعضِ الأخلاقِ

غيرُ خافٍ أن التخلُّقَ بالكِبْرِ والخُيَلاءِ والإعجابِ والتعاظمِ على الناسِ بما أفضلَ اللهُ بهِ على الإنسانِ مِنْ عِلْمٍ وجاهٍ ومالٍ . . أمرٌ غيرُ حسنٍ ؛ لِمَا جُبلَتْ عليهِ النفوسُ مِنَ الإباءِ والنَّفرةِ عمَّنْ يَتعاظَمُ عليها ، فما أكثرَ ما بَدَّلَ حسنَ الوُدِّ والتألُّفِ بأشنعِ العداوةِ والتنافرِ !! لـٰكنْ لذٰلكَ موضعٌ يكونُ فيهِ حسناً .

وبيانُهُ : أنَّ مِنَ المُشاهَدِ كونَ النوعِ الإنسانيِّ محتاجاً في حُسْنِ تَعيُّشِهِ [١] وتحصيلِ أغراضِهِ إلى اجتماعِ ألفةٍ ومَودَّةٍ وإنصافٍ ؛ بأن يُحِبَّ المرءُ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ ، وكلَّما كانَتِ الفِرْقةُ المُجتمِعةُ منهُ أكثرَ وأحفظَ للحقوقِ . . كانَتْ أحسنَ حالاً في العِلْمِ والجاهِ والثروةِ ، فإذا خرجَ بعضُ الناسِ عنِ الجمعيَّةِ ، وسعىٰ في الأرضِ بالفسادِ . . وجبَ على الناسِ تأديبُهُ بما يُعيدُهُ إلى الصلاحِ .

وربَّما كانَ التكبُّرُ والزَّهْوُ عليهِ أنكىٰ له ، وأرجىٰ لمَثابِ فكرِهِ وانحيازِهِ إلىٰ حَيِّزِ الاستقامةِ ، كما وردَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ فارساً مِنْ أصحابِهِ يمشي بينَ الصَّفَّينِ مُختالاً ، يميلُ يميناً وشِمالاً ، فقالَ : « هَـٰذِهِ مِشْيَةٌ يَكْرَهُهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ ، إِلَّا فِي هَـٰذَا ٱلْمَوْضِعِ » [٢] ، فقد علمنا أنَّ للتكبُّرِ موضعاً يكونُ فيه حسناً .

---

(١) التعيُّش : تكلُّف أسباب المعيشة .

(٢) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧/١٠٤) عن خالد بن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة ، عن أبيه عن جدّه ، وأصله عند مسلم (٢٤٧٠) دون ذكر المشية ، وصاحب هـٰذه المشية هو سيدنا سِمَاك بن خرشة المشهور بأبي دجانة رضي الله عنه .

المثالُ الثاني

التكلُّمُ بصحيحِ اللغةِ أمرٌ حسنٌ ، واللحنُ غيرُ حسنٍ

كما يُحكىٰ : أنَّ هندَ بنةَ أسماءَ بنِ خارجةَ زوجَ الحَجَّاجِ لحنَتْ بينَ يدَيهِ يوماً ، فعابَ ذٰلكَ منها ، وازدراهُ عليها ، فقالَتْ : ألم تسمعْ قولَ أخي مالكٍ : [من الخفيف]

وَحَـدِيـثٍ أَلَـذُّهُ هُـوَ مِـمَّـا يَـنْـعَـتُ ٱلـنَّـاعِـتُـونَ يُـوزَنُ وَزْنَـا
مَـنْـطِـقٌ صَـائِـبٌ وَتَـلْـحَـنُ أَحْـيَـا نـاً وَأَحْلَى ٱلْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

فقالَ الحَجَّاجُ : وهٰذا خطأٌ ثانٍ ؛ فإنَّ التحريفَ والخطأَ عيبٌ لا يُحسِّنُهُ أحدٌ ، فهوَ لم يُرِدْ باللحنِ ما فَهِمتِ ، وإنَّما أرادَ بهِ معنىً لهُ آخرَ ؛ وهوَ الرمزُ والإشارةُ إلىٰ أمرٍ لم يكنِ الكلامُ المنطوقُ به موضوعاً لهُ ، ألم تسمعي إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ (١) .

ومِنْ ذٰلكَ قولُ الشاعرِ (٢) : [من الكامل]

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَهُمْ لِكَيْمَا يَفْهَمُوا وَٱللَّحْنُ يَفْهَمُهُ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ

لٰكنْ لمَّا اعتادَ الناسُ الميلَ بالكلامِ عن وجهِهِ العربيِّ ، وصارَ فهمُهُم مربوطاً بالمَنطِقِ الملحونِ . . **وجبَ التكلُّمُ معَهُم بما جرَتْ به عادتُهُم** ؛ يدخلُ ذٰلكَ في عمومِ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ : « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ » (٣) .

---

(١) الخبر عند أبي عبيد البكري في « سمط اللآلي » (١/١٧) ، والآية من سورة محمد : (٣٠) .

(٢) البيت للقتَّال الكلابي كما في « سمط اللآلي » (١/١٢) ، وهو بروايته عنده :

وَلَقَدْ لَحَنْتُ لَكُمْ لِكَيْمَا تَفْهَمُوا وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيْسَ بِٱلْمُرْتَابِ

(٣) هو عند البخاري في « صحيحه » (١/٣٧) معلَّقاً من قول سيدنا علي رضي الله عنه بلفظ : (حدِّثوا الناس بما يعرفون ؛ أتحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُهُ ؟!) .

وقولِهِ : « خَاطِبُوا ٱلنَّاسَ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[1] ، وقد قيلَ : (خطأٌ مشهورٌ ولا صوابٌ مهجورٌ) .

فعلمنا أنَّ للتكلُّمِ بالعربيةِ : موضعاً يكونُ فيه حسناً ؛ كقراءةِ الكتبِ ، ومحاورةِ الفُطناءِ ، حيثُ تكونُ في المباحثاتِ العلميَّةِ ، ومراجعاتِ التعليمِ والتعلُّمِ ، وموضعاً يكون فيه غيرَ حسنٍ ؛ وهيَ المخاطباتُ السائرةُ بينَ عمومِ الناسِ .

المثالُ الثالثُ

الشعرُ كانَ زائدَ الحُسْنِ

بدليلِ شهرتِهِ وكثرتِهِ ، وارتياحِ عُقلاءِ السلفِ إليهِ ، حتىٰ إنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يَستنشِدُ الشعراءَ رجالاً ونساءً ؛ فكانَ يَستنشِدُ الخنساءَ ، فإذا رأىٰ منها بعضَ الفُتورِ . . قالَ : « هِيه يَا خُنَاسُ »[2] ؛ طلباً للمزيدِ ، يبعثُ مِنْ نشاطِها ، وأثابَ على الشعرِ مراراً[3] ، وسنَّ الإجازةَ ، وقالَ : « إِنَّ مِنَ ٱلشِّعْرِ لَحِكْمَةً »[4] ، وقالَ : « أُنْزِلَتِ ٱلْحِكْمَةُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْيُونَانِ ، وَعَلَىٰ أَيْدِي أَهْلِ ٱلصِّينِ ، وَعَلَىٰ أَلْسِنَةِ ٱلْعَرَبِ »[5] .

وكانَ الملوكُ ونُبهاءُ الناسِ جاهليةً وإسلاماً مقبلينَ عليهِ غايةَ الإقبالِ ، حتىٰ قيلَ : إنَّ الشعرَ يرفعُ قوماً ويضعُ آخرينَ ؛ مِنْ ذٰلكَ : ما وردَ أنَّ الحطيئةَ سافرَ مَرَّةً في طلبِ كريمٍ يَأوِي إليهِ ، فلقيَهُ الزِّبرِقانُ بنُ بدرٍ في الطريقِ وهوَ مُتوجِّهٌ بصدقةِ قومِهِ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ ، فعرفَهُ وهوَ لم

---

(١) أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (١٦١١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) كذا في « الاستيعاب » (ص ٨٩٧) .

(٣) كإثابته صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضي الله عنه ببردته ، كما في « الإصابة » (٣/٢٧٩) .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أُبَي بن كعب رضي الله عنه .

(٥) هو قولٌ أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/٣٢٥) ، وليس بحديث .

يَعرِفْهُ ، فقالَ : إلىٰ أينَ يا أبا مُليكةَ ؟ ـ وهيَ كنيةُ الحطيئةِ ـ فقالَ : أطلبُ كريماً ، فقالَ : قد وجدتَ ، وعَرَّفَهُ بنفسِهِ ، واعتذرَ لهُ عنِ الرجوعِ معَهُ ، وأرسلَهُ إلىٰ ديارِهِ ، وأوصىٰ بهِ .

فلمَّا وصلَ . . أكرمَهُ أهلُ الزِّبرِقانِ ، وبَنَوْا عليهِ بيتاً ، واهتمُّوا بأمرِهِ .

وكانَ في ذٰلكَ الموضعِ قومٌ قد أسقطَهُم جدُّهُم [1] ، يُقالُ لهُم : بنو أنفِ الناقةِ ، فعملوا حيلةً لصرفِ الحطيئةِ إليهِم ونزولِهِ عليهِم ، فجاؤوا زوجةَ الزِّبرقانِ سِرّاً وقالوا لها : إنَّ زوجَكِ أرادَ أن يَتزوَّجَ ابنةَ هٰذا الشاعرِ ، فتحيَّلي في إقصائِهِ عنكِ ، فأخذَتْ في ذٰلكَ ، فجاءَتِ الحطيئةَ يوماً وأخبرَتْهُ أنَّها تريدُ الانتجاعَ إلىٰ مكانٍ بعيدٍ ، وأنَّ جمالَ الحَمْلِ التي عندَها لا تَكفي لحملِ متاعِها ومتاعِهِ ، فقالَتْ : تحمَّلْ أنتَ ثمَّ أرسلِ الظَّهرَ لنلحقَكَ ، فقالَ : أنتُم أحقُّ بالسَّبْقِ وأنتظرُكم ، فتحمَّلَتْ وتركَتْهُ بينَ الأرضِ والسماءِ ، وانتظرَها ، وفاتَ الموعدُ ولم يَجِئْهُ منها خبرٌ .

فاجتمعَ إليهِ أولٰئكَ القومُ ، وأخذوهُ وأكرموهُ ، وجمعوا لهُ مالاً عظيماً ، وطلبوا منهُ أن يهجوَ الزِّبرِقانَ ، فقالَ : كيفَ أهجو رجلاً لم يَجْنِ عليَّ ، ولعلَّهُ إذا اطلعَ علىٰ ما صنعَتْ زوجتُهُ . . لمْ يرضَهُ ؟!

ثمَّ إنَّهُ حضرَ وعرفَ ما حصلَ ، فتَغيَّرَ ، وطلبَ الحطيئةَ ، فامتنعَ ومنعَهُ أولٰئكَ القومُ ، فطالَ الكلامُ ، وفَرَطَ مِنَ الزِّبرِقانِ فوارطُ ، فهجاهُ الحطيئةُ بقصيدةٍ ، منها [2] : [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ ٱلْعُرْفُ بَيْنَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ

---

(١) وهو جعفر أنفُ الناقة بن قريع ، كما في « الكامل » للمبرد (٧١٦/٢) ، و« ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

(٢) البيتان في « ديوان الحطيئة » (ص ٥٠ ـ ٥١) ضمن قصيدة .

دَعِ ٱلْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَٱقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ ٱلطَّاعِمُ ٱلْكَاسِي

فوضعَ مِنْ قدرِهِ ، وخفضَ مِنْ ذكرِهِ ، حتىٰ رفعَ أمرَهُ إلىٰ أميرِ المؤمنينَ ، فاستحضرَهُ وقالَ : بماذا هجاكَ ؟ فأنشدَهُ ذٰلكَ ، فقالَ أميرُ المؤمنينَ : لا أرىٰ بأساً ؛ دعاكَ إلى الراحةِ ، وذكرَ كثرةَ نِعَمِ اللهِ عليكَ ، فقال : سلِ الشعراءَ يا أميرَ المؤمنينَ ليشهدوا لي عليه ، فقالَ حسانُ بنُ ثابتٍ الأنصاريُّ شاعرُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هوَ ما هجاهُ ، وإنَّما سَلَحَ عليهِ !![(١)] .

وكانَ مِنْ أمرِهِ بعدَ ذٰلكَ معَ أميرِ المؤمنينَ ما كانَ[(٢)] .

وأصلُ وَضاعةِ بني أنفِ الناقةِ وخمولِ ذكرِهم ونبزِهم بهٰذا اللقبِ : أنَّ والدَ أنفِ الناقةِ كانَ له جملةُ أولادٍ مِنْ عِدَّةِ أزواجٍ ، وكانَ أنفُ الناقةِ واحدَ أُمِّهِ ، فنحرَ يوماً ناقةً وقالَ لأولادِهِ : اذهبوا فاقتسموها ، فتباطأَ أنفُ الناقةِ حتىٰ لم يبقَ منها إلا رأسُها ، فذهبَ ليأخذَهُ وأدخلَ ذراعَهُ في أنفِها واحتملَهُ ، فقيلَ له : أنفُ الناقةِ ، وعُيِّرَ بذٰلكَ[(٣)] ، فلمَّا قالَ في مدحِهِمُ الحطيئةُ[(٤)] : [من البسيط]

قَوْمٌ هُمُ ٱلْأَنْفُ وَٱلْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ ٱلنَّاقَةِ ٱلذَّنَبَا

.. علا قَدرُهُم ، وارتفعَ ذِكرُهُم ، وصاروا يفتخرونَ بهٰذا اللقبِ ، بعدَ أن كانَ

---

(١) انظر الخبر في « الكامل » للمبرد (٧١٥/٢) ، و« ديوان الحطيئة » بشرح ابن السكيت (ص ٥٠) ، وسلح عليه : تغوَّط وأخرج ما في بطنه رقيقاً ، وهو كناية عن أمر قبيح ، والمراد : أخرسه فلم ينبس ببنت شفة .

(٢) من حبس أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه للحطيئة باستعداء الزبرقان عليه ، إلىٰ أن أطلقه حين قال كما في « ديوانه » (ص ١٩١) قصيدته التي مطلعها : (من البسيط)

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ ... حُمْرِ ٱلْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ

غَيَّبْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَٱغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا عُمَرُ

(٣) كذا أورد خبرهم ابن السكيت في « شرح ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

(٤) انظر « ديوان الحطيئة » (ص ١٥) .

الواحدُ منهُم إذا سُئِلَ أن يَنتسِبَ . . انتسبَ إلىٰ بعضِ أجدادِهِ ، ولم ينطِقْ بهٰذا اللقبِ .

ومِنْ ذٰلكَ : أنَّ قبيلةَ نُمَيْرٍ كانَتْ مِنْ أعزِّ قبائلِ العربِ ، وكانَتْ تُسمَّىٰ : جمرةَ العربِ ؛ إذ كانَتْ أنسابُهُم مقصورةً عليهِم ، ليسَ فيهِم دخيلٌ ؛ لا يُخرِجونَ مِنْ نسائِهم ، ولا يُدخِلونَ مِنْ رجالِ غيرِهِم ، وإذا قيلَ لأحدِهِم : ممَّنِ الرجلُ ؟ قالَ : (نُمَيْرِيّ) وفخَّمَها وملأَ بها فاهُ ، فلمَّا قالَ جريرٌ يهجو الراعيَ[1] : [من الوافر]

فَغُضَّ ٱلطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْباً بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا

. . ذلَّ هٰذا الاسمُ واتَّضعَ ، وانتسبوا بعدَ ذٰلكَ لجدٍّ أعلىٰ منهُ ، فكانَ الرجلُ يقولُ إذا سُئِلَ الانتسابَ : (عامريّ) . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

وبالجملةِ : فقد كانَ الشِّعرُ هوَ الحاكمَ الأكبرَ والمُطاعَ الذي يَتصرَّف الناسُ تحتَ أمرِهِ ونهيِهِ ، وبقيَ علىٰ ذٰلكَ حتىٰ مضىٰ شطرٌ مِنْ أيامِ بني العباسِ وإن يكنْ حصلَ لهُ تنازلُ درجاتٍ في أثناءِ ذٰلكَ ؛ فلقد كانَ بعضُ الشعراءِ يهجو المَلِكَ يرىٰ أنَّهُ يُؤدِّبُهُ ، حتىٰ قالَ بشَّارُ بنُ بُرْدٍ : [من البسيط]

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمُ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُودِ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَٱلْتَمِسُوا خَلِيفَةَ ٱللهِ بَيْنَ ٱلنَّايِ وَٱلْعُودِ

يريدُ محمدَ المهديّ ثالثَ ملوكِ بني العباسِ ، فقتلَهُ ضرباً[2] .

ثمَّ صارَ الشعرُ ليسَ بتلكَ المنزلةِ ، بل صارَ كثيرُ ما يَتجدَّدُ منهُ لا يَخِفُّ على الأسماعِ ، ولا ترتاحُ إليه القلوبُ ، ولا تميلُ إليه النفوسُ ، ولا سببَ لذٰلكَ إلَّا وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِهِ .

---

(١) البيت ضمن قصيدة في « ديوان جرير » (٢/٨٢١) .
(٢) الخبر والبيتان في « معاهد التنصيص » (١/٣٠١ ـ ٣٠٢) .

وبيانُهُ : أنَّ الشعرَ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ كثرَتْ أنواعُهُ بحَسَبِ كثرةِ أغراضِهِ ، وموضعُ تفصيلِ ذٰلكَ عندَ التكلُّمِ علىٰ قَرْضِ الشعرِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ(١) ، ولا بدَّ هنا مِنْ نُبذةٍ يسيرةٍ لأجلِ تحقيقِ الغرضِ الذي نحنُ بصددِهِ ، فنقولُ : الشعرُ ينقسمُ إلىٰ نَسيبٍ ، ومدحٍ ، وتأديبٍ ، وغيرِ ذٰلكَ .

أمَّا النَّسيبُ . . فهوَ ذكرُ محاسنِ النساءِ خَلْقاً وخُلُقاً ؛ يُقالُ : نَسَبَ بفلانةَ يَنْسِبُ نَسِيباً ؛ أي : تغنَّىٰ بذكرِ محاسنِها .

والمدحُ : الإخبارُ عنِ الأشياءِ بالأوصافِ الجميلةِ .

والتأديبُ : الإخبارُ عنِ الإنسانِ بأشياءَ لا يَستحسِنُها الناسُ .

ولكلٍّ جودةٌ ورَداءةٌ ، فيحسنُ النسيبُ إذا كانَ جيداً مُنزَّهاً عنِ الإفحاشِ ، حتىٰ يكونَ كما قيلَ : يدخلُ على العذراءِ في خِدْرِها ، فلا تستحيي مِنْ إنشادِهِ .

وكانَ إنشادُهُ بحضرةِ فُطناءِ الناسِ وظرفائِهِمُ ، الذينَ تمَّتْ فحولتُهُم ، وطابَتْ طباعُهُم ، واعتدلَتْ أمزجتُهُم ، فلقد كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ وهوَ يُنشَدُ بينَ يدَيهِ ، والصحابةُ يتناشدونَهُ في المسجدِ ، ويشغلونَ بهِ كثيراً مِنْ أوقاتِهِم ؛ تَرَوُّحاً واستنشاطاً واستجماماً للأفكارِ والعقولِ ، وكلَّما كانَ الرجلُ تامَّ الفُحولةِ . . كانَ أميلَ إلى التقوُّلِ .

وهوَ أمرٌ مقصودٌ ، يُنبِّهُ علىٰ ذٰلكَ ما وردَ : أنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها كانَ عندَها كفيلةٌ لها(٢) ، فزوَّجَتْها لبعضِ الأنصارِ(٣) ، وزفَّتْها

---

(١) انظر (٣١٩/٣) .

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦٧/٨) : (كانت يتيمة في حجرها ، كما في « الأوسط » للطبراني [٣٢٨٩] ، وعند ابن ماجه [١٩٩٣] : قرابة لها ، وعند أبي الشيخ : بنت أختها ، أو ذات قرابة منها ، وفي « أسد الغابة » [٢١٤/٧] ما يدل علىٰ أن اسمها الفارعة بنت أسعد بن زرارة) .

(٣) هو نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار ، كذا في « أسد الغابة » (٢١٤/٧) .

بنفسِها وصواحبُ لها ، فلمَّا رجعَتْ . . قالَ لها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ أَمَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ ؟ فَإِنَّ ٱلْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ ، يُعْجِبُهُمُ ٱللَّهْوُ » قالَتْ : لا ، فقالَ : « هَلَّا بَعَثْتُمْ جَارِيَةً تَضْرِبُ بِٱلدُّفِّ وَتُغَنِّي » فقالَتْ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما كانَتْ تقولُ ؟ فقالَ : « كَانَتْ تَقُولُ : [من مجزوء الوافر]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ ... فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ
فَلَوْلَا ٱلذَّهَبُ ٱلْأَحْمَـ ... ـرُ مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا ٱلْحِنْطَةُ ٱلسَّمْرَا ... ءُ مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ »[1]

ويُحكىٰ : أنَّ بعضَ أتقياءِ أهلِ الحجازِ وعُبَّادِهم[2] رأىٰ بمنىً امرأةً ذاتَ حسنٍ فائقٍ وجمالٍ رائقٍ ، وهيَ مُلقِيةٌ علىٰ وجهِها بُرْداً مُهلهَلَ النَّسجِ ، مُظهِراً لمحاسنِها ، فقالَ : يا هٰذهِ ؛ اختبئي !! فقالَتْ لهُ : أنا مِنَ اللَّواتي قالَ فيهِنَّ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ[3] : [من الطويل]

أَمَاطَتْ رِدَاءَ ٱلْخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا ... وَأَلْقَتْ عَلَى ٱلْخَدَّيْنِ بُرْداً مُهَلْهَلَا
مِنَ ٱللَّاءِ لَمْ يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ جَنَّةً ... وَلَٰكِنْ لِيَقْتُلْنَ ٱلتَّقِيَّ ٱلْمُغَفَّلَا

فقالَ : اللَّهمَّ ؛ لا تُعذِّبْ هٰذا الوجهَ ، ومضىٰ .

فبلغَ ذٰلكَ بعضَ الأئمَّةِ أصحابِ المذاهبِ في وقتِهِ[4] ، فقالَ : تلكَ ظرافةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٦٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون الشعر المذكور ، وأخرجه مع الشعر الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٨٩) من حديثها رضي الله عنها .

(٢) هو أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ .

(٣) البيتان إنما هما للعرجي ، كما في « ديوانه » (ص ٧٤) ضمن قصيدته التي مطلعها :

رَأَتْنِي خَضِيبَ ٱلرَّأْسِ شَمَّرْتُ مِئْزَرِي ... وَقَدْ عَهِدَتْنِي أَسْوَدَ ٱلشَّعْرِ مُسْبِلَا

وفي « المنتظم » : (يبغين ريبة) بدل (يبغين جنَّة) ، ولعلها أنسب .

(٤) هو سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ .

أهلِ الحجازِ ، أمَا لو سمعَها بعضُ مُتنطِّعةِ أهلِ العراقِ . . لشتمَها وصَخِبَ عليها(١) .

فعلمنا مِنْ ذٰلكَ موضعَ حسنِ النسيبِ مِنْ غيرِهِ ، وحسنِ المدحِ إذا كانَ مدحاً بالأوصافِ القائمةِ ، باعثاً على الازديادِ وعُلُوّ الهِمَّةِ مِنْ ممدوحِهِ وممَّنْ يَسمعُهُ ، كما قالَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ في تفضيلِ زهيرٍ على الشعراءِ : (كانَ لا يُعاظِلُ في الكلامِ ، ولا يَمدحُ الرجلَ بغيرِ ما هوَ فيهِ)(٢) .

فعلمنا أنَّ مدحَ الرجلِ بغيرِ ما هوَ فيهِ . . وضعٌ للشيءِ في غيرِ موضعِهِ ، مُوجِبٌ لسقوطِ صاحبِهِ وتفضيلِ غيرِهِ ، كما قيلَ(٣) : [من البسيط]

وَإِنَّمَا ٱلشِّعْرُ عَقْلُ ٱلْمَرْءِ يَعْرِضُهُ ... عَلَى ٱلْبَرِيَّةِ إِنْ كَيْساً وَإِنْ حُمُقَا

وَإِنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ ... بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا مَا قُلْتَهُ صَدَقَا

والمُعاظَلةُ في الكلامِ : أن يُدخِلَ الشاعرُ أجزاءَ جملةٍ في أجزاءِ جملةٍ حتىٰ يصيرَ مُعقَّداً ، خارجاً عنِ الفصاحةِ والمَلاحةِ ، لا يبينُ معناهُ إلَّا بعدَ لأيٍ وشِدَّةٍ ؛ كقولِ الفرزدقِ يمدحُ إبراهيمَ المخزوميَّ خالَ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ أحدِ ملوكِ بني أميَّةَ(٤) : [من الطويل]

وَمَا مِثْلُهُ فِي ٱلنَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً ... أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

ووجهُ الكلامِ : وما مثلُهُ حيٌّ يقاربُهُ إلَّا مُملَّكاً أبو أُمِّهِ أبوهُ(٥) .

---

(١) أخرج الخبر ابن الجوزي في « المنتظم » (٥/٩٦) ، وفيه تعيين مبهماته المنقولة .

(٢) أخرجه أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » (١/١٨٧ ـ ١٨٨) .

(٣) البيتان في « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٤٣٠) ، والحُمُق ـ بضمتين ـ : قلة العقل ، بخلاف الكَيْس الذي هو الفطنة .

(٤) كذا في « طبقات فحول الشعراء » (٢/٣٦٤ ـ ٣٦٥) .

(٥) قال المبرد في « الكامل » (١/٤٢) : (يعني بالمملَّك : هشاماً ، أبو أم ذٰلك المملك أبو هٰذا الممدوح ، ولو كان هٰذا الكلام علىٰ وجهه . . لكان قبيحاً ، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن ←

ومتىٰ كانَ المدحُ شكراً واعترافاً بالنعمةِ . . كانَ داخلاً في عمومِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١) ، وهوَ المرادُ بقولِ النبيِّ : « لَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمَدْحُ مِنَ ٱللهِ » (٢) .

ومتىٰ كانَ آلةَ كسبٍ ، مُدخِلاً لصاحبِهِ في المُلحِفينَ المُلحِّينَ في السؤالِ ، سيَّما إذا كانَ قادراً ، ذا قُوىً يَصرِفُها في منافعِ الناسِ ، حتىٰ يَحصُلَ علىٰ مطالبِهِ باستحقاقٍ . . لم يكنْ أمراً حميداً ؛ وهوَ المعنيُّ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱحْثُوا ٱلتُّرَابَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَدَّاحِينَ » (٣) ، وبقولِ بعضِهِم (٤) : [من السريع]

يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ شَاعِرَا … اَلْكَلْبُ وَٱلشَّاعِرُ فِي مَنْزِلِ
يَسْتَوْهِبُ ٱلْوَارِدَ وَٱلصَّادِرَا … أَمَا تَرَاهُ بَاسِطاً كَفَّهُ
مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلاً تَاجِرَا … وَٱللهِ لَوْلَا حُرُقَاتُ ٱلْهَوَىٰ

وأمَّا التأديبُ ـ وهوَ الهجوُ ـ . . فإنَّما يَحسُنُ إذا عُلِمَ تأثيرُهُ وردعُهُ المُفسِدَ ، فهوَ مِنَ الغِيبةِ التي لم يُنْهَ عنها ، وإلَّا . . فهوَ أمرٌ مُتناهٍ في القبحِ ؛ لأنَّهُ الغِيبةُ المُفْظِعُ أمرُها في القرآنِ المجيدِ (٥) .

والقولُ العامُّ في الشعرِ : أنَّهُ وإن كانَ صناعةً مِنَ الصِّناعاتِ . . يجودُ بدِقَّةِ معناهُ ، ومَلاحةِ لفظِهِ ، وإحكامِ بنائِهِ ، كما سيأتي بيانُهُ ، ويَردُؤُ بخلافِ ذٰلكَ ، لٰكنَّهُ مُتغيِّرُ الأمرِ والحالِ بتغييرِ العوائدِ تغييراً عظيماً ؛ إذ لم يكنْ

يقولُ : وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملَّك ، أبو أم هٰذا المملَّك أبو هٰذا الممدوح ، فدل علىٰ أنه خاله بهٰذا اللفظ البعيد ، وهجَّنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير) .

(١) سورة الضحىٰ : (١١) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٧) ، ومسلم (٣٣/٢٧٦٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٦٩/٣٠٠٢) عن سيدنا المقداد رضي الله عنه .

(٤) هو أبو سعيد المخزومي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٨٧) ، وفي صلبها البيتان الأولان ، ونحو البيت الثالث في هامشها نسخةً .

(٥) أفظع الأمر : اشتدَّت شناعته ، وجاوز المقدار في ذٰلك .

مِنْ حوائجِ الناسِ الأصليَّةِ ، إذْ كانَ بمنزلةِ الفاكهةِ التي لا تطيبُ إلَّا بعدَ الغذاءِ .

وأوَّلُ مُغيِّرٍ لهُ الإسلامُ ، وقولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) .

معناهُ : أنَّ الشعراءَ كانوا مُترسِّلينَ معَ الأهواءِ ، لا يمنعُهُم مانعٌ ولا يردعُهُم رادعٌ ، حَسَبَ ما تقتضيهِ وساوسُ الشهواتِ ، ولهُم قُوَّةٌ على تحسينِ القبيحِ ، وتقبيحِ الحسنِ ، وسفهاءُ الناسِ لهُم تَبَعٌ ، فكانَ يَتولَّدُ مِنْ ذلكَ ما يَتولَّدُ مِنَ الفتنِ والفسادِ بينَ الناسِ .

وقدِ استثنىٰ سبحانَهُ الشعراءَ الذين عَقَلوا الدِّينَ ؛ فوقفوا عندَ حدودِهِ ، واجتنبوا الفحشاءَ والمُنكرَ ، حيثُ كانَتْ أوقاتُهُم معمورةً بذكرِ محاسنِ ما أرشدَ اللهُ إليهِ ، فهُم لا يَضعونَ الأشياءَ إلَّا في مواضعِها .

وهٰذا معنىٰ كثرةِ ذكرِ اللهِ في قولِهِ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ (٢) .

فمعنىٰ ﴿ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ مُفسَّرٌ بقولِهِ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٣) .

وقولُهُ : ﴿ وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ تنبيهٌ علىٰ موضعِ الهجوِ .

ثُمَّ تَغيَّرَ أمرُ الشعرِ بعدَ ذلكَ تغيراً (٤) عظيماً باشتغالِ الناسِ بالعلومِ

---

(١) سورة الشعراء : (٢٢٤ ـ ٢٢٦) .

(٢) سورة الشعراء : (٢٢٧) .

(٣) سورة العنكبوت : (٤٥) .

(٤) في الأصل : (تغييراً) .

الكثيرةِ المتزايدةِ التي ارتبطَ بها مصالحُ الناسِ ، حتىٰ قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ[1] : [من الوافر]

وَلَـوْلَا ٱلـشِّـعْـرُ بِـٱلْـعُـلَـمَـاءِ يُـزْرِي لَـكُـنْـتُ ٱلْـيَـوْمَ أَشْـعَـرَ مِـنْ لَـبِـيـدِ

وقالَ : (لولا مُجونُ أبي نُواسٍ . . لَأخذتُ عنهُ العِلْمَ) .

وحَرَّمَ قبلَ ذٰلكَ لبيدٌ الشعرَ علىٰ نفسِهِ وقالَ : (لا أقولُهُ بعدَ أن حفظتُ « البقرةَ » و« آلَ عمرانَ »)[2] .

وخلاصةُ القولِ في ذٰلكَ : أنَّ مدارسةَ الأشعارِ العربيةِ ؛ لِمَا فيها مِنَ الفوائدِ العلميَّةِ المُتعلِّقةِ بأوضاعِ اللغةِ العربيَّةِ . . أمرٌ لازمٌ ؛ لكونِهِ مُعرِّفاً لمقاصدِ القرآنِ وأقوالِ النبيِّ ، فهوَ مِنَ الدِّينِ ، كما قيلَ[3] : [من المجتث]

حِـفْـظُ ٱلـلُّـغَـاتِ عَـلَـيْـنَـا فَـرْضٌ كَـفَـرْضِ ٱلـصَّـلَاةِ

فَـلَـيْـسَ يُـحْـفَـظُ دِيـنٌ إِلَّا بِـحِـفْـظِ ٱلـلُّـغَـاتِ

وأمَّا إنشاؤُهُ . . فمعَ الإتقانِ بوضعِهِ في مواضعِهِ ، وصرفِهِ بحَسَبِ اللزومِ ؛ فهو حِليةُ العلماءِ ، وزينةُ الأدباءِ ، والأعمالُ بالنيَّاتِ ، واللهُ الهادي إلىٰ أحسنِ المقاصدِ .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٦٢/٢) مع بيتين آخرين ضمن خبر لطيف .

(٢) انظر « الإصابة » (٣٠٧/٣) .

(٣) أوردهما الإمام السيوطي في « المزهر » (٣٠٢/٢) من غير عزو .

المقصد الأوّل

في العقل، وبيان أصناف المعقول

[بيانُ معنىٰ كلمةِ العقلِ]

كلمةُ (العَقْل) لها معنيانِ :

المعنى الأوَّلُ : جمعُ ساقِ البعيرِ وفخذِهِ بحبلٍ يُربَطُ عليهِما ، ويُسمَّىٰ : عِقالاً ؛ ليثبتَ مكانَهُ فلا يشرُدَ .

❊ ❊

المعنى الثاني : رؤيةُ النفسِ الشيءَ واطلاعُها عليهِ وضبطُها له ، والمرادُ بالنفسِ : الأمرُ الساكنُ في أبدانِنا ، الذي نجدُهُ يتحدَّثُ بالأشياءِ ، ويكونُ تحدُّثُ اللسانِ تابعاً لتحدُّثِهِ ؛ تقولُ : عَقَلْتَ الشيءَ عَقْلاً ، فأنتَ عاقلٌ ، والشيءُ معقولٌ .

ويُستعمَلُ الإدراكُ والعلمُ والمعرفةُ في هٰذا المعنىٰ ، وأصلُ **الإدراكِ** : الوصولُ إلىٰ غايةٍ ؛ ومنهُ : طلبتُ فلاناً الهاربَ فأدركتُهُ في مكانِ كذا ، ومنهُ : أدركَ الغلامُ ؛ أي : بلغَ الحُلُمَ ؛ تقولُ : أدركتُ الشيءَ ؛ فأنتَ مُدرِكٌ ، والشيءُ مُدرَكٌ .

❊

والحفظُ : إثباتُ النفسِ صورَ الأشياءِ .

والفهمُ : أن تدركَ ما أُريدَ منها .

تقولُ : **حفظتُ القرآنَ** ؛ أي : عقلتُ ألفاظَهُ وأثبتُّها إثباتَ النقوشِ على الأحجارِ .

وفهمتُهُ ؛ أي : عقلتُ ما أُريدَ بألفاظِهِ ، فالحفظُ والفهمُ نوعانِ خاصَّانِ مِنَ التعقُّلِ .

[مراتبُ العقلِ]

وللعقلِ [أربعُ] مراتبَ (١) :

ـ المرتبةُ الأُولىٰ : عقلُ الطفلِ قبلَ أوانِ التكلُّم ، ويُسمَّى : **العقلَ بالطبعِ ، وبالفطرةِ ، وبالقوَّةِ ، والهَيُولَىٰ** .

ـ المرتبةُ الثانيةُ : عقلُهُ بعدَ أوانِ التكلُّم ، ويُسمَّى : **العقلَ بالفعلِ ، وبالحالِ ، والتلقينِ** ، وفي هٰذه المرتبةِ يدركُ الإنسانُ مِنْ صورِ الأشياءِ ومِنْ تأثيراتِها إدراكاً به يَطلُبُ المحبوبَ ، ويَهرُبُ مِنَ المكروهِ .

ـ المرتبةُ الثالثةُ : عقلُ الغلامِ الذي حَصَلَ عندَهُ كثيرٌ مِنَ المعقولاتِ ، وتمكَّنَ مِنِ استحضارِها إذا أرادَ ، وأخذَ يستعملُ شيئاً مِنَ القياسِ حتىٰ يستحصلَ ما لم يكنْ حاصلاً عندَهُ ، ويُسمَّى العقلُ في هٰذهِ المرتبةِ : **العقلَ بالملكتَينِ** ؛ وهما :

ملكةُ الاستحضارِ ، وتُسمَّى : **المُذكِّرةَ** ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحضارِ ما عَقَلَتْ .

وملكةُ الاستحصالِ ، وتُسمَّى : **المُفكِّرةَ** ؛ وهيَ قُوَّةٌ للنَّفْسِ تَتمكَّنُ بها مِنِ استحصالِ ما ليسَ معقولاً لها بالقياسِ علىٰ ما هوَ معقولٌ .

ـ المرتبةُ الرابعةُ : عقلُهُ إذا مَهَرَ في الاستحصالِ ودَرِبَ عليهِ بالفكرِ والنظرِ ،

---

(١) وأوصلها الحكماء إلىٰ ثمانية ، وانظر التفصيل في « معيار العلم » (ص ٣٤٦) ، وفي الأصل : (أربعة) بدل (أربع) .

الذي هوَ ملاحظةُ المعقولاتِ الحاضرةِ عندَ المُدرِكِ لتحصيلِ المجهولاتِ الغائبةِ عنه ، ويُسمَّى العقلُ في هٰذه المرتبةِ : **العقلَ المُستفادَ** .

وقد يُرادُ مِنَ العقلِ : **قُوَّةُ النَّفْسِ التي تُدرَكُ بها الأشياءُ** ، ولذٰلكَ تسمعُهُم يقولونَ : العقلُ الغريزيُّ والعقلُ المطبوعُ ، والعقلُ الكسبيُّ والعقلُ المسموعُ .

❊ ❊

ثمَّ الأشياءُ التي يَتعلَّقُ بها العقلُ فتكونُ معقولةً . . أحدَ عشرَ صنفاً[1] :

ـ **الصِّنفُ الأوَّلُ** : ذاتٌ ثابتٌ ثبوتاً أزليّاً لم يَسبقْهُ عدمٌ ، أبديّاً لا يلحقُهُ عدمٌ ، موصوفٌ بصفاتٍ كذٰلكَ ، يُسنِدُ العقلُ إليهِ جميعَ الكائناتِ بالسببيَّةِ والمُسبَّبيَّةِ ، فهوَ السببُ وغيرُهُ مُسبَّبٌ لهُ ؛ وهوَ **اللهُ جلَّ ذكرُهُ** .

ـ **الصِّنفُ الثاني** : أعيانُ الكائناتِ ، وتُسمَّىٰ : ذواتِ الكائناتِ وجواهرَها ، ويقابلونَ العينَ بالحالِ ، والذاتَ بالصفةِ ، والجوهرَ بالعرضِ ، ومعنى الحالِ والصفةِ والعرضِ واحدٌ ، ومعنى العينِ والذاتِ والجوهرِ واحدٌ ؛ وهوَ الأمرُ الثابتُ الذي تتعاقبُ عليهِ الأحوالُ .

وينقسمُ الجوهرُ إلىٰ : جوهرٍ غيرِ مُمتدٍّ ، مُتحيِّزٍ ؛ أي : شاغلٍ فراغاً ؛ والحَيِّزُ : الفراغُ المشغولُ به ، ويُسمَّىٰ : **جوهراً فرداً** ، **وجزءاً لا يَتجزَّأُ** .

وإلىٰ جوهرٍ مُتحيِّزٍ مُمتدٍّ ، ويُسمَّىٰ : **جسماً** .

وينقسمُ الجسمُ إلىٰ :

نامٍ : أي : متزايدٍ في الحجمِ .

---

(١) انظر تفصيل المقولات العشر في « معيار العلم » (ص ٣٨٦ ـ ٤١٠) .

وإلىٰ جامدٍ : أي : غيرِ متزايدٍ فيه .

وينقسمُ **النامي** إلىٰ : حَسَّاسٍ مُتحرِّكٍ بالإرادةِ ، وإلىٰ غيرِهِ ، ويُسمَّى الحَسَّاسُ : **حيواناً** ، ويُسمَّىٰ غيرُهُ : **نباتاً** .

وينقسمُ **الحَسَّاسُ** إلىٰ : **ناطقٍ** ؛ أيْ : مطبوعٍ علىٰ أن يَتفكَّرَ فيما عَقَلَ ؛ ليعقلَ شيئاً بشيءٍ ، ويُعبِّرَ عمَّا حصلَ عندَهُ مِنْ ذٰلكَ ؛ وهوَ النوعُ المُسمَّىٰ : إنساناً وبشراً ، ويُسمَّى الإنسانُ : **النوعَ الآخرَ** ؛ وهوَ مُركَّبٌ مِنْ أمرَينِ ؛ أمرٍ مُشترَكٍ بينَهُ وبينَ الأنواعِ التي في رتبتِهِ ، ويُسمَّىٰ هٰذا الأمرُ : **جنسَهُ القريبَ** ؛ ويُعبَّرُ عنهُ **بالحيوانِ** ، وأمرٍ مُختصٍّ بهِ مُميِّزٍ لهُ عن غيرِهِ ، ويُسمَّىٰ : **فَصْلاً** ؛ فتقولُ : **الإنسانُ** : حيوانٌ ناطقٌ ، **والجملُ** : حيوانٌ راغٍ ، **والبقرُ** : حيوانٌ خائرٌ ، فالحيوانُ جنسٌ ؛ لكونِهِ مشتركاً ، والناطقُ والراغي والخائرُ فصولٌ ؛ لكونِها مُختصَّةً .

والشيءُ العامُّ الذي لا خصوصَ فِيه ـ وهوَ الجوهرُ ـ يُسمَّىٰ : **جنساً عالياً** ، **وجنسَ الأجناسِ** ، والأشياءُ التي بينَهُ وبينَ الإنسانِ تُسمَّى : **الأجناسَ المُتوسِّطةَ** إذا نسبتَها لِمَا تحتَها باعتبارِ شمولِها لهُ ، وتُسمَّى : **الأنواعَ المُتوسِّطةَ** إذا نسبتَها لِمَا فوقَها باعتبارِ كونِها مشمولةً لهُ ، وتُسمَّىٰ : **فصولاً** باعتبارِ ما فيها مِنَ الخصوصِ والتمييزِ .

فالجوهرُ : جنسٌ لا غيرُ ، **والجسمُ والنامي والحَسَّاسُ** : أجناسٌ وأنواعٌ وفصولٌ بالاعتباراتِ الثلاثةِ ، **والإنسانُ وما في رتبتِهِ مِنَ الحيوانِ** : أنواعٌ لا غيرُ .

وكيفيةُ تعقُّلِ هٰذهِ المعانِي : أنَّهُم نظروا إلى الأشياءِ المحسوسةِ المتمايزةِ غايةَ التمايزِ وسَمَّوْها : **أشخاصاً** ، ووجدوا أموراً مُشتركةً بينَ جملِ الأشخاصِ اشتراكاً متفاوتاً على الترتيبِ الذي سبقَ شرحُهُ ، فسمَّوها بتلكَ الأسماءِ حسَبَ اختلافِ الاعتباراتِ .

ويُخبَرُ بالنوعِ وسائرِ الأجناسِ عنِ الشخصِ ، والشخصُ لا يُخبَرُ بهِ ، والجنسُ العالي لا يُخبَرُ عنهُ .

والحكماءُ يُسمُّونَ الإخبارَ بالشيءِ عنِ الشيءِ : **حَمْلاً وقولاً** ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ بهِ : **محمولاً ومقولاً** ، ويُسمُّونَ المُخبَرَ عنهُ : **موضوعاً ومقولاً عليهِ** ، فتقولُ :

زيدٌ : إنسانٌ ، وحيوانٌ ، ونامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والإنسانُ : حيوانٌ ، ونامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والحيوانُ : نامٍ ، وجسمٌ ، وجوهرٌ .

والنامي : جسمٌ ، وجوهرٌ .

والجسمُ : جوهرٌ .

وليسَ قبلَ الجوهرِ شيءٌ يكونُ خبراً عنِ الجوهرِ ، وليسَ بعدَ الشخصِ شيءٌ يكونُ الشخصُ مُخبَراً بهِ عنهُ .

فالشخصُ **موضوعٌ** لا غيرُ ، والجنسُ العالي **محمولٌ** لا غيرُ ، وما بينَهُما موضوعٌ لِمَا قبلَهُ ، محمولٌ علىٰ ما بعدَهُ .

والأمرُ الشاملُ يُسمَّىٰ : **عامّاً** ، والمشمولُ يُسمَّىٰ : **خاصّاً** ، والارتباطُ بينَ الشاملِ والمشمولِ يُسمَّىٰ : **عموماً وخصوصاً** ، وتفصيلُ العامّ الشاملِ إلىٰ خاصيَّةِ المشمولينَ لهُ بضمّ الأمورِ المميزةِ التي سبقَ تسميتُها بالفصولِ . . يُسمَّىٰ : **تقسيماً** ، وحينَئذٍ يُسمَّى الشاملُ : **مُقسَّماً** ، ويُسمَّىٰ كلٌّ مِنَ المشمولينَ بالنسبةِ له : **قِسْماً منهُ** ، ويُسمَّىٰ كلٌّ منهُما بالنسبةِ لصاحبِهِ : **قِسْماً لهُ**(١) .

والأنواعُ مُقسِّمةٌ للأجناسِ ، والأجناسُ مُقوِّمةٌ للأنواعِ ، ومُحصِّلةٌ لها بضمّ

---

(١) كذا في الأصل ، ولعله أراد : (قسيماً له) .

الفصولِ إليها ، والجميعُ مُقوّمٌ للشخصِ ؛ فكلُّ عالٍ مُقوِّمٌ للسافلِ ، وكلُّ سافلٍ مُقسِّمٌ للعالي .

*

ـ الصِّنفُ الثالثُ : أحوالٌ تُسمَّىٰ : كمّاً ؛ والكمُّ قسمانِ :

مُتصِلٌ : وهوَ الأبعادُ العارضةُ للجسمِ ؛ مِنَ **الخَطِّ** ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً فقطْ ، **والسَّطحِ** ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً ، **والجسمِ التعليميّ** ؛ وهوَ ما يَنقسِمُ طُولاً وعَرْضاً وعُمقاً ، ومَعروضُ الجسمِ التعليميّ هوَ **الجسمُ الطبيعيُّ** ، والمرادُ **بالطُّولِ** : الامتدادُ المفروضُ أوَّلاً ، والمرادُ **بالعَرْضِ** : الامتدادُ المفروضُ ثانياً ، والمرادُ **بالعُمقِ** : الامتدادُ الآخِذُ مِنَ السَّطحِ الأعلىٰ ذاهباً إلى السَّطحِ الأسفلِ ، فإنِ اعتُبرَ آخِذاً مِنَ الأسفلِ إلى الأعلىٰ . . سُمِّيَ : **سَمْكاً** ، وإنِ اعتُبرَ قائماً واصلاً بينَ السَّطحَينِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أخذٍ مِنْ جهةٍ إلىٰ جهةٍ . . يُسمَّىٰ : **ثِخَناً** ، وهٰذا القسمُ يُسمَّى : **المِقدارَ** .

ومنفصلٌ : وهوَ العددُ .

ويُسمَّى المِقدارُ مُتَّصِلاً ؛ لأنَّ كلَّ جزأَينِ منهُ يَشترِكانِ في نُقطةٍ تكونُ نهايةً لأحدِهِما وبدايةً للآخَرِ ، وتُسمَّىٰ هٰذهِ النُّقطةُ : **حدّاً مُشترَكاً** ، وليسَ للمُنفصِلِ حدٌّ مُشترَكٌ .

ـ الصِّنفُ الرابعُ : أحوالٌ تُسمَّىٰ : كيفاً ؛ والكيفُ : هوَ **المُبصَراتُ** مِنَ الألوانِ والأضواءِ والأشكالِ ، **والمسموعاتُ** ؛ مِنَ الأصواتِ ، **والمشموماتُ** مِنَ الروائحِ ، **والمَذوقاتُ** مِنَ الطُّعومِ ، **والملموساتُ** مِنَ الحرارةِ والبرودةِ ، والنعومةِ والخشونةِ ، وجميعُ ما ذُكِرَ يُسمَّىٰ **بالمحسوساتِ** .

والوجدانياتُ : وهيَ الأحوالُ الباطنةُ ، ما رَسَخَ منها وثبتَ يُسمَّىٰ : **مَلَكَةً** ، وغيرُهُ يُسمَّىٰ : **حالاً** .

والصَّلابةُ واللِّينُ لكونِهما يُدرَكانِ ولو بالغمزِ بعُودٍ في اليدِ . . لم يَعدُّوهُما مِنَ المحسوساتِ ، وهُما مِنَ الكيفياتِ .

❊

ـ **الصِّنفُ الخامسُ** : **حالٌ يُسمَّىٰ : أَيناً** ؛ وهوَ الحصولُ في المكانِ .

ـ **الصِّنفُ السادسُ** : **حالٌ يُسمَّىٰ : متىٰ** ؛ وهوَ الحصولُ في الزمانِ ، والزمانُ أطولُ امتدادٍ وجوديّ يُتوهَّمُ تَجزِئَتُهُ إلى الامتداداتِ المتفاوتةِ ، واسمُ الزمانِ يُطلَقُ عليهِ وعلىٰ جميعِ الامتداداتِ كيفَما كانَتْ ، والجزءُ الذي لا يَنقسِمُ مِنْ أجزاءِ الامتدادِ يُسمَّىٰ : آناً ، واسمُ الدَّهرِ واسمُ السَّرمدِ مُختصَّانِ ؛ **فالدَّهرُ** : الامتدادُ الطويلُ ، **والسَّرمدُ** : الأطولُ .

ـ **الصِّنفُ السابعُ** : **حالٌ يُسمَّىٰ : إضافةً** ؛ وهوَ حالٌ لا يُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ حالٍ آخَرَ ، كما أنَّ الحالَ الآخَرَ لا يُعقَلُ إلَّا بهِ ؛ كالأُبوَّةِ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ البُنوَّةِ ، كما أنَّ البُنوَّةَ لا تُعقَلُ إلَّا بتعقُّلِ الأُبوَّةِ .

ـ **الصِّنفُ الثامنُ** : **حالٌ يُسمَّىٰ : وضعاً** ؛ وهو حالُ الشيءِ المأخوذُ مِنْ نسبةِ أجزائِهِ بعضِها إلىٰ بعضٍ وإلى الخارجِ عنها ؛ كحالِ القائمِ والقاعدِ ، والمقابلِ والمجانبِ ، والفوقِ والتحتِ ، وغيرِ ذٰلكَ .

ـ **الصِّنفُ التاسعُ : حالٌ يُسمَّىٰ : مِلْكاً وجِدَةً ووَجداً** ؛ وهوَ هيئةُ إحاطةٍ طبيعيَّةٍ أو غيرِ طبيعيَّةٍ تُوجِبُ انتقالَ المحيطِ بانتقالِ المُحاطِ ؛ كالجلودِ والملابسِ .

ـ **الصِّنفُ العاشرُ : حالٌ يُسمَّىٰ : فعلاً** ؛ وهوَ التأثيرُ ؛ أي : إيجادُ الأثرِ ، ويُعبَّرُ عنهُ بـ (أن فعلَ) و(أن يفعلَ) .

ـ **الصِّنفُ الحاديَ عشرَ : حالٌ يُسمَّى : انفعالاً** ؛ وهوَ التأثُّرُ ؛ أي : قَبولُ أثرِ المُؤثِّر ، ويُعبَّرُ عنهُ بـ (أنِ انفعلَ) و(أن ينفعلَ) .

وهـٰذهِ الفصولُ التي شرحَتِ الأصنافَ العشرةَ الواقعةَ بعدَ الصِّنفِ الأوَّلِ الذي هوَ وحدَهُ في مقابلةِ مجموعِ هـٰذهِ الأصنافِ . . تُسمَّىٰ **بالمَقولاتِ العشرِ** ، ومجموعُ هـٰذهِ الأصنافِ هوَ المُسمَّىٰ بالعالَمِ وبالممكنِ ، في مقابلةِ ذاتِ الصانعِ الواجبِ الثُّبوتِ .

❋ ❋ ❋

[التكلُّمُ عن أنواعِ المعقولِ ضمنَ مسائلَ]

ثمَّ للمعقولِ حالَ تعقُّلِهِ تنوُّعٌ إلىٰ أنواعٍ يَستحِقُّ كلُّ نوعٍ منها لقباً يَخصُّهُ ، ولنوردْ ذٰلكَ في مسائلَ :

المسألةُ الأولىٰ

[في صورِ المعقولِ ، وأوجهِ تعقُّلِ النِّسَبِ التصديقيَّةِ] (١)

المعقولُ : تارةً يكونُ عيناً مِنَ الأعيانِ ، وتارةً يكونُ حالاً مِنَ الأحوالِ ، وتارةً يكونُ ارتباطَ أمرٍ بأمرٍ ؛ ويُسمَّىٰ ذٰلكَ الارتباطُ : نسبةً ، ونفسُكَ مُحِبَّةٌ للاطِّلاعِ على الأشياءِ الواقعةِ ، ونسبةُ أمرٍ إلىٰ أمرٍ مُتردِّدةٌ عندَكَ بينَ أن تكونَ واقعةً وألَّا تكونَ ، وإن كانَتْ في نفسِها علىٰ حالٍ منهُما ، وحينَئذٍ يكونُ تعقُّلُكَ لها علىٰ ثمانيةِ أوجهٍ :

ـ الوجهُ الأوَّلُ : أن تَتخيَّلَها ضارباً صَفْحاً عن كونِها واقعةً أو غيرَ واقعةٍ .

ـ الوجهُ الثاني : أن تَتعقَّلَها مُنكِراً لوقوعِها مُكذِّباً بهِ .

ـ الوجهُ الثالثُ : أن تَتعقَّلَها مُتردِّداً بينَ الوقوعِ وعدمِهِ ، لا يَتميَّزُ أحدُ طرفَيها عندَكَ على الآخرِ .

ـ الوجهُ الرابعُ : أن تَتعقَّلَها مُرجِّحاً لطرفٍ مِنْ طرفَيها بسببِ أَمارةٍ قامَتْ عندَكَ لا تَصِلُ بكَ إلىٰ حدِّ الجزمِ .

ـ وحينَئذٍ يكونُ الطَّرفُ الآخَرُ مرجوحاً معَ كونِهِ يَحتمِلُ أن يكونَ هوَ الحقَّ ، فلهُ تعقُّلٌ أيضاً ؛ وهوَ الوجهُ الخامسُ مِنْ وجوهِ تعقُّلِ النسبةِ .

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٢١٢) ، و« حاشية العطار علىٰ جمع الجوامع » (١/١٩٢) .

ـ **الوجهُ السادسُ** : أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها عن تقليدِ الغيرِ .

ـ **الوجهُ السابعُ** : أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ حقٌّ يكونُ الجزمُ بهِ مُوجِباً لجزمِكَ بأحدِ طرفَيها ، ويُسمَّىٰ هٰذا المُوجِبُ : **دليلاً وبرهاناً وحُجَّةً** .

ـ **الوجهُ الثامنُ** : أن تَتعقَّلَها جازماً بأحدِ طرفَيها بسببِ جزمِكَ بمعقولٍ آخَرَ هوَ غيرُ حقٍّ ، ويُسمَّىٰ هٰذا المعقولُ : **شُبْهةً** .

التعقُّلُ في الوجهِ الأَوَّلِ يُسمَّىٰ : **تَخيُّلاً** ، وفي الثاني يُسمَّىٰ : **تكذيباً** ، وفي الثالثِ يُسمَّىٰ : **شكّاً** ، وفي الرابعِ يُسمَّىٰ : **ظنّاً** ، وفي الخامسِ يُسمَّىٰ : **وَهْماً** ، وفي السادسِ يُسمَّىٰ : **تقليداً** ، وفي السابعِ يُسمَّىٰ : **يقيناً** ، وفي الثامنِ يُسمَّىٰ : **جهلاً مركَّباً** .

وكلٌّ مِنَ الظَّنِّ والتقليدِ واليقينِ والجهلِ المُركَّبِ . . يُسمَّىٰ : **تصديقاً** ، وما عدا هٰذهِ الأربعةَ ـ وهوَ ستَّةُ تعقُّلاتٍ ـ يُسمَّىٰ : **تصوراً** ؛ **فالتعقُّلُ** : إمَّا تصوُّرٌ ، وإمَّا تصديقٌ .

المسألةُ الثانيةُ

[في انقسامِ التعقُّلِ إلىٰ نظريٍّ وبديهيٍّ ، وأنواعِ البديهياتِ]

التعقُّلُ : إن كانَ مستفاداً مِنْ تعقُّلٍ آخَرَ . . يُسمَّىٰ : **نظريّاً** ، وإن لم يكنْ مستفاداً مِنْ تعقُّلٍ آخَرَ . . سُمِّيَ : **بديهياً** .

والبديهيُّ ستَّةُ أنواعٍ :

ـ **النوعُ الأَوَّلُ** : **ويُسمَّىٰ بالأولياتِ** ؛ وهيَ نِسَبٌ تجزمُ بها بمُجرَّدِ تصوُّرِ المنسوبِ والمنسوبِ إليهِ .

ـ **النوعُ الثاني** : **ويُسمَّىٰ بالمشاهداتِ** ؛ وهيَ المحسوساتُ والوجدانياتُ .

ـ النوعُ الثالثُ : ويُسمَّىٰ بالتجرِبيَّاتِ ؛ وهيَ التعقُّلاتُ التي تُستفادُ مِنَ التجربةِ .

ـ النوعُ الرابعُ : وتُسمَّىٰ بالحدسيَّاتِ ؛ وهيَ التي تُستفادُ مِنَ الحَدْسِ والتخمينِ الكثيرِ الصِّدْقِ .

ـ النوعُ الخامسُ : وتُسمَّىٰ بالفطرياتِ ؛ وهيَ تعقُّلاتٌ مفيدُها حاضرٌ معَها دائماً .

ـ النوعُ السادسُ : وتُسمَّىٰ بالتواتريَّاتِ ؛ وهيَ تعقُّلاتٌ تفيدُها أخبارٌ تَنقُلُها جماعةٌ ، لا يُجوِّزُ العقلُ تَواطُؤَهُم وتوافقَهُم على الكذبِ ، عن مثلِهِم ، حتىٰ ينتهيَ ذٰلكَ إلى المشاهدةِ .

المسألةُ الثالثةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلىٰ كليٍّ وجزئيٍّ] (١)

المعقولُ : إن كانَ شاملاً لأكثرَ مِنْ شيءٍ . . سُمِّيَ كلِّيّاً ، وإن لم يكنْ لهُ شمولٌ . . سُمِّيَ جزئيّاً .

ويُسمَّىٰ شمولُ الشيءِ للشيءِ : صِدْقاً ، ويُسمَّى الشاملُ : صادقاً على المشمولِ ، ويُسمَّى المشمولُ : ماصَدَقاً وفرداً .

المسألةُ الرابعةُ

[في انقسامِ المعقولِ إلىٰ كلٍّ وجزْءٍ] (٢)

المُركَّبُ مِنْ شيئَينِ يُسمَّىٰ : كُلّاً ، والشيئانِ اللَّذانِ تَركَّبَ منهُما يُسمَّيانِ :

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٦٩) .

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٧٨) .

جزأينِ ، فيُنسَبُ الجزءُ إلى الكلِّ لكونِهِ داخلاً فيهِ ، فيُقالُ لهُ : **كُلِّيٌّ** ، ويُنسَبُ الكلُّ إلى الجزءِ لكونِهِ صاحبَهُ ، فيُقالُ : جزئيٌّ ، ومِنْ هنا يُقالُ : (كلُّ كلِّيٍّ جزءٌ لجزئيِّهِ ، وكلُّ جزئيٍّ كلٌّ لكلِّيِّهِ) .

المسألةُ الخامسةُ
[في الكليَّاتِ الخمسةِ] (١)

طبيعةُ الشيءِ ذاتُهُ مِنْ جهةِ كونِها مبدأً ومَنشأً لآثارِهِ المُختصَّةِ بهِ ، فالإنسانُ مثلاً مَنشأٌ للنطقِ وتوابعِهِ مِنْ حيثُ إنَّهُ إنسانٌ ، لا مِنْ حيثُ كونُهُ حيواناً ، وإلَّا . . لكانَ كلُّ حيوانٍ مَنشأً للنطقِ وتوابعِهِ ، والحيوانُ مِنْ حيثُ إنَّهُ حيوانٌ مَنشأٌ للحِسِّ والحركةِ الإراديةِ ؛ فالإنسانُ ذو طبيعتَينِ ؛ طبيعةٌ مُشترَكةٌ ، وطبيعةٌ مُختصَّةٌ ؛ وهيَ الجنسُ والفصلُ ، وبهٰذا يُسمَّىٰ : **حقيقةً مُركَّبةً** ، **ونوعاً** .

والنوعُ والجنسُ والفصلُ تُسمَّىٰ بالكليَّاتِ الذاتيَّةِ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المُختصَّةِ بالنوعِ ليخبرَ بهِ عنهُ يُسمَّىٰ : **خاصَّةً** ؛ كالضاحكِ المأخوذِ مِنَ الضَّحكِ المُختصِّ بالإنسانِ ليُخبَرَ بهِ عنهُ ، وما يُؤخَذُ مِنَ الأحوالِ المشترَكةِ بينَ نوعَينِ فأكثرَ يُسمَّىٰ : **عرضيّاً عامّاً** ؛ كالماشي المأخوذِ مِنَ المَشْيِ الذي هوَ عَرَضٌ عامٌّ للإنسانِ وغيرِهِ مِنْ أنواعِ الحيوانِ ، والخاصَّةُ والعَرَضيُّ العامُّ كلِّيَّانِ ؛ لكونِهِما شاملَينِ .

فالكليَّاتُ خمسةٌ :

النوعُ ، والجنسُ ، والفصلُ ، والخاصَّةُ ، والعَرَضيُّ العامُّ ، وما عداها فجزئيَّاتٌ وأفرادٌ وأشخاصٌ .

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٦٧) .

المسألةُ السادسةُ

[في النسبةِ بينَ مفهومَينِ][1]

كلُّ مفهومَينِ قرنتَ بينَهُما ـ لا محالةَ ـ يكونُ بينَهُما إحدىٰ نسبٍ أربعٍ ؛ وهيَ التساوِي ، والتباينُ ، والعمومُ والخصوصُ المُطلَقانِ ، والعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ .

لأنَّهُما إن تصادقا تصادقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ يكونُ جميعُ الأفرادِ التي هيَ مشمولةٌ لأحدِهِما مشمولةً للآخَرِ ، كما بينَ النوعِ والفصلِ وخواصِّهِ . . فهيَ **التساوِي** ، وحينَئذٍ يُسمَّى المفهومانِ اللَّذانِ هـٰذا شأنُهُما **بالمتساويَينِ** .

وإن تفارقا تفارقاً كلِّيّاً ؛ بحيثُ لا يكونُ شيءٌ مِنْ أفرادِ أحدِهِما فرداً للآخَرِ ، كما بينَ نوعٍ ونوعٍ . . فهوَ التباينُ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ **بالمُتباينَينِ** .

وإن تصادقا علىٰ شيءٍ وانفردَ واحدٌ منهُما بشيءٍ يَصدُقُ هوَ عليهِ دونَ الآخَرِ . . فهوَ **العمومُ والخصوصُ** المُطلَقانِ ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ **بالعامِّ المُطلَقِ والخاصِّ المُطلَقِ** ، كما بينَ الأجناسِ والأنواعِ .

وإن تصادقا علىٰ شيءٍ واختصَّ كلٌّ منهُما بشيءٍ كما في العَرَضيَّاتِ معَ أنفسِها أو معَ غيرِها . . **فالعمومُ مِنْ جهةٍ والخصوصُ مِنْ جهةٍ** ، وحينَئذٍ يُسمَّيانِ **بالعامِّ مِنْ جهةٍ والخاصِّ مِنْ جهةٍ** ، وهـٰذهِ النِّسَبُ هيَ مَنشأُ جميعِ الأحكامِ .

المسألةُ السابعةُ

[في بيانِ القياسِ الحمليِّ ، والشرطيِّ المتصلِ والمنفصلِ][2]

الحكمُ : هوَ إدراكُ الارتباطِ بينَ الشيءِ [والشيءِ] علىٰ وجهِ الاعترافِ بوقوعِهِ ، فهوَ بمعنى التصديقِ .

---

(١) انظر « شرح تنقيح الفصول » (ص ٩٦) .

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٢٠) .

ثمَّ الارتباطُ بينَ الشيئَينِ ثلاثةُ أنواعٍ :

ـ **النوعُ الأوَّلُ** : ثبوتُ أمرٍ لأمرٍ أو انتفاؤُهُ عنهُ ، ويُسمَّىٰ : **نسبةً حمليَّةً** ؛ وذٰلكَ كالنسبةِ في قولِكَ : (العدلُ حسنٌ) و(الظلمُ ليسَ بحسنٍ) .

ـ **النوعُ الثاني** : لزومُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرىٰ ؛ بمعنىٰ : أن يكونَ بينَ وقوعَيهِما لزومٌ ؛ وهوَ امتناعُ الانفكاكِ بحيثُ يَحصُلُ واحدٌ ولا يَحصُلُ الآخرُ ، وذٰلكَ كالنسبةِ في قولِكَ : (إن كانَتِ الشمسُ طالعةً . . كانَ النهارُ موجوداً) ويُسمَّى الأَوَّلُ : **ملزوماً** ، والثاني : **لازماً** .

ـ **النوعُ الثالثُ** : عنادُ وقوعِ نسبةٍ لوقوعِ نسبةٍ أخرىٰ ؛ فهُما لا يَقعانِ معاً ولا يَرتفعانِ معاً ، أو لا يقعانِ معاً وقد يَرتفِعانِ ، أو لا يَرتفِعانِ معاً وقد يَقعانِ معاً ؛ كالنسبةِ في قولِكَ : (إمَّا أن تكونَ الشمسُ طالعةً ، وإمَّا أن يكونَ النهارُ غيرَ موجودٍ) .

والنوعُ السابقُ يُسمَّى : **النسبةَ الشرطيَّةَ الاتصاليَّةَ** ، وهٰذا النوع يُسمَّى : **النسبةَ الشرطيَّةَ الانفصاليَّةَ** .

ومَنشأُ الاتصالِ : السببيَّةُ في الوجودِ أو التضايفِ ، ومَنشأُ الانفصالِ : التناقضُ والتضادُّ .

والنقيضانِ : هما الأمرانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوعٍ ولا يَرتفِعانِ معاً عنهُ ؛ وهما الثبوتُ والانتفاءُ ، أو ما يساوي الانتفاءَ ؛ مثلُ قولِكَ : (العددُ : زوجٌ أو لا زوجٌ) ، وقولِكَ : (العددُ : زوجٌ أو فردٌ) فقولك : (فردٌ) يساوي قولَكَ : (لا زوجٌ) .

والضِّدَّانِ : هما الأمرانِ الوجوديانِ اللَّذانِ لا يَجتمعانِ في موضوعٍ وقد يَرتفِعانِ لحلولِ ثالثٍ بدلَهُما ؛ كالبياضِ والسَّوادِ المرتفعَينِ عنِ الأحمرِ مثلاً .

ويُسمَّى الحكمُ : إيجاباً وسلباً ، وإثباتاً ونفياً ، ويُسمَّى الطرفُ الأوَّلُ في النسبةِ الحمليَّةِ : **موضوعاً** ، والثاني : **محمولاً** ، كما سبق ، ويُسمَّى الأوَّلُ في الشرطيتَينِ : **مُقدَّماً** ، والثانِي : **تالياً** .

المسألةُ الثامنةُ

[في أنواعِ الحدودِ] (١)

تمييزُ الشيءِ بذكرِ ما يميِّزُهُ من فصْلٍ أو خاصَّة يُسمَّىٰ : **تعريفاً** ، والتعريفُ بجنسِهِ القريبِ وفصلِهِ يُسمَّىٰ : **حدّاً تامّاً** ، وبجنسِهِ البعيدِ والفصلِ يُسمَّىٰ : **حدّاً ناقصاً** ، وبجنسِهِ القريبِ وخاصَّتِهِ يُسمَّىٰ : **رسماً تامّاً** ، وغيرُهُ يُسمَّىٰ : **رسماً ناقصاً** .

والأُدباءُ يُسمُّونَ كلَّ مُميِّزٍ للشيءِ عن غيرِهِ حدّاً ورسماً ، ولا يُفصِّلونَ تفصيلَ أهلِ المَنطِقِ .

المسألةُ التاسعةُ

[في أنواعِ النِّسَبِ ، والخبرِ والإنشاءِ] (٢)

العبارةُ عنِ النسبةِ وطرفَيها **مُركَّبٌ تامٌّ** إن كانَتِ النسبةُ مقصودةً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَصِحُّ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُ النسبةَ بهيئتِهِ التركيبيَّةِ ، ويُسمَّى المُركَّبُ التامُّ : **قضيةً وكلاماً خبريّاً** إن كانَ حكايةً عن واقعٍ ، **وإنشائيّاً** إن لم يكنْ حكايةً عن واقعٍ .

وناقصٌ إن كانَتِ النسبةُ غيرَ مقصودةٍ بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ السكوتُ على المُركَّبِ الذي يفيدُها بهيئتِهِ ؛ وهيَ [كنسبةِ] المملوكِ إلى المالكِ ،

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ١٨٦) .

(٢) انظر « حاشية الصبان على الملوي على السلم » (ص ٨٨) .

وتُسمَّى : **النسبةَ الإضافيَّةَ** ؛ مثلُ : (دارُ زيدٍ) و(عبدُ عمرٍو) ، ونسبةُ الصفةِ إلى الموصوفِ ، وتُسمَّى : **النسبةَ التوصيفيَّةَ** ؛ مثلُ قولِكَ : (الرجلُ العاقلُ) و(الإنسانُ الكاملُ) ، وكلتا هاتَينِ النسبتَينِ تُسمَّىٰ **بالتقييديَّةِ** ، وهيَ لا تُخرِجُ المعقولَ عن كونِهِ تصوُّراً .

والعبارةُ عن غيرِ النسبةِ مفردٌ : **فعلٌ** إن أفادَ تأثيراً أو تأثُّراً في أحدِ الأزمنةِ الثلاثةِ ؛ الماضي والحالِ والآتي ؛ طلباً لذٰلِكَ أو إخباراً عنهُ ، **واسمٌ** إن كانَ مَفادُهُ عيناً مِنَ الأعيانِ أو حالاً مُستقِلّاً بالمعقوليَّةِ والملاحظةِ ، **وحرفٌ** إن كانَ مَفادُهُ حالاً غيرَ مُستقِلٍّ بالمعقوليَّةِ ، بل كانَ لا يمكنُ تعقُّلُهُ إلَّا بالتبعيَّةِ لتعقُّلِ غيرِهِ .

فالعبارةُ : إمَّا مُركَّبٌ ، وإمَّا مُفرَدٌ ، **والمُركَّبُ** : إمَّا تامٌّ ، وإمَّا ناقصٌ ، **والمُفرَدُ** : إمَّا فعلٌ ، وإمَّا اسمٌ ، وإمَّا حرفٌ .

ومِنْ هنا أمكنَ أن نشرعَ في العلومِ العربيَّةِ التي موضوعُها الألفاظُ ، وأمكنَ أن نُتمِّمَ المسائلَ المَنطِقيَّةَ التي ما سبقَ مِنَ المسائلِ بعضُها ، فنقولُ على الإجمالِ :

المسألةُ العاشرةُ
[في أنواعِ القضايا] (١)

القضيةُ إن كانَ موضوعُها شخصاً . . **سُمِّيَتْ شخصيَّةً ومخصوصةً** ، وإن كانَ موضوعُها غيرَ شخصٍ ؛ فإن حُكِمَ فيها علىٰ جميعِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في موضوعِها لفظةُ (كلٍّ) . . سُمِّيَتْ : **كُلِّيَّةً** ، ولفظةُ (كلٍّ) تُسمَّىٰ : **سُوراً** ، وإن حُكِمَ فيها علىٰ بعضِ الأفرادِ ، وذُكِرَ في الموضوعِ لفظةُ (بعضٍ) . . سُمِّيَتْ : **جزئيَّةً** ، ويُسمَّىٰ لفظُ (البعضِ) : **سُوراً** ، وإن حُكِمَ على الأفرادِ ولم يُذكَرْ لفظُ (كلٍّ) ولا (بعضٍ) . . سُمِّيَتْ : **مُهمَلةً** ، وهيَ جزئيَّةٌ في الاستعمالِ ، وإن

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨١) .

لم تُلحَظِ الأفرادُ وكانَ الحكمُ علىٰ طبيعةِ المعنى الشاملِ ؛ مثلُ : (الحيوانُ جنسٌ) ، و(الإنسانُ نوعٌ) . . سُمِّيَتْ : طبيعيَّةً .

فالقضيَّةُ : شخصيةٌ ، أو كليةٌ ، أو جزئيةٌ ، أو مهملةٌ ، أو طبيعيةٌ .

وما أفادَ العمومَ مِنَ الألفاظِ يقومُ مَقامَ لفظةِ (كلٍّ) في التسويرِ ؛ مثلُ : (جميعاً) و(قاطبةً) و(طُرّاً) في الإيجابِ ، و(لا شيءَ) و(لا واحدَ) في السَّلبِ .

وكلفظِ (البعضِ) ما أفادَ البعضيَّةَ والجزئيَّةَ إيجاباً وسلباً ؛ كـ (واحدٍ) و(شيءٍ) و(رُبَّ واحدٍ) و(ليسَ بعض) و(بعضٌ ليسَ) و(ليسَ كلّ) .

المسألةُ الحاديةَ عشرةَ

[في انقسامِ القضايا إلىٰ ضروريةٍ وممكنةٍ](١)

ثبوتُ شيءٍ لشيءٍ أوِ انتفاؤُهُ عنهُ : إمَّا أن يكونَ واجباً لا يُجوِّزُ العقلُ خلافَهُ ؛ بحيثُ يُقالُ : بالضَّرورةِ هٰذا كذا ، أو ليسَ كذا ، وحينَئذٍ تُسمَّى القضيةُ : ضروريَّةً ، وإن كانَ كلٌّ مِنَ الثبوتِ والانتفاءِ ممكناً ؛ بحيثُ يُجوِّزُ العقلُ كُلّاً بدلَ الآخَرِ . . سُمِّيَتْ ممكنةً .

فالقضايا : ضرورياتٌ ، أو ممكناتٌ .

المسألةُ الثانيةَ عشرةَ

[في أدلَّةِ صدقِ القضايا](٢)

حيثُ كانَتِ القضيةُ حكايةً عن واقعٍ . . جازَ أن تكونَ مطابقةً لهُ ، وألَّا تكونَ مطابقةً .

---

(١) انظر « محك النظر » (ص ٨٣) .

(٢) انظر « معيار العلم » (ص ١٤٩ ، ١٨٤ ، ١٩٠) .

والمطابقةُ تُسمَّىٰ : صِدْقاً ، وعدمُ المُطابقةِ يُسمَّىٰ : كذباً ، وحينَئذٍ لا يلتزمُ العقلُ الوقوفَ عن تجويزِهِما إلَّا بمُلزِمٍ ؛ وذٰلكَ المُلزِمُ يُسمَّىٰ : **دليلاً وحُجَّةً** ، وكذٰلِكَ لا يُرجِّحُ أحدَهُما إلَّا بمُرجِّحٍ ؛ ويُسمَّىٰ : **أَمارةً** .

والدليلُ ثلاثةُ أنواعٍ : نوعٌ يُسمَّى : **استقراءً** ، ونوعٌ يُسمَّىٰ : **تمثيلاً** ، ونوعٌ يُسمَّىٰ : **قياساً** .

ـ **الاستقراءُ** : تَتبُّعُ جميعِ أفرادِ الشيءِ ليحكمَ عليها بحكمٍ كلِّيٍّ ، ويُسمَّى : **استقراءً تامّاً** ، أو تتبعُ أكثرِ الأفرادِ لذٰلِكَ ، ويُسمَّى : **استقراءً ناقصاً** ؛ كتتبُّعِ أكثرِ أفرادِ الحيوانِ ، فقالوا : (كلُّ حيوانٍ يُحرِّك فَكَّهُ الأسفلَ) ، فوُجِدَ التِّمساحُ علىٰ خلافِ ذٰلكَ .

ـ **والتمثيلُ** : إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ في صفةٍ ليحكمَ على المُلحَقِ بحكمِ المُلحَقِ به ؛ حيثُ تكونُ تلكَ الصفةُ هيَ السببَ في الحكمِ على المُلحَقِ بهِ بذٰلِكَ الحكمِ .

ـ **والقياسُ** : تصديقانِ يَلزمُهُما تصديقٌ ثالثٌ ، والتصديقانِ يُسمَّيانِ : **مُقدِّمتَيِ القياسِ** ، والتصديقُ الثالثُ يُسمَّىٰ : **نتيجةً** ، والنتيجةُ قبلَ الاستدلالِ تُسمَّىٰ : **مطلوباً** ، والمُقدِّمتانِ تشتملُ إحداهُما علىٰ موضوعِ النتيجةِ ، والأخرىٰ علىٰ محمولِها ، وتَشترِكانِ في شيءٍ يكونُ سبباً لربطِ محمولِ النتيجةِ بموضوعِها ، وحينَئذٍ يُسمَّىٰ موضوعُ النتيجةِ حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ : **حدّاً أصغرَ** ، ويُسمَّىٰ محمولُها حالَ كونِهِ في المُقدِّمةِ التي اشتملَتْ عليهِ : **حدّاً أكبرَ** ، ويُسمَّى المُشترَكُ : **حدّاً**

وَسَطاً ، وحينَ الاستدلالِ يَسقطُ المُشترَكُ ، فتنتظمُ النتيجةُ ، وتُسمَّىٰ ذاتُ المُقدِّمتَينِ : مادَّةَ القياسِ ، وتُسمَّىٰ هيئتُهُما الحاصلةُ لهُما مِنْ تأليفِهِما : صورةً وشكلاً .

والشَّكلُ يكونُ علىٰ أنحاءٍ شتَّىٰ ، كلُّ نحوٍ منها يُسمَّىٰ : ضرباً ، وللشكلِ صحَّةٌ وفسادٌ ، فالأشكالُ الصحيحةُ تُسمَّىٰ : ضُروباً مُنتِجةً ، والفاسدةُ تُسمَّىٰ : ضُروباً عقيمةً .

ثمَّ القياسُ باعتبارِ صورتِهِ نوعانِ : نوعٌ يُسمَّى : اقترانيّاً ، ونوعٌ يُسمَّى : استثنائيّاً .

فالاقترانيُّ : مثلُ قولِكَ : (كلُّ إنسانٍ حيوانٌ ، وكلُّ حيوانٍ مُتنفِّسٌ) يُنتِجُ : (كلُّ إنسانٍ مُتنفِّسٌ) .

والاستثنائيُّ : مثلُ قولِكَ : (لو كانَ هـٰذا الشيءُ حيواناً . . لكانَ مُتنفِّساً ، لـٰكنَّهُ غيرُ مُتنفِّسٍ) يُنتِجُ : (هـٰذا الشيءُ غيرُ حيوانٍ) .

والقياسُ باعتبارِ مادَّتِهِ : خمسةُ أنواع تُسمَّىٰ بالصِّناعاتِ الخمسِ ؛ لأنَّهُ إن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ يقينيةٍ بديهيةٍ أو منتهيةٍ إلى البديهيةِ . . فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالبرهانِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مُسلَّمةٍ عندَ الخصمِ وإن لم تكنْ حَقَّةً في نفسِها . . فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ بالجَدَلِ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ مقبولةٍ مشهورةٍ صادرةٍ عمَّنْ يَحسُنُ فيهِ الاعتقادُ . . فهوَ نوعٌ يُسمَّى : الخَطابةَ ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ مُقدِّماتٍ تخييليَّةٍ تُؤثِّرُ في الأنفسِ قبضاً أو بسطاً . . فهوَ نوعٌ يُسمَّىٰ : شعراً ، وإن كانَ مُؤلَّفاً مِنْ قضايا باطلةٍ وهميَّةٍ . . فهوَ نوعٌ يُسمَّى : السَّفسطةَ .

والمُتكلِّمُ بالبرهانِ يُسمَّىٰ : حكيماً ، والمُتكلِّم بالسَّفسطةِ يُسمَّىٰ

[سُوفسطائيّاً] [1] ، وكلامُهُ معَ الحكيمِ يُسمَّىٰ : مغالطةً ، ومعَ غيرِهِ يُسمَّىٰ : مشاغبةً .

والبرهانُ أشرفُ أنواعِ الدليلِ ، والحصولُ عليه أحسنُ غايةٍ .

وحيثُ كانَ الغرضُ التكلُّمَ على العلومِ العربيَّةِ ، وكانَ فهمُ كثيرٍ مِنْ مسائلِها فهماً حقيقيّاً مُتوقِّفاً على الشعورِ بما أسلفنا مِنَ المسائلِ الحُكْميَّةِ . . وجبَ أن نَقتصِرَ علىٰ هٰذا القَدْرِ ، ونشرعَ فيما هوَ المقصودُ بالأصالةِ ؛ فنقولُ :

---

(١) في الأصل : (سوفسطي) .

المقصد الثّاني
في حدّ اللّغة، ودواعي وضعها

[تعريفُ اللغةِ وأقسامُ علومِها]

اللغةُ العربيةُ : ألفاظٌ معدودةٌ عُيِّنَتْ عندَ العربِ للأشياءِ لتحضرَ بها في العقولِ عندَ الإرادةِ ، كانوا يَنطِقونَ بها علىٰ صورٍ مُعيَّنةٍ إفراداً وتركيباً .

اللفظُ : يكونُ حرفاً ، ويكونُ أكثرَ ، والحروفُ التي تتكوَّنُ منها الألفاظُ تُسمَّىٰ : **حروفَ المباني** ، والحروفُ بالمعنى السابقِ في تفصيلِ العبارةِ مِنَ المسائِلِ المَنطِقيَّةِ تُسمَّىٰ : **حروفَ المعاني** ، وربَّما كانَ حرفُ المعنىٰ حرفَ مبنىً واحداً ، ويكونُ حرفَيْ مبنىً ، ويكونُ أحرفاً .

وحرفُ المبنىٰ : صوتٌ مقطوعٌ علىٰ مقطعٍ مِنَ المقاطعِ التسعةِ والعشرينَ التي تُسمَّىٰ : **مخارجَ الحروفِ** حَسَبَ ما وُجِدَ فِي اللغةِ العربيةِ .

والصوتُ : كيفيةٌ قائمةٌ بالهواءِ ؛ أي : حالةٌ مسموعةٌ منسوبةٌ إلى الكيفِ الذي فُصِّلَ فِي المَقولةِ الثالثةِ (١) .

وتعيينُ اللفظِ للشيءِ بحيثُ يكونُ وظيفةُ اللفظِ إحضارَ ذٰلكَ الشيءِ في أذهانِ المخاطبينَ عندَ إطلاقِهِ وإرسالِهِ مِنَ الفمِ . . يُسمَّىٰ : **وضعاً** .

ويُسمَّى الشيءُ الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ : **معنىً** ؛ أي : موضعَ العنايةِ والقصدِ ، وإحضارُ اللفظِ معناهُ في ذهنِ مَنْ عَلِمَ وضعَهُ عندَ سماعِهِ يُسمَّىٰ : **دلالةً** ، واللفظُ : **الدالُّ** ، والمعنىٰ : **مدلولٌ** ، وحروفُ اللفظِ تُسمَّىٰ : **مادَّتَهُ** ، والهيئةُ الحاصلةُ للحروفِ مِنْ تأليفِها وأوصافِها مِنْ حركاتٍ وسكناتٍ تُسمَّى : **الصورةَ الإفراديَّةَ** ، ومادةُ المُركَّبِ : لفظانِ فأكثرَ ، وصورتُهُ : الهيئةُ الحاصلةُ لهُ مِنْ التأليفِ المُرتَّبِ علىٰ تألُّفِهِ وارتباطِهِ معنىً .

---

(١) تقدم (١/٨٢) .

والعِلْمُ الذِي يُعرِّفُكَ أوضاعَ الألفاظِ لمعانيها . . هوَ المُسمَّىٰ **بعِلْمِ متنِ اللغةِ** ، وللألفاظِ باعتبارِ تخالفِها في المعاني التي وُضِعَتْ لها . . أحوالٌ بحثَ بعضُ العلماءِ عنها ، وضبطُوها وفصَّلُوها ، وسمَّوْها : **فقهَ اللغةِ** .

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ الألفاظِ الإفراديَّةِ وكيفيةَ النطقِ بها . . هوَ المُسمَّىٰ **بعِلْمِ الصَّرفِ** .

والعِلْمُ الذي يُعرِّفُكَ صورَ المُركَّباتِ ، وأنَّ معانيَ المُركَّباتِ تَختلِفُ باختلافِ صورِها . . هوَ المُسمَّىٰ **بعِلْمِ النَّحْوِ** .

فالكلامُ على اللغةِ العربيَّةِ في هٰذا المَقصِدِ ثلاثةُ أقسامٍ :

- قسمُ فقهِ اللغةِ .
- وقسمُ الصرفِ .
- وقسمُ النحْوِ .

وأمَّا عِلْمُ متنِ اللغةِ . . فليسَ مِنَ القوانينِ ، وإنَّما هوَ سردُ الألفاظِ ، وذكرُ ما لهُ وُضِعَتْ ، وقد أكثرَ الناسُ فيهِ مِنْ وَضْعِ الكتبِ ما بينَ مُكثِرٍ ومُقِلٍّ ، وأسهلُها وأنفعُها ما كانَ مُبوَّباً بالأواخرِ ، مُفصَّلاً بالأوائلِ ، مميَّزَ المَوادِّ ؛ كـ « قاموسِ » المجدِ ، و« أقيانوسِ » عاصمٍ رحمَهُما اللهُ تعالىٰ[1] ، وسَيرِدُ عليكَ عندَ الكلامِ علىٰ فقهِ اللغةِ ألفاظٌ مبينةُ المعنىٰ لا تخرجُنا عن مَقصِدِ بيانِ القوانينِ .

ولا بأسَ بالتكلُّمِ علىٰ أُمَّةِ العربِ بما عسىٰ أن يكونَ مُقيّداً[2] فيما إليهِ قصدُنا ، فنقولُ :

---

(١) أراد مجد الدين الفيروزابادي ، وأحمد عاصم العينتابي .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (مفيداً) .

[لمحةٌ عن أُمَّةِ العربِ] (١)

أُمَّةُ العربِ : إحدى الأُممِ المُتميّزةِ بالألسنةِ ، والعوائدِ ، والمساكنِ .

أمَّا مساكنُهُم . . فكانَ أوَّلُها أرضَ اليمنِ ، فلمَّا كثروا وانتشروا في البلادِ . . استقرَّ أمرُهُم علىٰ سكنىٰ جميعِ اليمنِ وما تحتَها إلىٰ جهةِ الشمالِ مِنْ نجدٍ والحجازِ وتِهامةَ ، وهيَ في ترتيبِ الهُبوطِ علىٰ هٰذا الترتيبِ ؛ أخذاً مِنَ الجَنوبِ إلى الشمالِ ، وبعضِ أرضِ الشَّامِ من جهةِ الشمالِ أيضاً ، ومِنْ جهةِ الشَّرقِ الحِيرةُ وما صاقبَهُما ، ويُسمَّىٰ : عراقَ العربِ .

وأمَّا عوائدُهُم . . فكثيرةٌ مُفصَّلةٌ مُبيَّنةٌ في أشعارِهِم وأخبارِهِم ، وقد وُضِعَ لذٰلكَ كتبٌ كثيرةٌ .

منها : أنَّهُم كانوا لا يخالطونَ غيرَ جنسِهِم إلَّا مخالطةَ التجارةِ ؛ يذهبونَ إلىٰ أطرافِ بلادِهِم وأطرافِ بلادِ غيرِهِم ، فيعطونَ ما عندَهُم ، ويأخذونَ ما عندَ غيرِهِم ، ثمَّ يَرجِعونَ إلىٰ مَقارِّهِم .

ومنها : أنَّهُم كانوا لا يُدخِلونَ في أنسابِهِم دخيلاً مِنْ غيرِهِم ؛ لا مِنْ جهةِ العَصَبِ ، ولا مِنْ جهة الرَّحِمِ ، ويستنكرونَ ذٰلِكَ استنكاراً عظيماً ، حتىٰ إنَّ ذٰلكَ إذا كانَ في خيلِهِم أو إبلِهِم . . استنكروهُ واستنكفوا منهُ ، وربَّما كانَ بعضُ الأوضاعِ أو مَنْ غلبَتْ عليهِ الأحوالُ البهيميةُ داخَلَ غيرَ العربِ ، وكانَ منهُ نسلٌ ؛ فإذا كانَ الفحلُ عربياً والأُنثىٰ غيرَ عربيةٍ . . سُمِّيَ النسلُ الحاصلُ بينَهُما : هجيناً ، ومنهُ اشتقاقُ الهُجْنةِ ، وهَجَّنَهُ ؛ أي : قبَّحَ أمرَهُ ،

---

(١) انظر « الرحيق المختوم » (ص ١٩) .

وإذا كانَتِ الأُنثىٰ عربيةً والفحلُ غيرَ عربيٍّ . . سُمِّيَ النسلُ : [مُقرِفاً] ، فهُم كانوا يتحاشَونَ [الإقرافَ] والهُجْنةَ ، بل كانَ بعضُ القبائلِ يحافظونَ علىٰ أنفسِهِم لا يخالطونَ غيرَهُم مِنَ العربِ .

ومنها : محافظتُهُم على الأنسابِ ، ومِنْ ذٰلكَ كانوا شُعوباً وقبائلَ وعمائرَ وفصائلَ وأفخاذاً وبطوناً وبيوتاً ، كلُّ اسمٍ مِنْ هٰذهِ الأسماءِ لقبٌ لجماعةٍ يجمعُهُم جَدٌّ ، فجدُّ الشَّعْبِ أعلىٰ جدٍّ معروفٍ ، وجدُّ البيتِ أدنى الجدودِ إلىٰ جماعةِ البيتِ ، فكانَ الواحدُ ينتسبُ فيَعُدُّ مِنَ الجدودِ عدداً متفاوتاً ؛ فمنهُمُ المُقِلُّ والمُتوسِّطُ والمُكثِرُ .

وأعدلُ الأنسابِ نسبُ النبيِّ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، الذي ينتهي بالتحقيقِ إلىٰ عدنانَ ، وإلىٰ عدنانَ تُنسَبُ العربُ العدنانيَّةُ ، وهُم غيرُ أهلِ اليمنِ ، وأهلُ اليمنِ يُسمَّونَ بالعربِ القحطانيَّةِ ؛ نسبةً إلىٰ قحطانَ الذي يُقالُ : إنَّهُ أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ باللغةِ العربيَّةِ ، ومنهُ كانَ نَشْؤُها ، وكانَتْ تربيتُها وكثرتُها واتساعُها . . بحَسَبِ كثرةِ أولادِهِ ، حتى انتهتْ بانتهائِهِم ، ويُقالُ لأولادِ قحطانَ قبلَ دخولِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ عليهِما الصلاةُ والسلامُ فيهِم : العربُ العاربةُ والعَرباءُ ، فلمَّا دخلَ فيهِم إسماعيلُ ، ونشأَ فيهِم ، وتكلَّمَ بلغتِهِم ، ونسلَ حتىٰ قامَ منهُ جيلٌ عظيمٌ[1] . . قيلَ لهُ ولأولادِهِ : العربُ المُستعرِبةُ والمُتعرِّبةُ .

فالعربُ إذاً قسمانِ : عَرباءُ ومُتعرِّبةٌ ، وأوَّلُ شَعْبٍ اشتَهرَ مِنْ ولدِ إسماعيلَ . . عدنانُ ؛ أوَّلُ النَّسبِ الصحيحِ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ اشتَهرَ نزارٌ ، ثمَّ اشتَهرَ أربعةُ شعوبٍ مِنْ أولادِ نزارٍ : مُضَرُ ، وربيعةُ الفرسِ ، وإيادٌ ، وأنمارٌ ؛ أولادُ صلبِ نزارٍ ، وصاروا قبائلَ أربعةً كباراً ، ثم اشتَهرَ

---

(١) قوله : (نَسَلَ) أي : كثر نسله .

كنانةُ ، ثم اشتَهرَ قريشٌ وبقيَتْ لهُ الشهرةُ ؛ وهيَ قبيلةُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ ولذٰلكَ يُقالُ : القرشيُّ .

و[سببُ] **دخولِ إسماعيلَ عليهِ السلامُ في العربِ** ، وانتقالِهِ مِنْ أرضِ كنعانَ التي كانَتْ مُهاجَرَ أبيهِ مِنْ بلدِهِ أرفةَ إلىٰ أرضِ الحجازِ : أنَّ إبراهيمَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ مِنْ بلدِهِ لأسبابٍ اقتضَتْ ذٰلكَ . . تَوطَّنَ أرضَ كنعانَ مِنَ الشامِ جوارَ بيتِ المقدسِ ، وأخذَ يطوفُ البلادَ .

فلمَّا نزلَ مصرَ . . كانَ بها إذ ذاكَ مَلِكٌ جبَّارٌ ، مِنْ حالِهِ أنَّ لهُ عيوناً ينظرونَ لهُ في المُتوطِّنينَ والأغرابِ ، فمتىٰ رَأَوُا امرأةً جميلةً . . حملُوها لهُ ، فعثروا بالسيدةِ سارةَ زوجةِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، فحملوها إليهِ ، وأخذَ إبراهيمُ في توصيتِها يقولُ : تَعلَّمي أنَّهُ ليسَ علىٰ وجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُكِ ، ولمَّا سُئِلَ عنها إبراهيمُ . . قالَ : هيَ أختي ؛ أي : في الدينِ .

فلمَّا وصلَتْ سارةُ إلى المَلِكِ وهمَّ بالدُّنوِّ منها . . فزعَتْ إلى اللهِ ، وقامَتْ تُصلِّي ، فارتعدَتْ فرائصُ المَلِكِ ، وعَجَزَ عنِ الحركةِ ، فخضعَ لها ، وسأَلَها أن تدعوَ ربَّها الذي قامَتْ تعبُدُهُ وفعلَ بهِ ما حصلَ لهُ ، فدعَتْ ، فسُرِّيَ عنه .

ثمَّ تكرَّرَ هٰذا الحالُ مِراراً حتىٰ أيقنَ أنَّهُ مِنْ ربِّها الذي تعبدُهُ ، فعندَ ذٰلكَ أخذَ في إكرامِها وإجلالِها هيَ وزوجِها ، وأهدىٰ لها في ضمنِ ما أهدىٰ مِنَ التحفِ والكرامةِ جاريةً اسمُها هاجَرُ .

فأخبرَتْ إبراهيمَ بما جرىٰ ، وأهدتْهُ تلكَ الجاريةَ ، فواقعَها ، وولدَتْ له إسماعيلَ ، فلحقَتْ سارةَ الغَيرةُ الطبيعيَّةُ ، وخافَتِ الافتتانَ في دينِها ، فسألَتْ إبراهيمَ أن يُغيِّبَ عنها الجاريةَ وولدَها ، فأوحى اللهُ إلىٰ إبراهيمَ : أن أسكنْهُما مكَّةَ ، فحملَهُما إليها وهيَ حينَئذٍ ليسَ بها أنيسٌ ؛ لكونِها لا

ماءَ فيها ولا مرعىٰ ، فأكرمَ اللهُ إسماعيلَ ، فأخرجَ لهُ هنالكَ ماءً كثيراً طيباً ومراعيَ .

واتَّفق أن جازَ بعضُ العربِ وهُم ناسٌ مِنْ قبيلةٍ يُقالُ لها : جُرْهُمُ بنواحي مكَّةَ ، فوجدوا الطَّيرَ صاعداً هابطاً بذٰلكَ الموضعِ ، فقصدوهُ ، فوجدوا هنالكَ هاجَرَ وابنَها ، وسألوها أن ينزلوا معَها بذٰلكَ الموضعِ ، فاشترطَتْ عليهِم شروطاً عاقدوها عليها ، وسكنوا معَها ، وعُمِرَتْ تلكَ الناحيةُ ، وكانَ بعدَ ذٰلكَ ما كانَ مِنْ كِبَرِ إسماعيلَ ، وتزوُّجِهِ في جُرْهُمَ ، وتجديدِهِ معَ أبيهِ الكعبةَ ، وغيرِ ذٰلكَ .

فإسماعيلُ أوَّلُ دخيلٍ مِنَ العجمِ في ولدِ قحطانَ الذينَ همُ العربُ ، ثمَّ كانوا بعدَ ذٰلكَ يتحاشونَ غايةَ التحاشي مِنْ مداخلةِ العجمِ ، حتىٰ إنَّ إياداً أحدَ الشعوبِ الأربعةِ لمَّا ساكنَتِ الفرسَ وخالطَتْهُمْ . . سقطَتْ منزلتُهُم بينَ العربِ ، واحتُقِروا احتقاراً شديداً ، وعُدُّوا مِنَ العجمِ ، واتُّقِيَتْ مداخلتُهُم .

يرشدُكَ إلىٰ تحقُّق ذٰلكَ : أنَّ قبيلتَيْ تغلبَ وبكرٍ اللَّتينِ يجمعُهُما وائلٌ مِنْ بني ربيعةَ قويَ أمرُهُما ، وعزَّا في العربِ ، وقهرا كثيراً مِنَ الناسِ ، وفي بعضِ الأيامِ نزلَ منهُم رجلٌ بناحيةِ قريةٍ مِنْ بلادِ الفرسِ مِنْ منازلِ إيادٍ ومعَهُ ابنتُهُ ، وكانَتْ مِنْ أجملِ نساءِ العالمِ ، فوشىٰ بها رجلٌ مِنْ إيادٍ يُقالُ لهُ : بردٌ كانَ مِنْ خاصَّةِ مَلِكِ الفُرْسِ إذ ذٰلكَ .

فقالَ لهُ المَلِكُ : ما عسىٰ أن تبلغَ منها والعربيةُ تُقدِّمُ القتلَ علىٰ أن يغشاها عجميٌّ ؟! فقالَ : تُرغِّبُها بمحاسنِ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ والمساكنِ والمطاعمِ (١) ، وكثرةِ المالِ والخولِ .

---

(١) كذا تكررت كلمة (المطاعم) في الأصل .

وتمَّ بينَهُما هٰذا الخيالُ ، وأرسلَ المَلِكُ فاغتصبَها مِنْ أبيها ، ثمَّ عرضَ عليها جميعَ المشتهياتِ ، وخَوَّفَها بجميعِ العقوباتِ ، ومسَّها بكثيرٍ مِنَ المؤلماتِ ؛ ليرىٰ وجهَها ، فأبَتْ ، وخيَّرَتْهُ بينَ أن يقتلَها أو يعيدَها لأبيها ، فلمَّا يئسَ منها . . أسكنَها في موضعٍ ، وأجرىٰ عليها الوظائفَ الترفُّهيَّةَ ، واكتفىٰ برؤيةِ قامتِها تحتَ ملابسِها فِي بعضِ الأحيانِ .

وبسببِ ذٰلكَ نشبَتِ الحروبُ بينَ العربِ والفُرْسِ ، حتىٰ قهرَ العربُ الفُرْسَ ، وأخذوا كثيراً مِنْ بلادِهِم ، وكانَ مِنْ بني بكرٍ فارسٌ عظيمٌ يُقالُ لهُ : البراقُ ، يهوىٰ هٰذهِ المرأةَ وهيَ تهواهُ ، وخطبَها مِنْ أبيها فامتنعَ ، واشتدَّ بينَهُما العشقُ ، والبراقُ لا يرضىٰ بقهرِ أبيها معَ تمكُّنِهِ مِنْ ذٰلكَ ، وأشارَتِ العربُ عليهِ بهِ ، فما زالَ يحتالُ حتىٰ خلَّصَها وقتلَ مَلِكَ الفُرْسِ .

ومِنْ كلامِ ليلىٰ بنتِ لُكَيْزٍ هٰذهِ في أثناءِ ما حصلَ لها : [من الرمل]

لَيْتَ لِلْبَرَّاقِ عَيْناً فَتَرَىٰ ... مَا أُلَاقِي مِنْ بَلَاءٍ وَعَنَا
يَا كُلَيْباً وَعَقِيلاً إِخْوَتِي ... يَا جُنَيْداً أَسْعِدُونِي بِٱلْبُكَا
عُذِّبَتْ أُخْتُكُمُ يَا وَيْلَكُمْ ... بِعَذَابِ ٱلنُّكْرِ صُبْحاً وَمَسَا
غَلَّلُونِي قَيَّدُونِي ضَرَبُوا ... مَلْمَسَ ٱلْعِفَّةِ مِنِّي بِٱلْعَصَا
يَكْذِبُ ٱلْأَعْجَمُ مَا يَقْرَبُنِي ... وَمَعِي بَعْضُ حُشَاشَاتِ ٱلْحَيَا
قَيِّدُونِي غَلِّلُونِي وَٱفْعَلُوا ... كُلَّ مَا شِئْتُمْ جَمِيعاً مِنْ بَلَا
فَأَنَا كَارِهَةٌ بَغْيَكُمُ ... وَيَقِينُ ٱلْمَوْتِ شَيْءٌ يُرْتَجَىٰ
يَا بَنِي كَهْلَانَ يَا أَهْلَ ٱلْعُلَا ... أَتَدُلُّونَ عَلَيَّ ٱلْأَعْجَمَا
يَا إِيَاداً خَسِرَتْ أَيْدِيكُمُ ... خَالَطَ ٱلْمَنْظَرَ مِنْ بَرْدٍ عَمَىٰ
فَٱصْطِبَاراً وَعَزَاءً حَسَناً ... كُلُّ نَصْرٍ بَعْدَ ضُرٍّ يُرْتَجَىٰ

أَصْبَحَتْ لَيْلَىٰ يُغَلَّلْ كَفُّهَا مِثْلَ تَغْلِيلِ ٱلْمُلُوكِ ٱلْعُظَمَا
وَتُقَيَّدْ وَتُكَبَّلْ جَهْرَةً[1] وَتُطَالَبُ بِقَبِيحَاتِ ٱلْعَنَا
قُلْ لِعَدْنَانَ هُدِيتُمْ شَمِّرُوا لِبَنِي مَبْغُوضَ تَشْمِيرَ ٱلْوَفَا
وَٱعْقِدُوا ٱلرَّايَاتِ فِي أَقْطَارِهَا وَٱشْهَرُوا ٱلْبِيضَ وَسِيرُوا لِي ضُحَىٰ
يَا بَنِي تَغْلِبَ سِيرُوا وَٱنْصُرُوا وَذَرُوا ٱلْغَفْلَةَ عَنْكُمْ وَٱلْكَرَىٰ
اِحْذَرُوا ٱلْعَارَ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا بَقِيتُمْ فِي ٱلدُّنَا

وللعربِ في ذٰلكَ المعنىٰ وقائعُ كثيرةٌ .

وأمَّا لسانُهم . . فهوَ هٰذا اللسانُ الذي يَتكلَّمُ بهِ أهلُ مصرَ والحجازِ واليمنِ والشامِ ومغربِ مصرَ ، غيرَ أنَّهُ علىٰ صورةٍ فاسدةٍ ، خرجَ بها عن كونِهِ لساناً عربيّاً ، وصارَ يُقالُ له : لغةٌ عاميةٌ ، **وهوَ لسانٌ قد دخلَ فيهِ الاستحسانُ علىٰ أربعِ مراتبَ :**

ـ **المرتبةُ الأُولى** : **استحسانُ قدماءِ العربِ الذينَ همُ العاربةُ** ، فإنَّهُم كما قيلَ : كانوا يأخذونَ بعضَ الألفاظِ مِنَ اللُّغاتِ ، فيختصرونَها ويُغيّرونَ أشكالَها إلىٰ أن تصيرَ خفيفةً عذبةً ، وحكىٰ صاحبُ « المثلِ السائرِ » : أنَّهُ وردَ في بعضِ سياحتِهِ مصرَ ، فلقيَ رجلاً مِنْ بني إسرائيلَ عالِماً ، فجرىٰ بينَهُما ذكرُ اللغةِ بالفصاحةِ والمَلاحةِ ، فقالَ اليهوديُّ : كيفَ لا تكونُ فصيحةً مليحةً وهيَ مُنتخَبةٌ مِنَ اللغاتِ ؟! ومَثَّلَ لذٰلكَ بلفظِ الجملِ فقالَ : إنَّهُ كانَ بالعبرانيَّةِ ([كوميل]) فغُيِّرَ إلىٰ ما سمعتَ ، فصارَ عذباً فصيحاً[2]

(١) قولها : (وتقيد وتكبل) كلاهما بالسكون لضرورة الشعر .
(٢) المثل السائر (١/١٩٣) .

ـ **المرتبةُ الثانيةُ : استحسانُ إسماعيلَ عليهِ السلامُ وأوائلِ أولادِهِ** ، فقد كانَتْ لهُ لغةٌ عربيَّةٌ فصيحةٌ تُنسَبُ إليهِ بشهادةِ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد سُئِلَ : ما لكَ يا رسولَ اللهِ أفصحُنا ، ولم تخرجْ مِنْ بينِ أظهرِنا ؟ قالَ : « إِنَّ لُغَةَ إِسْمَاعِيلَ كَانَتْ دَرَسَتْ ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ فَحَفِظْتُهَا »(١) .

وسببُ دروسِ لغةِ إسماعيلَ : ما جرىٰ بينَ أولادِهِ مِنَ الحُروبِ الضُّرْسِ(٢) التي فَنِيَ بها منهُم كثيرٌ ، وتَشتَّتَ منهُم في البلادِ كثيرٌ ، وبحكمِ العادةِ أنَّ الإنسانَ إذا خالطَ أهلَ لسانٍ . . غلبَ عليهِ وغَيَّرَ لسانَهُ .

ـ **المرتبةُ الثالثةُ : استحسانُ قريشٍ ، وهم سُكَّانُ مكَّةَ وما حولَها** ؛ فقد كانَتِ العربُ تَرِدُ إليهِم في موسمِ الحجِّ كلَّ سنةٍ ، فيقيمونَ عندَهُم قريباً مِنْ خمسينَ يوماً ؛ ثلاثةَ أيامٍ بسوقِ ذي المَجازِ ، وسبعةً بسوقِ مَجَنَّةَ ، وثلاثينَ بسوقِ عكاظٍ ، والباقي في مواضعِ مناسكِ الحجِّ ، يَعرِضونَ عليهِم أشعارَهُم ، ويتحاكمونَ في قضاياهم ، ويتعاقدونَ ويتعاتبونَ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي تقتضي كثرةَ المقاولةِ ، فكانوا ينتخبونَ مِنْ سائرِ لغاتِ العربِ ما حَلِيَ في الذَّوقِ ، وخَفَّ على السمعِ ؛ مثلاً : يسمعونَ الحَوْجَمَ والحَوْجمةَ بفتحِ الحاءِ وسكونِ الواوِ ، والوردَ والوردةَ ، فيستعملونَ الثانيَ ، ويجتنبونَ الأَوَّلَ .

هٰذا ما كانَ قبلَ مجيءِ الإسلامِ .

ـ فلمَّا جاءَ الإسلامُ ، وحصلَتِ الدعوةُ إلى الاجتماعِ العامِّ والمخالطةِ الشاملةِ . . جاءَتِ **المرتبةُ الرابعةُ مِنَ الاستحسانِ ؛ وهوَ استحسانُ فُطناءِ**

---

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣/٤) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .
(٢) الضُّرْس ـ جمع ضَرُوس ـ : وهي الحرب الطاحنة .

الناسِ مِنْ بقايا العربِ وغيرِهِم ، الذينَ نصبوا أنفسَهُم لضبطِ اللغةِ العربيةِ مفرداتٍ ومُركَّباتٍ ، وتدوينِها في كتبٍ ، ونوَّعَتْهُم مقاصدُهُم أنواعاً .

فمنهُم نَقَلَةُ المفرداتِ علىٰ صورِها وبيانِ معانيها ، ذاهبينَ إلىٰ تمييزِ اللغاتِ إلىٰ رديءٍ وغيرِ رديءٍ ، وحوشيٍّ غريبٍ ومستعملٍ مشهورٍ .

ومنهُم نَقَلَةُ صورِ المُركَّباتِ ، مُنبِّهينَ على اختلافِ معانيها باختلافِ صورِها ، ذاهبينَ أيضاً إلىٰ تمييزِ الفصيحِ مِنْ غيرِ الفصيحِ .

ومنهُم نَقَلَةُ الأشعارِ والخُطَبِ وعالي الكلامِ ، مُنبِّهينَ علىٰ محاسنِ السياقاتِ ، ولطائفِ العباراتِ ، وعلىٰ توسُّعاتِ العربِ في الاستعمالاتِ .

ومِنْ ذٰلكَ تَنوَّعَتِ العلومُ الباحثةُ عنِ اللغةِ العربيَّةِ مُميَّزةً بالألقابِ وجهاتِ البحثِ .

[فشوُ اللحنِ سببٌ لوضعِ علمِ النحوِ]

والذي دعا الناسَ إلى النُّهوضِ في التفتيشِ في أحوالِ اللغةِ : أنَّ العربَ لمَّا بعثَهُمُ الإسلامُ في البلادِ ، واختلطوا بغيرِ جنسِهِمُ اختلاطَ المعاشرةِ والمصاهرةِ . . حصلَ في مُدَّةٍ يسيرةٍ تغييرٌ عظيمٌ في اللغةِ ، وفشا بينَ الناسِ اللحنُ ، وصارَ مَنْ يضبطُ مِنَ العربِ لسانَهُ عنِ اللحنِ يفتخرُ بذٰلكَ ، كما وردَ أنَّ خالدَ بنَ يزيدَ بنِ معاويةَ حضرَ يوماً مجلسَ عبدِ المَلِكِ بنِ مروانَ ، فجرَتْ مخاطبةٌ بينَهُ وبينَ الوليدِ بنِ عبدِ المَلِكِ .

فكانَ مِنْ كلامِ خالدٍ التمدُّحُ بالسلامةِ مِنَ اللَّحنِ ، والغضُّ مِنَ الوليدِ بكونِهِ لَحَّانةً [١] .

---

(١) انظر « تاريخ دمشق » (١٦/٣١٠) .

ولبعضِ شعراءِ العربِ [1] : [من البسيط]

أَبَا ضُبَيْعَةَ لَا تَعْجَلْ بِسَيِّئَةٍ إِلَى ٱبْنِ عَمِّكَ وَٱذْكُرْهُ بِإِحْسَانِ
أَمَا تَرَانِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي ٱلْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي عُلْوِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ

ومِنَ اللَّحنِ في العربِ ما دعا إلىٰ وضعِ النحوِ ؛ وذٰلك أنَّ رجلاً مِنْ أصحابِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ يُقالُ لهُ : أبو الأسودِ ظالمٌ الدُّؤليُّ ، قالَتْ لهُ ابنتُهُ ليلةً : يا أبتِ ؛ ما أحسنُ السماءِ !! بضمّ نونِ (أحسنُ) وكسرِ همزةِ (السماءِ) ، فقالَ لها : نجومُها ، فقالَتْ : أنا مُخبِرةٌ لا سائلةٌ ، فقالَ لها : كانَ يلزمُ أن تقولي : ما أحسنَ السماءَ !! بفتحِ النونِ والهمزةِ .

فلمَّا أصبحَ . . أخبرَ بذٰلك عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ ، وسألَهُ النظرَ في طريقةٍ لحفظِ اللغةِ العربيَّةِ مِنَ الضَّياعِ ، فقالَ لهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : الكلامُ كلُّهُ لا يخرجُ عنِ اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاءَ لمعنىً ؛ **فالاسمُ** : ما أنبأَ عنِ المُسمَّىٰ ، **والفعلُ** : ما أنبأَ عن حركةِ المُسمَّىٰ ، **والحرفُ** : ما ليسَ كذٰلكَ ، ثمَّ قالَ : انحُ هٰذا النحوَ يا أبا الأسودِ .

ومِنْ هنا جاءَ الاسمُ للعِلْمِ الباحثِ عن حالِ المُركَّباتِ ، فبدأَ لهُ علمُ النَّحْوِ [2] ، وتكلَّم أبو الأسودِ بعدَ ذٰلكَ ، وأخذَ الناسُ في تتميمِهِ .

ولا غروَ أن يسرعَ الفسادُ إلى اللغةِ العربيةِ والأطفالُ يَتعلَّمونَ التلفُّظَ أوَّلاً مِنْ أُمَّهاتِهِم ، فإذا كنَّ عجمياتٍ لا يَقدِرنَ على التكلُّمِ بصحيحِ اللغةِ . . فكيفَ تبقىٰ صورةُ اللغةِ العربيةِ ؟!

---

(١) نسبت الأبيات لسويد بن أبي كاهل اليشكري كما في « ديوانه » (ص ٤١) ، وانظر « البيان والتبين » (١٦٧/١) .

(٢) أي : أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه ، أو : (فبدا له) بمعنىٰ : ظهر .

وقد ابتُدِئَ التعليمُ والتأديبُ في أوائلِ أيامِ مُلْكِ بني أُميَّةَ ، فكانَ المَلِكُ يُحضِرُ لأولادِهِ وأولادِ أتباعِهِ مِنَ العلماءِ مَنْ يُؤدِّبُهُم ، ويُعوِّدُ ألسنتَهُم على التكلُّمِ بفصائحِ اللغاتِ ، ويُلقِّنُهم مختارَ الأشعارِ .

وكانَ للمُؤدِّبينَ معَ الأطفالِ نوادرُ ؛ منها : أنَّ مُؤدِّبَ أولادِ هشامِ بنِ عبدِ المَلِكِ ـ وكانَ اسمُهُ عبدَ الصمدِ ـ وردَ عليهِ غلامٌ مِنْ أولادِ عظماءِ بني أُميَّةَ ليُؤدِّبَهُ معَ أولادِ المَلِكِ ، وكانَ غلاماً جميلاً ، فاتفقَ في بعضِ الأيَّامِ أن أساءَ المُؤدِّبُ أدبَهُ معَ ذٰلكَ الغلامِ ، فقامَ يعدو للمَلِكِ ، وتَمثَّلَ بينَ يدَيهِ وقالَ شعراً : [من الرمل]

إِنَّهُ وَٱللهِ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ ... يَنْجُ مِنِّي سَالِماً عَبْدُ ٱلصَّمَدْ

فقالَ المَلِكُ : ولماذا ؟ فقالَ الغلامُ :

إِنَّهُ قَدْ رَامَ مِنِّي خُطَّةً ... لَمْ يَرُمْهَا قَبْلَهُ مِنِّي أَحَدْ

فقالَ المَلِكُ : وما رامَ ؟ فقالَ الغلامُ :

رَامَ جَهْلاً بِي وَجَهْلاً بِأَبِي ... يُولِجُ ٱلْعُصْفُورَ فِي خِيسِ ٱلْأَسَدْ (١)

ثمَّ أخذَ التعليمُ في التزايدِ والكثرةِ بتزايدِ انتشارِ المسلمينَ في البلادِ ، وظهورِ تغيُّرِ اللسانِ ، إلىٰ أن تَقرَّرَتِ العلومُ المُتعلِّقةُ باللغةِ ، وتَهذَّبَتْ بعدَ أن كانَتْ مُختلِطةً كثيرةَ السَّقْطِ والغلطِ ، خفيةَ الدلالةِ ، عسيرةَ الإرشادِ ، كما هو شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ ، فبتلاحقِ الأفكارِ يتزايدُ حسنُ المخترعاتِ وإتقانُها ، حتىٰ لو بذلَ واحدٌ همَّتَهُ وكانَ جيدَ الحفظِ والضبطِ . . أمكنَهُ في مُدَّةٍ غيرِ طويلةٍ أن يقفَ علىٰ أمرِ اللغةِ العربيَّةِ .

ومِنْ حيثُ كونُ اللغةِ قد فسدَتْ صورتُها في الصَّدرِ الأوَّلِ ، وتزايدَ فسادُها

---

(١) انظر « محاضرات الأدباء » (١/١١٠ ـ ١١١) .

كما شرحنا . . كانَتْ ألفاظُها معدودةً ؛ إذ لم يبقَ مِنْ أهلِها مَنْ يُنسَبُ إليهِ ما يَضطرُّ تجدُّدُ الأحوالِ واستكشافُ الأشياءِ إلىٰ وضعِهِ مِنَ الألفاظِ للأشياءِ التي يَتجدَّدُ ظهورُها والاطلاعُ عليها ، فلا جرمَ تكونُ ألفاظاً غيرَ عربيَّةٍ ما لم تكنْ مأخوذةً بطريقِ الاشتقاقِ مِنْ ألفاظِهِم ، وذٰلكَ أمرٌ عسيرٌ ، ومحتاجٌ إلىٰ نظرِ جمٍّ غفيرٍ ، والتنبيهُ علىٰ ما حصلَ مِنَ الفسادِ في اللغةِ يَقرُبُ أن يكونَ مُعجِزاً ، وقد تَعرَّضَ لذٰلكَ بعضُ المغاربةِ ؛ فوضعَ فيهِ كتاباً ، فلم يأتِ بطائلٍ عظيمٍ .

وإذا قرأَ الطالبُ العلومَ ، وعرفَ الصحيحَ . . عرفَ الفسادَ ، ولا بأسَ بالتنبيهِ على البعضِ ليظهرَ الداعي إلىٰ وضعِ العلومِ غايةَ الظُّهورِ ؛ فمِنْ عادةِ العامَّةِ إبدالُ الذالِ المعجمةِ حيثُما كانَتْ دالاً مهملةً ، فيقولونَ في (ذا وذي) : دَهْ ، ودِي ، وفي (حاذقٍ) : حادِئ ، فيبدلونَ القافَ همزةً حيثُما كانَتْ ، ويبدلونَ الثاءَ المثلثةَ تاءً مثناةً فوقيةً أو سيناً ؛ فيقولونَ في (ثابتٍ) : تابت ، وفي (ثوبٍ) : توب ، وفي (ثُمَّ) : سم ، ويحذفونَ بعضَ الحروفِ ، ويبدلونَ الحركاتِ ؛ فيقولونَ في (وجهٍ) مثلاً : وِشّ ، فهٰذا يَضطرُّ إلىٰ وضعِ علمِ متنِ اللغةِ .

ويقولونَ : (فلان يِوعد ويِخْلف) بكسرِ الياءِ وسكونِ ما بعدَها ، والصَّوابُ : يَعِدُ ويُخْلِفُ ؛ بفتحِ الياءِ الأُولىٰ ، وحذفِ الواوِ ، وضمِّ الياءِ الثانيةِ ، ويقولونَ : (إِوعه) بهمزةٍ مكسورةٍ وواوٍ ساكنةٍ ، والصَّواب : (عِهْ) بلا همزةٍ ولا واوٍ ، فهٰذا وأمثالُهُ أوجبَ وضعَ علمِ الصَّرْفِ .

ثمَّ اللغةُ العامِّيَّةُ وإن كانَتْ بهٰذهِ المنزلةِ مِنَ الفسادِ مُشتمِلةٌ علىٰ كثيرٍ مِنَ الألفاظِ العربيَّةِ الفصيحةِ بحَسَبِ الحاجةِ ، ومُتضمِّنةٌ كثيراً مِنْ محاسنِ السياقاتِ ولطائفِ الكناياتِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ التي يُسمَّى العالِمُ بها

العاملُ بمقتضاها : **فصيحاً بليغاً** ، كما يَتبيَّنُ ذٰلكَ عندَ التكلُّمِ علىٰ علومِ البلاغةِ ، فإذا تأمَّلَ المُتعلِّمُ في كلامِ الناسِ . . سَهُلَ عليهِ كثيرٌ مِنَ المسائلِ التي صعَّبَتْها وأبعدَتْ فهْمَ معناها العباراتُ الاصطلاحيَّةُ والمناظراتُ فيها ؛ بحيثُ يَقرُبُ أن يُخرَجَ غيرُ المعتادِ إلى المعتادِ .

وقدْ آنَ أن نشرعَ في بيانِ الأقسامِ الثلاثةِ التي ضمَّنَّاها هٰذا المَقصِدَ ؛ **فنقولُ** :

القسم الأوّل

في فقه اللّغة

[تقاسيمُ الكلمةِ]

سبقَتِ الإشارةُ إلىٰ أنَّ فقهَ اللغةِ : هو العلمُ الباحثُ عن أحوالٍ عامَّةٍ للألفاظِ (١) ، ولنوردْ ذٰلكَ في ثلاثةِ تقاسيمَ وتتميمٍ :

التقسيمُ الأوَّلُ (٢) : اللفظُ

ـ إمَّا أن يُعيّن لشخصٍ ؛ وهوَ ـ كما عرفتَ في المسألةِ الخامسةِ مِنَ المسائلِ المَنطِقيَّةِ ـ الموجودُ البالغُ إلىٰ غايةِ التمييزِ ، فيُسمَّى اللفظُ حينَئذٍ **باسمِ الشخصِ وعَلَمِ الشخصِ** .

ـ وإمَّا أن يُعيِّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ مشروطاً استعمالُهُ في مُعيَّنٍ عندَ المُخاطَبِ معروفٍ لهُ بسببِ انضمامِ أمرٍ آخَرَ ملحوظٍ لهُ هوَ المُعيِّنُ للمرادِ ، ويُسمَّىٰ ذٰلكَ الأمرُ : قرينةَ المرادِ باللفظِ ، ويُسمَّى اللفظُ الذِي هٰذا شأنه : **معرفةً بالقرينةِ** ، ويُسمَّىٰ عَلَمُ الشخصِ : **معرفةً بنفسِهِ** .

ـ وإمَّا أن يُعيّنَ لأمرٍ كلِّيٍّ غيرِ مشروطٍ فيهِ ذٰلكَ ؛ بحيثُ يكونُ صالحاً لأن يُرادَ بهِ كلُّ واحدٍ ممَّا صدقَ عليهِ ذٰلكَ الأمرُ الكليُّ ، فيكونُ المرادُ بهِ مُبهَماً على المُخاطَبِ ، ويُسمَّىٰ : **نكرةً** .

ثمَّ الأمرُ الكليُّ الذي عُيِّنَ لهُ اللفظُ المُسمَّىٰ نكرةً :

ـ إمَّا أن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ حينَئذٍ : **اسمَ جنسٍ جوهريّاً جامداً** .

---

(١) انظر (١/١٠٠) .

(٢) انظر « إتحاف الإنس في العلمين واسم الجنس » للعلامة الأمير الكبير .

ـ وإمَّا أن يكونَ جنساً مِنَ الأجناسِ العَرَضيَّةِ ، ويُسمَّى اللفظُ المُعيّنُ لهُ : **اسمَ جنسٍ عَرَضيّاً جامداً** ، ويُسمَّىٰ : **مصدراً** ، فلهُ اسمانِ .

ـ وإمَّا أن يكونَ أمراً إجماليّاً يمكنُ للعقلِ أن يفصلَهُ إلىٰ عَرَضٍ منسوبٍ ، وإلىٰ نسبةٍ ، وإلىٰ منسوبٍ إليهِ ، وحينَئذٍ إن كانَ الملحوظُ أوَّلاً حالةَ الاستعمالِ هوَ العَرَضَ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ إليهِ المُعيّنَ عندَ المُتكلِّمِ ملاحظةً وعندَ المُخاطَبِ حُكْماً ؛ بحيثُ يكونُ مُنتظِرَ العبارةِ عنهُ فقطْ . . يُسمَّى اللفظُ المُعيّنُ لذٰلكَ : **فِعْلاً** .

وإن كانَ الملحوظُ أوَّلاً هوَ المنسوبَ إليهِ ، والملحوظُ ثانياً النسبةَ ، والملحوظُ ثالثاً المنسوبَ العَرَضَ . . سُمِّيَ اللفظُ المُعيّنُ لذٰلكَ : **مُشتقّاً** .

ـ وإمَّا أن يكونَ الأمرُ الكلِّيُّ نسبةَ أمرٍ لأمرٍ وارتباطَهُ بهِ ، أو حالَ نسبةٍ يُعيّنُ لهُ اللفظُ مشروطاً استعمالُهُ في نِسَبٍ مُعينةٍ مُتبدِّلةٍ بتبدُّلِ المعاني والتراكيبِ ، أو في أحوالٍ كذٰلكَ ؛ طلباً لمعرفتِهِ ، أو إخباراً بهِ . . يُسمَّى اللفظُ الذي هٰذا شأنُهُ : **حَرْفاً** .

ومِنْ هٰذا التقسيمِ يخرجُ تنويعُ اللفظِ إلى **الاسمِ والفعلِ والحرفِ** بينةَ الحقائقِ .

وبتأمُّلِ ما سبقَ تَعرِفُ ضوابطَ عديدةً لكلِّ نوعٍ مِنْ هٰذهِ الأنواعِ الثلاثةِ ، وهٰذا تقسيمٌ إجماليٌّ لِلَّفظِ ، ولأجلِ تمامِ المعرفةِ وجبَ أن نتكلَّمَ علىٰ أقسامِ اللفظِ قِسْماً قِسْماً ؛ فنقولُ :

قِسْمُ العَلَمِ (١)

العَلَمُ : اسمٌ مُعيّنٌ لشخصٍ لا يُرادُ بهِ غيرُهُ وَضْعاً ، ولا يُخرِجُهُ عن ذٰلكَ عُروضُ الاشتراكِ فيهِ بعدُ وإن أحوجَ إلىٰ قرينةٍ تُعيّنُ المرادَ بهِ حالةَ الاستعمالِ ؛ ولذٰلكَ يُسمَّىٰ : معرفةً بالنفسِ .

وينقسِمُ العَلَمُ إلىٰ : ألقابٍ ، وكُنىً ، وأسماءٍ .

فالاسمُ : هوَ الموضوعُ أوّلاً لغرضِ تمييزِ المُسمَّىٰ بهِ عن غيرِهِ عندَ الحاجةِ لذٰلكَ .

واللقبُ : ما وُضِعَ ثانياً لذٰلكَ الغرضِ ولغرضِ الإشعارِ بالمدحِ أوِ الذمِّ ؛ تفاؤُلاً أوِ استهزاءً .

والكُنيةُ : ما صُدِّرَتْ بأبٍ أو أُمٍّ ، أوِ ابنٍ أو بنتٍ .

فالاسمُ : كزيدٍ ، وخالدٍ ، وعمرٍو ، وعيسىٰ ، وموسىٰ .

واللقبُ : كفخرِ الدِّينِ ، وعَلَمِ الدِّينِ ، وسيفِ الدَّولةِ ، وعَضُدِ الدَّولةِ ، والحاكمِ بأمرِ اللهِ ، والمستعينِ باللهِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ ألقابِ الخُلفاءِ والسلاطينِ وسائرِ الناسِ ، وكبطَّةَ ، وأنفِ الناقةِ .

والكُنيةُ : كأبي بكرٍ ، وأبي حفصٍ ، وأُمِّ هانئٍ ، وأُمِّ كُلثومٍ ، وابنِ بطوطةَ ، وابنِ المراغةِ ، وبنتِ بري (٢) .

وقد أمرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمبادرةِ إلىٰ وضعِ الكُنىٰ ،

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/١٢٦) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (بنت برح) ، وهي الشدة .

فقالَ : « ٱكْنُوا أَوْلَادَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَلْقَابُ »[1] ، ونهى اللهُ جلَّ ذكرُهُ في كتابِهِ العزيزِ عنِ التنابزِ ؛ أيِ : الترامي بالألقابِ ، فقال : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾[2] .

وقد سمَّتِ العربُ بمفرداتٍ .

وبمركباتٍ تامَّةٍ ؛ كـ (بَرَقَ نَحرُهُ) و(تَأَبَّطَ شرّاً) و(شابَ قرناها) .

وبمُركَّبٍ ناقصٍ إضافيٍّ ؛ كـ (عبدِ شمسٍ) و(أبي قُحافةَ) .

وبمُركَّباتٍ مزجيَّةٍ ؛ بمزجِ الكلمتَينِ وجعلِهِما كلمةً واحدةً ؛ كـ (بعلبكَّ) و(مَعدِيكربَ) و(سيبويهِ) و(درستويهِ) .

وأسماءُ الأشخاصِ : للنَّاسِ ، والبلادِ ، والأقطارِ ، والجبالِ ، والبحارِ ، وبعضِ الحيوانِ .

وقد عاملَ العربُ بعضَ الأجناسِ معاملةَ الأشخاصِ ، فوضعوا لها أعلاماً أجروا عليها أحكامَ الأعلامِ الشخصيَّةِ ؛ لكونِهِم ميَّزوها مِنْ بينِ الأجناسِ ، ورأَوا بها معنىً خاصّاً ، فهُم لا يزالونَ يستحضرونَها .

مِنْ ذٰلكَ : تسميتُهُمُ الأسدَ : أسامةَ ؛ لظهورِ شرِّهِ عندَهُم ، وخوفِهِم إيَّاهُ ، وتسميتِهِمُ الثعلبَ : ثُعالةَ ، وتكنيتِهِ بأبي الحصينِ ؛ لكثرةِ إفسادِهِ في غنمِهِم ، وامتناعِهِ منهُم .

وهٰكذا كلُّ جنسٍ سَمَّوهُ ؛ فإنَّهُ لا بدَّ أن يكونَ راعَوْا فيهِ معنىً مميزاً مُحْوِجاً إلىٰ تمييزِهِ وإفرادِهِ بالعبارةِ عنهُ .

---

(١) أخرجه الدارقطني ، كما في « أطراف الغرائب والأفراد » (٢٩٩٩) ، وكذا أورده الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » (٢٠٧٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة الحجرات : (١١) .

وقد سمَّوْا بعضَ الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ فَسمَّوا المَبرَّةَ : بـرَّةَ ، بغيرِ ميمٍ ، وسَمَّوُا الفُجورَ : فَجَارِ ؛ كـ (نَزَالِ) ، قالَ الشاعرُ [1] : [من الكامل]

إِنَّـا ٱقْتَسَمْنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا ... فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَٱحْتَمَلْتَ فَجَارِ

وسَمَّوُا الغدرَ كَيْسَانَ كسكرانَ ، ومنهُ [2] : [من الطويل]

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ ... إِلَى ٱلْغَدْرِ أَسْعَىٰ مِنْ شَبَابِهِمُ ٱلْمُرْدِ

وسَمَّوُا اليسرَ يَسَارِ كفَجارِ ، ومنهُ [3] : [من الطويل]

فَقُلْتُ ٱمْكُثِي حَتَّىٰ يَسَارِ لَعَلَّنَا ... نَحُجُّ مَعاً قَالَتْ وَعَاماً وَقَابِلَهْ

❋ ❋ ❋

(١) هو للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٥٥) .

(٢) هو للنمر بن تولب في « ديوانه » (ص ٦٠) .

(٣) هو لحميد الأرقط كما في « خزانة الأدب » (٣٢٧/٦ ، ٣٣٨) .

قسمُ المعارفِ بالواسطةِ (١)

هيَ ستةُ أصنافٍ :

الصِّنفُ الأوَّلُ : الضمائرُ

ضمائرُ المُتكلِّمِ مَعرِفةٌ بقرينةِ حكايتِهِ عن شخصِهِ الحاضرِ ، ومثلُها ضمائرُ المُخاطَبِ ، وضمائرُ الغائبِ لا تُذكَرُ إلَّا بعدَ ذكرِ ما يدلُّ على الغائبِ مِنَ الأسماءِ الظاهرةِ ؛ فلا يجيءُ الضميرُ إلَّا ومعناهُ مُعيَّنٌ ملحوظٌ ، وبيانُ الضمائرِ يأتي بعدُ .

الصِّنفُ الثاني : أسماءُ الإشارةِ

وهيَ أسماءٌ موضوعةٌ لكلِّ مُشارٍ إليهِ بإحدى الجوارحِ حاضرٍ مُبصَرٍ ، ودليلُ أنَّهُ المقصودُ بعينِهِ : الإشارةُ إليهِ ، وألفاظُهُ : (ذا) لمفردٍ مذكرٍ قريبٍ ، و(ذاكَ) و(ذٰلكَ) لمفردٍ مُذكَّرٍ بعيدٍ أو أبعدَ ، و(ذي) و(ذهِ) و(تِي) و(تِهِ) و(تا) و(ذاتُ) للمفردةِ المؤنثةِ القريبةِ ، و(تِيكَ) و(تلكَ) للبعيدةِ أوِ البُعدىٰ ، و(ذانِ) للاثنَينِ القريبَينِ ، و(ذانِكَ) للبعيدَينِ ، ولا تَدخلُهُ اللامُ ، و(تانِ) للاثنتَينِ القريبتَينِ ، و(تانِكَ) للبعيدتَينِ ، و(أولاءِ) مُشترَكةٌ بينَ جماعتَيِ الذُّكورِ والإناثِ ، وأهلُ الحجازِ يأتونَ بالهمزةِ بعدَ الألفِ ، وتميمٌ لا ، ويُقالُ في البعدِ : (أولـٰئكَ) و(أولاكَ) .

ويُشارُ بهـٰذهِ الأسماءِ إلىٰ كلِّ شيءٍ ، وتَختصُّ الأمكنةُ بأسماءٍ يُشارُ بها إليها ؛ وهيَ : (هنا) للمكانِ القريبِ ، و(هناكَ) و(هنالكَ) و(ثَمَّ) ـ بفتحِ

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/١٣٨ ـ ١٧٦) .

المثلثةِ ـ للبعيدِ ، ويُؤتىٰ عندَ اختلاطِ ما يُشارُ إليهِ بغيرِهِ باسمِ جنسِ المُشارِ إليهِ ؛ ليَتِمَّ بهِ التمييزُ ؛ فتقولُ : ذٰلكَ الرجلُ ، وذٰلكَ الكتابُ .

الصِّنفُ الثالثُ : الأسماءُ الموصولةُ

وهيَ أسماءٌ تُعبِّرُ بها عنِ الشيءِ الذي علمتَ أنَّ مُخاطبَكَ عرفَهُ بسببِ اطلاعِهِ علىٰ حالٍ مِنْ أحوالِهِ عَيَّنَتْهُ عندَهُ ، فالواسطةُ في تعيينِهِ عهدُ المُخاطَبِ إيَّاهُ بتلكَ الحالِ ، والعبارةُ عنِ الحالِ التي هيَ صفةُ معنى الموصولِ تُسمَّىٰ : صلةً ، وللصلةِ أحكامٌ تُبيَّنُ عندَ الكلامِ على الجملِ مِنْ قسمِ النحوِ .

الأسماءُ الموصولةُ هيَ : (**الذي**) للمفردِ المذكرِ ، و(**التي**) للمفردةِ المؤنثةِ ، و(**اللَّذانِ**) للاثنَينِ ، و(**اللَّتانِ**) للاثنتَينِ ، و(**الذِينَ**) و(**الأُلىٰ**) لجماعةِ الذكورِ ، و(**اللَّاتِي**) و(**اللائِي**) لجماعةِ الإناثِ ، وهٰذهِ الأسماءُ تُسمَّىٰ **بالموصولاتِ المُختصَّةِ**(١) .

ومِنَ الموصولاتِ أسماءٌ تُسمَّىٰ **بالموصولاتِ المُشترَكةِ** ؛ وهيَ : (**مَنْ**) لذوي العِلْمِ ، و(**ما**) لغيرِهِم ، و(**أل**) و(**أيْ**) كـ (**ما**) .

وتُستعمَلُ الأسماءُ الموصولةُ في أجناسٍ ، وفي جميعِ أفرادِ جنسٍ ، وفي فردٍ معهودٍ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في جميعِ الأفرادِ : أن يَصِحَّ دخولُ (كلٍّ) عليهِ ، وضابطُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ ألَّا يَصِحَّ دخولُ (كلٍّ) عليهِ .

مثالُ ما يُرادُ بهِ الجنسُ : (الذي تثيرُ بهِ الأرضَ ، وتسقي الحرثَ نوعُ لحمِهِ داءٌ ، ولبنُهُ شفاءٌ) فإنَّهُ لا يَصِحُّ أن تقولَ : (كلُّ واحدٍ نوعُ . . .) .

ومثالُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ : قولُكَ : (اللهُ يعلمُ الذي غابَ ، والذي حضرَ) فإنَّه يَصِحُّ أن تقولَ : (اللهُ يعلمُ كلَّ شيءٍ غابَ ، وكلَّ شيءٍ حضرَ) .

---

(١) المختصة ؛ أي : التي ليست بمشتركة .

ومثالُ ما يُرادُ بهِ واحدٌ معهودٌ : قولُكَ : (الذي كانَ عندَنا أمسِ رجلٌ آتاهُ اللهُ الحكمةَ وفصلَ الخطابِ) .

الصِّنفُ الرابعُ : [المُحلَّىٰ بـ (أل)]

الشيءُ المعهودُ القائمُ الصورةِ في الذهنِ بسببِ حضورِهِ أو شهرتِهِ . . يُعبَّرُ عنهُ باسمِ جنسِهِ مُفتتَحاً بكلمةِ (أل) ويُسمَّىٰ حرفَ التعريفِ :

وحينَئذٍ يُسمَّى الاسمُ المقرونُ بها : ذا الأداةِ والمُحلَّىٰ بـ (أل) نحوُ : خذِ الكتابَ ، واقرأ الكتابَ بينَ يدَيكَ ، وقَدِمَ الأميرُ ، ونحوُ : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ (١) .

ويُستعمَلُ ذو الأداةِ كما يُستعمَلُ الموصولُ ، وعندَ استعمالِهِ في الجنسِ تُسمَّىٰ (أل) : **(أل) الجنسيَّةَ** ، وعندَ استعمالِهِ في جميعِ الأفرادِ تُسمَّىٰ : **(أل) الاستغراقيةَ** ، وعندَ استعمالِهِ في المعهودِ تُسمَّى : **العهديَّةَ** .

مثالُ ما يُستعمَلُ في الجنسِ : قولُكَ : (الرجلُ خيرٌ مِنَ المرأةِ) فإنَّ المعنىٰ : هٰذا النوعُ إجمالاً خيرٌ مِنْ هٰذا النوعِ ، ولا يَسوغُ أن تلاحظَ في التفضيلِ تفصيلَ الأشخاصِ ؛ فلو قلتَ : (كلُّ رجلٍ خيرٌ مِنْ كلِّ امرأةٍ) . . كذبَ الكلامُ بـ (مريمَ) مثلاً وكثيرٍ مِنَ الرجالِ ، **ونظيرُ ذٰلكَ** : (القائمُ أكثرُ مِنَ القاعدِ ، والماشي أقلُّ مِنَ الراكبِ) إذ لا يمكنُ أن تقولَ : (كلُّ قائمٍ أكثرُ) لأنَّ الواحدَ لا يُوصَفُ بالكثرةِ .

ومثالُ استعمالِهِ في المعهودِ : قولُكَ : (صبيحةَ يومِنا جاءَ الرجلُ وأخبرَني بكذا) لمعهودٍ بينَكَ وبينَ مُخاطَبِكَ .

---

(١) سورة المزمل : (١٥ ـ ١٦) .

الصِّنفُ الخامسُ : المُضافُ لشيءٍ مِنَ المعارفِ

ويُستعمَلُ كما يُستعمَلُ الموصولُ وذو الأداةِ ، والأحكامُ تُميِّزُ المرادَ مِنْ جنسٍ وغيرِهِ ؛ فما يُرادُ بِهِ الجنسُ هوَ موضوعُ القضيَّةِ الطبيعيَّةِ ، وما يُرادُ بِهِ جميعُ الأفرادِ هوَ موضوعُ القضيةِ الكليةِ ، وما يُرادُ بِهِ شخصٌ مُعيَّنٌ مِنَ الأعلامِ والضمائرِ وأسماءِ الإشارةِ والموصولاتِ وذي الأداةِ والمُضافاتِ . . هوَ موضوعُ القضيَّةِ الشخصيَّةِ .

وقد يُرادُ بالأشياءِ التي لها الاستعمالاتُ الثلاثةُ واحدٌ ما ملحوظٌ تَعيُّنُهُ بتعيُّنِ جنسِهِ ، حيثُ يَحصُلُ الغرضُ بواحدٍ مِنْ آحادِ الجنسِ ؛ فهوَ مُعيَّنٌ مِنْ جهةٍ ، مُبهَمٌ مِنْ جهةٍ ، ويُسمَّى : **المعهودَ الذهنيَّ** ؛ مثلُ قولِكَ : (ادخلِ السُّوقَ فاشترِ لنا طعاماً) فإنَّكَ لا تريدُ سُوقاً بشخصِهِ ، بل تريدُ واحداً مِنْ هٰذا الجنسِ لحصولِ الغرضِ ، فتعريفُ الموصولِ وذي الأداةِ والمضافِ أربعةُ أنواعٍ ، لكلِّ نوعٍ مواضعُ تخصُّهُ مِنَ الكلامِ .

الصِّنفُ السادسُ : الاسمُ المقرونُ بـ (يا)

المطلوبُ بهِ إقبالُ شخصٍ بعينِهِ مُتوجَّهٍ إليهِ ؛ مثلُ : (يا رجلُ ، ويا زيدُ) .

فالمعارفُ سبعٌ : مَعرفةٌ بنفسِها ؛ وهيَ الأعلامُ الشخصيَّةُ ، والأعلامُ الجنسيَّةُ ، والعلمُ الجنسيُّ بمنزلةِ ذي الأداةِ الذي يُرادُ بهِ الجنسُ ، إلَّا أنَّ الإشارةَ إلى التعيُّنِ بنفسِ اللفظِ في الأولِ ، وبكلمةِ (أل) في الثاني .

❊ ❊ ❊

قِسْمُ اسمِ الجنسِ الجوهريِّ الجامدِ

هوَ : كإنسانٍ ، وحيوانٍ ، وأسدٍ ، وحَجَرٍ ، وشجرٍ ، وماءٍ ، ونارٍ ، **ويُقسَمُ إلىٰ ثلاثةِ أنواعٍ :**

- **نوعٌ يُسمَّىٰ : أسماءَ الجنسِ الأحاديَّةَ .**
- **ونوعٌ يُسمَّىٰ : أسماءَ الجنسِ الجمعيَّةَ .**
- **ونوعٌ يُسمَّىٰ : أسماءَ الجنسِ الإفراديَّةَ .**

فالأوَّلُ : هوَ ما وُضِعَ للجنسِ ليُرادَ بهِ كلُّ واحدٍ مِنْ آحادِهِ لا يَتميَّزُ بهِ واحدٌ عن واحدٍ ؛ كإنسانٍ ، وأسدٍ ، وشجرةٍ ، ومَدَرةٍ .

الثاني : هوَ ما وُضِعَ للجنسِ يُستعمَلُ في كلِّ جماعةٍ مِنْ جماعاتِ الجنسِ إلى الجميعِ ، فلا يُستعمَلُ في غيرِ الجماعةِ ؛ كشجرٍ ، ومَدَرٍ ، وتمرٍ ، وبقرٍ .

وهٰذانِ النوعانِ فيما إذا تَفصَّلَتْ أفرادُ الأجناسِ وتَشخَّصَتْ ؛ بحيثُ تُعَدُّ فيكونُ فيها الآحادُ والجماعاتُ ، وإذا دخلَتْ على اسمِ الجنسِ الجمعيِّ التاءُ . . صارَ للواحدِ ؛ كشجرٍ وشجرةٍ ، ومَدَرٍ ومَدَرةٍ ، ورملٍ ورملةٍ ؛ فذو التاءِ للواحدِ ، والمُجرَّدُ منها للجماعةِ ، إلَّا في لفظِ (كَمْءٍ وكمأَةٍ) ، فذو التاءِ للجماعةِ ، والمُجرَّدُ للواحدِ .

والثالثُ : ما وُضِعَ ليُستعمَلَ في الكثيرِ والقليلِ منهُ حيثُ لم تكنْ لهُ آحادٌ مُفصَّلةٌ مُتميِّزةٌ ؛ كأسماءِ السَّوائلِ ؛ مِنْ ماءٍ ، وزيتٍ ، وسَمْنٍ ، وعسلٍ ؛ فإنَّ المُفصَّلَ منها لو جمعتَهُ . . صارَ شيئاً واحداً ، بخلافِ الأجناسِ ذوي الآحادِ .

قسمُ المصدرِ

عرفتَ المرادَ به ، ولفظُهُ يكونُ علىٰ صورٍ كثيرةٍ يأتي شرحُها في قسمِ الصَّرفِ ، ومعناهُ مُطلَقٌ يَتقيَّدُ بالنسبِ إلىٰ مُتعلَّقاتِهِ ، ويَتبيَّنُ في قسمِ النحوِ ، كما أنَّ الكلامَ علىٰ قسمَيِ الفعلِ والمُشتقِّ يأتي بعضُهُ في قسمِ الصَّرفِ ، وبعضُهُ في قسمِ النحوِ .

❋ ❋ ❋

قسمُ الحروفِ

بيانُ معاني حروفِ المعاني مِنْ وظيفةِ عِلْمِ متنِ اللغةِ ، وتُذكَرُ في عِلْمِ النحوِ لاحتياجِهِ إلىٰ [بعضِها] ، ورأيتُ إيرادَها في هٰذا الموضعِ لتجيءَ المسائلُ الموقوفةُ علىٰ معرفتِها بينةً واضحةً ، ليسَ فيها إحالةٌ ؛ فنقولُ :

[أحرفُ الإضافةِ]

سبعةَ عشرَ حرفاً تُسمَّىٰ : أحرفَ الإضافةِ ؛ لكونِها لربطِ معنىٰ كلمةٍ بمعنىٰ كلمةٍ ، والمربوطُ يُسمَّىٰ : **مُتعلِّقاً** بكسرِ اللامِ ، والمربوطُ بهِ يُسمَّىٰ : **مُتعلَّقاً** بفتحِها ؛ وهيَ : (مِنْ ، وإلىٰ ، وعن ، وعلىٰ ، وعدا ، وحاشا ، وخلا ، وفي ، وكافٌ ، ولامٌ ، وباءٌ ، [وواوٌ] ، وتاءٌ ، ومُذْ ، ومُنْذُ ، وحتىٰ ، وكي) .

الكلام في (مِنْ) : بكسرِ الميمِ وسكونِ النونِ ، وتُفتَحُ لوقوعِ (أل) بعدَها ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ آخرَ ، [وهيَ] مُشتركةٌ بينَ معانٍ :

ـ **الأوَّلُ** : كونُ موضعٍ أو وقتٍ ـ وهما مدلولُ ما بعدَها ـ مَبدأَ مسافةِ فعلٍ ؛ وهوَ مدلولُ ما قبلَها ؛ **مثالُهُ** : (سعيتُ مِنَ الصَّفا ، وطُفتُ مِنَ الصُّبحِ) .

ـ **الثاني** : كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها ؛ **مثالُهُ** : (أكرمتُكَ مِنْ عِلْمِكَ) وكثيراً ما يُذكَرُ بعدَها كلمةُ (أَجْلٍ) فيُقالُ : (مِنْ أَجْلِ عِلْمِكَ) .

ـ **الثالثُ** : كونُ ما قبلَها مُبعِّضاً لِمَا بعدَها ؛ **مثالُهُ** : (أنفقْ مِنْ مالِكَ . . يُخلَفْ عليكَ) .

ـ **الرابعُ** : كونُ شيءٍ بدلَ شيءٍ بتعويضٍ أو بغيرِ تعويضٍ ؛ **مثالُهُ** : (ارغبْ في الأعلىٰ مِنَ الأدنىٰ) .

ـ **الخامسُ** : كونُ ما بعدَها هوَ الجنسَ المرادَ مِنْ أجناسٍ يَحتمِلُها لفظٌ سابقٌ عليها ، وتُسمَّى : البيانيَّةَ ؛ **مثالُهُ** : (أنتَ علىٰ ما أسلفتَ مِنْ خيرٍ مأجورٌ) .

الكلامُ في (إلىٰ) : بكسرِ الهمزةِ ، وألفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تظهرُ في بعضِ الكلامِ ، وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

ـ **الأوَّلُ** : كونُ ما بعدَها مِنْ مكانٍ أو وقتٍ غايةَ مسافةِ فعلٍ ، وهيَ في مقابلةِ (مِنْ) الابتدائيةِ ؛ تقولُ : (سارَ مِنَ المغربِ إلى المَشرِقِ ، مِنَ الصُّبحِ إلى العصرِ) .

ـ **الثاني** : كونُ ما قبلَها مصاحباً لِمَا بعدَها ؛ كقولِكَ : (فلانٌ شَرَّفَهُ كَرَمُ حَسَبٍ وعُلُوُّ نَسَبٍ إلىٰ طبعٍ نقيٍّ) .

ـ **الثالثُ** : كونُ ما بعدَها مفعولاً لِمَا قبلَها لا فاعلاً ، وهٰذهِ تقعُ في تركيبِ (أحبَّ) في مقابلةِ (لامٍ) تدلُّ علىٰ أنَّ ما بعدَها مفعولٌ لِمَا قبلَها ؛ كقولِكَ : (زيدٌ أحبُّ إليَّ مِنْ عمرٍو) فـ (إلىٰ) تدلُّ علىٰ أنَّ ما بعدَها محبوبٌ ، بخلافِ (أحبُّ لي) فاللامُ للدلالةِ علىٰ أنَّ ما بعدَها مُحِبٌّ [1] ، ومثلُ (أحبَّ) : (أبغضُ) ، وتُسمَّى (اللَّامُ) و(إلىٰ) في هٰذا التركيبِ : حرفَيِ التبيينِ .

---

(١) كذا في الأصل ، والذي في « حاشية الصبان على الأشموني » (٢/٢١٧) : (اعلم : أن ما بعد « إلى » التبيينية فاعل ، وما قبلها مفعول ، واللام التبيينية بعكس ذٰلك ؛ فإذا قلت : « زيد أحب إليَّ » . . كنت أنت المحِبَّ وزيد المحبوب ، وإذا قلت : « زيد أحبُّ لي » . . كنت أنت المحبوب وزيد المحب) .

الكلامُ في (عَنْ) : بسكونِ النونِ ، وتُكسَرُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ، **ومعناها** : كونُ شيءٍ فارقَ شيئاً بعدَ اجتماعٍ .

الكلامُ في (علىٰ) : (علىٰ) ألفُها بدلٌ مِنْ ياءٍ تظهرُ في بعضِ الكلامِ ، **ومعناها** : كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ حِسّاً أو معنىً ؛ نحوُ : (زيدٌ واقفٌ على الأرضِ علىٰ نيَّةِ المَشْيِ) .

الكلامُ في (عدا) و(حاشا) و(خلا) : معنىٰ هٰذهِ الحروفِ : كونُ ما بعدَها مصروفاً عنهُ حكمٌ علىٰ أمرٍ شاملٍ للمصروفِ عنهُ وغيرِهِ ؛ مثلُ : (خرجَ أهلُ البلدِ عدا زيدٍ ، وحاشا عمرٍو ، وخلا بكرٍ) .

الكلامُ علىٰ (في) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

ـ **الأوَّلُ** : كونُ ما بعدَها ظرفاً لِمَا قبلَها .

ـ **الثاني** : كونُ ما بعدَها سبباً ؛ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ »(١) .

ـ **الثالثُ** : كونُ شيءٍ فوقَ شيءٍ ؛ فهيَ كـ (علىٰ) نحوُ : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥) ، ومسلم (٢٢٤٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) سورة طه : (٧١) .

الكلامُ في (الكافِ) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معنيَينِ :

ـ **أحدُهما** : كونُ ما قبلَها شبيهاً لِمَا بعدَها .

ـ **وثانيهِما** : كونُ ما بعدَها عِلَّةً لِمَا قبلَها .

مثلُ : (زيدٌ كالقمرِ) ، ومثلُ : ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾[1] .

❊ ❊

الكلامُ في (اللامِ) : وهيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

ـ **أحدُها** : كونُ ما قبلَها مملوكاً لِمَا بعدَها أو مُنزَّلاً منزلتَهُ .

ـ **وثانيها** : كونُ ما بعدَها عِلَّةً .

ـ **وثالثُها** : كونُهُ نهايةً[2] .

❊ ❊

الكلامُ في (الباءِ) : هيَ مُشترِكةٌ بينَ معانٍ :

ـ **أحدُها** : كونُ ما قبلَها مُلصَقاً بما بعدَها .

ـ **وثانيها** : كونُهُ مُصاحِباً ؛ مثلُ : (اشترى الفرسَ بسرجِهِ ، وأخذَ الشيءَ برمَّتِهِ وبأسرِهِ) .

ـ **وثالثُها** : كونُ ما بعدَها ظرفاً .

ـ **ورابعُها** : كونُهُ سبباً ؛ مثلُ : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : (١٩٨) .

(٢) مثال الأول ؛ وهو لام الملك : (المالُ لزيد) ، ومثال ما نزل منزلة الملك : (أدومُ لكَ ما تدومُ لي) ، ومثال الثاني ؛ وهو لام التعليل : (زرتُك لشرفك) ، ومثال الثالث ؛ وهو كون اللام بمعنىٰ (إلى) التي لانتهاء الغاية قوله تعالىٰ : ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة : ٥] .

(٣) سورة النساء : (١٦٠) .

ـ **وخامسُها** : كونُهُ عوضاً .

ـ **وسادسُها** : كونُهُ آلةً ، وتُسمَّىٰ : باءَ الاستعانةِ .

ـ **وسابعُها** : كونُ ما بعدَها مُقْسَماً ومحلوفاً بهِ لتأكيدِ الدَّعوىٰ أوِ الاستعطافِ ، والواوُ والتاءُ كالباءِ في معنى القَسَمِ لغيرِ الاستعطافِ .

الكلامُ في (مُذْ) و(مُنْذُ) : هما بمعنىٰ (مِنْ) إن صحبَتا زماناً ماضياً ، وبمعنىٰ (في) إن صحبَتا زماناً حاضراً ، وبمعنىٰ (مِنْ) و(إلىٰ) إن صحبَتا زماناً ماضياً بعضُهُ ؛ مثلُ : (مُذْ أوَّلِ يومٍ ، ومُذْ يومِنا ، ومُذْ عامٍ ، ومُذْ يومَينِ) .

الكلامُ في (حتىٰ) : **معناها** : كونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في أمرٍ مُرتَّبٍ في الذِّهنِ شَرَفاً أو خِسَّةً ؛ مثلُ : (اقرأ العِلْمَ حتى السَّحَرِ) .

الكلامُ في (كَيْ) : هيَ في هٰذا البابِ لا تَصحَبُ إلَّا كلمةَ سؤالٍ ؛ وهيَ (ما) مثلُ : (كَيْمَهْ) فهيَ للعلَّةِ المطلوبةِ بـ (ما) .

[أحرفُ المعاني]

حرفا التشبيهِ : هما الكافُ السابقة ، و(كأنَّ) مثلُ : (كأنَّ زيداً قمرٌ) .

أحرفُ التوكيدِ : وهيَ التي تفيدُ بها أنَّكَ جازمٌ بنسبةِ أمرٍ إلىٰ أمرٍ : (إنَّ) بكسرِ الهمزةِ ، و(أَنَّ) بفتحِها ، ولامٌ تُسمَّىٰ : (لامَ الابتداءِ) نحوُ : (لَزيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو) ، و(قَدْ) وتَختصُّ بالأفعالِ .

حرفُ الاستدراكِ (لٰكنَّ) ، **والاستدراكُ** : رفعُ وَهْمٍ نشأَ مِنَ الكلامِ السابقِ ؛ نحوُ : (فلانٌ عالمٌ ، لٰكنَّهُ سيِّئُ الخُلُقِ) .

حرفُ التمنِّي (ليتَ) ، **والتمنِّي** : تَشوُّفُ النفسِ وطلبُها حصولَ ما لا يمكنُ أو يَبعُدُ .

حرفُ التوقُّعِ (لعلَّ) ، ويُقالُ : الترجِّي والترقُّبِ .

❊

أحرفُ النَّفْيِ : هيَ (ما) و(لا) و(لن) و(لم) و(لمَّا) و(إنْ) و(لاتَ) .

❊

أحرفُ الجوابِ : (نَعَمْ) و(بلىٰ) و(أَجَلْ) و(جَيْرِ) و(إنَّ) ، و(إيْ) .

فـ (نَعَمْ) و(أَجَلْ) و(جَيْرِ) و(إنَّ) : لتصديقِ المُخبِرِ ، ووعدِ الطالبِ ، وإعلامِ السائلِ ، و(لا) ضدُّها ، و(بلىٰ) لإبطالِ نَفْيٍ سابقٍ ، و(إيْ) يَغلِبُ وقوعُها بعدَ الاستفهامِ ، ويَصحَبُها القَسَمُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾[1] ، ومنهُ قولُ : (إِيوَهْ) بكسرِ الهمزةِ ، والاقتصارِ مِنَ القَسَمِ علىٰ واوِهِ ، وإلحاقِ هاءٍ تُسمَّىٰ : هاءَ السكتِ ، تقعُ في مواضعَ مِنْ كلامِ العربِ ، يأتي بيانُها في قسمِ الصَّرفِ .

❊

أحرفُ النداءِ : وهوَ التصويتُ طلباً للإقبالِ : (أَيْ) و(أَيا) و(آ) و(يا) وهمزةٌ مفردةٌ .

---

(١) سورة يونس : (٥٣) .

حرفُ العَرْضِ : وهوَ الطلبُ برفقٍ : (أَلَا) .

أحرفُ التحضيضِ : وهوَ الطلبُ بشدَّةٍ : (ألَّا) و(هلَّا) و(لولا) و(لوما) .

حرفا الاستفهامِ : الهمزةُ و(هلْ) ، (هلْ) لطلبِ التصديقِ ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها غيرَ حاكمٍ بوقوعِ النسبةِ ، يَطلُبُ أن تُعلِمَهُ ليحكمَ ، والهمزةُ مثلُها ، ولطلبِ التصوُّرِ ، فيكونُ المُتكلِّمُ بها حاكماً بوقوعِ النسبةِ ، مُتردِّداً بينَ فاعلَينِ ، أو مفعولَينِ ، أو مكانَينِ ، أو زمانَينِ ، أو حالَينِ ، أو غيرِهِما ، وبعدَ الهمزةِ التي لطلبِ التصوُّرِ يُؤتىٰ بـ (أَمْ) وتُسمَّىٰ : (أمِ) المُتصِلةَ والمُعادِلةَ .

همزةُ التسويةِ : هيَ التي تقعُ بعدَ (سواءٍ) غالباً ، ويُؤتىٰ معَها بـ (أمِ) المُتصِلةِ ، كما يُؤتىٰ بها معَ همزةِ الاستفهامِ .

[أحرفُ الشَّرطِ]

أحرفُ الشرطِ : (إنْ) و(لو) و(أمَّا) و(لولا) و(لمَّا) .

فـ (إنْ) لتعليقِ حصولِ أمرٍ علىٰ أمرٍ آخَرَ مشكوكٍ في حصولِهِ ، لـٰكنْ بفَرْضِ حصولِهِ يلزمُ حصولُ ما علقتَهُ بهِ ووقفتَهُ عليهِ ، وهـٰذا هوَ معنىٰ لفظِ (الشَّرْطِ) .

وتمامُ الكشفِ عن ذٰلكَ : أنَّ كلَّ أمرٍ مُتردَّدٍ بينَ أن يكونَ وألَّا يكونَ . . لا بدَّ لهُ مِنْ سببٍ يُرجِّحُ أحدَ طرفَيهِ ، وربَّما توقَّفَ تَحقُّقُ ما يُرجِّحُهُ السببُ علىٰ شروطٍ ، فمتىٰ وُجِدَ السببُ وتمَّتِ الشروطُ . . وجبَ حصولُ المُسبَّبِ ؛ مثلُ قولِكَ : (إن طلعَتِ الشمسُ ولم يَحجُبْها الغَمامُ . . أضاءَتِ الآفاقُ) فطلوعُ

الشمسِ سببٌ للإضاءةِ ، وعدمُ حَجْبِ الغَمامِ شرطٌ ، فالعبارةُ الواقعةُ بعدَ (إنْ) عبارةٌ عن سببٍ أو شرطٍ ، فهيَ لتعليقِ الأمورِ المستقبلةِ .

وأمَّا (لو) . . فهيَ لربطِ أمرٍ بأمرٍ والحكمُ باللزومِ بينَهُما في الماضي ، ولها في اللغةِ ثلاثةُ استعمالاتٍ :

ـ **الأوَّلُ** : أن يُفادَ بها أنَّ شيئاً انتفىٰ وامتنعَ وجودُهُ لانتفاءِ سببِهِ أو شرطِهِ ؛ كقولِ الشاعرِ (١) : [من المتقارب]

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا ... لَطَارَتْ وَلَٰكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

وحينَئذٍ يكونُ المرادُ منها : هٰذا المعنىٰ يُستدرَكُ برفعِ ما يليها ؛ وهوَ المُقدَّمُ ، ليرتَفِعَ ما يليهِ ؛ وهوَ التالي .

ـ **الاستعمالُ الثاني** : أن يُفادَ بها أنَّ مضمونَ التالي واقعٌ علىٰ كلِّ حالٍ ؛ وذٰلكَ حيث يُعلَّقُ حصولُهُ علىٰ ما ينافيه ، فإذا كانَ واقعاً معَ ما ينافيهِ . . فوقوعُهُ معَ ما يلائمُهُ أَولىٰ ؛ كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ الصَّحابةِ : « إِنَّ سَالِماً شَدِيدُ ٱلْحُبِّ لِلَّهِ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ ٱللَّهَ . . لَمْ يَعْصِهِ » (٢) ، فعدمُ العصيانِ يلائمُهُ الخوفُ ، فلمَّا عُلِّقَ على المُنافي . . عُرِفَ أنَّه واقعٌ علىٰ أيِّ حالٍ فُرِضَتْ ، وحينَئذٍ يكونُ المرادُ منها : هٰذا المعنىٰ لا يُستدرَكُ ؛ إذِ الغرضُ التقريرُ .

ـ **الاستعمالُ الثالثُ** : أن يُفادَ بها أنَّ بينَ مُقدَّمِها وتاليها لزوماً ؛ فيُستدَلُّ بوقوعِ المُقدَّمِ الملزومِ علىٰ وقوعِ التالي اللازمِ ، ويُستدَلُّ بانتفاءِ التالي اللازمِ على انتفاءِ المُقدَّمِ الملزومِ ، فيُستدرَكُ بثبوتِ المُقدَّمِ ليثبتَ التالي ، ويُستدرَكُ بانتفاءِ التالي لينتفيَ المُقدَّمُ .

---

(١) هو أُبي بن أبي سلمى بن ربيعة بن ريَّان ، كما في « الزهرة » (٢/٢٤٣) .

(٢) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/١٧٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

مثالُ ذلك : قولُكَ : (لو كانَ زيدٌ عالماً . . أحبَّ العلماءَ ، لكنَّهُ عالِمٌ ؛ فهو يُحِبُّ العلماءَ) أو (لكنَّهُ لا يُحِبُّ العلماءَ . . فهوَ ليسَ بعالمٍ) .

ولمَّا كانَ اللازمُ قد يكون لازماً لأكثرَ مِنْ شيءٍ ؛ كالمُسبَّبِ الذي لهُ أسبابٌ كلُّ واحدٍ منها يكفي لوجودِهِ . . لم يكنْ وجودُ اللازمِ المُسبَّبِ دليلاً علىٰ وجودِ سببٍ بعينِهِ ، ولم يكنِ انتفاءُ سببٍ بعينِهِ دليلاً على انتفاءِ المُسبَّبِ .

مثالُ ذلك : الضَّوءُ ؛ فإنَّهُ يَتسبَّبُ عنِ الشمسِ ويَتسبَّبُ عنِ النارِ ، فلا يكونُ وجودُهُ دليلاً علىٰ وجودِ الشمسِ ، ولا يكونُ انتفاءُ الشمسِ دليلاً على انتفاءِ الضَّوءِ .

وهٰذا الاستعمالُ لـ (لو) هوَ المبحوثُ عنهُ في عِلْمِ المَنطِقِ ؛ لأنَّهُ هوَ العِلْمُ الباحثُ عن حالِ الاستدلالِ ، وجميعُ استعمالاتِ (لو) واردةٌ في الكتابِ العزيزِ .

ـ **فالأوَّلُ** : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ (١) ؛ أي : لكنَّهُ لم يَعلَمْ فيهِم خيراً ، فلم يُسمِعْهُم .

ـ **والثاني** : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ (٢) ؛ أي : فكلماتُ اللهِ غيرُ متناهيةٍ علىٰ أيِّ حالٍ فُرِضَ .

ـ **والثالثُ** : كقولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً ﴾ (٣) ؛ أي : لكنَّهُم لمْ يُعِدُّوا ، فهوَ دليلٌ علىٰ عدمِ إرادتِهِمُ الخروجَ .

---

(١) سورة الأنفال : (٢٣) .

(٢) سورة لقمان : (٢٧) .

(٣) سورة التوبة : (٤٦) .

وأمَّا كلمةُ (أمَّا) . . فهيَ للتحقيقِ في صورةِ التعليقِ .

مثلاً : تقولُ : أنا مسافرٌ الحجازَ ، فيقولُ لكَ إنسانٌ : إنَّ الوقتَ شديدُ الحرِّ ، والطرقَ مَخوفةٌ ، ولولا ذٰلكَ . . لصحبتُكَ .

فتقولُ : (أمَّا أنا . . فمسافرٌ) ومعناهُ : مهما يكنْ مِنْ حرٍّ أو بردٍ أوِ اعتدالٍ ، أو أمنٍ أو خوفٍ . . فأنا مسافرٌ .

استغنَتِ العربُ بكلمةِ (أمَّا) عن (مهما يكنْ) وبيانِ (مهما) ، وزحلقَتِ الفاءَ اللازمةَ لـ (أمَّا) عن موضعِها ، فبانَ أنَّ الغرضَ مِنْ تركيبِ (أمَّا) هوَ التحقيقُ بصورةِ التعليقِ .

وأمَّا (لولا) . . فهيَ لإفادةِ انتفاءِ شيءٍ لوجودِ آخَرَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [١] ؛ أيِ : انتفى الفسادُ لوجودِ الدَّفعِ .

ويُقالُ في (لولا) : (لوما) .

وأمَّا (لمَّا) . . فهيَ لإفادةِ حصولِ أمرٍ لحصولِ سببِهِ في الماضي ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ ﴾ [٢] .

وغيرُ سيبويهِ وأتباعِهِ يقولُ : إنَّ (لمَّا) هٰذهِ اسمٌ بمعنىٰ (إذ) مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي [٣] .

أحرفُ التنبيهِ : (يا) و(أَلَا) و(أَمَا) ويُستفتَحُ بهٰذهِ الكلامُ ، والتنبيهُ يُنبِئُ عنِ الاعتناءِ ، و(ها) وتَصحَبُ أسماءَ الإشارةِ التي ليسَ معَها لامٌ ؛

---

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

(٢) سورة يونس : (٩٨) .

(٣) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٢/٣٩ ـ ٤٠) .

مثلُ : (هـٰذا) و(هاذاكَ) فلا يُقالُ : (هاذالِكَ) ، وتَصحَبُ ضميراً مصحوباً باسمِ إشارةٍ ؛ مثلُ : (هـٰأنذا) ، و(هـٰأنتَ ذا) ؛ لدقَّةِ الإشارةِ ، وصغرِ لفظِها ، وغلبةِ الإشكالِ في المُشارِ إليهِ .

وتَصحَبُ وتعقبُ كلمةَ (أيّ) مثلُ : (يا أيُّها الإنسانُ) .

أحرفُ التشريكِ بينَ شيئَينِ في حكمٍ أو حصولٍ :

الفاءُ و(ثُمَّ) : للتشريكِ والترتيبِ ، معَ الاتصالِ في الأُولىٰ والفوريَّةِ ، ومعَ الانفصالِ في الثانية والمهلةِ ؛ مثلُ : (قرأَ زيدٌ فعمرٌو) أو (ثمَّ عمرٌو) ، أو (قرأَ زيدٌ فقرأَ عمرٌو) أو (ثمَّ . . .) ، وربَّما أفادَتِ الفاءُ سببيةَ السابقِ للَّاحقِ .

والواوُ و(حتىٰ) : للتشريكِ المطلقِ ، بترتيبٍ وبغيرِ ترتيبٍ ، باتصالٍ وغيرِهِ ؛ مثلُ : (خرجَ زيدٌ وعمرٌو) ، وزيدٌ قبلُ أو بعدُ أو مقارنٌ .

لـٰكنْ (حتىٰ) لا تكونُ إلَّا معَ ذي أجزاءٍ أو جزئياتٍ ، ويكونُ ما بعدَها غايةً لِمَا قبلَها في خِسَّةٍ أو شرفٍ ؛ مثلُ : (خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ حتى الكنَّاسونَ ، أو أُمراؤُها) .

حرفُ الترديدِ للشكِّ ، أوِ التشكيكِ ، أوِ الإبهامِ (أو) مثلُ : ﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (١) ، وتكونُ **للتخييرِ** بينَ أمرَينِ لا يجوزُ جمعُهُما عقلاً أو شرعاً ؛ مثلُ : (تكلَّمْ أوِ اسكتْ) ، و(تزوَّجْ

---

(١) سورة سبأ : (٢٤) .

هنداً أو أختَها) ، وللإباحةِ عندَ جوازِ الجمعِ ؛ مثلُ : (جالسِ العلماءَ أوِ الزُّهَّادَ) .

حرفُ الإضرابِ والإعراضِ ؛ أي : الانتقالِ مِنْ ضَرْبٍ إلىٰ ضَرْبٍ ، وعُرْضٍ ـ بضم العين ـ إلىٰ عُرْضٍ : كلمةُ (بلْ) وهيَ مثلُ : (جاءَ زيدٌ بل عمرٌو) ، و(أَحسِنْ إلىٰ زيدٍ بل عمرٍو) ظاهرةٌ في صرفِ الحكمِ عنِ الأوَّلِ وتخصيصِهِ بالثاني ، معَ جوازِ اشتراكِهِما ، فإذا قلتَ : (لا بل) . . كانَ صرفُ الحكمِ قطعيّاً ، وفي مثلِ : (ما أساءَ زيدٌ بل عمرٌو) و(لا تُهِنْ زيداً بل عمراً) لتقريرِ ما سبقَ ، والانتقالِ بضدِّهِ لِمَا بعدَها ، وما فيهِ تقريرُ السابقِ يُسمَّىٰ : إضراباً انتقاليّاً ، وما فيهِ رفعُ السابقِ يُسمَّىٰ : إضراباً إبطاليّاً .

وتُستعمَلُ كلمةُ (أم) بمعنىٰ (بل) فقطْ ، وبمعنىٰ (بل) والهمزةِ جميعاً في بعضِ الكلامِ ، وحينَئذٍ تُسمَّىٰ : (أم) المُنقطِعةَ في مقابلةِ (أمِ) المُتصِلةِ ، التي سبقَ القولُ بأنَّها تكونُ بعدَ همزةِ الاستفهامِ التصوُّريّ ، وبعدَ همزةِ التسويةِ [1] .

❊ ❊

حرفُ التفصيلِ (إمَّا) بكسرِ الهمزةِ : مثلُ : (إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو) .

وتقومُ مقامَ الثانيةِ (أو) مثلُ : (إمَّا زيدٌ أو عمرٌو) .

❊ ❊

حرفُ النَّهْيِ (لا) : في مثلِ : (لا تَحقِرْ نفسَكَ) .

---

(١) انظر (١٣٢/١) .

حرفُ الأمرِ **اللامُ** : في مثلِ : (لِيَحسُنْ رأيُكَ ، فلْيَزِدْ جِدُّكَ ، ولْتَطِبْ نفسُكَ ، ثمَّ لِتطلُبْ كلَّ خيرٍ) ، وتُسكَّنُ بعدَ الواوِ والفاءِ ، وتُكسَرُ معَ غيرِهِما .

حرفُ الاستثناءِ (إلَّا) : مثلُ : (كلُّ الكلامِ حسنٌ ، إلَّا كلاماً أعقبَ شرّاً) .

أحرفُ التعليلِ : (مِنْ) ، واللامُ ، والكافُ ، والفاءُ ، والباءُ ؛ مثلُ : (أكرِمْ زيداً مِنْ أنَّهُ حكيمٌ) ، أو (لأنَّهُ) ، أو (كما أنَّهُ) ، أو (فإنَّهُ) ، أو (بأنَّهُ) .

أحرفُ الاستقبالِ ـ أيِ : التي يكونُ ما بعدَها مُستقبَلاً آتياً لا يَحتمِلُ الكونَ في الحالِ ـ : السينُ ، و(سوفَ) ، و(أنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(إنْ) بكسرِ الهمزةِ ، و(لن) مثلُ : (سيقولُ) ، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (٢) ، و(إن تجهدْ . . تسعدْ) ، و(لن تَغلِبَكَ صعوبةُ صعبٍ إن صبرتَ وسلكتَ إليهِ مِنْ مسالِكِهِ) .

خمسةُ أحرفٍ تُسمَّى : **الأحرفَ المصدريَّةَ** ، **والموصولاتِ الحرفيَّةَ** ، **والأحرفَ السوابكَ** ؛ لأنَّها تجعلُ ما بعدَها ـ وهوَ صلتُها مِنْ فعلٍ أو مُشتقٍّ آخرَ ـ بمنزلةِ مصدرٍ ، فكأنَّها سَبَكَتْ ما بعدَها مصدراً ؛ بحيثُ لو رفعتَها وصلتَها ووضعتَ المصدرَ مكانَهُما . . استقامَ لكَ الكلامُ ، ولذلك تُسمَّىٰ

(١) سورة الضحىٰ : (٥) .

(٢) سورة البقرة : (١٨٤) .

هـٰذهِ الأحرفُ معَ ما بعدَها : **المصادرَ التأويليَّةَ** ؛ لأنَّها في اللفظِ أحرفٌ وأفعالٌ أو مُشتقَّاتٌ أُخَرُ ، وفي اللَّحظِ هيَ مصادرُ ، والمصادرُ التأويليَّةُ في مقابلةِ **المصادرِ الصريحةِ** .

والأحرفُ المذكورةُ هيَ : (أَنْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ النونِ ، و(أَنَّ) بفتحِ الهمزةِ والنونِ المشدَّدةِ ، و(كَيْ) ، و(ما) ، و(لو) مثلُ : (حَسُنَ أن تكتبَ العِلْمَ ؛ لأنَّ الكَتْبَ يَحفظُهُ مِنَ الضَّياعِ ، ولكي تراجعَ الكتابَ متىٰ شئتَ ، وممَّا وُضِعَتِ الكتبُ حُفِظَتِ العلومُ) .

وقد يُلحَظُ معَ (ما) هـٰذهِ معنى الوقتِ ، فتُسمَّى : **المصدريةَ الظرفيةَ** ؛ مثلُ : (أنتَ حكيمٌ محبوبٌ ما طلبتَ الخيرَ وجهدتَ في تحصيلِهِ) فهوَ علىٰ معنىٰ مُدَّةِ ما طلبتَ الخيرَ ، وعلىٰ تأويلِ مُدَّةِ طلبِكَ .

و(أودُّ لو تَتحفَّظُ) و﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[1] .

حرفُ الردعِ والزجرِ (كلَّا) : مثلُ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا ﴾[2] .

حرفا التفسيرِ (أَيْ) بفتحِ الهمزةِ وسكونِ الياءِ ، و(أَنْ) بالفتحِ فالسكونِ :

فـ (أي) : تكونُ بعدَ ما يَحتاجُ إلى البيانِ [بلاحقِها] ؛ مثلُ : (غضنفرٌ ؛ أي : أسدٌ) و(عسجدٌ ؛ أي : ذهبٌ) .

و(أن) : تقعُ بعدَ مُبهَمٍ مذكورٍ أو محذوفٍ مُتعلِّقٍ بفعلٍ في معنى القولِ

---

(١) سورة البقرة : (٩٦) .

(٢) سورة التكاثر : (١ ـ ٣) .

دونَ حروفِهِ ؛ كـ (أمرَ) و(أشارَ) ، وما بعدَ (أن) جملةٌ مُفسِّرةٌ للمبهَمِ السابقِ هيَ معناهُ ؛ مثلُ : ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾[1] .

ومثلُ : ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ ﴾[2] ؛ أي : [فأوحينا] إليهِ موحىً هوَ : اصنعِ الفلكَ .

حرفا التوكيدِ الفعليّ : نونٌ ساكنةٌ تُسمَّىٰ : نونَ التوكيدِ الخفيفةَ ، ونونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ تُسمَّىٰ : نونَ التوكيدِ الثقيلةَ .

لا يلحقانِ الأفعالَ الماضيةَ ، ويلحقانِ الأفعالَ الأمريَّةَ عندَ الحاجةِ إلى التوكيدِ .

ويلحقانِ المضارعَ وجوباً ؛ إذا كانَ مُستقبَلاً مثبتاً جوابَ قَسَمٍ ؛ مثلُ : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾[3] .

وقريباً مِنَ الوجوبِ ؛ إذا كانَ شرطاً لـ (إن) المزيدِ معَها لفظُ (ما) مثلُ : ﴿ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾[4] .

وكثيراً ؛ إذا كانَ ذا طلبٍ ؛ مِنِ استفهامٍ ، أو تَمَنٍّ ، أو نَهْيٍ ، أو عَرْضٍ ، أو حَضٍّ ؛ مثلُ : (هل تصغيَنَّ) ، و(ليتَكَ تحفَظَنَّ) ، و(لا تَكسَلَنَّ) ، و(ألَا تَدأَبَنَّ) ، و(هلَّا تَطلُبَنَّ) .

وقليلاً ـ والأحسنُ تركُهُ والاقتصارُ علىٰ ما سُمِعَ مِنَ العربِ ـ إذا كانَ

---

(١) سورة طه : (٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧) .

(٣) سورة الأنبياء : (٥٧) .

(٤) سورة الزخرف : (٤١) .

منفيّاً بـ (لم) أو زِيدَ قبلَهُ لفظُ (ما) كقولِ الشاعرِ [١] : [من الطويل]

وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

أو كانَ شرطاً لغيرِ (إمَّا) .

ويمتنعُ توكيدُ المضارعِ بِهما في غيرِ هٰذهِ المواضعِ ، فلهُما معَ المضارعِ خمسُ أحوالٍ ، وقد شذَّ بعضُ العربِ فلا يُنطَقُ بمثلِ ما بهِ نطقَ ، فأكَّدَ الفعلَ الماضيَ الدعائيَّ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ الأمرِ لاشتمالِهِ علىٰ معنى الطلبِ ، فقالَ [٢] : [من الكامل]

دَامَنَّ سَعْدُكِ إِنْ رَحِمْتِ مُتَيَّماً لَوْلَاكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

فهوَ بمنزلةِ : اللَّهمَّ ؛ أديمنَّ سعدَها ، وشذَّ بعضٌ آخَرُ ، فأكَّدَ اسمَ الفاعلِ ؛ تنزيلاً لهُ منزلةَ المضارعِ ، فقالَ [٣] : [من الرجز]

أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا

مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ ٱلْبُرُودَا

أَقَائِلُنَّ أَحْضِرُوا ٱلشُّهُودَا

فهوَ بمنزلةِ : أتقولَنَّ .

وللنطقِ بالأفعالِ معَهُما كيفياتٌ لم تكنْ لهُ بدونِهِما ، تقفُ عليها في قسمِ الصَّرفِ .

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٤/٢٢) ، والبيت بتمامه :

إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ ٱبْنُهُ وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا

وقال : (يريد أن الابن يشبه أباه ، فمن رأىٰ هٰذا . . ظنَّه هٰذا ، فكأن الابن مسروق) ، والشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، والعضة : واحدة العضاه ؛ شجر .

(٢) انظر « شرح الصبان على الأشموني » (٣/٢١٣) .

(٣) ديوان رؤبة بن العجاج (ص ١٧٣) ، وانظر « خزانة الأدب » (١١/٤٢٠) ، والأملود : الناعم اللين .

تكملةٌ للكلامِ علىٰ قسمِ الحروفِ

اعلمْ : أنَّ العربَ قد يُسمُّونَ الشيءَ باسمٍ ، ثمَّ يزيدونَهُ حرفاً ويُسمُّونَ بهِ ما هوَ أكبرُ مِنْ ذٰلكَ الشيءِ مِنْ جنسِهِ ؛ ومِنْ هنا قالَتِ العلماءُ : **(زيادةُ المبنىٰ تدلُّ علىٰ زيادةِ المعنىٰ)** .

مِنْ ذٰلك : ما حكاهُ الزمخشريُّ عن نفسِهِ قالَ : اجتزتُ يوماً بساحلِ البحرِ ، فرأيتُ رجلاً أعرابيّاً عندَ مَركبَينِ صغيرٍ وكبيرٍ ، فسألتُهُ عنِ اسمِ الكبيرِ ، فأشارَ إلى الصغيرِ وقالَ : أليسَ هٰذا الشُّقْدُفَ ؟ فقلتُ لهُ : بلىٰ ، فقال : فهٰذا [الشِّقِنْدافُ] .

إذا وَعَيْتَ هٰذا . . فاعلمْ : أنَّ بعضَ أحرفِ المعاني تُستعمَلُ في بعضِ الكلامِ زائدةً لا لإفادةِ معنىً ، بل لغرضِ التوكيدِ والتقويةِ ؛ مِنْ بابِ (زيادةُ المعنىٰ بزيادةِ المبنىٰ) وتلكَ الأحرفُ هيَ : (مِنْ) ، والباءُ ، واللَّامُ ، و(إن) بكسرِ الهمزةِ ، و(لا) ، و(ما) ، والكاف .

فتُزادُ (مِنْ) بعدَ نَفْيٍ أو نَهْيٍ أوِ استفهامٍ داخلةً علىٰ نكرةٍ ؛ مثلُ : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾[1] ، و(ما لباغٍ مِنْ مَفَرٍّ)[2] ، و(لن ترىٰ مِنْ أحدٍ يَعرِفُ الخيرَ ولا يأتيهِ ، ولا يجهلُ الشرَّ وهوَ يبتغيهِ) ، و(لا تُخَيِّبْ مِنْ آملٍ وأنتَ قادرٌ) .

---

(١) سورة الحاقة : (٤٧) .

(٢) ألمح إلىٰ قول الإمام ابن مالك في « الألفية » : (من الرجز)

وَزِيدَ فِي نَفْيٍ وَشِبْهِهِ فَجَرّْ   نَكِرَةً كَمَا لِبَاغٍ مِنْ مَفَرّْ

وتُـزادُ (البـاءُ) كثيراً بعدَ نَفْيِ (مـا) و(لـيسَ) مثـلُ : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [١] .

ومثلُ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [٢] .

ونـادراً في غيرِهما ، فلا يَسوغُ أن يُحمَلَ فصيحُ الكلامِ عليهِ معَ إمكانِ غيرِهِ ، ومِنَ الشاذِّ قولُهُم : (بحَسْبِكَ درهمٌ) فلا يُقالُ في (بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ) : يُحتمَلُ زيادةُ الباءِ .

❋

وتُـزادُ (الـلَّامُ) في مثـلِ : (لِلعِلْمِ يكتبُ مَنْ أحبَّهُ) و(زيدٌ كاتبٌ للعِلْمِ) .

❋ ❋

وتُزادُ (إن) بعدَ (ما) النافيةِ في مثلِ [٣] : [من البسيط]

مَـا إِنْ أَتَـيْـتُ بِـشَـيْءٍ أَنْـتَ تَـكْـرَهُـهُ

وتُـزادُ (مـا) معَ بعضِ أحـرفِ الإضـافـةِ ؛ مثـلُ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [٤] ، و﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ ﴾ [٥] ، و﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾ [٦] ،

---

(١) سورة الحاقة : (٤١) .

(٢) سورة الزمر : (٣٦) .

(٣) انظر « مغني اللبيب » (٣٨/١) ، والشطر للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ٢٥) ، ورواية البيت فيه :

مَـا قُـلْـتُ مِـنْ سَـيِّـئٍ مِـمَّـا أَتَـيْـتَ بِـهِ ... إِذاً فَـلَا رَفَـعَـتْ سَـوْطِـي إِلَـيَّ يَـدِي

(٤) سورة آل عمران : (١٥٩) .

(٥) سورة نوح : (٢٥) .

(٦) سورة المؤمنون : (٤٠) .

ومثلُ[1] : [من الطويل]

وَنَـنْـصُـرُ مَـوْلَانَـا وَنَـعْـلَـمُ أَنَّـهُ كَمَا ٱلنَّاسِ مَجْرُومٌ عَلَيْهِ وَجَارِمُ

وتُزادُ أيضاً بعدَ (أينَ) ، و(أيٍّ) ، و(إذا) ، و(متىٰ) ، و(حيثُ) ، و(كيفَ) ، و(إنَّ) ، و(أنَّ) ، و(ليتَ) ، و(لعلَّ) ، و(كأنَّ) ، و(لٰكنَّ) .

وتُزادُ (لا) بعدَ عاطفٍ علىٰ منفيٍّ ؛ مثلُ : (ما جاءَ زيدٌ ولا عمرٌو) ، وبعدَ (أنْ) واللَّامِ ؛ مثلُ : ﴿ لِئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[2] .

وتُزادُ (الكافُ) في نحوِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ ﴾[3] .

وثَمَّةَ حرفٌ يُقالُ لهُ : الشبيهُ بالزائدِ ؛ وهوَ (رُبَّ) وذٰلكَ أنَّهُ يُذكَرُ معَ أحرفِ الإضافةِ ، وقد عرفتَ أنَّ حرفَ الإضافةِ يفيدُ معنىً ويَحتاجُ إلىٰ مُتعلَّقٍ ، وبذٰلكَ سُمِّيَ : حرفاً أصليّاً ، وما لا يفيدُ معنىً ولا يَحتاجُ لمُتعلَّقٍ يُسمَّىٰ : زائداً ، فلفظُ (رُبَّ) لكونِهِ يفيدُ معنىً وهوَ غيرُ مُحتاجٍ إلىٰ مُتعلَّقٍ . . سُمِّيَ : **شبيهاً بالزائدِ والأصليِّ** .

ومعنىٰ (رُبَّ) تكثيرُ شيءٍ أو تقليلُهُ ؛ مثلُ قولِ الشاعرِ[4] : [من الخفيف]

رُبَّـمَـا تَـكْـرَهُ ٱلـنُّـفُـوسُ مِـنَ ٱلْأَمْـ ـرِ لَـهُ فُـرْجَـةٌ كَـحَـلِّ [ٱلْـعِـقَـالِ]

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٢/٤٧٦) .

(٢) سورة الحديد : (٢٩) .

(٣) سورة الشورىٰ : (١١) .

(٤) هو أمية بن أبي الصلت في « ديوانه » (ص ٤٤٤) .

وقولِ الآخَرِ[1] : [من الخفيف]

رُبَّـهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـىٰ مَـا يُـكْسِـبُ ٱلْـمَـجْـدَ دَائِبـاً فَـأَجَـابُـوا

وقولِ آخَرَ[2] : [من المديد]

رُبَّـمَـا أَوْفَـيْـتُ فِـي عَـلَـمٍ تَـرْفَـعَـنْ ثَـوْبِـي شَـمَـالَاتُ

وتُستعمَلُ في مَقامِ التسليةِ ، والإدلالِ ، والافتخارِ ، والامتنانِ ، والتهديدِ ، وتُحذَفُ (رُبَّ) ويُعوَّضُ عنها الواوُ ، ويُقالُ لها : (واوُ ربَّ) كقولِ الشاعرِ[3] :

وَفِـتْـيَـةٍ زَهَـرُ ٱلْآدَابِ بَـيْـنَـهُـمُ أَزْهَـىٰ وَأَزْهَـرُ مِـنْ زَهْـرِ ٱلْـبَـسَـاتِـيـنِ

مَشَوْا إِلَى ٱلرَّاحِ مَشْيَ ٱلرُّخِّ وَٱنْصَرَفُوا وَٱلرَّاحُ تَمْشِي بِهِمْ مَشْيَ ٱلْفَرَازِينِ

وقولِ آخَرَ[4] : [من البسيط]

وَلَـيْـلَـةٍ بِـتُّ أُسْقَـىٰ فِـي غَـيَـاهِـبِـهَـا رَاحاً تَـسُـلُّ شَـبَـابِـي مِـنْ يَـدِ ٱلْـهَـرَمِ

مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ غَزَالَةِ ٱلصُّبْحِ تَرْعَىٰ نَرْجِسَ ٱلظُّلَمِ

وقولِ آخَرَ[5] : [من السريع]

وَأَهْـيَـفٍ [مُـبْـتَـسِـمٍ] عَـنْ حَـبَـبْ مُـوَرَّدِ ٱلْـخَـدِّ مَـلِـيـحِ ٱلـشَّـنَـبْ

يَـلُـومُـنِـي ٱلْـعَـاذِلُ فِـي حُـبِّـهِ وَمَـا دَرَىٰ شَـعْـبَـانُ أَنِّـي رَجَـبْ

انتهى الكلامُ علىٰ معاني الحروفِ ، ولها أحكامٌ يجيئُكَ تفصيلُها في قسمِ النحوِ .

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٦٣٨/٢) .

(٢) انظر « مغني اللبيب » (١٨٠/١) .

(٣) هو السري الرفاء في « ديوانه » (ص ٤٥٥) ، والبيت من البسيط .

(٤) هو مجير الدين ابن تميم ، كما في « الوافي بالوفيات » (٢٣٢/٥) .

(٥) انظر « ديوان الصبابة » (ص ١٧١ ـ ١٧٢) .

التقسيمُ الثاني مِنْ تقاسيمِ فقهِ اللغةِ
[في الخاصِّ والمُشترَكِ] (١)

اللفظُ الواحدُ :

ـ إمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لمعنىً واحدٍ ، ويُسمَّىٰ : **مُختصّاً** ككثيرٍ مِنْ أسماءِ الأجناسِ .

ـ وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لأكثرَ مِنْ معنىً ، ويُسمَّىٰ : **مُشترَكاً** .

ـ وإمَّا أن يكونَ موضوعاً وضعاً أصليّاً لمعنىً ، وتبعيّاً لجميعِ ما يناسبُ ذٰلكَ المعنىٰ ، ولهُ بهِ علاقةٌ وارتباطٌ ؛ كالمشابهةِ ، واللُّزومِ ، والسببيَّةِ ، والكليَّةِ ، والجزئيَّةِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ العلاقاتِ بينَ المعاني .

ويُسمَّى اللفظُ باعتبارِ الوضعِ الأصليِّ : **حقيقةً** ، وباعتبارِ الوضعِ التبعيِّ : **مجازاً** إن كانَتِ المناسبةُ مَرعيَّةً حالةَ الوضعِ والاستعمالِ دائماً .

فإن كانَتِ المناسبةُ مرعيةً حالةَ الوضعِ فقطْ ؛ بحيثُ صارَ المعنى الثاني الذي وُضِعَ لهُ اللفظُ وضعاً تبعيّاً هوَ الذي يتبادرُ إلى الأفهامِ عندَ استعمالِ اللفظِ ، ويكونُ المعنى الأوَّلُ مهجوراً غيرَ ملحوظٍ عندَ الاستعمالِ . . سُمِّيَ اللفظُ : **منقولاً** ؛ فإن كانَ الناقلُ عامَّةَ الناسِ . . سُمِّيَ : **حقيقةً عرفيَّةً** ، وإن كانَ الناقلُ الشرعَ . . سُمِّيَ : **حقيقةً شرعيةً** ، وإن كانَ الناقلُ أهلَ فنٍّ مِنَ الفنونِ . . سُمِّيَ : **حقيقةً اصطلاحيةً** .

فالأوَّلُ : كلفظِ (الدابَّةِ) كانَ اسماً لكلِّ ما يَدِبُّ علىٰ وجهِ الأرضِ ، ثمَّ

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٦) .

تعارفَهُ الناسُ اسماً لذواتِ الأربعِ ، وكـ (النجمِ) كانَ اسماً لكلِّ كوكبٍ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً للثريَّا ، وعليهِ وردَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[1] ، والمثلُ : (إذا طلعَ النجمُ عِشاءً . . ابتغى الراعي كساءً) ، وكـ (العقبةِ) كانَ اسماً لكلِّ كُديةٍ[2] تَعترِضُ في الطريقِ ، ثمَّ تعارفَهُ الناسُ اسماً لـ (عقبةِ أيلةَ) التي في طريقِ أهلِ مصرَ إلى الحجازِ ، وهٰذا النوعُ غيرُ كثيرٍ .

والثاني : كـ (الصَّلاةِ ، والطَّهارةِ ، والوُضوءِ ، والتيممِ ، والصَّومِ ، والزَّكاةِ) . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ التي نقلَها الشرعُ عن معانيها اللغويةِ إلىٰ معانٍ تَجدَّدَتْ بتجدُّدِ الإسلامِ .

والثالثُ : كلفظِ (الفاعلِ ، والمفعولِ ، والحالِ ، والتمييزِ) . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ التي نقلَها أهلُ النحوِ ، وكذٰلكَ أكثرُ ألفاظِ الفنونِ العلميَّةِ .

ثمَّ الحقائقُ : تارةً تُستعمَلُ في معانيها وهيَ المرادةُ بالإفادةِ ، وتارةً تُستعمَلُ في معانيها والمرادُ بالإفادةِ غيرُها مِنَ المعاني المناسبةِ لها ، وحينَئذٍ تُسمَّى الحقائقُ بالاعتبارِ الأوَّلِ : **صرائحَ** ، وبالاعتبارِ الثاني : **كناياتٍ** .

مثالُ ذٰلكَ : (زيدٌ كثيرُ الرمادِ) **والرَّمادُ** : ما تبقيهِ النارُ بعدَ انتهاءِ فعلِها ؛ فتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكثرةِ رمادِ زيدٍ فقطْ ؛ كأن يكونَ خبَّازاً أو طبَّاخاً ، وتارةً يكونُ المرادُ الإخبارَ بكرمِ زيدٍ ؛ فإنَّ كثرةَ الرمادِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الإحراقِ ، وكثرةَ الإحراقِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الخبزِ والطبخِ ، وكثرةَ الخبزِ والطبخِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الأَكَلَةِ ، وكثرةَ الأَكَلَةِ دليلٌ علىٰ كثرةِ الضُّيوفِ وسماحِهِ لهُم بما ملكَتْ يداهُ واختصَّ بحيازتِهِ .

---

(١) سورة النجم : (١) .

(٢) الكدية : ما ارتفع من الأرض وكان فيه غلظ وصلابة .

وتفصيلُ العلاقاتِ بينَ المعاني ، وتنويعُها إلىٰ أنواعٍ بسببِها تَنوَّعَ المجازُ ، وبيانُ أنواعِ الكنايةِ . . قد وُضِعَ لهُ فنٌّ هوَ المُسمَّىٰ بـ (فنِّ البيانِ) .

[المُشترَكُ ولطائفُهُ]

وأمَّا المُشترَكُ . . فلا بدَّ مِنْ تفصيلِهِ في هٰذا الموضعِ نوعاً مِنَ التفصيلِ ، وبيانِ ما تسهلُ بسببِهِ للبلغاءِ مِنَ [اللطائفِ] .

فنقولُ : المُشترَكُ واجبُ الوقوعِ ؛ لأنَّ الأشياءَ التي تَستحِقُّ العبارةَ عنها غيرُ متناهيةٍ ، والألفاظَ متناهيةٌ ؛ لكونِها مُؤلَّفةً مِنَ الحروفِ المتناهيةِ ، ولكثرةِ المُشترَكِ ادَّعىٰ بعضُهُم أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختصِّ ، واستدلَّ بأنَّ جميعَ الحروفِ مُشترَكةٌ ، والأفعالَ الماضيةَ مُشترَكةٌ بينَ الدعاءِ والإخبارِ ، والأفعالَ المضارعةَ مُشترَكةٌ بينَ الحالِ والاستقبالِ ، والأفعالَ الأمريَّةَ مُشترَكةٌ بينَ الطلبِ الجازمِ والإباحةِ والتخييرِ والتهديدِ ، وكثيرٌ مِنَ الأسماءِ مُشترَكةٌ ؛ فإذا ثبتَ أنَّ قسمَينِ وبعضَ الثالثِ مِنْ أقسامِ الكلمةِ مِنَ المُشترَكِ . . ثبتَ أنَّ المُشترَكَ أكثرُ مِنَ المُختصِّ ، لٰكنَّ الاستقراءَ مُبطِلٌ دعواهُ .

[من أغراضِ اشتراكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ]

ولتشريكِ المعاني في اللفظِ الواحدِ أغراضٌ :

منها : **التوريةُ بالشيءِ عن غيرِهِ لدفعِ المحذورِ معَ الصدقِ** [1] ؛ كما رُوِيَ : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ خرجَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُهاجرَينِ إلى المدينةِ . . سألَهُ رجلٌ : مَنْ هٰذا الذي معَكَ ؟ فقالَ لهُ : هٰذا رجلٌ يهديني السبيلَ [2] .

---

(١) انظر « عروس الأفراح » (٣٤٤/٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

فالهدايةُ مُشتَرَكةٌ بينَ تعريفِ ما ينبغي وما لا ينبغي مِنَ الأعمالِ ، وبينَ الدلالةِ على الطريقِ المُوصِلِ إلى الجهةِ المقصودةِ ، فأوهمَ أنَّهُ يريدُ هدايةَ الطريقِ ، وهوَ يريدُ هدايةَ الدِّينِ .

ورُوِيَ أيضاً : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا خرجَ يريدُ غزوَ المشركينَ غزوةَ بدرٍ ، وانتهىٰ إلىٰ نصفِ الطريقِ مِنَ المدينةِ إلىٰ مكَّةَ . . وجدَ رجلاً أعرابيّاً ، فسألَهُ : « مَا عِلْمُكَ بِقُرَيْشٍ وَمُحَمَّدٍ ؟ » فقالَ لهُ الأعرابيُّ : [ممَّنْ] أنتَ ؟ فقالَ له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم : « حَتَّىٰ تُخْبِرَنِي » فقالَ الأعرابيُّ : بلغَني أنَّ قريشاً خرجوا يومَ كذا ، ومحمداً خرجَ يومَ كذا ؛ فإن كانَ هٰذا صِدْقاً . . فمحمدٌ بموضعِ كذا ، وقريشٌ بموضعِ كذا .

ثمَّ استنجزَ الأعرابيُّ الوعدَ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا مِنْ مَاءٍ » ومضىٰ ، فأوهمَ أنَّهُ مِنَ العراقِ ؛ لأنَّ مِنْ أسماءِ العراقِ : ماءً ، وهوَ يريدُ أنَّهُ مِنْ ماءٍ دافقٍ ، يخرجُ مِنْ بينِ الصُّلبِ والترائبِ(١) .

ومِنْ ثَمَّ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « إِنَّ فِي ٱلْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ ٱلْكَذِبِ »(٢) .

[ألفاظٌ وأضدادُها من المشتركِ]

ومِنَ المُشتَرَكِ : ألفاظٌ موضوعةٌ لأشياءَ وأضدادِها سمَّاها نَقَلَةُ اللغةِ بالأضدادِ ؛ فتراهُم يقولونَ مثلاً : **الجونُ ـ بفتحِ فسكونٍ ـ** : الأبيضُ ، والأسودُ ؛ ضِدٌّ .

---

(١) الخبر عند ابن هشام في « السيرة النبوية » (٦١٦/١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٥٨) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما .

مِنْ ذٰلكَ : **الجَلَلُ** : للعظيمِ ، والحقيرِ ، قالَ الشاعرُ مِنَ الأوَّلِ [(١)] : [من الكامل]

قَـوْمِـي هُـمُ قَـتَـلُـوا أُمَـيْـمَ أَخِـي ... فَـإِذَا رَمَـيْـتُ يُـصِـيـبُـنِـي سَـهْـمِـي

فَـلَـئِـنْ عَـفَـوْتُ لَأَعْـفُـوَنْ جَـلَـلاً ... وَلَـئِـنْ سَـطَـوْتُ لَأُوهِـنَـنْ عَـظْـمِـي

ومِنَ الثاني قولُ آخَرَ [(٢)] : [من الرمل]

كُـلُّ شَـيْءٍ مَـا خَـلَا ٱلْـمَـوْتَ جَـلَـلْ ... وَٱلْـفَـتَـىٰ يَـسْـعَـىٰ وَيُـلْـهِـيـهِ ٱلْأَمَـلْ

وقولُ الطُّغرائيّ [(٣)] : [من البسيط]

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَّىٰ لِتَنْصُرَنِي ... وَأَنْتَ تَخْذُلُنِي فِي ٱلْحَادِثِ ٱلْجَلَلِ

ومنهُ : **الغابرُ** : لماضي الزمنِ وغيرِهِ ، وللآتي .

قيلَ : ومِنَ الأضدادِ : لفظُ (سوىً) فإنَّها تُطلَقُ علىٰ عينِ الشيءِ ، وعلىٰ غيرِهِ ، وخرَّجوا علىٰ ذٰلكَ قولَ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ يمدحُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [(٤)] : [من الطويل]

أَتَـانَـا فَـلَـمْ نَـعْـدِلْ سِـوَاهُ بِـغَـيْـرِهِ ... نَبِيٌّ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِ ذِي ٱلْعَرْشِ هَادِيَا

قالوا : إنَّ معناهُ : لم نجعلْ شخصَهُ عديلاً لشخصٍ مِنَ الأشخاصِ المغايرينَ لهُ ، بل فضَّلناهُ على الكلِّ ، وخَرَّجَهُ غيرُ هٰؤلاءِ علىٰ أنَّ لفظَ (سوىً) بمعنىٰ (غيرٍ) فقالوا : إنَّ معناهُ : لم نشتغلْ بتفضيلِ أحدٍ علىٰ غيرِهِ إلَّا محمداً ؛ فإنَّا مُشتغِلونَ بإثباتِ فضلِهِ علىٰ كلِّ مَنْ عداهُ ، فالضميرُ في (بغيرِهِ) يعودُ علىٰ (سوىً) ، وعلى التخريجِ الأوَّلِ يعودُ الضميرُ على (النبيِّ) ، فإنَّ التقديرَ : أتانا نبيٌّ فلم نَعدِلْ شخصَهُ بغيرِهِ .

---

(١) هما للحارث بن وعلة الذهلي ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/١٠٧) .

(٢) انظر « المزهر في علوم اللغة » (١/٣٩٨) .

(٣) انظر « ديوان الطغرائي » (ص ٣٠٣) . (٤) كذا في « المزهر » (١/٣٩٢) .

[الجناسُ التامُّ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشترَكِ[١] : تحسينُ الكلامِ بالنوعِ الذي عدَّهُ أهلُ فنِّ البديعِ مِنَ الأمورِ المُحسِّنةِ وسمَّوهُ : **الجناسَ التامَّ** ، وإنِ ازدراهُ بعضُ فُطناءِ المُتأخِّرينَ ، حتىٰ قالَ مُنفِّراً عنهُ[٢] : [من الكامل]

طَبْعُ ٱلْمُجَنِّسِ فِيهِ نَوْعُ قِيَادَةٍ أَوَمَا تَرَىٰ تَأْلِيفَهُ لِلْأَحْرُفِ

وذٰلكَ أنَّ ناساً مِنَ المُتقدِّمينَ لَهِجُوا باستعمالِهِ ، حتى انصرفَتْ أفكارُهُم إلىٰ جهةِ الألفاظِ مُهمِلينَ جانبَ المعاني ، حتىٰ صارَ أكثرُ كلامِهِم ركيكاً مرذولاً ، وأحسنُ الجناسِ ما اقتضاهُ المعنىٰ حتىٰ تكونَ الألفاظُ في مواقعِها مُتمكِّنةً ، ويكونَ الشاعرُ أوِ الناثرُ بريئاً مِنْ تكلُّفِهِ ، ساعياً في الطريقِ الذي نَهَجَهُ بعضُ الأُدباءِ بقولِهِ[٣] : [من الوافر]

إِذَا أَحْبَبْتَ قَوْلَ ٱلشِّعْرِ فَٱخْتَرْ لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي ٱمْتِنَاعِ
وَلَا تَقْصِدْ مُجَانَسَةً وَمَكِّنْ قَوَافِيَهُ وَكِلْهُ إِلَى ٱلطِّبَاعِ

ومِنَ الجناسِ المقصودِ بهِ إحصاءُ المعاني التي اشتركَتْ في اللفظِ : قولُ يحيى بنِ سلامةَ الحصكفيِّ نسبةً إلىٰ (حصنِ كيفا) إحدىٰ بلادِ الشامِ[٤] ، مِنْ أُدباءِ القرنِ السادسِ ؛ عصرِ أبي محمدٍ الحريريِّ صاحبِ « المَقاماتِ » : [من المنسرح]

عَادَكَ عِيدٌ وَطَالَمَا عَادَا وَهٰكَذَا كُلَّمَا ٱنْقَضَىٰ عَادَا
عَدَاكَ عَمَّا تُرِيدُهُ زَمَنٌ لَسْتَ بِقَرْنٍ لَهُ إِذَا عَادَا

---

(١) انظر « عروس الأفراح » (٤/٣٧٧) .
(٢) هو الأسعد ابن ممَّاتي ، كما في « خزانة الأدب » للحموي (١/٣٨٣) .
(٣) هو ابن الوردي ، كما ذكر في « خزانة الأدب » للحموي (١/٣٨٢) .
(٤) انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١/٣٦٩) .

يَـجْـنَـحُ لِـلـسَّـلْـمِ مَـاكِـراً فَـإِذَا ... سَـالَـمَ فَـٱعْـلَـمْ بِـأَنَّـهُ عَـادَا

وَكَـمْ عَـدَا دَاؤُهُ إِلَـىٰ مَـلِـكٍ ... عَـدْوَاهُ مَـخْـشِـيَّـةٌ فَـمَـا عَـادَا

قَـصَّـرَ آمَـالَ قَـيْـصَـرٍ وَمَـضَـىٰ ... يَـكْـسِـرُ كِـسْـرَىٰ وَقَـبْـلَـهُ عَـادَا

فَـإِنْ رَمَـىٰ صَـرْفُـهُ عِـدَاكَ فَـلَا ... تَـبْـدُ شَـمَّـاتـاً فَـرُبَّـمَـا عَـادَا

كَـمِ ٱدَّعَـىٰ مُـدَّعٍ عَـلَـىٰ وَرَعٍ ... فَـٱلْـتَـزَمَ ٱلْـمُـدَّعَـىٰ وَمَـا عَـادَا

وَكَـمْ عَـدَا ظَـالِـمٌ فَـأَبْـصَـرَ مَـنْ ... سُـلِّـمَ فِـيـهِ ٱلْـمُـنَـىٰ وَمَـا عَـادَا

وَكَـمْ عَـدَا طَـالِـبٌ فَـعِـيـقَ وَكَـمْ ... نَـالَ ٱلْـمَـدَا مَـنْ مَـشَـىٰ فَـمَـا عَـادَا

وَكَـمْ مَـرِيـضٍ أَبَـلَّ مِـنْ مَـرَضٍ ... وَمَـاتَ مَـنْ طَـبَّـهُ وَمَـنْ عَـادَا

فلفظُ (عادَ يعودُ) مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ معانٍ :

ـ **الأوَّلُ** : اتخذَ عادةً وديدناً ؛ وهوَ المرادُ بـ (عادَكَ عيدٌ) ، **والعيدُ** : ما تكرَّرَ ورودُهُ عليكَ مِنَ الأحوالِ ؛ فكلَّما انصرفَ أو قلَّ . . عادَ .

ـ **والثاني** : رجعَ بعدَ ذهابٍ ؛ وهوَ المرادُ بقافيةِ البيتِ الأوَّلِ ، والألفُ المرسومةُ بعدَ الدالِ ليسَتْ مِنَ اللفظِ ، تُرسَمُ في رَوِيِّ الشعرِ المفتوحِ ؛ تُسمَّىٰ : **ألفَ الإطلاقِ** ؛ لإطلاقِ الصوتِ بها ، ولأجلِها يُرسَمُ بالألفِ ما حقُّهُ أن يُرسَمَ بالياءِ ؛ كالقوافي السبعِ مِنْ هٰذا الشعرِ ؛ وهيَ غيرُ الأُولىٰ والخامسةِ والأخيرةِ ، و(عادَ) **في القافيةِ الخامسةِ** : اسمُ القبيلةِ المشهورةِ المذكورُ معَ (ثمودَ) ، وكانَ اسمَ أبيها ، فسُمِّيَتْ بهِ كما هوَ عادةُ العربِ ؛ يُسمُّونَ القبائلَ بأسماءِ آبائِها .

ـ **والمعنى الثالثُ لـ (عادَ)** : زارَ المريضَ ؛ **وهوَ المرادُ بقافيةِ البيتِ الأخيرِ** .

وقد جمعَ ثلاثةَ المعاني بعضُ الأُدباءِ يشكرُ أصحابَهُ بقولِهِ : [من المجتث]

مَـــــرِضْـــــتُ لِلَّهِ قَـــوْمٌ   مَـا فِـيـهِـمُ مَـنْ جَـفَـانِـي
عَـــادُوا وَعَـــادُوا وَعَـــادُوا   عَـلَى ٱخْـتِـلَافِ ٱلْـمَـعَـانِـي

أي : زاروا ، ورجعوا بعدَ انصرافِهِم ، واتخذوهُ عادةً .

و(عدا يعدو) مُشتَرَكٌ بينَ أربعةِ معانٍ :

ـ عداهُ عنِ الأمرِ : صرفَهُ عنهُ ، وربَّما قيلَ : (عادَهُ) بالقلبِ ؛ وهوَ مِنْ سَنَنِ العربِ ، ويُسمَّى : القلبَ المكانيَّ ؛ لكونِهِ تقديمَ حرفٍ عن مكانِهِ وتأخيرَ آخَرَ ، فلا يَرِدُ نقضاً علىٰ حصرِ معاني (عادَ) .

ـ وعدا الداءُ مِنْ موضعِهِ إلىٰ غيرِهِ : لم يَقتصِرْ عليهِ ، وجاوزَهُ إليهِ .

ـ وعدا عليهِ : بغىٰ وظلمَ .

ـ وعدا : أَحْضَرَ ؛ أي : جرىٰ شديداً .

و(عادىٰ) علىٰ صيغةِ المغالبةِ مُشتَرَكةٌ بينَ سبعةِ معانٍ ، نَسرُدُها علىٰ ترتيبِ القوافي :

ـ عاداهُ : صارفَهُ ؛ أي : غالبَهُ في الصَّرفِ والعطفِ عنِ الوجهةِ .

ـ وعاداهُ : كانَ عدوّاً مثلَ ما كانَ .

ـ وعاداهُ : جاوزَهُ وتحامىٰ أن يصلَ إليهِ .

ـ وعـادىٰ بيـنَ الشيـئَيـنِ : والـىٰ بينَـهُمـا ؛ كـأن يـوالـيَ بيـنَ صيـدَيـنِ

فـي طَـلَـقٍ ؛ أي : شـوطٍ واحـدٍ ؛ مِـنَ الـعَـدْوِ ، وقـالَ امـرؤُ الـقيـسِ يصفُ حصانَهُ [1] : [من الطويل]

فَـعَـادَىٰ عِـدَاءً بَـيْـنَ ثَـوْرٍ وَنَـعْـجَـةٍ دِرَاكـاً وَلَـمْ يُـنْـضَـحْ بِـمَـاءٍ فَـيُـغْـسَـلِ

ـ وعاداه : قابلَهُ بالظلمِ والبغيِ .

ـ وعاداه إلى الحاكمِ : رافعَهُ بالخصومةِ إليهِ .

ـ وعاداهُ : جاراهُ .

ومِنْ هـٰذا النوعِ قولُ المذكورِ [2] : [من الوافر]

أَقُـولُ فَـرُبَّـمَـا نَـفَـعَ ٱلْـمَـقَـالُ إِلَـيْـكَ سُـهَـيْـلُ إِذْ طَـلَـعَ ٱلْـهِـلَالُ
تُـكَـاثِـرُنِـي [بِـآلَاتِ ٱلْـمَـعَـانِـي] وَكَـيْـفَ يُـكَـاثِـرُ ٱلْـبَـحْـرَ ٱلْـهِـلَالُ
وَتَـطْـمَـعُ أَنْ تَـنَـالَ ٱلْـمَـجْـدَ قَـبْـلِـي وَأَنَّـىٰ تَـسْـبِـقُ ٱلـنُّـجُـبَ ٱلْـهِـلَالُ
وَتُـبْـطِـنُ شِـرَّةً فِـي لِـيـنِ مَـسٍّ كَـمَـا لَانَـتْ مَـعَ ٱلـشَّـرِّ ٱلْـهِـلَالُ
وَتَـبْـسِـمُ حِـيـنَ تُـبْـصِـرُنِـي نِـفَـاقـاً وَشَـخْـصِـي فِـي جَـوَانِـحِـكَ ٱلْـهِـلَالُ
وَتَـنْـتَـظِـرُ ٱلـدَّوَائِـرَ بِـي وَلَـٰكِـنْ عَـلَـيْـكَ تَـدُورُ بِـٱلـشَّـرِّ ٱلْـهِـلَالُ
كَـأَنَّ وُجُـوهَـكُـمْ فِـي ذُلِّ مَـثْـوىً وَفَـرْطِ صَـلَابَـةٍ فِـيـهَـا ٱلْـهِـلَالُ
وَأَعْـرَاضٍ أُذِيـلَـتْ [3] لِـلْأَهَـاجِـي كَـمَـا تَـبْـدُو عَـلَـى ٱلْـقَـدَمِ ٱلْـهِـلَالُ
وَمَـا تُـغْـنِـي ٱلْـكَـتَـائِـفُ [4] فِـي صُـدُوعٍ بِـهَـا أَنْ يَـرْأَبَ ٱلـصَّـدْعَ ٱلْـهِـلَالُ

(١) انظر « ديوان امرئ القيس » (ص ٢٢) .

(٢) يعني : يحيى بن سلامة الحصكفي ، وانظر « خريدة القصر » (١٧/٤٨٩) ، وهو الجزء الثاني من شعراء الشام .

(٣) في « خريدة القصر » (١٧/٤٨٩) : (وأعراضاً أُذيلت) .

(٤) في « خريدة القصر » (١٧/٤٨٩) : (الكتائف) .

وَأَعْـجَـبُ كَـيْـفَ يَـلْـزَمُـكُـمْ كِـتَـابٌ   وَأَعْـقَـلُ مِـنْ لَـبِـيـبِـكُـمُ ٱلْـهِـلَالُ

للهلالِ ثمانيةَ عشرَ معنىً ، ذكرَها صاحبُ « القاموسِ » ، وأتىٰ هٰذا الشاعرُ منها بعشرةٍ ، فلم يفِ بالمقصودِ مِنْ مثلِ هٰذا الشعرِ ، **والذي ذكرَهُ** : الهلالُ المعروفُ ، وبقيةُ الماءِ في الحوضِ ، والناقةُ الهزيلةُ ، والحيةُ ، والحربةُ ذاتُ الحدَّينِ يُعرقَبُ بها الصيدُ ، والرحا ، ونعلُ الدابةِ ، وجمعُ (هَلٍّ) بفتحِ الهاءِ كالهَلْهَلِ ؛ وهوَ الثوبُ لا يُضَمُّ نسجُهُ ، والقطعةُ مِنَ السلكِ يُشعَبُ بها الإناءُ ؛ وهيَ الكتيفةُ ، واحدةُ الكتائفِ ، والطفلُ الصغيرُ .

وفيما ذكرَهُ بعضُ مخالفةٍ لِمَا في « القاموسِ » ، ومثلُ هٰذا الشعرِ كثيرٌ ، ولكونِ المقصودِ منهُ ما أسلفنا . . يُحتمَلُ ركاكتُهُ ، ويُرمىٰ بالقصورِ أوِ التقصيرِ مَنْ لم يُوفِّهِ حقَّهُ مِنِ استيفاءِ المعاني المُشترَكةِ في اللفظِ .

[ألغازٌ فقهيةٌ من لطائفِ المشتركِ]

ومِنْ لطائفِ المُشترَكِ : أن تَمكَّنَ بعضُ الأدباءِ مِنْ وَضْعِ أسئلةٍ فقهيَّةٍ يكونُ الجوابُ عنها مخالفاً للشرعِ بحَسَبِ المعنى المتبادرِ مِنَ المُشترَكِ ، موافقاً بحَسَبِ غيرِهِ ، وسمَّوهُ : **فُتيا فقيهِ العربِ** ؛ مِنْ ذٰلكَ ما وضعَ الحريريُّ في (المَقامةِ الثانيةِ والثلاثينَ) مِنْ « مقاماتِهِ »[1] . . السؤالَ علىٰ لسانِ شابٍّ عربيٍّ ، والجوابَ علىٰ لسانِ أبي زيدٍ السروجيِّ ، قالَ : (ما تقولُ فيمَنْ توضَّأَ ثمَّ لمسَ ظهرَ نَعْلِهِ ؟ قالَ : انتقضَ وضوءُهُ مِنْ فعلِهِ) المتبادرُ مِنَ النَّعلِ : **المَداسُ** ، ولمسُهُ لا يَنقضُ الوضوءَ ، وغيرُ المتبادرِ : **الزوجةُ** ، ولمسُها يَنقضُ الوضوءَ .

قالَ : (فإن توضَّأَ ثمَّ أتكأَهُ البردُ ؟ قالَ : يُجدِّدُ الوضوءَ مِنْ بعدُ) **أتكأَهُ** :

(١) مقامات الحريري (ص ٢٣٨) .

أضجعَهُ علىٰ مرفقِهِ ، والمُتبادَرُ مِنَ البردِ : **ضدُّ الحَرِّ** ، وإتكاؤُهُ صاحبَهُ لا يُبطِلُ الوضوءَ ، ولا يُوجِبُ تجديدَهُ ، **والبردُ** : النومُ ، ومِنْ كلامِهِم : (منعَ البردُ البردَ) وإتكاءُ النومِ صاحبَهُ بحيثُ يُخرِجُهُ عنِ التمكُّنِ . . مُبطِلٌ للوضوءِ .

قالَ : (أيمسحُ المُتوضِّئُ أنثيَيهِ ؟ قالَ : قد نُدِبَ إليهِ ، ولم يجبْ عليهِ) ، المتبادرُ مِنَ الأُنثيَينِ : **الخِصيتانِ** ، وليستا مِنْ أعضاءِ الوضوءِ ، **والأنثيانِ** : **الأذنانِ** ، ومسحُهُما في الوضوءِ مطلوبٌ محبوبٌ غيرُ لازمٍ .

قالَ : (أيجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقذفُهُ الثُّعبانُ ؟ قالَ : وهل ماءٌ أنظفُ منهُ [للعُربانِ]) ، المُتبادرُ مِنَ الثُّعبانِ : **الحيوانُ المعروفُ** ، ولا يجوزُ التوضُّؤُ ممَّا يَقذِفُهُ مِنْ لُعابِهِ وغيرِهِ ، **والثُّعبانُ** : جمعُ ثَعْبٍ بفتحٍ فسكونٍ ؛ وهيَ مناقعُ الماءِ يَقَرُّ فيها فيصفو .

قالَ : (أَيُستباحُ ماءُ الضريرِ ؟ قالَ : نعمْ ، ويُجتنَبُ ماءُ البصيرِ) المُتبادرُ مِنَ الضَّريرِ : **فاقدُ البصرِ** ، ومِنَ البصيرِ : **واجدُهُ** ، وماؤُهُما ـ وهوَ المنيُّ ـ مُجتنَبٌ لا يجوزُ استعمالُهُ ، **والضَّريرُ** : حرفُ الوادي ، وماؤُهُ كماءِ وَسَطِهِ ، **والبصيرُ** : الكلبُ .

قالَ : (أيَحِلُّ التطوُّفُ في الربيعِ ؟ قالَ : [يُكرَهُ] ذٰلكَ للحدثِ الشنيعِ) ، المُتبادرُ مِنَ الربيعِ : **زمانُ نضارةِ النباتِ وكثرةِ الأعشابِ** ، **والتطوُّفُ** : تردُّدُ الإنسانِ في البلادِ لحوائجِهِ ، وذٰلكَ أمرٌ جائزٌ أو واجبٌ في أيِّ زمنٍ ، **والتطوُّفُ** : قضاءُ الحاجةِ ، **والربيعُ** : النهرُ الصغيرُ ، وقضاءُ الحاجةِ فيهِ مكروهٌ ؛ للنهيِ عنِ البولِ في الماءِ الدائمِ ؛ أي : الراكدِ .

ومضى الحريريُّ علىٰ هٰذا حتى استتمَّ مئةَ مسألةٍ مِنْ أبوابِ الفقهِ ،

وحذا حذوهُ في ذٰلكَ [الحصكفيُّ] المُقدَّمُ ذكرُهُ[١] ، فوضعَ مسائلَ ؛ منها : (ما تقولُ في قاطعِ الطريقِ ؟ قالَ : لم يزغْ عنِ التحقيقِ) ، **الطريقُ** : النخلُ القِصارُ .

قالَ : (ما تقولُ في قتلِ العاقلِ ؟ قالَ : حلَّ وإن كانَ غيرَ واقلٍ) **العاقلُ** : التيسُ الوحشيُّ ، **والواقلُ** : الصاعدُ في الجبلِ .

قالَ : (فما تقولُ في ركوبِ الخيلِ ؟ قالَ : هوَ بريدُ الويلِ) **الخيلُ** : الظنُّ .

قالَ : (فما تقولُ في ركوبِ الداية ؟ قال : حلَّ كصيدِ الجداية) **الدايةُ** : في ظهرِ الدابةِ ، **والجدايةُ** : الظبيةُ الفتيَّةُ .

وقد ألَّفَ بعضُ أهلِ اللغةِ في المُشترَكِ مُؤلَّفاتٍ سَمَّوها : « شجرَ الدرِّ »[٢] ؛ وذٰلكَ أنَّهم سلكوا في التأليفِ كيفيةً بها يمكنُ وضعُ الكلامِ علىٰ صورةِ شجرةٍ ذاتِ أصلٍ وفروعٍ ؛ وذٰلكَ أنَّ المُؤلِّفَ منهُمُ اختارَ كلمةً مُشترَكةً ، فصدَّرَ بها الكلامَ ، وبَيَّنَ أحدَ معانيها بلفظٍ مُشترَكٍ ، وتركَ معناهُ المُتبادرَ ، وبَيَّنَ معنىً آخَرَ لهُ بلفظٍ مُشترَكٍ ، وعملَ فيهِ ما عملَ في سابقِهِ ، وهٰكذا حتىٰ وقفَ عندَ حدٍّ ، ثمَّ قالَ : (فرعٌ) وأتىٰ بالكلمةِ التي صَدَّرَ بها ، وفسَّرَها بمعنىً آخَرَ ، ومضىٰ علىٰ تلكَ الصورةِ حتى استوفىٰ معانيَ الكلمةِ الأُولىٰ .

وهٰذا مثالُهُ : (**العَيْنُ** : عينُ الوجهِ ، **والوجهُ** : القصدُ ، **والقصدُ** : الكسرُ ، **والكسرُ** : جانبُ الخِباءِ ، **والخِباءُ** : مصدرُ خابَأْتُ الرجلَ ؛ إذا خبأتَ لهُ خَبْئاً ، وخَبَأَ لكَ مثلَهُ ، **والخَبْءُ** : السَّحابُ ؛ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ

(١) انظر (١/١٥١) .

(٢) هو أبو الطيب اللغوي ، كما في « المزهر » (١/٤٥٤) .

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] ، **والسَّحابُ** : اسمُ عِمامةٍ كانَتْ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ ، **والنبيُّ** : التلُّ العالي ، **والتلُّ** : مصدر التليلِ ؛ وهوَ المصروعُ علىٰ وجهِهِ ، **والتليلُ** : صَفحُ العُنُقِ ، **والعُنُقُ** : الرِّجْلُ مِنَ الجرادِ)[2] .

ثمَّ قالَ : (فرعٌ[3] : **والعَيْنُ** : عينُ الشمسِ ، **والشمسُ** : شِمَاسُ الخيلِ ، **والخيلُ** : الوَهْمُ ، **والوَهْمُ** : الجملُ الكبيرُ ، **والجملُ** : دابَّةٌ مِنْ دوابِّ البحرِ ، **والبحرُ** : الماءُ المِلْحُ ، **والمِلْحُ** : الحُرْمةُ ، **والحُرْمةُ** : ما كانَ للإنسانِ حراماً علىٰ غيرِهِ ، **وحَرامٌ** : حيٌّ مِنَ العربِ ، **والحيُّ** : ضدُّ الميتِ .

فرعٌ : **والعَيْنُ** : النقدُ ، **والنقدُ** : ضَرْبُكَ أذنَ الرجلِ أو أنفَهُ بإصبَعِكَ ، **والأُذُنُ** : الرَّجُلُ القابلُ لِمَا يسمعُ ، **والقابلُ** : الذي يأخذُ الدَّلْوَ مِنَ الماتحِ ، **والدلوُ** : السيرُ الرفيقُ ، **والرفيقُ** : الصاحبُ ، **والصاحبُ** : سيفٌ ، **والسيفُ** : مصدرُ سافَ مالُهُ ؛ إذا أودىٰ ، **وأودى الرَّجُلُ** : إذا خرجَ مِنْ إحليلِهِ الوَدْيُ ، **والوَدْيُ** : الفسيلُ .

فرعٌ : **والعَيْنُ** : موضعُ انفجارِ الماءِ ، **والانفجارُ** : انشقاقُ عَمودِ الصبحِ ، **والصُّبحُ** : جمعُ أصبحَ ؛ وهوَ لونٌ مِنْ ألوانِ الأسودِ ، **واللَّونُ** : الضَّربُ ، **والضَّربُ** : الرجلُ المهزولُ ، **والمهزولُ** : الفقيرُ ، **والفقيرُ** : المكسورُ فِقَرِ الظَّهْرِ ، **والفقرُ** : البوادرُ ، **والبوادرُ** : أُنوفُ الجبالِ ، **والأُنوفُ** : الأوائلُ مِنْ كلِّ شيءٍ ، والواحدُ أُنفٌ بضمِّ الهمزةِ ، وفي النونِ الضمُّ والسكونُ .

فرعٌ : **والعَيْنُ** : عينُ الميزانِ ، **والميزانُ** : برجٌ في السماءِ ، **والسماءُ** : أعلىٰ متنِ الفَرَسِ ، **والمتنُ** : الصلبُ من الأرضِ ، **والأرضُ** : قوائمُ الدابَّةِ ،

---

(١) سورة النمل : (٢٥) .

(٢) انظر « المزهر » (١/٤٥٤) .

(٣) أي : عودة للكلمة كما بيَّنَ المؤلف ، علىٰ أن الفرع هنا بمعنىٰ غصن الشجرة .

والقوائمُ : جمعُ قائمةٍ ؛ وهيَ الساريةُ ، والساريةُ : المُزنةُ تنشأُ ليلاً ، واللَّيلُ : فَرْخُ الكَرَوَانِ ، والفرخُ : ما اشتملَتْ عليهِ قبائلُ الرأسِ مِنَ الدِّماغِ ، والقبائلُ مِنَ العربِ : دونَ الأحياءِ .

فرعٌ : والعَيْنُ : مطرٌ لا يُقلِعُ أياماً ، ومطرٌ : حيٌّ مِنْ أحياءِ العربِ ، والأحياءُ : جمعُ حياءِ الناقةِ ، والحياءُ : الاستحياءُ ، والاستحياءُ : الاستبقاءُ ، والاستبقاءُ : التماسُ النظرةِ ، والالتماسُ : الجماعُ ، والجماعُ : ضدُّ الفِراقِ ، والفِراقُ : جمعُ فَرَقٍ ؛ وهوَ ظرفٌ يَسَعُ ستينَ رطلاً ، والفرقُ : جمعُ فارقٍ ، والفارقُ مِنَ النوقِ والأتنِ : التي تذهبُ علىٰ وجهِها عندَ الولادةِ ، فلا يُدرىٰ أينَ تُنتَجُ .

فرعٌ : والعَيْنُ : رئيسُ القومِ ، والرئيسُ : المُصابُ في رأسِهِ بعصاً أو غيرِها ، والرأسُ : زعيمُ القبيلةِ ؛ أي : سيِّدُها ، والزعيمُ : الصَّبيرُ ؛ أيِ : الكفيلُ ، والصَّبيرُ : السحابُ الأبيضُ المُتراكِمُ أعناقاً في الهواءِ .

فرعٌ : والعَيْنُ : نفسُ الشيءِ ، والنفسُ : ملءُ الكفِّ مِنْ دباغٍ ، والكفُّ : الذَّبُّ ، والذَّبُّ : الثورُ الوحشيُّ ، والثورُ : قُشورُ القصبِ تعلو علىٰ وجهِ الماءِ ، والقصبُ : رهانُ الخيلِ .

فرعٌ : والعَيْنُ : الذهبُ ، والذهبُ : زوالُ العقلِ ، والعقلُ : الشدُّ ، والشدُّ : الإحكامُ . . .)[1] .

وعلىٰ هـٰذا سياقُ تأليفِ المُشجَّرِ في المُشترَكِ .

وكلُّ لفظٍ تَعدَّدَ معناهُ يجبُ عندَ استعمالِهِ أن يكونَ مقروناً بما يُعيِّنُ المرادَ منهُ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الكلامِ الإفادةَ والاستفادةَ ، ولمَّا كانَ

(١) انظر « المزهر » (١/٤٥٤ ـ ٤٥٩) .

الكلامُ عندَ أُمَّةِ العربِ كأنَّهُ صنعتُهُمُ التي بإتقانِها يتفاخرونَ ، وفي أحكامِها يَتفاوتونَ ، حتىٰ قيلَ : خطيبٌ مِدْرَهٌ ، ومِصْقَعٌ ، وشاعرٌ مُفْلِقٌ وبليغٌ . . كانَ المجازُ والمُشترَكُ لِمَا فيهِما مِنَ المحاسنِ الكلاميَّةِ والمقاصدِ في المحاوراتِ لازمَينِ للغةِ العربيةِ ، ومَنْ لم يَقِفْ مِنَ الأعاجمِ علىٰ مرادِ اللغةِ منهُما وانتفاعِ أهلِها بهِما . . عدَّهُما مِنْ عيوبِ اللغةِ ، واللهُ يهدي مَنْ شاءَ لِمَا شاءَ .

❋ ❋ ❋

التقسيمُ الثالثُ

[في الأسماءِ المتباينةِ والمترادفةِ والمتكافئةِ][1]

العددُ مِنَ اللفظِ :

ـ إمَّا أن يُوضَعَ لمعانٍ متخالفةٍ مِنْ ذواتٍ ، أو صفاتٍ ، أو موصوفاتٍ ؛ كإنسانٍ وفرسٍ ، ونطقٍ وصهيلٍ ، وناطقٍ وصاهلٍ ، وهٰذا النوعُ يُسمَّى : **الألفاظَ المتباينةَ** .

ـ وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىً واحدٍ دونَ اعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لهُ ؛ كالحنطةِ والبُرِّ والقمحِ ، وهٰذا النوعُ يُسمَّى : **الألفاظَ المترادفةَ** .

ـ وإمَّا أن يُوضَعَ لمعنىً واحدٍ باعتبارِ أحوالٍ زائدةٍ على الشيءِ الموضوعِ لهُ ؛ كالصَّارمِ والعَضْبِ والباترِ للسيفِ ، وهٰذا النوعُ يُسمَّى : **الألفاظَ المتكافئةَ** ، ومنهُ أسماءُ اللهِ تعالىٰ ؛ مِنَ العليمِ والقادرِ والمُقتدِرِ وغيرِها ، ويُقالُ لهٰذا النوعِ : **الأوصافُ التي غلبَتْ عليها الاسميةُ** ؛ لأنَّها عندَ استعمالِها لا يُقصَدُ بها إلَّا إحضارُ المُسمَّىٰ دونَ التوصيفِ .

وادعىٰ بعضُ أهلِ اللغةِ أنَّ المترادفَ مُتكافِئٌ ، وتَكلَّفَ تبيينَ الاعتباراتِ في بعضِ الألفاظِ ، والجمهورُ علىٰ ما فصَّلنا .

وفائدةُ المترادفِ : التوسيعُ على الشاعرِ والناثرِ ؛ فإذا لم يوافقِ اللفظُ وزناً أو سلاسةً . . عَدَلَ إلىٰ مرادفِهِ الموافقِ ، قالَ المقَّرِيُّ في « مزدوجتِهِ » في تعريفِ الحُبِّ[2] : [من الرجز]

فَـإِنْ تَـشَـأْ فَـقُـلْ عَـذَابٌ يَـعْـذُبُ ... أَوْ ضَـرَبَـانٌ فِـي ٱلْـهَـوَىٰ أَوْ ضَـرَبُ

---

(١) انظر « معيار العلم » (ص ٨٠) .

(٢) انظر « مجموع مزدوجات مستغربات » (ص ٢) ، وأوله مزدوجة المقري .

فلفظُ (الضَّرَبِ) مرادفٌ للفظِ (العسلِ) ، فلمَّا لم يوافقْ لفظُ (العسلِ) . . عدلَ إلىٰ مرادفِهِ ، ومضىٰ في شعرِهِ .

ومعرفةُ ذٰلكَ في الشعرِ سهلةٌ ، وفي النثرِ تحتاجُ إلىٰ دقَّةِ نظرٍ ، ولطفِ حِسٍّ ، وفضلِ ذوقٍ .

وقد تَتعدَّدُ الأسماءُ للشيءِ المُسمَّىٰ باسمٍ واحدٍ بسببِ تنوُّعِهِ لملاحظةِ قيودٍ ؛ بحيثُ لا يكونُ الاسمُ مِنْ تلكَ الأسماءِ مُحضِراً لجميعِ أنواعِ ذٰلكَ الشيءِ ؛ كالمتكافئِ والمترادفِ ، فلا تكونُ منهُما ؛ وذٰلكَ كالكأسِ والكوبِ والكوزِ والقدحِ ؛ فإنَّ **القدحَ** : اسمٌ لكلِّ ما تتناولُ بهِ الماءَ وتشربُ منهُ ، **والكأسُ** : اسمٌ للقدحِ الممتلئِ مِنَ الماءِ أو غيرِهِ ، **والكوبُ** : اسمٌ للقدحِ الذي لا عروةَ لهُ ، **والكوزُ** : اسم للقدحِ الذي لهُ عروةٌ .

وكالدَّلوِ والذَّنُوبِ والسَّجْلِ ؛ **فالدَّلوُ** : اسمٌ لِمَا يُشَدُّ في الرشا ليُستخرَجَ مِنَ البئرِ بهِ الماءُ ، **والذَّنُوبُ** : اسمٌ لهُ بشرطِ أن يكونَ ممتلئاً .

ومِنْ ذٰلكَ : أسماءُ الصوتِ المختلفةُ بحَسَبِ اختلافِ الإضافةِ ؛ كصوتِ الريحِ في الشجرِ يُسمَّىٰ حفيفاً ، وفي الفلواتِ دَوِيّاً ، وكلُّ صوتِ شيءٍ لهُ اسمٌ يَخصُّهُ ؛ كرُغاءِ الجملِ ، وخُوارِ البقرِ ، ونُباحِ الكلابِ ، وعُواءِ الذئابِ .

وهٰذا يُسمِّيهِ أهلُ اللغةِ : **المُطلَقَ والمُقيَّدَ** ؛ فإذا أردتَ إفادةَ الخاصِّ . . وجبَ أن تأتيَ باسمِهِ ، ولم يَصِحَّ أن تأتيَ بالاسمِ العامِّ إلَّا إذا تركتَ الإيجازَ إلى الإطنابِ ؛ فتقولُ مثلاً : الحفيفُ ربَّما نشأَ مِنْ شدَّتِهِ الدُّوارُ ، أو تقولُ : صوتُ الريحِ في الأشجارِ ، وهٰذهِ الألفاظُ التي سَمَّوها مُطلقاً ومُقيَّداً داخلةٌ في قسمِ المتباينِ ؛ لكونِها مِنْ أسماءِ الأنواعِ المُشترَكةِ في أمرٍ ، المُتميِّزةِ بآخَرَ .

❋ ❋ ❋

التتميمُ
[في ذكرِ أربعةِ أنواعٍ من الأسماءِ العامةِ]

أوردنا في هٰذا التتميمِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الأسماءِ العامَّةِ ؛ أي : أسماءِ الأجناسِ ؛ وهيَ : أسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الأزمانِ ، والضمائرُ ، وألممنا بكلامٍ عامٍّ على الأفعالِ .

أسماءُ الشرطِ

هيَ أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَّةٍ ضُمِّنَتْ معنىٰ كلمةِ (إنْ) فأغنَتْ عنِ النطقِ بها ؛ وهيَ : (مَنْ) لذوي العلمِ ، و(ما) و(مهما) و(أيٌّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) و(إذا) و(أيَّانَ) للزمانِ ، و(حيثُما) و(أينَ) و(أنَّىٰ) للمكانِ ، و(كيفَما) للحالِ .

فقولُكَ : (مَنْ يعملْ خيراً . . لم يلقَ ضيراً) معناهُ : (كلُّ شخصٍ إن يعملْ خيراً . . .) ، فلفظةُ (مَنْ) ـ وهيَ حرفانِ ـ أغنتْكَ عن قولِكَ : (كلُّ شخصٍ إن) ، وقولُكَ : (متىٰ تَجِدَّ . . تَجِدْ) معناهُ : (إن تَجِدَّ في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ . . .) وهٰكذا بيانُ البقيَّةِ .

أسماءُ الاستفهامِ

هيَ أيضاً أسماءٌ ذاتُ معانٍ مُستقِلَّةٍ ضُمِّنَتْ معنىٰ همزةِ الاستفهامِ التصوُّريِّ ، فأغنَتْ عن النطقِ بها .

وهيَ : (مَنْ) و(مَنْ ذا) لذوي العِلْمِ ، و(ما) و(ماذا) و(أيٌّ) لكلِّ شيءٍ ، و(متىٰ) للزمانِ ، و(أينَ) للمكانِ ، و(كيفَ) للحالِ ، و(أنَّىٰ)

تكونُ بمعنىٰ (مِنْ أينَ) فهيَ للمكانِ ، وتكونُ بمعنىٰ (كيفَ) فهيَ للحالِ ، و(كم) للعددِ .

فإذا قلتَ : (مَنْ عندَكَ ؟) . . فمعناهُ : أزيدٌ عندَكَ ، أم عمرٌو ، أم بكرٌ ؟ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ كلِّ شخصٍ يجوزُ أن يكونَ عندَكَ ، فلفظةُ (مَنْ) أغنتْكَ عنِ الهمزةِ و(أم) وما يُعجِزُكَ مِنْ سَرْدِ الأسماءِ .

وإذا قلتَ : (كيفَ زيدٌ ؟) . . فمعناهُ : أمستقيمٌ زيدٌ أم مُعْوَجٌّ ؟ صحيحٌ أم مريضٌ ؟ حاضرٌ أم غائبٌ ؟ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحوالِ الممكنةِ ، فلفظةُ (كيفَ) أغنَتْ عن هـٰذا .

وإذا قلتَ : (كم بيتاً تحفظُ ؟) فمعناهُ : أعشرينَ بيتاً أم ثلاثينَ أم مئةً أم ألفاً ؟ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ العددِ ، فلفظةُ (كم) مغنيةٌ عن هـٰذا التفصيلِ ، وهـٰكذا بيانُ البقيَّةِ .

أسماءُ الزمانِ

نقلتُ هـٰذا البابَ وتفسيرَهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » للزمخشريِّ ، يذكرُ المفردَ وما وردَ لهُ مِنْ جمعٍ ، قالَ (١) :

بابٌ

ـ (م) وقتٌ ، (ج) أوقاتٌ .

ـ (م) حِينٌ ، (ج) أحيانٌ .

ـ (م) أَجَلٌ : مُدَّةُ بقاءِ الشيءِ ، (ج) آجالٌ .

ـ (م) أَوَانٌ ـ بفتحِ الهمزةِ ، وكسرُها لغةٌ ـ : وقتُ وجودِ الشيءِ ، (ج) آوِنةٌ .

---

(١) مقدمة الأدب (ص ٣) ، مع تصرُّفٍ في بيان بعض المفردات من « القاموس المحيط » وغيره .

ـ (م) إبَّانٌ : وقتُ صلاحِ الشيءِ وإقبالِ نضرتِهِ ، وزنُهُ فِعْلَانٌ ؛ مِنْ أبَّ الشيءُ ؛ أي : تَهيَّأَ ، (ج) أبابينُ .

ـ (م) دهرٌ : اسمٌ للزمنِ مُعتبَراً اتصالُهُ ، بخلافِ الزمانِ ؛ فإنَّهُ يُعتبَرُ فيهِ التفصيلُ إلى الساعاتِ والأيامِ والشهورِ والفصولِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، (ج) دُهورٌ أدهارٌ .

ـ (م) حُقْبٌ ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ : مُدَّةٌ طويلةٌ ؛ ثمانونَ سنةً أو أكثرُ ، ويُضَمُّ ثانيهِ ، (ج) حِقابٌ وأحقابٌ .

ـ (م) حِقْبٌ بكسرٍ فسكونٍ ، (ج) حِقَبٌ ؛ كعِنَبٍ .

ـ (م) بُرْهةٌ ـ بضمٍّ فسكونٍ ، وتُفتَحُ باؤُها ـ : قطعةٌ مِنَ الزمنِ ، والسَّبتُ ، بفتحٍ فسكونٍ ، والسُّباتُ بضمِّ سينِهِ : الدَّهرُ ، والسَّبتُ والسَّبتةُ والسَّنْبةُ والسَّنْبَتَةُ : البُرْهةُ . « قاموس » .

ـ (م) مَنُونٌ : مِنْ أسماءِ الدَّهرِ ؛ مأخوذٌ مِنْ (مَنَّ) بمعنىٰ : قطعَ ؛ لكونِهِ قَطُوعاً غيرَ وَصُولٍ ، علىٰ صيغةِ المبالغةِ ، ورَيبُ المَنُونِ ورُيوبُهُ : حوادثُ الدَّهرِ .

ـ (م) عَصْرٌ ـ بفتحٍ فسكونٍ وبضمتَينِ ـ : مُدَّةُ الجيلِ ، (ج) أعصارٌ وعُصورٌ .

ـ (م) أُمَّةٌ : طائفةٌ مِنَ الزمنِ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ (١) .

ـ (م) زمنٌ ، (ج) أَزمُنٌ .

ـ (م) زمانٌ ، (ج) أَزمِنةٌ ، وصَرْفُ الزَّمانِ وصُروفُهُ : تغيُّراتُهُ وتنقُّلاتُ أحوالِهِ .

---

(١) سورة يوسف : (٤٥) .

ـ (م) فترةٌ ، [(ج) فَتَراتٌ][1] .

ـ (م) قَرْنٌ : مئةُ سنةٍ ، (ج) قُرونٌ .

ـ (م) سَنَةٌ ، (ج) سِنُونَ وسنواتٌ وسَنَهَاتٌ ، وتقولُ : سانيتُ وسانهتُ ، وآجرتُ الدارَ مساناةً ومسانهةً .

ـ (م) حَوْلٌ ، (ج) أحوالٌ .

ـ (م) حِجَّةٌ بكسرِ الحاءِ ، (ج) حِجَجٌ .

ـ (م) عامٌ ، (ج) أعوامٌ .

والأسماءُ الأربعةُ[2] لمُدَّةِ اثنيْ عشرَ شهراً ، وتقولُ : أَحُجُّ العامَ ، وحججتُ عاماً أوَّلَ ، وأَحُجُّ القابلَ .

ـ (م) فصلٌ : اسمٌ لربعِ السنةِ ، (ج) فصولٌ : ربيعٌ ، صيفٌ ، خريفٌ ، شتاءٌ شَتْوةٌ [مَشتاةٌ] .

ـ (م) شهرٌ ، (ج) شهورٌ وأشهرٌ ، والأشهرُ المعلوماتُ : أشهرُ الحجِّ .

ـ (م) غُرَّةٌ : أوَّلُ الشهرِ .

(م) محاقٌ مثلثُ الميمِ ، وسَرَارٌ ، وسَلْخٌ : الثلاثةُ آخرُ الشهرِ .

أسماءُ الشهورِ : المُحرَّمُ ، وصفرٌ ، وشهرُ ربيعٍ الأوَّلِ ، وشهرُ ربيعٍ الآخِرِ ، وجُمادى الأُولىٰ ، وجُمادى الآخِرةُ ، ورجبٌ ، وشعبانُ ، وشهرُ رمضانَ ، وشَوَّالٌ ؛ وهوَ أوَّلُ أشهرِ الحَجِّ ، وذو القَعدةِ بفتحِ القافِ وكسرِها ، وذو الحِجَّةِ كذلٰكَ ؛ وهوَ آخِرُ أشهرِ الحَجِّ .

---

(١) ما بين معقوفين زيادة من « مقدمة الأدب » (ص ٣) .

(٢) السنة ، والحول ، والحجة ، والعام .

أسماءُ اليومِ والليلةِ : الجديدانِ ، والمَلَوانِ ، والعَصْرانِ ، والدَّائبانِ ، مُثنّىً لا يُستعمَلُ له مفردٌ .

ـ (م) **ليلةٌ** : اسمُ جنسٍ جمعيٍّ ، **ليلٌ** ، (ج) **ليالٍ** .

ـ (م) **قطعةٌ** : اسمُ الجنسِ : **قِطْعٌ** .

ـ (م) **زلفةٌ** : قطعةٌ ، (ج) **زُلَفٌ** .

ـ (م) **وَهْنٌ ومَوْهِنٌ** : **ثُلُثُ الليلِ الأوَّلُ** ، أو ربعُهُ أو نصفُهُ ، **وبهرةُ الليلِ** : وَسَطُهُ ، **والسَّحَرُ والسُّحْرَةُ** : آخِرُهُ ، (ج) **أسحارٌ** ، **والجُنْحُ** : جزءٌ مِنَ الليلِ .

وتقولُ : زرتُ زيداً **الليلةَ** : للحاضرةِ التي أنتَ فيها مِنَ المغربِ إلىٰ زوالِ الشمسِ ، وتقولُ : **البارحةَ** : لليلةِ التي مضىٰ يومُها ، **والبارحةَ الأُولىٰ** : للتي قبلَها ، **وليلةُ غدٍ** : للَّيلةِ المُقبلةِ ، **وليلةُ السَّذَقِ** ـ بفتحِ الذالِ المعجمةِ ـ **وليلةُ الوَقُودِ** : للَّيلةِ الأربعينَ مِنَ الشتاءِ ، **وليلةُ القَدْرِ** ، **وليلةُ القضاءِ** : لليلةِ نصفِ شعبانَ ، **وليلةُ البراءةِ** ـ وفي « القاموسِ » : **البراءِ** ـ : اسمٌ لآخِرِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ ، أو لآخِرِ يومٍ منهُ ، أو لأوَّلِ ليلةٍ مِنَ الشهرِ ، أو لأوَّلِ يومٍ منهُ .

ـ (م) **يومٌ** ، (ج) **أيامٌ** .

ـ (م) **نهارٌ** : مِنَ الفجرِ الصادقِ لغروبِ الشمسِ في لسانِ الشرعِ ، ومِنْ طلوعِ الشمسِ إلىٰ غروبِها في لسانِ أهلِ الهيئةِ ، (ج) **نُهُرٌ** ، **نحرُ النهارِ وصدرُهُ ووجهُهُ** : لأوَّلِهِ .

تقولُ : صاحبتُ فلاناً مُدَّةَ إقامتِهِ بمصرَ **يومَ يومَ** ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي : جميعَ الأيامِ على التعاقبِ ، وتقولُ : أنتظرُ **اليومَ** قُدومَ زيدٍ ؛ للحاضرِ ، وتقولُ : جئتُكَ **أمسِ** ؛ بكسرِ آخِرِهِ ؛ للوقتِ المُعيَّنِ الذي قبلَ وقتِكَ بلا

فصلٍ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ : أولَ مِنْ أمسِ ، وتقولُ لِمَا قبلَهُ : أولَ مِنْ أوَّلَ مِنْ أمسِ ، وتقولُ : ألقاكَ غداً ؛ لِمَا يلي يومَكَ ، وبعدَ غدٍ ؛ لِمَا يليهِ .

تباشيرُ الصبحِ : عمودُ الفجرِ ، **الفَلَقُ** : لوقتِ انفصالِ الليلِ مِنَ النهارِ وذهابِ الظُّلمةِ وبُدُوِّ النورِ ، **الفجرُ والصبحُ والصباحُ والبُكْرةُ** : لوقتِ النورِ قبلَ الشمسِ ، **والغَداةُ** : لِمَا قبلَ الضَّحوةِ ؛ وهوَ ربعُ النهارِ الأوَّلِ ، والجمعُ : **غَدَوَاتٌ** ، ومثلُها **الغُدْوةُ** بضمٍّ فسكونٍ ، والجمعُ : **غُدُواتٌ** ـ بضمَّتَينِ ، أو بضمٍّ فسكونٍ ، أو ففتحٍ ـ ولا يُقالُ : غدايا إلَّا معَ عشايا ؛ للازدواجِ ، وتقولُ : خرجَ زيدٌ الغَداةَ ؛ للحاضرةِ القائمةِ أوِ الذاهبةِ مِنْ يومِكَ ، **وغداةَ أمسِ** ، **وغداةَ غدٍ** .

والضُّحىٰ ـ بضمِّ أوَّلِهِ والقصرِ ـ **والضَّحوةُ** : لربعِ النهارِ الثاني ، **والظُّهرُ والظَّهيرةُ** ، والجمعُ ظهائرُ ، **والقائلةُ** : لربعِ النهارِ الثالثِ ، **والعصرُ والأصيلُ** ، والجمعُ : **أُصُلٌ** ، وجمعُهُ : آصالٌ ، وجمعُهُ : **أصائلُ** ، **والمُسْيُ والمَساءُ والعشيَّةُ** ، واسمُ الجنسِ : **العَشِيُّ** ، والجمعُ : **العشيَّاتُ والعشايا** : لآخِرِ النهارِ ، **والعِشاءُ** : مِنْ أواخرِ النهارِ إلىٰ منتهى الليلِ ، **والعَتَمَةُ** : لأولِ الليلِ ، وتقولُ : تَعهَّدتُ الشيءَ صباحَ مساءَ ، بالتركيبِ والفتحِ ؛ أي : كلَّ صباحٍ ومساءٍ .

أسماءُ الأيامِ في لسانِ العربِ القديمِ : يومُ السبتِ : **شِيارٌ** ؛ بكسرِ أولِهِ ، ويومُ الأحدِ : **أوَّلُ** ، ويومُ الاثنَينِ : **أهونُ** ، ويومُ الثَّلاثاءِ : **جُبارٌ** ؛ بضمِّ أوَّلِهِ وكسرِهِ ، ويومُ الأربعاءِ : **دُبارٌ** كذٰلكَ ، ويومُ الخميسِ : **مُؤنِسٌ** ، ويومُ الجُمُعةِ : **العَروبةُ** ، وبغيرِ (أل) فيكونُ عَلَمَ جنسٍ .

اسمُ مجموعِ الأيامِ : **أُسبوعٌ** ، (ج) **أسابيعُ** .

ـ (م) **يومُ عاشوراءَ وتاسوعاءَ** : للتاسعِ والعاشرِ مِنَ المُحرَّمِ .

النَّوروزُ : أوَّلُ يومٍ مِنَ الخريفِ .

المِهْرَجانُ : أوَّلُ يومٍ مِنَ الربيعِ .

عيدُ الفِطرِ ، عيدُ الضَّحِيَّةِ ، (ج) أعيادٌ .

يومُ الترويةِ : للثامنِ مِنْ ذي الحِجَّةِ ، يومُ عرفةَ : للتاسعِ منهُ ، يومُ النَّحرِ : للعاشرِ ، أيامُ التشريقِ : للثلاثةِ بعدَهُ ؛ وهيَ الأيامُ المعدوداتُ ، والأيامُ المعلوماتُ : العشرُ قبلَها .

ـ (م) مُدَّةٌ ، (ج) مُدَدٌ ، (م) أَمَدٌ ، (ج) آمادٌ ، (م) مَدىً ، (م) غايةٌ ، (م) نهايةٌ ، (م) أبدٌ ، يُقالُ : لا أفعلُ كذا أبدَ الدهرِ ، ومَدَى الدَّهرِ ، وجَدَى الدَّهرِ ؛ أي : أبداً .

ـ (م) ساعةٌ ، (ج) ساعاتٌ ، اسمُ جنسٍ : ساعٌ .

ـ (م) إِنْيٌ ، (ج) آناءٌ ، وأُنِيٌّ .

ـ (م) : فَيْنةٌ : قطعةٌ مِنَ الزمنِ ؛ تقولُ : كنتُ أذهبُ لزيدٍ الفَينةَ بعدَ الفَينةِ ، (ج) فَيْناتٌ .

ـ (م) فُواقٌ بضمِّ أوَّلِهِ : الزمنُ بينَ الحلبتَينِ ؛ تقولُ : انتظرْني فُواقَ ناقةٍ ؛ أي : زمناً قَدْرَ تلكَ المُدَّةِ ، وتقولُ : الساعةَ يجيءُ زيدٌ : للحاضرةِ ، وتقولُ : حضرَ الآنَ : للوقتِ الحاضرِ ، وآنفاً : للوقتِ الذاهبِ .

ومِنَ الأسماءِ الزمانيَّةِ : (متىٰ) ، و(أيَّان) ، و(إذ) ، و(إذا) التي سبقَ لها ذكرٌ في أسماءِ الشرطِ والاستفهامِ ، و(مُذْ) و(مُنْذُ) اللَّتانِ تَقدَّمَ ذكرُهُما في الحروفِ ، فهُما مُشتركتانِ بينَ الاسميَّةِ والحرفيَّةِ .

والكَرَّةُ : الغَداةُ والعَشِيُّ ، وتقولُ : ألقاهُ كرَّتيِ النهارِ ؛ أي : طرفَيهِ .

ـ (م) تارةٌ وطورٌ : حِينٌ ، (ج) تاراتٌ وأطوارٌ .

وتقولُ : لقيتُهُ ذاتَ مَرَّةٍ ؛ أي : مُدَّةً صاحبةَ مَرَّةٍ ، وعلىٰ هٰذا التقديرِ كلُّ ما

وردَ مِنْ (ذاتِ كذا) وهيَ : ذاتُ سنةٍ ، وذاتُ شهرٍ ، وذاتُ ليلةٍ ، وذاتُ يومٍ ، وذاتُ غَداةٍ ، وذاتُ عِشاءٍ .

ويُؤتىٰ ببعضِ أسماءِ الزمانِ مُضافةً إلىٰ كلمةِ (إذ) مُضافةً إلىٰ جملةٍ مذكورةٍ أو محذوفةٍ ؛ اعتماداً علىٰ علمِها مِنْ سياقِ الكلامِ ، ويُعوَّضُ عنها عندَ حذفِها نونٌ يُلفَظُ بها ولا تُكتَبُ تُسمَّى : التنوينَ ؛ نحوُ : حينَئذٍ ، وعامَئذٍ ، وغداتَئذٍ ، وعشيَّتَئذٍ ، وساعتَئذٍ ، ويومَئذٍ ، وليلتَئذٍ ؛ تقولُ : حينَ إذ أطاعَ اللهَ زيدٌ . . أكرمَهُ الناسُ ، وتقولُ : أطاعَ اللهَ زيدٌ وأكرمَهُ الناسُ حينَئذٍ ؛ أي : حينَ إذ أطاعَ اللهَ .

أسماءُ يومِ القيامةِ : الساعةُ ، يومُ القيامةِ ، يومُ البعثِ ، يومُ الدِّينِ ، يومُ النُّشورِ ، يومُ الخُروجِ ، يومُ الحَشْرِ ، يومُ الجَمْعِ ، يومُ الحسابِ ، يومُ العَرْضِ ، يومُ الهَيْبةِ ، يومُ الحَسْرةِ ، يومُ النَّدامةِ ، الحاقَّةُ ، القارعةُ ، الواقعةُ ، الطامَّةُ ، الصاخَّةُ ، الغاشيةُ ، الآزفةُ ، وأكثرُها واردٌ في القرآنِ المجيدِ ، وأشراطُ الساعةِ ـ جمعُ شَرَطٍ بفتحاتٍ ـ : العلاماتُ علىٰ قرْبِ يومِ القيامةِ .

أسماءُ مُدَّةِ النَّشأةِ الأُولى : الدُّنيا ، والأُولىٰ ، والعاجلةُ .

أسماءُ مُدَّةِ النَّشأةِ الآخِرةِ : الآخِرةُ ، الآجِلةُ ، الأُخرىٰ .

أسماءُ المُدَّةِ بينَ النشأتَينِ : الرَّقْدةُ ، الهَمْدةُ ، البَرْزخُ . انتهىٰ ما نقلناهُ مِنْ « مُقدِّمةِ الأدبِ » ببعضِ تصرُّفٍ وزيادةٍ [١] .

الضَّمائرُ [٢]

(أنا) ، و(إيَّايَ) ، وتاءٌ مضمومةٌ ؛ مثلُ : كتبتُ ، وياءٌ ساكنةٌ تُفتَحُ

---

(١) مقدمة الأدب (ص ٣ ـ ٥) .

(٢) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/١٠٧) .

أحياناً ؛ نحوُ : كتابي ، اذكرْني . . لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وحدَهُ .

و(نحنُ) ، و(إيَّانَا) ، و(نا) نحوُ : عرفْنا . . لكلِّ مُتكلِّمٍ يريدُ الحكايةَ عن نفسِهِ وغيرِهِ .

و(أنتَ) ، و(إيَّاكَ) ، وتاءٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ : فهمتَ ، وكافٌ مفتوحةٌ ؛ مثلُ : علَّمَكَ . . لكلِّ مُخاطَبٍ مُذكَّرٍ .

و(أنتِ) بكسرِ التاءِ ، و(إياكِ) بكسرِ الكافِ ، وتاءٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ : قرأتِ ، وكافٌ مكسورةٌ ؛ مثلُ : أَخبرَكِ . . لكلِّ مُخاطَبةٍ مُؤنَّثةٍ[1] .

و(أنتُما) ، و(إيَّاكُما) ، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها ميمٌ فأَلِفٌ ؛ مثلُ : حفظتُما ، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ فألفٌ ؛ مثلُ : هداكُما ربُّكُما . . لكلِّ مُخاطَبَينِ مُذكَّرَينِ أو مُؤنَّثَينِ أو مُختلِطَينِ .

و(أنتُم) ، و(إيَّاكُم) ، وتاءٌ مضمومةٌ فميمٌ ، وكافٌ مضمومةٌ فميمٌ . . لكلِّ جماعةِ ذكورٍ مُخاطَبينَ ، وإن تكنِ الجماعةُ مُختلِطةً . . غُلِّبَتِ الذُّكورُ على الإناثِ .

و(أنتُنَّ) ، و(إيَّاكُنَّ) ، وتاءٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مُشدَّدةٌ ، وكافٌ مضمومةٌ بعدَها نونٌ مفتوحةٌ مُشدَّدةٌ . . لكلِّ جماعةِ إناثٍ مُخاطَباتٍ .

و(هوَ) ، و(إيَّاهُ) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ : عَرَفَ ؛ نحوُ : زيدٌ عرفَ . . لكلِّ مُذكَّرٍ غائبٍ .

و(هيَ) ، و(إيَّاها) ، والمُستتِرُ المَلحوظُ بعدَ : عرفَتْ ، مِنْ نحوِ : هندٌ عرفَتْ . . لكلِّ مُؤنَّثةٍ غائبةٍ .

---

(١) وياء ساكنة ؛ مثل : تضربين .

و(هُما) ، و(إيَّاهُما) ، والألفُ مِنْ نحوِ : عَرَفَا وعَرَفَتَا . . لكلِّ غائبَينِ مُذكَّرَينِ أو مُؤنَّثَينِ أو مُختلِطَينِ ، لا فرقَ إلَّا معَ الأَلِفِ ؛ فالتاءُ قبلَها حرفٌ يَدُلُّ علىٰ أنَّ المَحكيَّ عنهُ مُؤنَّثٌ ، وكانَتْ ساكنةً ففُتِحَتْ لأجلِ الأَلفِ ، وتُسمَّىٰ هٰذهِ التاءُ : تاءَ التأنيثِ الساكنةَ .

و(هُم) ، و(إيَّاهُم) ، والواوُ في نحوِ : عَرَفوا . . لكلِّ جماعةِ ذكورٍ غائبينَ .

و(هُنَّ) ، و(إيَّاهُنَّ) ، والنونُ في نحوِ : عَرَفْنَ . . لكلِّ جماعةِ إناثٍ غائباتٍ .

والأَلِفُ والواوُ والنونُ تكونُ في الخطابِ أيضاً ؛ مثلُ : اكتُبا ، واحفظوا ، وافهمْنَ ، وما عدا هٰذهِ الأسماءَ يُسمَّى : **الأسماءَ الظاهرةَ** .

وما كانَ مِنَ الضَّمائرِ ظاهرَ الاستقلالِ في النُّطقِ . . يُسمَّىٰ : **مُنفصِلاً** ، وما كأنَّهُ حرفٌ مِنَ الكلمةِ السابقةِ عليهِ . . يُسمَّىٰ : **مُتَّصِلاً** .

وللضَّمائرِ مواضعُ مِنَ الكلام يَختصُّ كلُّ صنفٍ منها بموضعٍ ، وبيانُ ذٰلكَ في قسمِ النحوِ .

❋ ❋ ❋

الكلامُ العامُّ على الأفعالِ

[تقسيمُ الفعلِ إلىٰ لازمٍ ومُتعَدٍّ][1]

الفعلُ : إن كانَ يكفي في حصولِ معناهُ شيءٌ واحدٌ مُحصِّلٌ لهُ ؛ وهوَ الفاعلُ . . يُسمَّى الفعلُ : قاصراً ، ولازماً ، والفعلَ ذا النِّسبةِ الواحدةِ .

وإن كانَ يَفتقِرُ في حصولِ معناهُ لأكثرَ مِنْ شيءٍ . . يُسمَّىٰ : مُتجاوِزاً ، ومُتعدِّياً والفعلَ ذا النِّسبتَينِ .

فتارةً يكونُ مُفتقِراً لشيئَينِ : فاعلِهِ ، وشيءٍ آخَرَ يقعُ بهِ تأثيرُهُ ؛ وهوَ المفعولُ به ، وحينَئذٍ يُسمَّى : المُتعدِّيَ لواحدٍ .

[أقسامُ الفعلِ المتعدِّي]

وتارةً يكونُ يَفتقِرُ إلىٰ ثلاثةِ أشياءَ : فاعلٍ ، ومفعولَينِ ، وهٰذا النوعُ ثلاثةُ أصنافٍ :

الصِّنفُ الأوَّلُ : أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ أنَّ فاعلَها جعلَ شيئاً يَفعَلُ فعلاً في شيءٍ آخَرَ ، فيكونُ المجعولُ فاعلاً مفعولاً أوَّلَ ، والشيءُ الآخَرُ مفعولاً ثانياً ، فالمفعولُ الأوَّلُ في هٰذا الصِّنفِ : هوَ ما لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، والمفعولُ الثاني : ما لا فاعليةَ لهُ في المعنىٰ ، بل لهُ المفعوليةُ الخالصةُ ، وهٰذا الصِّنفُ مِنَ الأفعالِ يُسمَّىٰ : بابَ أعطىٰ ؛ كأعطىٰ ، ومنعَ ، ومنحَ ، وكسا ، ووهبَ ، وألبسَ ، وأطعمَ ، وأسقىٰ ، وسقىٰ .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّ قولَكَ : أعطىٰ زيدٌ عمراً درهماً ؛ معناهُ : أنَّ زيداً جعلَ

(١) انظر « همع الهوامع » (٣/٧) .

عمراً عاطياً ؛ أي : مُتناولاً درهماً ؛ تقولُ : عطا عمرٌو درهماً يَعطوهُ ، وأعطيتُهُ إيَّاهُ ؛ فأنتَ [مُناوِلٌ] ، وعمرٌو مُتناوِلٌ لنفسِهِ ، مُناوَلٌ منكَ ، والدِّرهمُ بينَكُما مفعولٌ خالصٌ .

الصِّنفُ الثاني : أفعالٌ تَتعلَّقُ بنسبةِ أمرٍ لأمرٍ حقيقةً ، وبطرفَي النِّسبةِ ظاهراً ، وتُسمَّى : **الأفعالَ الإدراكيةَ** ، **وأفعالَ القلوبِ** ، بعضُها لليقينِ ، وبعضُها للظنِّ والحِسْبانِ ؛ **فما لليقينِ فقطْ أربعةُ أفعالٍ** ، هيَ : **وجدَ** ، **وألفىٰ** ، **ودرىٰ** ، **وتَعلَّمْ** ؛ بمعنى : اعلمْ ، وهٰذهِ الكلمةُ وردَتْ في اللغةِ وليسَ لها فعلٌ ماضٍ ولا مضارعٌ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [1] .

وقالَ : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴾ [2] .

وقالَ بعضُ العربِ [3] : [من الطويل]

دُرِيتَ ٱلْوَفِيَّ ٱلْعَهْدِ يَا عُرْوَ فَٱغْتَبِطْ فَإِنَّ ٱغْتِبَاطاً بِٱلْوَفَاءِ حَمِيدُ

وقالَ آخَرُ [4] : [من الطويل]

تَعَلَّمْ شِفَاءَ ٱلنَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّهَا وَبَالِغْ بِلُطْفٍ فِي ٱلتَّحَيُّلِ وَٱلْمَكْرِ

وما للظنِّ فقطْ خمسةُ أفعالٍ ؛ وهيَ : **جعلَ** ، **وحَجَا** ، **وعَدَّ** ، **وهَبْ** ـ ولا تكونُ إلَّا طلباً [5] ، فهيَ أختُ (تَعلَّم) السابقةِ ، ولا ثالثَ لهُما في اللغةِ ـ **وزعمَ** .

---

(١) سورة المزمل : (٢٠) .

(٢) سورة الصافات : (٦٩) .

(٣) انظر « أوضح المسالك » (٢/٣٢) .

(٤) هو لزياد بن سيار ، كما في « خزانة الأدب » (٩/١٢٩) .

(٥) يعني : هَبْ .

قالَ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (١) .

وقالَ الشاعرُ (٢) : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ

وقالَ آخَرُ (٣) : [من الطويل]

فَلَا تَعْدُدِ ٱلْمَوْلَىٰ شَرِيكَكَ فِي ٱلْغِنَىٰ وَلَـٰكِنَّمَا ٱلْمَوْلَىٰ شَرِيكُكَ فِي ٱلْعُدْمِ

وقالَ آخَرُ (٤) : [من المتقارب]

فَقُلْتُ أَجِرْنِي أَبَا خَالِدٍ وَإِلَّا فَهَبْنِي ٱمْرَأً هَالِكَا

وقالَ آخرُ (٥) : [من الخفيف]

زَعَمَتْنِي شَيْخاً وَلَسْتُ بِشَيْخٍ إِنَّمَا ٱلشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبَا

وما للأمرَينِ ـ والغالبُ استعمالُهُ في اليقينِ ـ فعلانِ : **رأىٰ** ، **وعَلِمَ** .

قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ (٦) .

وقالَ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٧) .

وقالَ : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الزخرف : (١٩) .
(٢) هو لأبي شبل ، كما في « معجم الأدباء » (٣٨٦/٢) .
(٣) هو سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، كما في « عيون الأخبار » (٩٧/٣) .
(٤) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢) .
(٥) انظر « مغني اللبيب » (٧٧٥/٢) .
(٦) سورة المعارج : (٦ ـ ٧) .
(٧) سورة محمد : (١٩) .
(٨) سورة الممتحنة : (١٠) .

وما للأمرَينِ ـ والغالبُ استعمالُهُ في المُرجَّحاتِ ـ ثلاثةُ أفعالٍ : ظنَّ ، وحَسِبَ ، وخالَ .

قالَ الشاعرُ (١) : [من الطويل]

ظَنَنْتُكَ إنْ شَبَّتْ لَظَى ٱلْحَرْبِ صَالِياً فَعَرَّدْتَ فِيمَنْ كَانَ عَنْهَا مُعَرِّدَا

وقالَ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ (٢) .

وقالَ الشاعرُ (٣) : [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً عَشِيَّةَ لَاقَيْنَا جُذَامَ [وَحِمْيَرَا] (٤)

وقالَ آخَرُ (٥) : [من الطويل]

حَسِبْتُ ٱلتُّقَىٰ وَٱلْجُودَ خَيْرَ تِجَارَةٍ رَبَاحاً إذَا مَا ٱلْمَرْءُ أَصْبَحَ ثَاقِلَا

وقالَ آخَرُ (٦) : [من الطويل]

إِخَالُكَ إِنْ لَمْ تَغْضُضِ ٱلطَّرْفَ ذَا هَوىً يَسُومُكَ مَا لَا يُسْتَطَاعُ مِنَ ٱلْوَجْدِ

وقالَ آخَرُ (٧) : [من المنسرح]

مَا خِلْتُنِي زِلْتُ بَعْدَكُمْ ضَمِناً أَشْكُو إِلَيْكُمْ حُمُوَّةَ ٱلْأَلَمِ

الصِّنفُ الثالثُ : أفعالٌ تَدُلُّ علىٰ تحويلِ شيءٍ ونقلِهِ مِنْ حالةٍ إلىٰ غيرِها ،

---

(١) انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (٢/٢١) .

(٢) سورة البقرة : (٤٦) .

(٣) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٠) .

(٤) في الأصل : (وحمير) .

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤١) .

(٦) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٢) .

(٧) انظر « أوضح المسالك » (٢/٤٣) .

وتُسمَّىٰ : أفعالَ التصييرِ ؛ وهيَ : جعلَ ، وردَّ ، وتركَ ، واتَّخذَ ، وتَخِذَ ، وصَيَّرَ ، ووَهَبَ .

قالَ تعالىٰ : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾[(١)] .

وقالَ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾[(٢)] .

وقالَ : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾[(٣)] .

وقالَ : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[(٤)] .

وقالَ الشاعرُ[(٥)] : [من الوافر]

تَخِذْتُ [غُرَازَ] إِثْرَهُمُ دليلاً   وَفَرُّوا فِي الْحِجَازِ لِيُعْجِزُونِي

وقالَ الراجزُ[(٦)] : [من السريع الموقوف]

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ

وسُمِعَ مِنَ العربِ : (وَهَبَنِي اللهُ فداءَكَ) ولم يستعملوا منهُ غيرَ الماضي .

ولمفعولَيْ أفعالِ الإدراكِ مباحثُ تأتي في قسمِ النحوِ .

وتَتعلَّقُ أحرفُ الإضافةِ بجميعِ الأفعالِ ؛ لازمِها ومُتعدِّيها ، ويُقالُ لها :

---

(١) سورة الفرقان : (٢٣) .

(٢) سورة البقرة : (١٠٩) .

(٣) سورة الكهف : (٩٩) .

(٤) سورة النساء : (١٢٥) .

(٥) انظر « أوضح المسالك » (٤٧/٢) .

(٦) هو عجز بيت لرؤبة بن العجاج في « ديوانه » (ص ١٨١) ، والبيت بتمامه :

وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلْ   فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولْ

انظر « أوضح المسالك » (٤٨/٢) .

مفاعيلُ غيرُ صريحةٍ ، ويُقالُ للأفعالِ اللَّازمةِ : **مُتعدِّيةٌ بالواسطةِ** ؛ لأنَّ أحرفَ الإضافةِ تربطُها بما بعدَها ؛ فإذا قلتَ : (خرجتُ مِنَ الدارِ إلى الطريقِ) فكلمتا (مِنْ) و(إلىٰ) ربطتا (خرجَ) بـ (الدارِ) و(الطريقِ) .

وأمَّا مفاعيلُ الأفعالِ المُتعدِّيةِ بنفسِها . . فإنَّها تُسمَّى : **المفاعيلَ الصَّريحةَ** .

تقسيمٌ آخَرُ للفعلِ [إلىٰ تامٍّ وناقصٍ][1]

الفعلُ : منهُ ما يكونُ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ يَتِمُّ بهِ وبشيءٍ واحدٍ معَهُ وهوَ فاعلُهُ . . كلامٌ ، ويُسمَّىٰ : **فعلاً تامّاً** ؛ كقامَ زيدٌ ، وأعطىٰ خالدٌ ، ومَنْ يَسمعْ . . يَخَلْ .

وإمَّا ألَّا يكونَ معناهُ مقصوداً بالإفادةِ ؛ بحيثُ لا يكونُ لهُ فاعلٌ يَتِمُّ بهِما كلامٌ ، بل يكونُ المقصودُ بهِ الذهابَ إلىٰ حكايةِ نسبةِ أمرٍ لأمرٍ مُفاداً بذٰلكَ الفعلِ وقتَ تلكَ النسبةِ وحالِها ، وهٰذا النوعُ مِنَ الفعلِ يُسمَّىٰ : **ناقصاً** ، **وألفاظُهُ** :

(**كان**) لمُطلَقِ التوقيتِ ، و(**أصبحَ**) للتوقيتِ بالصُّبحِ ، و(**أضحىٰ**) للتوقيتِ بالضُّحىٰ ، و(**أمسىٰ**) للتوقيتِ بالمَساءِ ، و(**ظلَّ**) للتوقيتِ بالنَّهارِ ، و(**باتَ**) للتوقيتِ باللَّيلِ ، و(**صارَ**) للتوقيتِ والدلالةِ على التحويلِ مِنْ صفةٍ إلىٰ صفةٍ ، ومثلُها (**حارَ**) و(**آضَ**) في ألفاظٍ أُخَرَ ، و(**ليسَ**) للنفْيِ ، و(**زالَ**) و(**بَرِحَ**) و(**فَتِئَ**) و(**انفكَّ**) و[**رامَ**] للاستمرارِ[2] ، ولا تُستعمَلُ هٰذهِ إلَّا مَنفيَّةً أو مَنهيّاً عنها ؛ كـ : ما زالَ ، ولن يزالَ ، وما رامَ ، ولا يريمُ .

---

(١) انظر « همع الهوامع » (١/٤٠٨) .

(٢) في الأصل : (و« دام » للاستمرار) ، وسيذكر بعد قليل : (وما رام) .

ولفظُ (ما دامَ) لبيانِ مُدَّةِ حكمٍ يُذكَرُ قبلَها ، ولا تُستعمَلُ هـٰذا الاستعمالَ إلَّا معَ (ما) المَصدريَّةِ الظرفيَّةِ .

و(عسىٰ) و(حَرَىٰ) و(اخلَوْلَقَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً قاربَ أن يُحصِّلَ أمراً بحَسَبِ الرجاءِ ، وتُسمَّى الأفعالُ الثلاثةُ : **أفعالَ الرجاءِ** .

و(كادَ) و(أوشكَ) و(كَرَبَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً قاربَ أن يَحصُلَ منهُ أمرٌ بحَسَبِ الواقعِ ونفسِ الأمرِ ، فهيَ للإخبارِ بذٰلكَ ، وتُسمَّىٰ : **أفعالَ المقاربةِ** .

و(جعلَ) و(أخذَ) و(طَفِقَ) و(أَنشأَ) و(أقبلَ) للدلالةِ علىٰ أنَّ أمراً شرعَ في أن يُحصِّلَ أمراً ، وتَهيَّأَ لذٰلكَ وتَصدَّىٰ .

وكما تُسمَّىٰ هـٰذهِ الأفعالُ : أفعالاً ناقصةً . . تُسمَّى : **الأفعالَ النسبيَّةَ** ؛ لكونِها ـ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ ـ لشرحِ حالِ نسبةٍ تُذكَرُ بطرفَيها بعدَها ، ولها اسمٌ ثالثٌ يأتي هوَ وأحكامُ تراكيبِها في قسمِ النحوِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

❋ ❋ ❋

القسم الثّاني

قسم الصّرف

[تعريفُ الصرفِ ومحاورُ البحثِ]

عرفتَ أنَّ الصَّرفَ : عِلْمٌ يُبيّنُ صيغَ الألفاظِ ، وكونَها أصولاً وزوائدَ ، ومتبادلةَ الحروفِ ، وكيفيةَ النطقِ بها[1] .

ولنجعلِ الكلامَ عليهِ في :

- مُقدّمةٍ .

- ومَقالتَينِ .

- وخاتمةٍ .

❋ ❋ ❋

---

(١) تقدم (١/٥٦) .

المُقدِّمةُ

[في التمهيدِ لعلمِ الصرفِ]

اعلمْ : أنَّ الناسَ الذينَ نصَبوا أنفسَهُم لضبطِ صورِ مفرداتِ اللغةِ . . وجدوا أنَّ العربَ تَقصِدُ إلى الحروفِ ، فتُركِّبُ منها الكلمةَ لأجلِ أن تضعَها لشيءٍ تكونُ دالةً عليهِ مفيدةً لهُ ، فإذا أرادوا جعلَها مفيدةً لمعنىً آخَرَ يكونُ المعنى الأولُ جزءاً لهُ . . غيَّروا صورةَ الكلمةِ ؛ إمَّا بتبديلٍ في الحركاتِ ، وإمَّا بزيادةٍ أو نقصٍ في الحروفِ ، ومِنْ هنا جاءَ **الاشتقاقُ** .

فيكونُ اللفظُ بصورتِهِ الأُولىٰ أصلاً ، وبالصورةِ الأُخرىٰ فرعاً ، وحينَئذٍ يُسمَّى الأصلُ : **مصدراً** ، وتُسمَّى الفروعُ : **مُشتقَّاتٍ** .

[الاشتقاقُ ، والميزانُ الصرفيُّ]

فالاشتقاقُ : تبديلُ صورةِ كلمةٍ ذاتِ معنىً بصورةٍ أخرىٰ لتكونَ ذاتَ معنىً آخَرَ .

وللمصدرِ أنواعٌ يأتي بيانُها وبيانُ فروعِها في الموضعِ المناسبِ لذٰلكَ .

ثمَّ نظروا في الألفاظِ ؛ فوجدوا أكثرَ الكلماتِ الموضوعةِ للمعاني الأصليَّةِ لا تزيدُ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ، فذهبوا إلىٰ جعلِ أصولِ الكلماتِ ثلاثةَ أحرفٍ يُعبَّرُ عن أوَّلِها بـ (**الفاءِ**) ، وعن ثانيها بـ (**العينِ**) ، وعن ثالثِها بـ (**اللَّامِ**) .

ووضعوا لوزنِ أصولِ الكلمةِ لفظَ (**فعل**) مُصوَّراً عندَ النطقِ بصورةِ الموزونِ .

[أنواعُ الزيادةِ في الكلماتِ]

ثمَّ الكلماتُ الزائدةُ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ثلاثةُ أنواعٍ :

نوعٌ تكونُ زيادتُهُ أصليةً ؛ بأن تكونَ الكلمةُ مِنْ أوَّلِ وضعِها على الأحرفِ الزائدةِ علىٰ ثلاثةٍ ، وتُسمَّى الكلماتُ التي هـٰذا شأنُها بالكلماتِ المُجرَّدةِ .

فإن كانَتِ الكلمةُ فعلاً . . لم تَزِدْ عن أربعةٍ ، وإن كانَتِ اسماً . . لم تَزِدْ علىٰ خمسةٍ .

فالأفعالُ المُجرَّدةُ : ثُلاثياتٌ ؛ كنصرَ وذهبَ ، ورُباعياتٌ ؛ كدَحْرجَ وعَرْبدَ .

والأسماءُ المُجرَّدةُ : أُحاديةٌ ؛ كـ (تاءِ) أكرمتُكَ و(كافِهِ) ، وثُنائيةٌ ؛ كـ (مَنْ) و(كَمْ) ، وثُلاثياتٌ ؛ كفهمٍ وحفظٍ وزيدٍ وعمرٍو ، ورباعياتٌ ؛ كبُرْثُنٍ ، وجعفرٍ ، وزِبْرِجٍ ، وخماسياتٌ ؛ كسَفَرْجَلٍ ، وجَحْمَرِشٍ .

فإذا أردتَ أن تَزِنَ ما زادَ على الثلاثةِ مِنْ هـٰذا النوعِ . . كرَّرتَ اللَّامَ ؛ فجئتَ بلامَينِ أو ثلاثةٍ ، فتقولُ : (دَحْرَجَ) علىٰ وزنِ (فَعْلَلَ) ، وتقولُ : (سَفَرْجَلٌ) علىٰ وزنِ [(فَعَلَّلٍ)] ، و(جَحْمَرِشٌ) علىٰ وزنِ (فَعْلَلِلٍ) .

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ بتكريرِ عينِ الكلمةِ أو لامِها ؛ ويُسمَّىٰ : مُضعَّفاً ، فإذا أردتَ أن تَزِنَ كلمةً مِنْ هـٰذا النوعِ . . كرَّرتَ العينَ في مُضعَّفِ العينِ ، وكرَّرتَ اللَّامَ في مُضعَّفِ اللَّامِ ، فتقولُ : (عَظَّمَ) وزنُهُ (فَعَّلَ) بتشديدِ العينِ ، فتكونُ ناطقاً بعينَينِ ، ومُجرَّدُهُ (عَظُمَ) بتخفيفِ الظاءِ ، وتقولُ : (جَلْبَبَ) وزنُهُ (فَعْلَلَ) .

ونوعٌ تكونُ زيادتُهُ حرفاً أو أكثرَ مِنْ حروفِ (سألتُمونيها) وهيَ عشرةُ أحرفٍ تُسمَّىٰ : أحرفَ الزيادةِ .

ولا يَتجاوزُ الفعلُ بالزيادةِ ستةَ أحرفٍ ، ولا يَتجاوزُ الاسمُ بالزيادةِ سبعةَ أحرفٍ ، وكلُّ زائدٍ أقلَّ ممَّا قبلَهُ في عددِ الكلماتِ .

فإذا أردتَ أن تَزِنَ الكلمةَ مِنْ هٰذا النوعِ . . نطقتَ بألفاظِ الحروفِ الزائدةِ ؛ فتقولُ : (ضارَبَ) وزنُهُ (فاعَلَ) ، و(استخرجَ) وزنُهُ (استفعلَ) ، و(اقتدرَ) وزنُهُ (افتعلَ) وهٰكذا ، وتعيينُ مواضعِ الزياداتِ يأتي في مواضعِهِ مِنَ الكلامِ على الأفعالِ والأسماءِ .

❋ ❋ ❋

المقالةُ الأُولىٰ
في الكلامِ على الفعلِ

للفعلِ تقاسيمُ

التقسيمُ الأوَّلُ
[مِنْ حيثُ الزمنُ]

قد عرفتَ أنَّ الفعلَ كلمةٌ موضوعةٌ لمنسوبٍ ملحوظٍ أوَّلاً ، ونسبةٍ ملحوظةٍ ثانياً ، ومنسوبٍ إليهِ مُعيَّنٍ ملحوظٍ ثالثاً .

فإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الماضي . . فهوَ **الفعلُ الماضي** .

وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الحالِ ؛ أيِ : الزمنِ الحاضرِ الذي فيهِ المكالمةُ . . فهوَ **الفعلُ المضارعُ الحاليُّ** .

وإن كانَ مُخبَراً بهِ عن حدوثِ أمرٍ في الزمنِ الآتي بعدَ زمنِ التكلُّمِ . . فهوَ **الفعلُ المضارعُ الاستقباليُّ** .

وإن كانَ مطلوباً بهِ تحصيلُ أمرٍ في الزمنِ المُستقبَلِ . . فهوَ **فعلُ الأمرِ** .

فالفعلُ أربعةُ أصنافٍ ، وصيغةُ المضارعَينِ واحدةٌ مُشترَكةٌ بينَهُما ، وتَعيُّنُ المرادِ منها كسائرِ المُشترَكاتِ . . بالقرينةِ ؛ أيِ : الدليلِ على المرادِ ؛ مثلُ : كتبَ زيدٌ ، وقرأَ ، وحفظَ ، وعمرٌو يكتبُ وسيقرأُ ، وسوفَ يحفظُ ، واكتبْ يا بكرُ ، واقرأْ ، واحفظْ .

* * *

التقسيمُ الثاني
[مِنْ حيثُ الصحةُ والاعتلالُ] (١)

الفعلُ : إن كانَتْ أصولُهُ غيرَ الألفِ والواوِ والياءِ . . يُسمَّىٰ : **صحيحاً** ؛ كعَلِمَ ، وشَرُفَ .

وإن كانَ بعضُ أصولِهِ مِنَ الأحرفِ الثلاثةِ . . يُسمَّىٰ : **مُعتلّاً** .

فإن كانَتْ فاؤُهُ منها . . يُسمَّىٰ : **مِثالاً** ؛ كوَعَدَ ، ويَسَرَ .

وإن كانَتْ عينُهُ . . يُسمَّىٰ : **أجوفَ** ؛ كعَوِرَ ، وغَيِدَ ، وقالَ .

وإن كانَتْ لامُهُ . . يُسمَّىٰ : **ناقصاً** ؛ كرَضِيَ ، وخَشِيَ ، وتَلا ، ورَمَىٰ .

وإن كانَ منها اثنانِ . . يُسمَّىٰ : **لفيفاً مَفروقاً** إن لم يَجتمِعا ؛ كوَقَىٰ ، ووَفَىٰ ، **ولفيفاً مَقروناً** إنِ اجتمعا ؛ كيَاوَمَ ، وغَوَىٰ ، ورَوَىٰ .

والأحرفُ الثلاثةُ تُسمَّىٰ : **أحرفَ العِلَّةِ** ؛ لأنَّ الفعلَ كثيراً ما يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِها ؛ فإن كانَتْ هٰذهِ الأحرفُ ساكنةً . . سُمِّيَتْ : **أحرفَ اللِّينِ** ، فإن كانَتْ ساكنةً ، وقبلَ الواوِ ضمةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ (٢) . . سُمِّيَتْ : **أحرفَ مَدٍّ** .

فالأَلِفُ حرفُ مَدٍّ ولينٍ دائماً ؛ لدوامِ سكونِها وفتحِ ما قبلَها ؛ لامتناعِ غيرِ ذٰلكَ فيها .

وأمَّا **الواوُ والياءُ** . . فلهُما ثلاثةُ أحوالٍ يَستحِقَّانِ في واحدةٍ منها اسماً واحداً ، وفي أُخرى اسمَينِ ، وفي الثالثةِ ثلاثةَ أسماءٍ تَستحِقُّها الأَلِفُ مُطلَقاً .

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٣/٣٠٨) .

(٢) أي : وقبل الألف فتحة .

وإن كانَ بعضُ الأصولِ همزةً . . يُسمَّى الفعلُ : **مهموزاً** ؛ كأخذَ ، وسألَ ، وقرأَ ، وإن كانَ أصلانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ كباءين أو لامين . . يُسمَّى الفعلُ : **مُضعَّفاً** ، كسَبَّ ، ومَلَّ ، وشَدَّ .

ولكونِ الفعلِ يَتغيَّرُ عن صورةِ نوعِهِ بسببِ الهمزةِ والتضعيفِ . . قالَ أهلُ الفَنِّ : يُسمَّى الفعلُ **سالماً** إذا خلا مِنَ الهمزةِ والتضعيفِ وحروفِ العِلَّةِ ؛ فكلُّ سالمٍ صحيحٌ ، وليسَ كلُّ صحيحٍ سالماً .

ثمَّ إنَّ هٰذهِ الأسماءَ لتلكَ الأسبابِ لا تَخُصُّ الفعلَ ، بل تكونُ في الاسمِ .

❋ ❋ ❋

التقسيمُ الثالثُ
الفعلُ باعتبارِ مادَّتِهِ وعددِ حروفِهِ أربعةُ أصنافٍ

ثُلاثيٌّ ، ورُباعيٌّ ، وخُماسيٌّ ، وسُداسيٌّ ؛ كنصرَ ، ودحرجَ ، وانطلقَ ، واستخرجَ .

وباعتبارِ صورتِهِ التي هيَ هيئتُهُ الحاصلةُ لهُ مِنَ الحركاتِ أوِ الحركاتِ والسَّكَناتِ على التراتيبِ الخاصَّةِ . . سبعةٌ وثلاثونَ باباً :

ستةُ أبوابٍ للثُّلاثيِّ ، وعشرةٌ للرُّباعيِّ ، وثلاثةَ عشرَ للخُماسيِّ ، وثمانيةٌ للسُّداسيِّ .

لٰكنَّ أبوابَ الثُّلاثيِّ باعتبارِ حالِ الماضي ومضارعِهِ ؛ لاختلافِ صورةِ المضارعِ معَ اتفاقِ صورةِ الماضي ، بخلافِ جميعِ الأبوابِ ؛ فإنَّها باعتبارِ حالِ الماضي فقطْ ؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ منها يكونُ مضارعُهُ علىٰ صورةٍ واحدةٍ .

❋ ❋ ❋

الكلامُ علىٰ أبوابِ الثلاثيِّ (١)

هيَ مُرتَّبةٌ بحَسَبِ الكثرةِ والقِلَّةِ ؛ فكلُّ سابقٍ منها أكثرُ أفراداً مِنْ لاحقِهِ .

ولا يَخرجُ الماضي عن ثلاثِ صورٍ : (فَعَلَ) بفتحِ العينِ ؛ كنصَرَ ، وضرَبَ ، وفتَحَ ، و(فَعِلَ) بكسرِ العينِ ؛ كفرِحَ ، وحَسِبَ ، و(فَعُلَ) بضمِّ العينِ ؛ كشَرُفَ .

وكلٌّ منها بعضُ أفرادِهِ مُتعدٍّ والبعضُ لازمٌ ، إلَّا (بابَ شرُفَ) فإنَّ جميعَ أفرادِهِ لازمةٌ ، فهيَ باعتبارِ التعدِّي واللُّزومِ أحدَ عشرَ صنفاً .

البابُ الأوَّلُ

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ نَصَرَ) كنَصَرَ يَنْصُرُ ، وأَخَذَ يأخُذُ ، وقالَ يقولُ ، ودعا يدعو ، وشَدَّ يَشُدُّ ، وقَعَدَ يَقعُدُ ؛ فهٰذهِ الأفعالُ وأمثالُها بفتحِ العينِ في الماضي ، وضمِّها في المضارعِ .

والأمرُ مِنْ كلِّ فعلٍ : علىٰ صورةِ مضارعِهِ بحذفِ حرفِ المضارعةِ .

فإذا كانَ أوَّلُهُ ساكناً وأردتَ الابتداءَ بهِ . . جئتَ بهمزةٍ مضمومةٍ في مضمومِ العينِ ، ومكسورةٍ في غيرِهِ ؛ تُسمَّىٰ : **همزةَ الوصلِ** ؛ لكونِكَ تَصِلُ بها إلى التمكُّنِ مِنَ النطقِ بالساكنِ .

ولهمزةِ الوصلِ مواضعُ يأتي بيانُها ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ الفعلِ مِنْ هٰذا البابِ همزةً ؛ كأخذَ ، وأمرَ ، وأكلَ . . أُبدِلَتْ في المضارعِ أَلِفاً إذا سبقَتْها همزةُ المُتكلِّمِ ؛ **لقاعدةٍ** : أنَّهُ متى اجتمعَ همزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ وسَكَنَتْ

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٣/٣٠٨) ، و« شذا العرف » (ص ٤١) .

ثانيتُهُما . . أُبدِلَتْ مِنْ جنسِ حركةِ الأُولىٰ ، فتُبدَلُ أَلِفاً للفتحةِ ، وواواً للضمةِ ، وياءً للكسرةِ ، وحُذِفَتْ همزةُ الفعلِ مِنَ الأمرِ ، فيبقىٰ عينُهُ ولامُهُ ؛ تقولُ : آخُذُ وآمُرُ وآكُلُ ، وخُذْ ومُرْ وكُلْ ، وحينَئذٍ يستغني الأمرُ عن همزةِ الوصلِ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ واواً ؛ كقَوَلَ ورَوَمَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارعِ ، فإذا سكنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إذا لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا : قالَ ، يَقُولُ ، لم يَقُلْ ، قُلْ ، قَوْلاً (١) ، ورَامَ ، يَرُومُ ، لم يَرُمْ ، رُمْ ، رُومُوا .

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً ؛ كدَعَوَ ، وعَلَوَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي .

ولها في المضارعِ ثلاثةُ أحوالٍ : السكونُ المُرسَلُ ، والفتحُ ، والحذفُ ، وبيانُ سببِ ذٰلكَ مِنْ وظيفةِ النحوِ .

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ : حذفُها عندَ خطابِ الواحدِ ، وعندَ خطابِ جماعةِ الذُّكورِ ، وعندَ خطابِ الواحدةِ ، وفي هٰذا تُبدَلُ الضمةُ التي كانَتْ قبلَها كسرةً ، وبقاؤُها مفتوحةً عندَ خطابِ الاثنَينِ ، وبقاؤُها ساكنةً عندَ خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا : علا ، يعلو ، لن يعلوَ ـ بفتحِ الواوِ ـ لم يَعْلُ ، اُعلُ ، اُعلُوْا ، اِعلِي ، اُعلُوَا ، اُعلُوْنَ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كدالَينِ أو جيمَينِ كرَدَدَ . . سكنَتِ العينُ ، وأُدغِمَتْ في اللَّامِ في الماضي ، ونُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتَسكُنُ وتُدغَمُ في المضارعِ والأمرِ ، ولذٰلكَ يُحرَّكُ آخِرُ الأمرِ في موضعِ سكونِهِ .

---

(١) لعل القياس أن يقول : (قولوا) ، كما سيأتي في (رُوموا) ، والله تعالىٰ أعلم .

البابُ الثاني

(فَعَلَ) بفتحِ العينِ (يَفْعِلُ) بكسرِها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ ضَرَبَ) كضرَبَ ، وباعَ ، ورمىٰ ، ووَعَدَ ، ووَفَىٰ ، ووَجَدَ .

فإذا كانَتْ عينُ الفعلِ ياءً ؛ كبَيَعَ . . قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي ، ونُقِلَتْ كسرتُها إلى الساكنِ قبلَها ، وبَقِيَتْ ساكنةً سكوناً مُرسَلاً في المضارعِ ، وحُذِفَتْ إن سكنَ آخِرُهُ ، كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كباعَ ، يَبِيعُ ، لم يَبِعْ ، بِعْ ، بِعْنَ ، بِيعا ، بِيعُوا ، بِيعِي .

وإذا كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كرَمَيَ . . قُلِبَتْ أَلِفاً في الماضي .

ولها في المضارعِ ثلاثةُ أحوالٍ : سكونُها ، وفتحُها ، وحذفُها .

ولها في الأمرِ ثلاثةُ أحوالٍ : حذفُها في خطابِ الواحدِ والواحدةِ وجماعةِ الذُّكورِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي كانَتْ قبلَها في هٰذا ضمةً ، وبقاؤُها مفتوحةً في خطابِ الاثنَينِ ، وبقاؤُها ساكنةً في خطابِ جماعةِ الإناثِ ، فيكونُ النطقُ هٰكذا : رمىٰ ، يَرمي ، لن يَرميَ بفتحِ الياءِ ، لم يَرمِ ، ارمِ يا زيدُ ، ارمي يا هندُ ، ارموا يا رجالُ ، ارميا ، ارمينَ .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً . . حُذِفَتْ مِنَ المضارعِ والأمرِ ، فيبقى الفعلُ علىٰ حرفَينِ هما عينُهُ ولامُهُ ؛ كوَعَدَ ، يَعِدُ ، عِدْ ، ووَزَنَ ، يَزِنُ ، زِنْ .

وإذا كانَتْ فاءُ الفعلِ واواً ، ولامُهُ ياءً ؛ كوَقَىٰ ووَفَىٰ . . عُومِلَ معاملةَ ما فاؤُهُ واوٌ ، وما لامُهُ ياءٌ ، فيكونُ نطقُهُ هٰكذا : وَقَىٰ ، يَقي ، لن يَقِيَ ، لم يَقِ ، قِ ، قِي ، قُوا ، قِيَا ، قِينَ .

وعندَ حذفِ لامِهِ يبقىٰ علىٰ حرفٍ واحدٍ هوَ عينُهُ ، وإذا أردتَ حينَئذٍ أن تَقِفَ عليهِ . . أتيتَ بهاءِ السكتِ ؛ فتقولُ : قِهْ ، وعِهْ ، وفِهْ .

وإذا كانَتْ عينُهُ ولامُهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ . . عملتَ فيهِ عملَكَ في (ردَّ) سوىٰ أنَّ هنا كسرةً ، وهناكَ ضمةً .

البابُ الثالثُ

(فَعَلَ ، يَفْعَلُ) بفتحِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ فتحَ) كفَتَحَ يَفْتَحُ ، وذَهَبَ يَذهَبُ ، ولم يَرِدْ هـٰذا البابُ إلَّا وعينُهُ أو لامُهُ مِنَ الحروفِ الحلقيَّةِ ؛ وهيَ : الهمزةُ ، والهاءُ ، والعينُ ، والحاءُ ، والغينُ ، والخاءُ ؛ كسأَلَ يسأَلُ ، ولجأَ يَلجَأُ ، ودَهَمَ يَدهَمُ ، وشَذَّ : أبىٰ يَأْبَىٰ ، وكانَ حقُّه : يَأبي ؛ كيَرمي .

ومتىٰ كانَتْ لامُ الفعلِ ياءً ؛ كسَعَيَ ورَعَيَ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الأفعالِ الثلاثةِ ، وتُحذَفُ مِنَ المضارعِ والأمرِ في بعضِ التراكيبِ ـ علىٰ قياسِ أُختَيها الياءِ والواوِ مِنْ نحوِ : (يَرمي) و(يدعو) ـ غيرَ أنَّ فتحتَها تُحفَظُ ولا تُبدَلُ كسرةً لأجلِ الياءِ أو ضمةً لأجلِ الواوِ ، فيكونُ النطقُ هـٰكذا : سَعَىٰ ، يَسْعَىٰ ، لن يسعىٰ ، لم يَسْعَ ، اسعَ ، اسعَيْ بفتحِ العينِ ، اسعَوْا بفتحِها أيضاً ، اسعَيَا اسعَيْنَ بالياء فيهِما على الأصلِ ، والمُضعَّفُ منهُ كالمُضعَّفِ مِنْ غيرِهِ ، والتخالفُ بالحركةِ .

البابُ الرابعُ

(فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفْعَلُ) بفتحِها ، ويُسمَّىٰ : (بابَ فَرِحَ) كفَرِحَ يَفرَحُ ، وفَهِمَ يَفْهَمُ ، وخَافَ يَخَافُ ، وعَوِرَ يَعْوَرُ .

ومِنْ هـٰذا البابِ : الأفعالُ الدالَّةُ على الفرحِ وتوابعِهِ ، والحُزْنِ وتوابعِهِ ، والامتلاءِ ، والخُلُوِّ ، والألوانِ ، والعُيوبِ ، والخِلَقِ الظاهرةِ التي تُذكَرُ لتحليةِ الإنسانِ في الغزلِ ؛ كفَرِحَ ، وطَرِبَ ، وبَطِرَ ، وأَشِرَ ، وكغَضِبَ ، وحَزِنَ ، وكشَبِعَ ، ورَوِيَ ، وسَكِرَ ، وعَطِشَ ، وظَمِئَ ، وصَدِيَ ، وهَيِمَ ، وكحَمِرَ ،

وسَوِدَ ، وكعَوِرَ ، وعَمِشَ ، وعَشِيَ ، وجَهِرَ ، وكغَيِدَ ، وهَيِفَ ، ولَمِيَ .

وإذا كانَتْ عينُ الفعلِ مِنْ هـٰذا البابِ واواً أو ياءً ؛ فإن كانَ مصدرُهُ علىٰ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ؛ كعَوِرَ عَوَراً ، وغَيِدَ غَيَداً . . سَلِمَتْ ولم تُغيَّرْ ، وإن كانَ مصدرُهُ علىٰ (فَعْلٍ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كخافَ يَخافُ خَوْفاً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الماضي ، وكذا في المضارِعِ ، بعد نقلِ فتحِها إلىٰ ما قبلَها ، وإذا سكنَ آخِرُهُ . . حُذِفَتْ كما تُحذَفُ مِنَ الأمرِ إن لم يَتحرَّكْ آخِرُهُ ؛ كخافَ ، يَخافُ ، لم يَخَفْ ، خَفْ ، خَفْنَ ، خافِي ، خافا ، خافُوا .

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . . أُبدِلَتْ ياءً في الماضي ، وأَلِفاً في المضارِعِ والأمرِ ، وعُومِلَتْ معاملةَ أَلِفِ (يسعىٰ) كرَضِيَ وعَشِيَ ، أصلُهُما : رَضِوَ وعَشِوَ ؛ بدليلِ الرضوانِ ، وعشواءَ ، ومثلُ الياءِ المُبدَلَةِ . . الياءُ الأصليةُ في إبدالِها أَلِفاً في المضارِعِ والأمرِ ؛ كلَمِيَ يَلْمَىٰ ، والمُضعَّفُ مِنْ هـٰذا البابِ كغيرِهِ .

البابُ الخامسُ

(فَعُلَ ، يَفْعُلُ) بضمِّ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ كَرُمَ) نحوُ : كَرُمَ يَكرُمُ ، وشَرُفَ يَشرُفُ .

وجميعُ أفعالِ هـٰذا البابِ دالَّةٌ علىٰ غرائزَ مطبوعةٍ في الفِطَرِ ، ولكَ أن تُحوِّلَ كلَّ ثُلاثيٍّ إلىٰ هـٰذا البابِ ؛ للدلالةِ علىٰ أنَّ معناهُ قد صارَ كالغريزةِ في صاحبِهِ ، وربَّما تَعجَّبوا بأفعالِ هـٰذا البابِ ، فلا تكونُ للإخبارِ عن حدوثِها كما هوَ وضعُ الأفعالِ ، ولهـٰذا شرحٌ في النحوِ .

البابُ السادسُ

(فَعِلَ ، يَفْعِلُ) بكسرِ العينِ فيهِما ، ويُسمَّىٰ : (بابَ حَسِبَ) كحَسِبَ يَحْسِبُ ، ووَثِقَ يَثِقُ .

وهـٰذا البابُ أقلُّ الأبوابِ أفعالاً ، ولذٰلك أُخِّرَ ولم يكنْ معَ (بابِ فَرِحَ) كما تقتضي المناسبةُ لكسرِ عينِ الماضي فيهِما .

ولم يُوجَدْ في اللغةِ العربيةِ ـ فهوَ مُهمَلٌ ـ (فَعِلَ) بكسرِ العينِ (يَفعُلُ) بضمِّها ، ولا (فَعُلَ) بضمِّ العينِ (يَفعِلُ) أو (يَفعَلُ) بكسرِها أو فتحِها ، ولو وُجِدَتْ . . لكانَتْ أبوابُ الثُّلاثيِّ تسعةً .

❋ ❋ ❋

الكلامُ علىٰ أبوابِ الرباعيِّ [1]

هيَ خمسةُ أقسامٍ : قسمُ المُجرَّدِ ، وقسمُ مُلحقاتِ المُجرَّدِ بالزيادةِ ، وقسمُ المهموزِ ، وقسمُ مُضعَّفِ العينِ ، وقسمُ المفاعلةِ ؛ كدَحْرجَ ، وبَعْثَرَ ، وعَرْبدَ ، ودَرْبجَ ، وكحَوْقلَ ، وبَيْطرَ ، وجَهْورَ ، وعَثْيرَ ، وجَلْببَ ، وسَلْقىٰ ، وكأكرمَ ، وكعَظَّمَ ، وكفاخَرَ .

ومِنَ المُجرَّدِ : أفعالٌ نحتَتْها العربُ مِنْ مُركَّباتٍ ؛ كـ(بَسْمَلَ) مِنْ : باسمِ اللهِ ، و(حَمْدَلَ) مِنَ : الحمدُ للهِ ، و(حَوْقَلَ) مِنْ : لا حولَ ولا قوَّةَ [إلَّا باللهِ] ، و(طَلْبَقَ) مِنْ : أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، و(دَمْعَزَ) مِنْ : دامَ عِزُّهُ ، و(جَعْفَلَ) مِنْ : جعلَني اللهُ فداءَكَ ، ويُقتصَرُ مِنْ هٰذا علىٰ ما سُمِعَ ، فليسَ لنا أن نَنحِتَ كما نحتوا .

والزيادةُ في المُلحقاتِ للدلالةِ علىٰ قُوَّةِ الفعلِ أو كثرتِهِ ، وأمَّا صيغةُ المهموزِ ، وصيغةُ مُضعَّفِ العينِ ، وصيغةُ المفاعلةِ . . فهيَ لمعانٍ يَكثرُ في الكلامِ دورُها ، فلا بدَّ مِنْ تفصيلِها ، والتنبيهِ علىٰ مواضعِها .

❊

صيغةُ المهموزِ : يَكثرُ استعمالُها في ستَّةِ معانٍ :

ـ أحدُها : تصييرُ شيءٍ فاعلاً فِعْلاً ؛ كأقمتُ زيداً ، وأقعدتُهُ ، وأقرأتُهُ القرآنَ ؛ أي : صيَّرتُهُ فاعلاً للقيامِ والقعودِ والقراءةِ .

فمتىٰ كانَ أصلُ الفعلِ لازماً . . صارَ بالهمزةِ مُتعدِّياً لواحدٍ ، ومتىٰ كانَ مُتعدِّياً لواحدٍ . . صارَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ؛ وذٰلكَ أنَّ صيغةَ المهموزِ مُشتمِلةٌ علىٰ

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٥١) .

معنيَينِ هما فعلانِ : التصييرُ ، ومعنىٰ أصلِ الفعلِ ، **فإذا قلتَ** : (أعطىٰ زيدٌ عمراً درهماً) . . فمعناهُ : صَيَّرَ زيدٌ عمراً عاطياً درهماً ؛ فالتصييرُ : فعلُ زيدٍ ، وعمرٌو مفعولُهُ[1] ، والعطوُ ـ أيِ : التناولُ والأخذُ ـ فعلُ عمرٍو ، والدرهمُ مفعولُهُ .

ولم يَرِدْ في اللغةِ إدخالُ همزةٍ علىٰ فعلٍ مُتعدٍّ لاثنَينِ ليصيرَ مُتعدِّياً لثلاثةٍ إلَّا (رأىٰ) و(علمَ) وهما مِنَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي سبقَ معرفتُكَ أنَّها مُتعدِّيةٌ لاثنَينِ بعدَ الفاعلِ ، فإذا أدخلتَ الهمزةَ . . صارَ ما كانَ فاعلاً مفعولاً ؛ فتقولُ : أريتُ زيداً بكراً نافعاً ، أو أعلمتُهُ .

ومِنْ كلامِهِمْ : البركةُ أعلمَنا اللهُ معَ الأكابرِ .

وثَمَّ خمسةُ أفعالٍ مُتضمِّنةٌ معنى الإعلامِ ، فهيَ مُتعدِّيةٌ إلىٰ ثلاثةٍ ؛ وهيَ : أخبرَ ، وخَبَّرَ ، ونَبَّأَ ، وأنبأَ ، وحَدَّثَ .

ـ وثانيها : سلبُ شيءٍ وإزالتُهُ عن شيءٍ ؛ كأعتبَ زيدٌ عمراً ، وأشكاهُ ، وأقذىٰ عينَهُ ؛ أي : أزالَ عَتْبَهُ عليهِ بترضِّيهِ والاعتذارِ لهُ ، وأزالَ شكايتَهُ منهُ ، وسلبَ القَذىٰ عن عينِهِ ؛ **والقَذَىٰ** : ما يسقطُ في العينِ فيؤذيها .

ـ وثالثُها : مصادفةُ الشيءِ علىٰ صفةٍ ؛ كأكرمتُ زيداً وأحمدتُهُ حينَ قصدتُهُ ، وأبخلتُ عمراً وأذممتُهُ ؛ أي : وجدتُ زيداً كريماً محموداً ، وصادفتُ عمراً بخيلاً مذموماً .

ـ ورابعُها : صيرورةُ شيءٍ ذا شيءٍ بكونِهِ مالكاً لهُ : كأَلبنَ ، وأَتمرَ ، وأَفلسَ ، وأَنقدَ ، وأَعرضَ ؛ أي : صارَ مالكاً للَّبنِ ، والتمرِ ، والفلوسِ ، والنقدِ ، والعَرَضِ ، أو حاصلاً فيهِ ؛ كأَمسىٰ ، وأَصبحَ ، وأَشأمَ ، وأَعرقَ .

---

(١) في الأصل : (وعمرو ومفعوله) .

ـ **وخامسُها : حينونةُ الشيءِ للشيءِ** ؛ أي : مجيءُ حينِهِ وأوانِهِ ؛ كأَحصدَ الزرعُ ، وأَجدَّ النخلُ ، وأَقطفَ الكَرْمُ ، وأَجنى الوردُ ، وأَزوجَتْ عقيلةُ فلانٍ ؛ أي : جاءَ حينُ ذٰلكَ .

ـ **وسادسُها : تعريضُ الشيءِ لشيءٍ** ؛ كأرهنتُ المتاعَ فما وجدتُ مُرتهِناً ، وأبعتُ الجاريةَ فلم أرَ مشترياً ؛ أي : عرضتُها لذٰلكَ .

وربَّما جاءَ المهموزُ كأصلِهِ ، وهوَ نادرٌ ؛ كلَحِقَ وأَلحقَ ، وحَرَمَ وأَحرَمَ ، وشَغَلَ وأَشْغَلَ ، وحَبَّ وأَحَبَّ ؛ فتارةً يكونُ المتروكُ المُستَرَدُّ هوَ الثلاثيَّ كحبَّ ، فالفصيحُ : أحبَّ ، وتارةً يكونُ المهموزَ كأشغلَ ، فالفصيحُ : شغلَ .

يُحكىٰ : أنَّ كاتباً للصاحبِ إسماعيلَ بنِ عبَّادٍ رفعَ لهُ ذاتَ يومٍ كتاباً فيهِ : (وأشغلَني هٰذا الأمرُ) فوَقَّعَ الصاحبُ تحتَهُ : (لا يَصلُحُ لعملِنا مَنْ يقولُ : أشغلَني) وأبعدَهُ عنِ الخدمةِ .

وربَّما كانَ الفعلُ الثلاثيُّ مُتعدِّياً ، فتدخلُ عليهِ الهمزةُ ، فيصيرُ لازماً علىٰ خلافِ المعتادِ ؛ مِنْ ذٰلكَ : نَسَلتُ ريشَ الطائرِ ، وأَنسلَ ريشُ الطائرِ ، وعرضتُ الشيءَ ؛ أي : أظهرتُهُ ، وأَعرضَ الشيءُ ؛ أي : ظهرَ ، وكَبَبتُ زيداً علىٰ وجهِهِ ، وأَكَبَّ زيدٌ ، وقَشَعَتِ الريحُ السحابَ ، وأَقشعَ السحابُ .

قالَ الشاعرُ (١) : [من الطويل]

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْماً عِطَاشاً سَحَابَةٌ ... فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

صيغةُ المُضعَّفِ : تشاركُ المهموزَ في معنيَينِ :

ـ **أحدُهُما : تصييرُ الشيءِ فاعلاً** ؛ كقَوَّمتُ زيداً ، وقَعَّدتُهُ ، وقَرَّأتُهُ شِعراً .

---

(١) انظر « معاهد التنصيص » (٢/٥١) .

ـ وثانيهما : السَّلْبُ والإزالةُ ؛ كقَشَّرتُ الشيءَ ، وجَرَّبتُهُ ؛ أي : أزلتُ عنهُ قِشرَهُ وجَرَبَهُ .

وَتنفرِدُ بستَّةِ معانٍ :

ـ أحدُها : صيرورةُ الشيءِ شبهَ شيءٍ ؛ كقَوَّسَ زيدٌ ، وحَجَّرَ عمرٌو ؛ أي : صارَ شبهَ القوسِ في الانحناءِ ، وشبهَ الحَجَرِ في الجمودِ .

ـ وثانيها : نسبةُ شيءٍ لشيءٍ باعتقادٍ أو دونِهِ ؛ كوَحَّدتُ اللهَ وقَدَّستُهُ ، وخَطَّأَ زيدٌ عمراً وفَسَّقَهُ ، أو صَوَّبَهُ وحَسَّنَ رأيَهُ .

ـ وثالثُها : الحضورُ إلىٰ شيءٍ ؛ كجَمَّعَ ، وسَوَّقَ ، ووَسَّمَ ؛ أي : حضرَ الجُمُعةَ ، والسُّوقَ ، والمَوسِمَ .

ـ ورابعُها : النطقُ بألفاظٍ تأخذُ منها الصيغةَ : كلَبَّىٰ ، وسَمَّىٰ ، وسَبَّحَ .

ـ وخامسُها : قَبولُ شيءٍ وتحصيلُ الغرضِ منهُ ؛ كشَفَّعتُ زيداً في عمرٍو ؛ أي : قَبِلتُ شفاعتَهُ وأبرأتُهُ مِنَ الدَّينِ .

ـ وسادسُها : التكثيرُ ، وربَّما اعتُبِرَ معَ التكثيرِ التدريجُ ؛ نحوُ : نَزَّلَ اللهُ القرآنَ ؛ أي : أكثرَ مِنْ نزولِهِ شيئاً فشيئاً ؛ لكونِهِ نزلَ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نجوماً .

ثمَّ التكثيرُ يكونُ :

بالنظرِ للفعلِ في نفسِهِ ؛ نحوُ : طَوَّفَ زيدٌ ، وجَوَّلَ ، وفرَّيتُ الأديمَ .

وقد يكونُ بالنظرِ للفاعلِ ، حيثُ لا يكونُ الفعلُ في نفسِهِ قابلاً للتكثيرِ ؛ نحوُ : مَوَّتَتِ الإبلُ ، أو بَرَّكَتْ ، ورَبَّضَتِ الشاءُ .

وقد يكونُ بالنظرِ للمفعولِ ؛ نحوُ : ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ (١) .

وربَّما لم يَزِدِ المُضعَّفُ علىٰ أصلِهِ ولم يَتغيَّرْ معناهُ ؛ كعاضَ وعَوَّضَ ، وبَشَرَ وبَشَّرَ ، ومازَ وميَّزَ .

وربَّما استُعمِلَتْ صيغةُ المُضعَّفِ هٰذهِ بمعنىٰ (تَفعَّلَ) كوَلَّىٰ ؛ بمعنىٰ : تَوَلَّىٰ ، وفَكَّرَ ؛ بمعنىٰ : تَفكَّرَ ، وربَّما أغنَتْ عنِ الثُّلاثيِّ ، كعَرَّدَ في القتالِ ؛ إذا فرَّ ، وعَيَّرَهُ ؛ أي : عابَهُ ، وعَجَّزَتِ المرأةُ ؛ أي : صارَتْ للسِّنِّ العاليةِ .

❊ ❊

صيغةُ (فاعَلَ) : تأتي لمعنَيينِ :

ـ أحدُهُما : أنَّ شيئاً فَعَلَ فِعلاً معَ شيءٍ آخَرَ ، فقابلَهُ ذٰلكَ الشيءُ الآخَرُ بمثلِهِ ؛ فيكونُ كلٌّ فاعلاً مفعولاً ، لٰكنْ ليسَ النظرُ لمُجرَّدِ الاشتراكِ ، بل معَ أنَّ أحدَهُما بدأَ والآخَرَ قابَلَ ، فلذٰلكَ يُنسَبُ لأحدِهِما [نسبةُ] الفاعليَّةِ ، وللآخَرِ نسبةُ المفعوليَّةِ .

وإذا كانَ أصلُهُ لازماً . . صارَ مُتعدِّياً لواحدٍ ، وإذا كانَ مُتعدِّياً لواحدٍ . . فربَّما صارَ مُتعدِّياً لاثنَينِ ؛ نحوُ : ماشيتُهُ ، وأصلُهُ : مشىٰ ومشيتُ ، وجاذبتُهُ الثوبَ ، والأصلُ : جذبتُ ثوبَهُ وجذبَهُ ، وفي هٰذه الصيغةِ معنى المغالبةِ والمسابقةِ .

ويُدَلُّ علىٰ سبقِ أحدِهِما وغَلَبتِهِ بصيغةِ (فَعَلَ) مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، إلَّا إذا كانَ واويَّ الفاءِ أوِ يائيَّ العينِ أو اللامِ ؛ فإنَّهُ مِنْ (بابِ ضَرَبَ) تقولُ : كاثَرَ زيدٌ عمراً وفاخَرَهُ ، فكَثَرَهُ يَكثُرُهُ وفَخَرَهُ يَفخُرُهُ ؛ كنَصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وتقولُ : واثَبَهُ فوَثَبَهُ يَثِبُهُ ، وبايعَهُ فباعَهُ يَبيعُهُ ، وماشاهُ فمشاهُ يَمشِيهِ .

---

(١) سورة يوسف : (٢٣) .

فمتىٰ كانَ (فَعَلَ) للدلالةِ على الغَلَبةِ . . كانَ مُتعدِّياً وإن كانَ أصلُهُ لازماً ، ومِنْ (بابِ نَصَرَ) وإن كانَ أصلُهُ مِنْ أيِّ بابٍ ؛ تقولُ : كارمَ زيدٌ عمراً ، فكَرَمَهُ يَكرُمُهُ ؛ كنصَرَهُ يَنصُرُهُ ، وأصلُهُ (كَرُمَ) لازمٌ مِنْ البابِ الخامسِ .

ـ وثاني المعنيَينِ : تصييرُ الشيءِ ذا صفةٍ ؛ كتابعتُ القراءةَ ، وواليتُ السَّفرَ ؛ أي : صَيَّرتُ القراءةَ تابعاً بعضُها بعضاً ، وصَيَّرتُ السَّفرَ كذٰلكَ .

وربَّما كانَتْ هٰذهِ الصيغةُ بمعنىٰ (فَعَّلَ) مُضعَّفاً ؛ كضاعفتُ الشيءَ ؛ بمعنىٰ : ضَعَّفتُهُ ؛ أي : جعلتُ لهُ ضِعفاً ؛ وهوَ قدرُهُ مَرَّةً .

وربَّما كانَتْ صيغةُ المفاعلةِ قائمةً مَقامَ (فَعَلَ) ثلاثيّاً أو (أفعلَ) مهموزاً .

فالأوَّلُ : كباركَ ، وقاسىٰ ، وبالىٰ .

والثاني : كوارى الشيءَ ؛ أي : أخفاهُ .

وربَّما كانَتِ المُفاعلةُ بتنزيلِ غيرِ الفعلِ منزلةَ الفعلِ وجعلِهِ مِنْ جنسِهِ ؛ مثلُ : حاربَ اللهُ الكُفَّارَ ؛ جَعَلَ عِنادَهُم ونُفورَهُم عن قَبولِ الحقِّ حرباً ، وحَرِبُهُم : إيذاؤُهُم بسَلْبِ أموالِهِم وإهلاكِ أبدانِهِم .

* * *

الكلامُ علىٰ أبوابِ الخُماسيّ [1]

هيَ ثلاثةُ أقسامٍ : خُماسيُّ الثلاثيِّ ، وخُماسيُّ الرُّباعيِّ ، وخُماسيُّ مُلحقاتِ الرُّباعيِّ .

نحوُ : انبعثَ ، واحمَرَّ ، وتغافلَ ، وتَصبَّرَ ، واقتدرَ ، ونحوُ : تَدحرجَ ، ونحوُ : تَشَيْطَنَ ، وتَجَوْرَبَ ، وتَرَهْوَكَ ، وتَجَلْبَبَ ، وتَقَلْنَسَ ، وتَقَلَّسَ ، وتَمَسْكَنَ .

بيانُ المعاني التي تأتي لها تلكَ الصِّيغُ

صيغةُ (ٱنْفَعَلَ) كانبعثَ وانطلقَ : تأتي لمعنىً واحدٍ ؛ وهوَ المُطاوعةُ ؛ أي : قَبولُ تأثيرِ الغيرِ ، ولا تكونُ إلَّا في الأفعالِ العِلاجيَّةِ ، وتكونُ لمطاوعةِ ثُلاثيٍّ كثيراً ؛ كطَبعتُهُ فانطبعَ ، وبَعثتُهُ فانبعثَ ، وكَسرتُهُ فانكسرَ ، ولغيرِهِ قليلاً ؛ كأطلقتُهُ فانطلقَ ، وعَدَّلتُهُ بالتضعيفِ فانعدلَ ، فلا يُقالُ : علمتُ الشيءَ فانعلمَ ؛ لكونِهِ غيرَ علاجيٍّ .

❁

صيغةُ (ٱفْعَلَّ) كاحمرَّ ، واسودَّ ، واعورَّ ، واعمشَّ : تأتي لمعنىً واحدٍ ؛ هوَ قُوَّةُ اللَّونِ أوِ العيبِ .

❁

صيغةُ (تَفَاعَلَ) : تأتي لأربعةِ معانٍ :

ـ أحدُها : تَشاركُ شيئَينِ فأكثرَ ، فيكونُ كلٌّ فاعلاً مفعولاً ، لا يُنظَرُ فيهِ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٦٢) .

للبَدْءِ والمقابلةِ كما يُنظَرُ في المفاعلةِ ؛ ولذٰلكَ إذا كانَ (فاعَلَ) مُتعدِّياً لواحدٍ . . صارَ بالتاءِ لازماً ، وإذا كانَ مُتعدِّياً لاثنَينِ . . صارَ بها مُتعدِّياً لواحدٍ .

فتقولُ : ضاربَ زيدٌ عمراً ، وتَضاربَ زيدٌ وعمرٌو ، وجاذبَ زيدٌ عمراً ثوباً ، وتَجاذبَ زيدٌ وعمرٌو ثوباً ، فتُلغىٰ نسبةُ المفعوليَّةِ ما لم تَزِدْ عن واحدةٍ .

ـ **وثانيها** : التظاهرُ بالفعلِ دونَ حقيقةٍ ؛ كتَغافلَ وتَناومَ [وتغابىٰ] ؛ أي : أظهرَ الغفلةَ والنومَ والغَباوةَ ، ولا غفلةَ ولا نومَ ولا غَباوةَ ، قالَ الشاعرُ [1] : [من الكامل]

لَيْسَ ٱلْغَبِيُّ بِكَامِلٍ فِي قَوْمِهِ ... لَٰكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ ٱلْمُتَغَابِي

ـ **والثالثُ** : حصولُ الشيءِ تدريجاً ؛ كتَزَايَدَ النِّيلُ ، وتَكاثَفَ الغَمامُ ؛ أي : حَصَلَتْ زيادةُ النِّيلِ وكثافةُ الغَمامِ شيئاً فشيئاً .

ـ **والرابعُ** : مُطاوعةُ (فاعَلَ) كباعدتُهُ فتَباعَدَ .

صيغةُ (تَفَعَّلَ) : تأتي لخمسةِ معانٍ :

ـ **أحدُها** : تَكَلُّفُ الشيءِ ومحاولةُ أن يَحصُلَ ؛ كتَحَلَّمَ وتَصَبَّرَ وتَشَجَّعَ ؛ حيثُ يقومُ الغضبُ والجَزَعُ والجُبْنُ ، فهوَ يَتعقَّلُ ما في هٰذهِ الأشياءِ مِنَ المَضارِّ ، وما في تلكَ مِنَ المنافعِ ؛ فهوَ يُحاوِلُ أن يَتحلَّىٰ بتلكَ الفضائلِ ويُحصِّلَ منافعَها .

ـ **وثانيها** : تَجنُّبُ الشيءِ ؛ نحوُ : تَحرَّجَ ، وتَأثَّمَ ، وتَهجَّدَ ؛ أي : تَجنَّبَ الحَرَجَ ، والإثمَ ، والهُجودَ .

---

(١) انظر « عيون الأخبار » (١/٢٢٥) .

ـ وثالثُها : اتخاذُ الشيءِ شيئاً[١] ؛ نحوُ : تَوسَّدتُ الحَجَرَ ، وتَفرَّشتُ الأرضَ ، وتَبيَّتُّ الدنيا ؛ أيِ : اتخذتُ الحَجَرَ وِسادةً ، والأرضَ فِراشاً ، والدُّنيا بيتاً .

ـ ورابعُها : تحصيلُ الشيءِ تدريجاً ؛ نحوُ : تَحفَّظتُ العِلْمَ ، وتَفهَّمتُ مسائلَهُ .

ـ وخامسُها : مُطاوعةُ (فَعَّلَ) مُضعَّفَ العينِ ؛ نحوُ : عَلَّمتُهُ فتعلَّمَ ، ونَبَّهتُهُ فتَنَبَّهَ .

وربَّما كانَتْ صيغةُ (تَفَعَّلَ) مُغنِيةً عنِ النطقِ بفعلِ الثُّلاثيِّ قائمةً مَقامَهُ ؛ نحوُ : تَكلَّمَ ، وتَصدَّىٰ .

❊

صيغةُ (ٱفْتَعَلَ) : تأتي لستةِ معانٍ :

ـ أحدُها : الاتخاذُ ؛ نحوُ : اختتمَ زيدٌ ، واختدمَ ؛ أيِ : اتخذَ خاتِماً وخادماً .

ـ وثانيها : الاجتهادُ ؛ نحوُ : اكتتبَ ، واحتمَلَ ، واجتهدَ .

ـ وثالثُها : التشاركُ في الفعلِ ، فترادفُ صيغةَ (تَفاعلَ) نحوُ : اختصمَ زيدٌ وعمرٌو ؛ أي : تخاصما ، واجتورَ العربُ ، واختلفَ الناسُ ، ومنهُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾[٢] .

ـ ورابعُها : إظهارُ الشيءِ ؛ نحوُ : اعتذرَ ، واعتظمَ ؛ أي : أظهرَ عُذرَهُ وعَظمَتَهُ .

---

(١) أي : اتخاذُ أصلِ ما اشتُقَّ منه ذٰلك الفعلُ ، والأصل هو : الوسادة والفراش والبيت كما مثل به المؤلف .
(٢) سورة الحجرات : (٩) .

ـ وخامسُها : القُوَّةُ ؛ نحوُ : اقتدرَ ، [واحتدَّ] ، وارتدَّ .

ـ وسادسُها : مُطاوعةُ ثلاثيٍّ كثيراً ، ومُطاوعةُ غيرِهِ قليلاً ؛ نحوُ : عَدَّلتُهُ فاعتدلَ ، وهَمَّمتُهُ بالأمرِ فاهتمَّ بهِ ، وغَمَّمتُهُ فاغتمَّ ، وقَرَّبتُهُ بالتضعيفِ فاقتربَ ، وحَمَّلتُهُ فاحتمَلَ .

هٰذا ؛ ومتىٰ كانَتْ فاءُ (افتعلَ) زاياً أو دالاً . . وجبَ إبدالُ التاءِ دالاً ؛ ليحسنَ اللفظُ ويَخِفَّ النطقُ بهِ ؛ نحوُ : ازدانَ ؛ مِنَ الزينةِ ، وادَّان ؛ مِنَ الدَّينِ .

ومتىٰ كانَتْ ذالاً . . فأنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ والذالَ دالَينِ ، وبينَ أن تُبقِيَ الدالَ وتَقلِبَ التاءَ ذالاً ؛ فتقولَ في (اذتكرَ) : ادَّكرَ ، أوِ اذَّكرَ ، وبكلتيهِما يَحصُلُ المقصودُ .

ومتىٰ كانَتْ أحدَ حروفِ الإطباقِ ؛ وهيَ : الطاءُ ، والضادُ ، والصادُ ، والظاءُ . . وجبَ إبدالُ التاءِ طاءً في الثلاثةِ الأُوَلِ ؛ نحوُ : اطَّحَنَ ؛ مِنَ الطَّحنِ ، واضطُّرَ ؛ مِنَ الضُّرِّ ، واصطبرَ ؛ مِنَ الصَّبرِ ، وفي الرابعِ أنتَ مُخيَّرٌ بينَ أن تُبدِلَ التاءَ طاءً ، أو تُبدِلَها ظاءً ، أو تُبدِلَ الظاءَ والتاءَ [طاءَينِ] ؛ فتقولَ : اظطلمَ ، أوِ اظَّلَمَ ، أوِ اطَّلَمَ ؛ في (ظَلَمَ) وبالأوجهِ الثلاثةِ رُوِيَ قولُ زهيرٍ [1] : [من البسيط]

هُوَ ٱلْجَوَادُ ٱلَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ   عَفْواً وَيُظْلَمُ أَحْيَاناً فَيَظَّلِمُ

ويَظْطَلِمُ ، ويَطَّلِمُ .

ومتىٰ كانَتْ فاءُ (افتعلَ) واواً أو ياءً . . وجبَ إبدالُها تاءً ؛ نحوُ : ٱتَّكَلَ وٱتَّأَدَ وٱتَّقىٰ ؛ فأصلُهُ : اِوْتَكَلَ ، واِوْتَأَدَ ، واِوْتَقىٰ ، ونحوُ : ٱتَّسَرَ ؛ وأصلُهُ : اِيتَسَرَ ، فهٰذِهِ التغيُّراتُ التي تَلحَقُ هٰذِهِ الصيغةَ .

---

(١) انظر « شرح شعر زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١١٩) .

صيغةُ (تَفَعْلَلَ) : نحوُ : (تَدَحْرَجَ) لمطاوعةِ أصلِهِ في الأفعالِ المُتعدِّيةِ ، وفي غيرِها لمُجرَّدِ التقوِّي .

وقيلَ في نحوِ : (تَمَسْكَنَ) : إنَّهُ ليسَ مِنَ المُلحقاتِ ، بل هوَ مِنْ بابِ (تَفَعْلَلَ) بناءً علىٰ تَوهُّمِ أصالةِ الميمِ في نحوِ : (مِسكينٍ ، ومكانٍ ، ومَكرُمةٍ) وهيَ زائدةٌ لكونِها مِنَ السُّكونِ والكَونِ والكَرَمِ ، ومَنِ ادَّعىٰ هـٰذا . . كَمَّلَ أبوابَ الفعلِ بعَدِّ (تَكَلَّمَ) مِنَ المُلحقاتِ ؛ وهوَ فعلٌ وُضِعَ بهـٰذهِ الصورةِ لم يُنطَقْ لهُ بثُلاثيٍّ .

❋ ❋ ❋

الكلامُ علىٰ أبوابِ السداسيّ (1)

هيَ قسمانِ : سُداسيُّ الثُّلاثيِّ ، وسُداسيُّ الرُّباعيِّ .

كاْحمارَّ ؛ مِنْ حَمِرَ ، واْخشَوْشَنَ ؛ مِنْ خَشُنَ ، واْجْلَوَّذَ ؛ مِنْ جَلذَ ، واْقْعَنْسَسَ ؛ مِنْ قَعِسَ ، واْسْلَنْقَىٰ ؛ مِنْ سَلَقَ ، واستخرجَ ؛ مِنْ خَرَجَ ، وكاْحْرَنْجَمَ ؛ مِنْ حَرْجَمَ ، واْقْشَعَرَّ ؛ مِنْ قَشْعَرَ .

والخمسةُ الأُوَلُ مِنَ القسمِ الأولِ ؛ للدلالةِ علىٰ قُوَّةِ المعنىٰ .

والصِّيغةُ السادسةُ منهُ تأتي لستةِ معانٍ :

ـ أحدُها : طلبُ الشيءِ حقيقةً أو مجازاً ؛ كاستكتبَ زيداً ؛ أي : طلبَ منهُ الكَتْبَ ، واستخرجتُ المَعدِنَ ؛ أي : طلبتُ منهُ الخروجَ ؛ سمَّيتَ علاجَكَ ومحاولتَكَ أن يخرجَ : طلباً .

ـ وثانيها : اعتقادُ الشيءِ ؛ كاستحسنَ زيدٌ كذا أوِ استقبحَهُ ، واستنسبَ واستصوبَ ؛ أيِ : اعتقدَ حسنَهُ أو قبحَهُ .

ـ وثالثُها : صيرورةُ الشيءِ ؛ كاستحصنَ المُهْرُ ؛ أي : صارَ حصاناً ، واستحجرَ الطِّينُ (2) .

ـ ورابعُها : المُصادفةُ والوِجدانُ ؛ كاستكرمتُ زيداً حينَ قصدتُهُ ، أو استبخلتُهُ .

---

(1) انظر « شذا العرف » (ص ٦٧) .

(2) استحجر الطين : صار حجراً .

ـ وخامسُها : النطقُ بكلامٍ أُخِذَ منهُ الفعلُ ؛ كاسترجعَ ؛ أي : قالَ : إنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ .

ـ وسادسُها : القُوَّةُ ؛ كاستحمقَ ، واستهتَرَ ؛ أي : قَوِيَتْ حماقتُهُ وهِتارُهُ .

❋ ❋ ❋

والصِّيغةُ الأُولىٰ مِنَ القسمِ الثاني : للمطاوعةِ ؛ كحرجمتُ الإبلَ ؛ أي : جمعتُها ، فاحرنجمَتْ ؛ أيِ : اجتمعَتْ ، والصِّيغةُ الثانيةُ منهُ : للتقويةِ .

تكملةٌ فيها مسائلُ

المسألةُ الأولىٰ

[في همزتيِ الوصلِ والقطعِ في الأفعالِ]

الهمزةُ التي تُبدَأُ بها مواضي هٰذهِ الأفعالِ وأوامرُها . . همزةُ وصلٍ كما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ (١) ، إلَّا همزةَ مهموزِ الثلاثيِّ كأكرمَ ؛ فإنَّها تُسمَّىٰ : همزةَ قطعٍ ، لا تسقطُ أصلاً ، بدأتَ بها أو وصلتَها بغيرِها ، بخلافِ السابقةِ .

فتقولُ : أكرمَ ، وأجملَ ، وأحسنَ ، وأكرمْ ، وأجملْ ، ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢) ، فتنطقُ بالهمزةِ .

وتقولُ : انطلقَ ، واستخرجَ ، فتَنطِقُ بالهمزةِ في الأُولىٰ فقطْ ، معَ كونِها تُرسَمُ مطلقاً إلَّا في (بسمِ اللهِ . . .) ، كما قالَ بعضُ الشعراءِ مشيراً لذٰلكَ (٣) : [من الطويل]

أَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ يُعْطَىٰ ثَلاثُونَ شَاعِراً وَيُحْرَمَ مَا دُونَ ٱلرِّضَا شَاعِرٌ مِثْلِي

---

(١) انظر (١/١٩١) .

(٢) سورة القصص : (٧٧) .

(٣) هو أبو سعيد الرستمي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٢) .

كَمَا سَامَحُوا عَمْراً بِوَاوٍ مَزِيدَةٍ وَضُويِقَ (بِسْمِ ٱللهِ . . .) فِي أَلِفِ ٱلْوَصْلِ

وبقيةُ مواضعِ همزةِ الوصلِ : مصادرُ هٰذهِ الأفعالِ الآتي بيانُها ، إلَّا همزةَ مصدرِ نحوِ : (أكرمَ) وعشرةُ أسماءٍ ؛ هيَ : ٱسمٌ ، وٱبنٌ ، وٱبنُمٌ ، وٱبنةٌ ، وٱمرُؤٌ ، وٱمرأةٌ ، وٱستٌ ، وٱثنانِ ، وٱثنتانِ ، وٱيمُنُ القَسَميَّةُ ؛ كقولِ الشاعرِ[1] : [من الطويل]

وَقَالَ فَرِيقٌ لَٱيْمُنُ ٱللهِ مَا نَدْرِي

وحرفٌ واحدٌ علىٰ خلافٍ فيهِ ؛ وهوَ (ألِ) التعريفيَّةُ ، فمَنْ قالَ : إنَّ حرفَ التعريفِ هوَ اللامُ فقطْ . . حكمَ بوصليَّةِ الهمزةِ ، ومَنْ قالَ : مجموعُ الحرفَينِ . . حكمَ بقطعيتِها ، وتسقطُ تخفيفاً لكثرةِ الاستعمالِ .

المسألةُ الثانيةُ
[في أحرفِ المضارعةِ]

الأحرفُ الأربعةُ التي يُبتدَأُ بها المضارعُ ويَجمعُها قولُكَ : (أنيتُ) . . تُسمَّىٰ : أحرفَ المضارعةِ ، وهيَ مفتوحةٌ إلَّا في مضارعِ الرباعيّ مُجرَّداً أو مزيداً ؛ فإنَّها مضمومةٌ .

والهمزةُ : للمُتكلِّمِ المُخبِرِ عن نفسِهِ وحدَهُ .

والنونُ : للمُتكلِّمِ المُخبِرِ عن نفسِهِ وغيرِهِ .

والتاءُ : للمُخاطَبِ ، والمُخاطَبةِ ، والمُخاطَبَينِ ، والمُخاطَبتَينِ ، والمُخاطَبينَ ، والمُخاطَباتِ ، وللغائبةِ ، والغائبتَينِ .

---

(١) عجز بيت من قصيدة لنصيب بن رباح في « ديوانه » (ص ١٥٢) ، والبيت بتمامه :

فَقَالَ فَرِيقُ ٱلْقَوْمِ لَا وَفَرِيقُهُمْ وَقَالَ فَرِيقٌ لَٱيْمُنُ ٱللهِ مَا نَدْرِي

وانظر « مغني اللبيب » (١/١٣٧) .

والياءُ : للغائبِ ، والغائبَينِ ، والغائباتِ ، والغائبينَ .

الأمثلةُ لذٰلكَ : أنا أكتبُ : نحنُ نكتبُ ، يا رجلُ تكتبُ ، يا امرأةُ تكتبينَ ، يا رجلانِ تكتبانِ ، يا امرأتانِ تكتبانِ ـ لا فرقَ بينَ خطابِ الاثنَينِ وخطابِ الاثنتَينِ ـ يا رجالُ تكتبونَ ، يا نساءُ تكتبْنَ ـ بسكونِ الباءِ ـ هندٌ تكتبُ ، والهندانِ تكتبانِ ، زيدٌ يكتبُ ، والزيدانِ يكتبانِ ، والرجالُ يكتبونَ ، والنساءُ يكتبْنَ ـ بسكونِ الباءِ ـ .

المسألةُ الثالثةُ

[في حركةِ الحرفِ الواقعِ قبلَ آخرِ المضارعِ في غيرِ الثلاثيّ]

الحرفُ الواقعُ قبلَ آخرِ المضارعِ مِنْ غيرِ الثلاثيّ مكسورٌ ولو تقديراً (١) ، إلَّا في الأفعالِ المُبتدَأةِ بالتاءِ الزائدةِ ؛ كتَصبَّرَ وتَغافلَ ، فإنَّهُ مفتوحٌ .

المسألةُ الرابعةُ

[في اشتمالِ المضارعِ علىٰ أحرفِ الماضي ، وما يُستثنىٰ مِنْ ذٰلكَ]

المضارعُ يَشتمِلُ علىٰ جميعِ أحرفِ الماضي غيرِ همزةِ الوصلِ ، إلَّا في (بابِ أكرمَ) فتسقطُ همزتُهُ ؛ فتقولُ : أُكرِمُ ، ونُكرِمُ ، وكانَ حقُّهُ أُؤَكرِمُ كأُدَحرِجُ ، فخُفِّفَ بإسقاطِ الهمزةِ .

المسألةُ الخامسةُ

[في أحوالِ النطقِ بالفعلِ الماضي]

الفعلُ الماضي متىٰ أُسنِدَ للتاءِ أو نونِ الإناثِ أو (نا) . . يَسكُنُ آخرُهُ ، فإن كانَ قبلَهُ أَلِفٌ . . حُذِفَتْ ؛ لقاعدةِ : متى التقىٰ ساكنانِ ؛ فإن كانَ أولُهُما

---

(١) الحرف المكسور تحقيقاً نحو : (يستغفِر) ، والمكسور تقديراً نحو : (يحمَرُّ) .

مَدّاً ليسَ بعدَهُ حرفٌ مُشدَّدٌ . . حُذِفَ ، وإلَّا . . حُرِّكَ أحدُهُما ؛ للتخلُّصِ ، وتعيينُ المُتحرِّكِ منهُما بالسماعِ .

فبناءً علىٰ هٰذا تقولُ في (قالَ ، وباعَ ، وخافَ) : قُلتُ وبِعتُ وخِفتُ ، والنساءُ قُلْنَ وبِعنَ وخِفْنَ ، ونحنُ قُلْنا وبِعْنا وخِفْنا ، فإن كانَتِ الأَلِفُ المحذوفةُ بدلاً عن واوٍ غيرِ مكسورةٍ . . ضَممتَ أوَّلَ الفعلِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ مِنْ بناتِ الواوِ ؛ كقُلْتُ وطُلْتُ ، الأوَّلُ مِنْ (بابِ نَصَرَ) ، والثاني مِنْ (بابِ كَرُمَ) .

وإن كانَتِ الأَلِفُ بدلاً مِنْ ياءٍ أو واوٍ مكسورةٍ . . كُسِرَ أوَّلُ الفعلِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ مِنْ بناتِ الياءِ في الأوَّلِ ، وعلىٰ كسرِ عينِهِ في الثاني ؛ كخِفْتُ ونِمْتُ ؛ مِنَ الخوفِ والنومِ ، وهما مِنْ (بابِ فَرِحَ)(١) .

ومتىٰ أُسنِدَ لواوِ جماعةِ الذُّكورِ . . ضُمَّ آخِرُهُ ؛ كقاموا ، وباعوا ، وأكلوا ، وشربوا ، ويُفتَحُ في غيرِ ذٰلكَ .

ومتىٰ كانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . حُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ للواوِ لتلكَ القاعدةِ(٢) ، وتبقى الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ، فتقولُ : رجالٌ سَعَوْا ودَعَوْا ؛ بفتحِ العينِ وحذفِ الأَلِفِ مِنْ سعىٰ ودعا .

وعندَ إسنادِهِ لغيرِ الواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ يَرجِعُ الفعلُ لأصلِهِ ؛ فتقولُ : دَعَوْتُ ، ودَعَوْنا ، [ودَعَوَا] ، والنِّسوةُ دعَوْنَ ، ورَمَيْتُ ، ورَمَيْنا ، ورَمَيَا ، والنِّسوةُ رَمَيْنَ .

ومتىٰ كانَ آخِرُهُ ياءً لم تُبدَلْ ؛ كرَضِيَ وخَشِيَ . . حُذِفَتْ عندَ إسنادِهِ لواوِ الجماعةِ ، وأُبدِلَتِ الكسرةُ التي قبلَها ضمَّةً ؛ فتقولُ : رَضُوا وخَشُوا .

---

(١) مثال ما كان من بنات الياء : (بِعتُ) من البيع .

(٢) وهي : (متى التقىٰ ساكنان . . .) المارَّةُ أول هٰذه المسألة .

المسألةُ السادسةُ

[في أحوالِ النطقِ بالفعلِ المضارعِ]

الفعلُ المضارعُ إذا أُسنِدَ لأَلِفِ الاثنَينِ ، أو لواوِ الجماعةِ ، أو لياءِ المُخاطَبةِ . . جيءَ بعدَ الضَّمائرِ بنونٍ لا معنىٰ لها ، ولها فائدةٌ تُعرَفُ في النحوِ ، وحينَئذٍ إذا كانَتْ لامُ الفعلِ واواً أو ياءً . . حُذِفَتْ معَ ياءِ المُخاطَبةِ ، وتُبدَلُ الضَّمةُ التي قبلَ الواوِ كسرةً ؛ كتَدعِينَ وتَرمِينَ ، وحُذِفَتْ أيضاً معَ واوِ الجماعةِ ، وتُبدَلُ الكسرةُ التي قبلَ الياءِ ضمةً ؛ كتَرْمُونَ .

والأمرُ كالمضارعِ ، لٰكنِ النونُ الزائدةُ لا يُنطَقُ بها معَهُ .

وإذا أُكِّدَ بإحدىٰ نونَي التوكيدِ ؛ فإنِ اتصلَتْ بهِ . . فُتِحَ آخِرُهُ ، وإنِ انفصلَتْ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ . . حُذِفَتِ النونُ الزائدةُ ، وحُذِفَتْ واوُ الجماعةِ وياءُ المُخاطَبةِ ، إلَّا معَ الفعلِ المُعتلِّ بالأَلِفِ ؛ فإنَّهُما يَبقيانِ وتُضَمُّ الواوُ وتُكسَرُ الياءُ ؛ كتخشَوُنَّ وتخشَيِنَّ .

وأمَّا الأَلِفُ . . فلا تُحذَفُ ، ولا يقعُ بعدَها مِنَ النُّونَينِ إلَّا الثقيلةُ مكسورةً ، وكذٰلكَ بعدَ نونِ الإناثِ ، ويُفصَلُ بينَها وبينَ نونِ التوكيدِ بأَلِفٍ ؛ كتَعْرِفْنَانِّ .

وإذا وَلِيَ الخفيفةَ ساكنٌ . . حُذِفَتْ وبقيَتِ الفتحةُ التي كانَتْ قبلَها ؛ كقولِ الشاعرِ (١) : [من المنسرح]

لَا تُهِينَ ٱلْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ ... تَرْكَعَ يَوْماً وَٱلدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

❋ ❋ ❋

(١) هو الأضبط بن قريع ، كما في « خزانة الأدب » (١١/٤٥٠) .

التقسيمُ الرابعُ
[في بنائِهِ للفاعلِ والمفعولِ]

الفعلُ إن ذُكِرَ فاعلُهُ . . سُمِّي : **فعلَ معلومٍ** ، وإن لم يُذكَرْ فاعلُهُ . . سُمِّي : **فعلَ مجهولٍ** ، وحينَئذٍ تَتغيَّرُ صورتُهُ ؛ فإن كانَ ماضياً . . كُسِرَ ما قبلَ آخِرِهِ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثانيهِ إن كانَ مُفتتَحاً بتاءٍ زائدةٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ وثالثُهُ إن كانَ مُفتتَحاً بهمزةِ وصلٍ ، وضُمَّ أَوَّلُهُ فقطْ في غيرِ ذٰلكَ .

فإن كانَ بعدَ المضمومِ أَلِفٌ . . قُلِبَتْ واواً ؛ كبُويِعَ وتُغُوفِلَ ، وإن كانَتْ عينُ الفعلِ أَلِفاً ؛ سواءٌ كانَتْ بدلَ واوٍ أو ياءٍ . . أُبدِلَتْ ياءً وكُسِرَ ما قبلَها على الأفصحِ ؛ كقِيلَ ، وبِيعَ ، واخِتِيرَ ، وانقِيدَ ، واستُقِيدَ ، وإن كانَ مُضارِعاً . . ضُمَّ أَوَّلُهُ وفُتِحَ ما قبلَ آخِرِهِ ، فإن كانَ ما قبلَ الآخِرِ واواً أو ياءً ؛ كيقولُ ويبيعُ ويستطيلُ . . أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ كيُقالُ ويُباعُ ويُستطالُ .

❋ ❋ ❋

التقسيمُ الخامسُ

[في انقسامِهِ إلىٰ مُتصرِّفٍ وجامدٍ]

الفعلُ إمَّا مُتصرِّفٌ : تامُّ التصرُّف يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً وأمراً ؛ كنصرَ ينصرُ انصرْ ، وناقصُهُ يجيءُ ماضياً ومُضارِعاً فقطْ ؛ كزالَ يزالُ ، وبَرِحَ يَبرَحُ ، وفَتِئَ يَفتأُ ، وانفكَّ يَنفَكُّ ، وكادَ يَكادُ ، وأَوشَكَ يُوشِكُ .

وإمَّا جامدٌ : لا يجيءُ منهُ غيرُ الماضي ؛ كليسَ ، وأفعالِ الشُّروعِ ، وبقيةِ أفعالِ المقاربةِ ، ونِعْمَ وبئسَ في المدحِ [والذَّمِّ] ، وعدا وخلا وحاشا في الاستثناءِ .

❋ ❋ ❋

المقالةُ الثانيةُ
في الكلامِ على الاسمِ

للاسمِ تقاسيمُ
التقسيمُ الأوَّلُ
[في الجامدِ والمُشتقِّ]

الاسمُ : إمَّا جامدٌ ؛ وهوَ أسماءُ الأجناسِ الجوهريَّةِ ، وأسماءُ الأجناسِ العرضيَّةِ ؛ كإنسانٍ وسبعٍ وفرسٍ وشجرٍ وورَقٍ ، وكفَهْمٍ وعِلْمٍ وقيامٍ وقُعودٍ .

وإمَّا مُشتقٌّ ؛ كأكثرِ الأفعالِ ، وهوَ الأسماءُ الدالَّةُ علىٰ أمرٍ ذي صفةٍ .

والاشتقاقُ : مِنْ أسماءِ الأجناسِ المعنويَّةِ ؛ كالفَهْمِ والعِلْمِ والحفظِ ، وجاءَ قليلاً مِنِ اسمِ العينِ ؛ كأَورقَ الشجرُ ؛ مِنَ الوَرَقِ ، وأسبعَتِ الأرضُ ؛ مِنَ السَّبُعِ .

والأصلُ الذي منهُ الاشتقاقُ غالباً : يُسمَّىٰ ـ كما عرفتَ ـ مصدراً ، ويُشتقُّ منهُ عشرةُ أشياءَ : (الماضي ، والمضارعُ ، والأمرُ ، واسمُ الفاعلِ ، واسمُ المفعولِ ، والصِّفةُ ، واسمُ الزمانِ ، واسمُ المكانِ ، واسمُ الآلةِ ، واسمُ التفضيلِ) فتَحصَّلَ معنا أحدَ عشرَ شيئاً ؛ الأصلُ والفروعُ العشرةُ ، وكلٌّ يحتاجُ إلى البيانِ .

أمَّا بيانُ الأفعالِ . . فقد مضىٰ .

❋ ❋ ❋

بيانُ المصدرِ [1]

سبقَ أنَّ الفعلَ باعتبارِ مادتِهِ أربعةُ أنواعٍ [2] ، ولكلِّ نوعٍ مصادرُ ؛ فهيَ أنواعٌ أربعةٌ :

النوعُ الأوَّلُ
مصادرُ الثُّلاثيِّ

اعلمْ : أنَّهُم يقولونَ : هٰذا الشيءُ قياسيٌّ ، وهٰذا الشيءُ سماعيٌّ .

أمَّا القياسيُّ . . فهوَ كلُّ شيءٍ كَثُرَتْ أفرادُهُ وصَعُبَ حصرُها وعدُّها ، فوُضِعَ لهُ ضابطٌ كُلِّيٌّ يَنتظِمُ بهِ جميعُ أفرادِها أو أكثرُها .

وأمَّا السماعيُّ . . فهوَ ما قَلَّتْ أفرادُهُ فعُدَّتْ ، ولم يُوضَعْ لها ضابطٌ .

فإذا سمعتَ القياسيَّ والسماعيَّ . . فهوَ على هٰذا المعنىٰ .

كلُّ فعلٍ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ حركةٍ واضطرابٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعَلَاناً) بفتحاتٍ ؛ كجالَ جَوَلَاناً ، وطافَ طَوَفَاناً ، وغلىٰ غَلَيَاناً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ حِرفةٍ أو صناعةٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالةً) بكسرِ أوَّلِهِ ؛ كوَلِيَ البلادَ وِلايةً ، وساسَ العبادَ سِياسةً ، وراضَ الخيلَ رِياضةً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ إباءٍ وامتناعٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فِعَالاً) بكسرِ أوَّلِهِ ؛ كأبىٰ إباءً ، وشَرَدَ شِراداً ، وحَرَنَ حِراناً .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١١٩) .

(٢) انظر (١٨٧/١) .

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ سيرٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فَعِيلاً) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كرَحَلَ رَحِيلاً ، ورَسَمَ رَسِيماً ، وذَمَلَ ذَمِيلاً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ داءٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (فُعَالاً) بضمِّ أوَّلِهِ ؛ كدارَ رأسُهُ دُواراً ، وصُدِعَ صُداعاً ، ومَشَتْ بطنُهُ مُشَاءً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ يَدُلُّ علىٰ صوتٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ **نوعانِ يَتوزَّعانِهِ** : **أحدُهُما** يوازنُ (**فُعَالاً**) بضمِّ أولِهِ ، **والآخَرُ** يوازنُ (**فَعِيلاً**) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَرَخَ صُرَاخاً ، ونَبَحَ الكلبُ نُبَاحاً ، وعَوَى الذِّئبُ عُوَاءً ، وكزَأَرَ الأسدُ زَئِيراً ، وصَهَلَ الفرسُ صَهِيلاً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ مِنْ (بابِ كَرُمَ) . . فمصدرُهُ القياسيُّ **نوعانِ يَقتسمانِهِ** : **أحدُهُما** يوازنُ (**فُعُولةً**) بضمِّ أوَّلِهِ ، **والآخَرُ** يوازنُ (**فَعَالةً**) بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَعُبَ صُعُوبةً ، وخَشُنَ خُشُونةً ، وسَهُلَ سُهُولةً ، وجَزُلَ جَزَالةً ، ونَبُهَ نَبَاهةً ، وظَرُفَ ظَرَافةً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ لازمٍ مِنْ (بابِ فَرِحَ) . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (**فَعَلاً**) بفتحتَينِ ؛ كفَرِحَ فرَحاً ، وهَوِيَ هَوىً ، وشَلَّ شَلَلاً ، وكلُّ ما دَلَّ مِنْ هٰذا البابِ علىٰ لونٍ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (**فُعْلَةً**) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كحَمِرَ حُمْرةً ، وصَفِرَ صُفْرةً ، وحَوِيَ حُوَّةً .

وكلُّ فعلٍ ثُلاثيٍّ لازمٍ ليسَ مِنْ (بابِ فَرِحَ) ولا مِنْ (بابِ كَرُمَ) . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (**فُعُولاً**) بضمِّ أولِهِ ؛ كقَعَدَ قُعُوداً ، وجَلَسَ جُلُوساً ، وذَهَبَ ذُهُوباً ، ووَثِقَ وُثُوقاً .

وكلُّ ثُلاثيٍّ مُتعدٍّ كنَصَرَ وضَرَبَ وفَتَحَ وفَهِمَ . . فمصدرُهُ القياسيُّ يوازنُ (**فَعْلاً**) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كنَصَرَ نَصْراً ، وضَرَبَ ضَرْباً ، وفَتَحَ فَتْحاً ، وفَهِمَ فَهْماً ، وخافَ خَوْفاً .

فهٰذهِ هيَ أنواعُ المصادرِ القياسيَّةِ للأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ؛ وهيَ ثلاثةَ عشرَ نوعاً .

ولأهلِ العربيةِ خلافٌ في تفسيرِ القياسيِّ ؛ فمنهُم مَنْ ذهبَ إلىٰ أنَّهُ : ما وُضِعَ لهُ قانونٌ كُلِّيٌّ يَضبِطُ أفرادَهُ ؛ بحيثُ متىٰ سمعتَ فِعْلاً مِنْ أيِّ بابٍ . . نطقتَ بمصدرِهِ حسبَ القانونِ الموضوعِ لمصدرِ نوعِ ذٰلك الفعلِ وإن لم يكنْ مسموعاً مِنَ العربِ وكان المسموعُ غيرَهُ ؛ فلكَ إذاً الخيارُ بينَ أن تَنطِقَ بالمسموعِ ، وأن تَنطِقَ بما اقتضاهُ القياسُ .

ومنهُم مَنْ ذهبَ ـ وهوَ الصحيحُ ـ إلىٰ أنَّهُ : ما وُضِعَ للكثيرِ المسموعِ منهُ قانونٌ ، فيكونُ الضبطُ لِمَا كَثُرَ ، لا لجميعِ الأفرادِ ، فوجبَ أن تقفَ علىٰ حدِّ ما سُمِعَ ؛ فإن كانَ المسموعُ مِنَ المضبوطِ . . فذاكَ ، وإلَّا . . نطقتَ بما سُمِعَ .

وفائدةُ وضعِ القوانينِ حينَئذٍ : التنبيهُ على الكثيرِ ، وأنَّكَ إذا سمعتَ مصدراً مِنَ المضبوطاتِ . . عرفتَ هيئةَ فعلِهِ .

وأمَّا المسموعُ القليلُ مِنْ مصادرِ الثلاثيةِ . . فهيَ هٰذهِ نَسرُدُها عليكَ : (شُرْبٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(حِفْظٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(رَحْمةٌ) [بفتحٍ] فسكونٍ ، و(نِشْدةٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(دَعْوىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(ذِكْرىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(بُشْرىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(لَيَّانٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(حِرْمانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(غُفْرانٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(طَلَبٌ) بفَتحتَينِ ، و(حَنِفٌ) بفتحٍ فكسرٍ [1] ، و(صِغَرٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، و(هُدىً) بضمٍّ ففتحٍ ، و(غَلَبَةٌ) بفتَحاتٍ ، و(سَرِقَةٌ) بفتحٍ فكسرٍ ، و(ذَهَابٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(صِرَافٌ) بكسرِهِ ؛ شهوةُ الكلبةِ إلى الفحلِ ، و(زَهَادةٌ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(دِرَايةٌ) بكسرِهِ ،

---

(١) حَنِف : كذا في الأصل ، ولعلها : (حَلِفٌ) باللام بدل النون .

و(بُغَايةٌ) بضمِّهِ ، و(قَبُولٌ) بفتحِهِ ، و(كَرَاهيةٌ) بفتحِهِ ، و(رُجُوليَّةٌ) بضمِّهِ ، وتشديدِ الياءِ ، و(شَيْخوخةٌ) بفتحٍ فسكونٍ .

وربَّما نُطِقَ للفعلِ بمصدرَينِ فأكثرَ .

فهٰذهِ خمسةٌ وعشرون وزناً وردَتْ مصادرَ لبعضِ الأفعالِ الثُّلاثيَّةِ ، لا يجوزُ على الصَّحيحِ أن تَنطِقَ بغيرِ المسموعِ منها قياساً على الكثيرِ في مصدرِ نوعِهِ .

مثلاً : (شَرِبَ) فعلٌ ثُلاثيٌّ مُتعدٍّ كـ (فَهِمَ) ، فالكثيرُ في مصدرِ نوعِهِ ـ كما عرفتَ ـ أن يوازنَ (فَعْلاً) بفتحٍ فسكونٍ كـ (فَهْمٍ) ، لٰكنِ المسموعُ : شربَ الماءَ شُرْباً ؛ بضمِّ أوَّلِهِ ، فهوَ مُلتزَمٌ .

وقد وردَتْ ألفاظٌ علىٰ أوزانٍ أُخَرَ اختلفَ أهلُ العربيَّةِ في كونِها مصادرَ :

فمنهُم مَنْ بنىٰ علىٰ ظاهرِ ما يعطيهِ الكلامُ ؛ فحَكَمَ بمصدريَّتِها .

ومنهُم مَنْ رأىٰ سُهولةَ التأويلِ ؛ محافظةً علىٰ ضبطِ الانتشارِ ، فحكمَ بكونِها غيرَ مصادرَ ، وأخرجَها في أبوابِ أشكالِها .

وذٰلكَ : كالمعقولِ ، والمفهومِ ، والميسورِ ، والمعسورِ ، والمجلودِ ، والباقيةِ ، والعاقبةِ ؛ في مثلِ (ليسَ لفلانٍ معقولٌ) علىٰ معنىٰ : ليسَ لهُ عقلٌ ، مصدرُ عَقَلَ بمعنىٰ أدركَ ، فالظاهرُ أنَّهُ مصدرٌ جاءَ علىٰ وزنِ (مفعولٍ) لأنَّ الغرضَ مِنْ هٰذا الكلامِ كما عرفتَ نفيُ العقلِ بمعنى الإدراكِ .

وبمصدريَّتِهِ ـ بناءً علىٰ هٰذا ـ حكمَ الأوَّلونَ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بغيرِ واسطةٍ .

وقالَ الآخَرونَ : معنى الكلامِ : (ليسَ لفلانٍ أمرٌ معقولٌ) وإذا لم يكنْ لهُ أمرٌ معقولٌ . . لم يكنْ لهُ عقلٌ ؛ فهوَ نفيٌ للعقلِ بواسطةٍ .

ومِنْ هٰذا قالَ المُفسِّرونَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [1] : يحتملُ أن يكونَ معناهُ : فهل ترىٰ لهم مِنْ بقاءٍ ، وأن يكونَ معناهُ : مِنْ فِرقةٍ باقيةٍ ، أو حالةٍ باقيةٍ ؛ فلفظُ (باقيةٍ) على الأولِ : مصدرٌ جاءَ علىٰ وزنِ (فَاعلةٍ) ، وعلى الثاني : غيرُ مصدرٍ ، والتأويلُ في بعضِ المواضعِ مُتكلَّفٌ .

وجاءَ للدلالةِ على الكثرةِ مصدرٌ لهٰذه الأبوابِ يوازنُ (التَّفْعالَ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كالتَّطوافِ ، والتَّجوالِ ، والتَّكرارِ ، والتَّذكارِ ، وشذَّ كسرُ [التاءِ] في : تِبيانٍ وتِلْقاءٍ .

وثَمَّ لجميعِ الأفعالِ الثُّلاثيةِ مصدرٌ يُقالُ لهُ : المصدرُ الميميُّ ؛ لكونِهِ مبتدأً بميمٍ زائدةٍ ، لا خلافَ في كونِهِ مصدراً ، وإنَّما الخلافُ في كونِهِ مُشتقّاً مِنَ المُجرَّدِ عنِ الميمِ ، أو مرادفاً لهُ .

ومبنى الأوَّلِ علىٰ أنَّ الاشتقاقَ لا يلزمُ أن يُغيِّرَ المعنىٰ ، ومبنى الثاني علىٰ ذٰلكَ .

وضابطُهُ لتَعرِفَ كيفيَّةَ النطقُ بهِ : أنَّهُ إذا كانَ مصدراً لمثالٍ حُذِفَتْ فاؤُهُ في المضارعِ وصَحَّتْ لامُهُ . . فهوَ بكسرِ عينِهِ ؛ كمَوْعِدٍ لـ (وَعَدَ) ومَوْئِلٍ لـ (وَأَلَ) تقولُ : وعدَني زيدٌ مَوْعِداً لم يُخْلِفْهُ ، كما تقولُ : وعدَني وَعْداً .

وفي غيرِ ذٰلكَ بفتحِ عينِهِ ؛ كَمَنْظَرٍ ، ومَضْرَبٍ ، ومَجْلَسٍ ، ومَفْرَحٍ ، ومَكْرَمٍ ، ومَوْجَلٍ ، ومَيْسَرٍ ، ومَعْلىً ، ومَرْمىً ؛ تقولُ : رميتُ مَرْمَىٰ زيدٍ ؛ علىٰ معنىٰ : رميتُ مَرْمىً مثلَ مَرْمىٰ زيدٍ ؛ كما تقولُ : رَمْياً مثلَ رَمْيِ زيدٍ ، فهوَ علىٰ معنىٰ تمثيلِ الفعلِ الصادرِ منكَ بالفعلِ الصادرِ منهُ .

وقد سُمِعَ ما يُخالِفُ هٰذا الضابطَ في قليلٍ مِنَ الكلماتِ ، فيُلتزَمُ المسموعُ ؛

---

(1) سورة الحاقة : (٨) .

كلفظِ (مَعْرِفةٍ) بكسرِ الراءِ ، والضابطُ يقتضي فتحَها ، و(مَقْدرةٍ) بتثليثِ الدالِ ، والموافقُ الفتحُ .

ولوجودِ الشَّواذِّ لم تَتِمَّ جميعُ القوانينِ ، فأنتَ بعدُ مُفْتقِرٌ للكشفِ في كتبِ متنِ اللغةِ عنِ المصدرِ وغيرِهِ مِنَ الألفاظِ التي تريدُ أن تستعملَها لتَعرِفَ صورتَها ، ولٰكنْ لوضعِ القوانينِ فوائدُ سبقَ تنبيهُكَ لها .

النوعُ الثاني
مصادرُ الأفعالِ الرباعيَّةِ

للرباعيِّ المُجرَّدِ وما أُلحِقَ بهِ ـ إلَّا نحوَ : زلزلَ وقلقلَ وبخبخَ ـ : وزنٌ واحدٌ ؛ هوَ (**فَعْلَلَةٌ**) كدَحْرَجَ دَحْرَجَةً ، وحَوْقَلَ حَوْقَلةً ، وبَيْطَرَ بَيْطرةً .

وأمَّا نحوُ : (زلزلَ) . . فلهُ وزنانِ : هما (**فَعْلَلَةٌ**) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، و(**فِعْلَالٌ**) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كزَلْزَلَ زَلْزَلَةً وزِلْزَالاً ، ووَسْوَسَ وَسْوَسَةً ووِسْوَاساً ؛ **قيلَ** : ويُفْتَحُ هٰذا ، **وقيلَ** : هوَ حينَئذٍ غيرُ مصدرٍ ، بلِ اسمٌ موضوعٌ لذٰلكَ المعنىٰ .

ولمهموزِ الثُّلاثيِّ ؛ كأسلمَ وآمنَ : (**الإِفْعالُ**) كأَسلمَ إسْلاماً ، وآمنَ إيماناً ، وأَحسنَ إحساناً ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ (الإفعالِ) همزةً كالإيمانِ . . قُلِبَتْ ياءً ، وإذا كانَتْ واواً . . فكذٰلكَ ؛ كأَوصىٰ إيصاءً ، وأَوغلَ إيغالاً ، وأَوعدَ إيعاداً .

وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً . . حذفتَ منهُ أَلِفَ (الإفعالِ) وجئتَ بعدَهُ بتاءٍ هي عوضٌ منها ، فيكونُ وزنُ المصدرِ (إِفَعْلَةً) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كأقامَ إقامةً ، وأجازَ إجازةً ، وأبانَ إبانةً ، ويُقالُ في تصريفِهِ : أصلُ (إبانةٍ) مثلاً : إِبْيَانٌ كإِكْرَامٍ ، نُقِلَتْ فتحةُ الياءِ إلى الباءِ وأُبدِلَتْ أَلِفاً ، وحُذِفَتْ أَلِفُ

الإفعالِ ، وعُوِّضَ منها التاءُ ؛ وذٰلكَ ليَخِفَّ اللَّفظُ ويَعذُبَ ؛ إذ كانَ وضعُ اللغةِ علىٰ مَلَاحةِ المَنطِقِ ورَشاقةِ اللَّفظِ .

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً . . صارَتْ فيهِ همزةً ؛ كأحلىٰ إحلاءً ، وألقىٰ إلقاءً ، وأبقىٰ إبقاءً .

ولمُضعَّفِ العينِ : (التَّفْعِيلُ) بفتحِ فسكونٍ فكسرٍ فسكونٍ ؛ كسَبَّحَ تَسبيحاً ، وجَرَّبَ تَجريباً ، لٰكنْ إذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً . . حُذِفَتْ منهُ ياءُ التفعيلِ ، وعُوِّضَ منها تاءٌ بعدَهُ ، فوزنُهُ (تَفْعِلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزَكَّىٰ تَزْكِيَةً ، وربَّىٰ تَرْبِيَةً ، وحَلَّىٰ تَحْلِيَةً ، وسُمِعَ هٰذا التغييرُ في بعضِ الصَّحائحِ ، فلا يتجاوزُ المسموعَ ؛ كتَجْرِبَةٍ وتَكْرِمَةٍ .

ومثلُ مُعتلِّ اللَّامِ مهموزُها ؛ مثلُ : جَزَّأَ تَجْزِئَةً ، ووَطَّأَ تَوْطِئَةً ، وبَرَّأَ تَبْرِئَةً .

ولـ (فَاعَلَ) كضَارَبَ وخَاصَمَ : مصدرانِ : (فِعالٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، و(مُفاعَلةٌ) ؛ كعِيانٍ ومُعايَنةٍ ، وخِصامٍ ومُخاصَمةٍ ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاؤُهُ ياءً ؛ كياوَمَ ويامَنَ وياسَرَ . . التُزِمَ الثاني وتُرِكَ الأوَّلُ ؛ لثقلِهِ ؛ كمُياوَمةٍ ، ومُيامَنةٍ ، ومُياسَرةٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . فهيَ في الأوَّلِ همزةٌ ، وفي الثاني أَلِفٌ ؛ كوالىٰ وِلاءً ومُوالاةً ، وجارىٰ جِراءً ومُجاراةً .

النوعُ الثالثُ

مصادرُ الخماسيِّ

لـ (تَفَعْلَلَ) نحوُ : تَدَحْرَجَ ، وتَشَيْطَنَ : (التَّفَعْلُلُ) بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ وسكونِ ثالثِهِ وضمِّ رابعِهِ ؛ كالتَّدَحْرُجِ ، والتَّشَيْطُنِ .

ولـ (تَفَعَّلَ) نحوُ : تَصَبَّرَ ، وتَكَلَّمَ : (التَّفَعُّلُ) بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ وضمِّ

ثالثِهِ مُشدَّداً إن لم تكنْ لامُهُ مُعتلَّةً ، فإن كانَتْ . . كُسِرَ ؛ فالأولُ : كتَصَبُّرٍ وتَكَلُّمٍ ، والثاني : كتَدَلَّىٰ تَدَلِّياً ، وتَأَلَّىٰ تَأَلِّياً ، وتَأَنَّىٰ تَأَنِّياً .

ولـ (تَفَاعَلَ) : كتَغَافَلَ وتَقَاصَرَ : (التَّفَاعُلُ) بضمِّ ما قبلَ آخِرِهِ إن لم يكنِ الآخِرُ مُعتلّاً ، وإلّا . . كُسِرَ ؛ كتَغَافُلٍ وتَدَاخُلٍ ، والتَّغابي والتَّداني والتَّقاضي[1] ، وإن كانَ الآخِرُ وما قبلَهُ مِنْ جنسٍ واحدٍ . . سَكَنَتْ وأُدغِمَتْ كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كتَحابٍّ ، وتَوادٍّ ، وتَشادٍّ .

ولـ (ٱنفعلَ) كانطلقَ : (الٱنفعالُ) كالانطلاقِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدلَتْ همزةً ؛ كالٱنجلاءِ ، والٱنطواءِ ، والٱنضواءِ .

ولـ (ٱفتعلَ) كاقتدرَ : (الٱفتعالُ) كالاقتدارِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كالاصطفاءِ ، والاقتداءِ ، والاختباءِ .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً أو ياءً . . أُبدِلَتْ تاءً وأُدغِمَتْ في تاءِ (الٱفتعالِ) كما فَعَلْتَ بفعلِهِ ؛ كاتِّقاءٍ واتِّكالٍ واتِّسارٍ .

ولـ (ٱفعلَّ) كاحمرَّ الذي أصلُهُ قبلَ الإدغامِ الواجبِ في مثلِهِ احْمَرَرَ ، وارعوى الذي أصلُهُ قبلَ الإبدالِ الواجبِ في مثلِهِ ارعوَيَ : (الٱفْعِلَالُ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كاحمرارٍ واصفرارٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كارعواءٍ .

النوعُ الرابعُ
مصادرُ السداسيِّ

لـ (ٱستفعَل) كاستخرجَ : (الٱستفعالُ) كاستخراجٍ واستمهالٍ .

---

(١) هـٰذه المفردات الثلاثة مكانها في الأصل بعد قوله : (وتشادٍّ) .

وإذا كانَتْ فاؤُهُ واواً . . أُبدِلَتْ ياءً ؛ كاستوعدَ استِيعاداً ، واستولى استِيلاءً .

وإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً . . حُذِفَتْ أَلِفُ الاستفعالِ ، وعُوِّضَ منها تاءٌ لزوماً ؛ كاستعانةٍ ، واستقامةٍ ، واستطالةٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاستبقاءٍ ، واستيفاءٍ ، واستهداءٍ .

ولنحوِ (ٱخْشَوْشَنَ) الاخْشِيشانُ ؛ بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ، وإبدالِ الواوِ ياءً .

وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كاعريراءٍ .

ولمصادرِ الأفعالِ المبدوءةِ بهمزةِ الوصلِ ضابطٌ ؛ وهوَ أنَّ المصدرَ كالفعلِ الماضي ، غيرَ أنَّهُ يُكسَرُ ثالثُهُ ، وإذا كانَتْ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . . أُبدِلَتْ ياءً ، ويُزادُ قبلَ آخِرِهِ أَلِفٌ ، وإذا كانَتْ لامُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً .

ومَنْ وعىٰ صورَ الأفعالِ . . لم يَصعُبْ عليهِ تمثيلُ المصادرِ .

تكملةٌ

[في صيغتَي المَرَّةِ والهَيئةِ]

بنيتانِ إحداهُما توازن (فَعْلةً) بفتحٍ فسكونٍ ، والثانيةُ توازنُ (فِعْلةً) بكسرٍ فسكونٍ . . يُصوَّرُ بهِما كلُّ مصدرِ فعلٍ ثُلاثيٍّ لم يكنْ وضعُهُ علىٰ إحداهُما :

الأُولىٰ : تُذكَرُ بعدَ الفعلِ للدلالةِ علىٰ حصولِهِ مَرَّةً .

والثانيةُ : للدلالةِ علىٰ هيئةِ الفعلِ حالَ صدورِهِ مِنْ فاعلِهِ .

تقولُ : زارَني زيدٌ زَوْرةً ، وجلسَ جَلْسةً ، وفَرِحَ فَرْحَةً ، وتقولُ : مشىٰ مِشْيةَ الأُمراءِ ، وهوَ حسنُ السِّيرةِ ، وخاتمٌ جَيِّدُ الصِّيغةِ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً كما هوَ الواجبُ في مثلِهِ ؛ كقيمةٍ .

فإذا كانَ وضعُ المصدرِ علىٰ (فَعْلةٍ) كَرَحْمةٍ ، أو (فِعْلةٍ) كنِشْدةٍ . . دَلَلتَ على المَرَّةِ والهَيئةِ بما يفيدُ ذٰلكَ ؛ تقولُ : رَحِمَ رَحْمةً واحدةً ، ونَشَدَ الضَّالَّةَ نِشْدةَ المنادي ، كما هو الحالُ إذا أردتَ الدلالةَ على الهيئةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيَّاتِ ؛ تقولُ : عظَّمتُهُ تعظيمَ العنايةِ والاحتفالِ ، أو تعظيماً قويّاً .

وأمَّا الدلالةُ على المَرَّةِ مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ . . فبإلحاقِ التاءِ للمصدرِ المشهورِ للفعلِ ؛ كعظَّمتُهُ تعظيمةً ، وأكرمتُهُ إكرامةً ، فإن كانَ المصدرُ مختوماً بالتاءِ ؛ كإقامةٍ ودحرجةٍ . . دَلَلْتَ على المَرَّةِ بلفظِ (واحدةٍ) .

ومِنَ الشَّاذِّ : قولُهُمْ : اعتمَّ عِمَّةَ الأعرابيِّ ، وتَقمَّصَ قِمْصةَ الرُّعاةِ ، واختمرَتْ خِمْرةَ الحضرِ ، وانتقبَتْ نِقْبةً حسنةً ؛ إذ لم تكنِ الأفعالُ ثُلاثيةً كما هوَ شرطُ البِنيةِ .

❋ ❋ ❋

بيانُ اسمِ الفاعلِ (١)

كلُّ فعلٍ ثُلاثيّ مُتعدٍّ مطلقاً أو لازمٍ ليسَ مِنْ بابِ (فَرِحَ) أو (كَرُمَ) . . فاسمُ الفاعلِ منهُ يوازنُ (**فَاعِلاً**) كناصرٍ مِنْ نَصَرَ ، وضَارِبٍ مِنْ ضَرَبَ ، وفَاتِحٍ مِنْ فَتَحَ ، وحَافِظٍ مِنْ حَفِظَ ، ووَارِثٍ مِنْ وَرِثَ .

فإذا كانَتْ عينُ فعلِهِ مُبدَلةً أَلِفاً ؛ كقامَ وباعَ . . فهيَ فيهِ همزةٌ ؛ كقائمٍ وبائعٍ .

وإذا كانَتْ لامُ فعلِهِ مُعتلَّةً . . فهيَ فيهِ ياءٌ تُحذَفُ لوقوعِ ساكنٍ بعدَها ؛ كقاضٍ وداعٍ ، وقاضي البلدِ ، وداعي الخيرِ ، والقاضي والداعي .

وتَلحقُهُ التاءُ في الأوصافِ المُشترَكةِ بينَ الذُّكورِ والإناثِ للفَرْقِ ؛ كقائمٍ وقائمةٍ ، ولا تَلحَقُ الأوصافَ المُختصَّةَ بالإناثِ لعدمِ الحاجةِ ؛ كحائضٍ ، وامرأةٍ حاملٍ وحائلٍ وفاركٍ .

والغرضُ مِنِ اسمِ الفاعلِ : الدلالةُ علىٰ أنَّ صاحبَهُ مُتلبّسٌ بإيجادِ الفعلِ وإحداثِهِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارعِ الحالي وقائمٌ مَقامَهُ ؛ بحيثُ يَصِحُّ وضعُ كلٍّ مكانَ الآخَرِ ، فيَحصُلُ المعنى المقصودُ ، أوِ الدلالةُ علىٰ أنَّهُ سيَتلبَّسُ أو سوفَ يَتلبَّسُ بالفعلِ ، فهوَ بمنزلةِ المضارعِ الاستقباليِّ كذٰلكَ .

مثلاً : يسألُكَ سائلٌ : ما حالُ زيدٍ الآنَ ؟ فتقولُ : ها هوَ ذا قائمٌ ، أو يقومُ ، حالَ ما هو آخذٌ في نصبِ أعضائِهِ والهُوِيّ برأسِهِ إلىٰ جهةِ الفَوقِ .

أو : ما يفعلُ زيدٌ غداً ؟ فتقولُ : هوَ راكبٌ فرسَهُ ، ومُسابِقٌ الفُرسانَ ، أو يركبُ ويُسابِقُ .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣١) .

ويُقالُ لاسمِ الفاعلِ في هٰذَينِ الموضعَينِ : **اسمُ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الفعلُ** .

وقد يُذكَرُ لتعيينِ موصوفِهِ ؛ حيثُ يكونُ سبقَ عهدُهُ بهِ ؛ كما تقولُ : هٰذا سائلُكَ أمسِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ : **اسمَ الفاعلِ الذي يَحُلُّ مَحَلَّهُ الموصولُ وصلتُهُ** ؛ فإنَّهُ في معنىٰ : هٰذا الشخصُ الذي سألَكَ أمسِ وعرفتَهُ بذٰلكَ .

[اسمُ الفاعلِ من غيرِ الثلاثيّ]

وكلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيٍّ فاسمُ الفاعلِ منهُ : يوازنُ مضارعَهُ ، غيرَ أنَّ اسمَ الفاعلِ مبدوءٌ بميمٍ مضمومةٍ مكسورٍ ما قبلَ آخرِهِ مطلقاً ؛ كمُدحرِجٍ ، ومُكرِمٍ ، ومُعظِّمٍ ، ومُخاصِمٍ ، ومُنطلِقٍ ، ومُقتدِرٍ ، ومُتغافِلٍ ، ومُستخرِجٍ ، وهٰكذا .

❋ ❋ ❋

بيانُ اسمِ المفعولِ [1]

كلُّ فعلٍ غيرِ ثُلاثيّ فاسمُ المفعولِ منهُ يوازنُ اسمَ فاعلِهِ ، غيرَ أَنَّهُ يُفتَحُ ما قبلَ آخِرِهِ ؛ كمُدحرَجٍ ، ومُنتظَرٍ ، ومُستخرَجٍ .

وكلُّ فعلٍ ثلاثيّ فاسمُ المفعولِ منهُ يوازنُ (مفعولاً) ؛ كمَخلوقٍ ، ومَرزوقٍ ، ومَوجودٍ ، ومَقصودٍ ، ومَفروحٍ به ، ومَفروغٍ منهُ .

وإذا كانَتْ عينُهُ واواً . . نُقِلَتْ ضمَّتُها إلى الساكنِ قبلَها ، فتبقىٰ ساكنةً ، وتُحذَفُ إحدى الواوَينِ ؛ كمَصونٍ ومَقولٍ .

وإذا كانَتْ عينُهُ ياءً . . نُقِلَتِ الضَّمَّةُ وحُذِفَتِ الواوُ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ للفرقِ بينَ ذواتِ الياءِ وذواتِ الواوِ ؛ كمَبِيعٍ ومَدِينٍ .

وتميمُ تُصحِّحُ هٰذا ؛ فيقولونَ : مَبْيُوعٌ ومَدْيُونٌ ، وعليهِ لسانُ مصرَ ، قالَ شاعرُ تميمَ [2] : [من الكامل]

قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

مِنْ عانَهُ ، فهوَ عائنٌ ، وذاكَ مَعيُونٌ ، أصابَهُ بعينِهِ .

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . . سَكَنَتْ واوُ مفعولٍ سُكوناً مُقيَّداً ، وأُدغِمَتْ ، وشَذَّ قلبُ الواوَينِ ياءَينِ ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ، كما هوَ لسانُ مصرَ ، قالَ بعضُ الشُّعراءِ [3] : [من الطويل]

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أَنَّنِي كَمَا ٱلنَّاسِ مَعْدِيّاً عَلَيَّ وَعَادِيَا

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٥) .

(٢) هو العباس بن مرداس ، كما في « ديوانه » رضي الله عنه (ص ١٥٦) .

(٣) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣٨٥/٤) .

مِنْ عدا عليهِ يعدو ، والفصيحُ : مَعدوٌّ عليهِ ؛ كمَدعوٍّ ومَقلوٍّ .

وإذا كانَتْ لامُهُ ياءً . . أُبدِلَتْ واوُ مفعولٍ ياءً ، وأُدغِمَتْ ، وأُبدِلَتِ الضَّمَّةُ كسرةً ؛ كمَرمِيٍّ ومَرضِيٍّ .

[ألفاظٌ علىٰ وزنِ (فعيلٍ) بمعنىٰ أوزانٍ أخرىٰ]

وقد جاءَتْ ألفاظٌ كثيرةٌ توازنُ (فَعِيلاً) تُستعمَلُ بمعنىٰ (مفعولٍ) ، ولا يُفرقُ فيها بينَ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ غالباً ؛ كقَتيلٍ ، وجَريحٍ ، وكَحيلٍ .

وكذا وردَتْ ألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنىٰ (مُفْعَلٍ) اسمَ مفعولٍ ؛ نحوُ : حكيمٍ ، وألفاظٌ تُستعمَلُ بمعنىٰ (مُفاعِلٍ) كسَميرٍ وخَليطٍ وجَليسٍ ، وبمعنىٰ (فاعلٍ) كقَديرٍ وعَليمٍ ، وبمعنىٰ (مُفْعِلٍ) اسمَ فاعلٍ نحوِ : أبدعَ ؛ كبديعٍ وحكيمٍ وسميعٍ ، وندرَ هـٰذا ، حتىٰ نفاهُ الكثيرُ ، ومَنْ أثبتَهُ . . عدَّ منهُ اثنيْ عشرَ لفظاً .

❋ ❋ ❋

بيانُ الصفةِ [1]

الأوصافُ مِنْ (بابِ كَرُمَ) وكذا مِنْ (بابِ فَرِحَ) اللازمِ . . تُسمَّىٰ : صفاتٍ مُشبَّهةً ، ولا يُقالُ لها : اسمُ فاعلٍ ؛ وذٰلكَ لأنَّها لإفادةِ الأوصافِ باعتبارِ قرارِها وثبوتِها لمَحالِّها ، مِنْ غيرِ نظرٍ إلىٰ حدوثٍ وتَجدُّدٍ كما هوَ المُعتبَرُ في حقيقةِ اسمِ الفاعلِ ؛ بحيثُ لا يَصِحُّ أن تُوضَعَ الأفعالُ مكانَ تلكَ الصفاتِ ، حتىٰ لو أُريدَ أن يُفادَ بها معنى الحدوثِ والتجدُّدِ . . وجبَ ردُّها إلىٰ زنةِ فاعلٍ .

مثلاً : إذا قلتَ : زيدٌ حسنُ الوجهِ ، كانَ المعنىٰ : زيدٌ لهُ صفةُ الحسنِ ، لا أنَّها حدثَتْ أو تَحدُثُ ، فلو قلتَ : حَسُنَ وجهُهُ أو يَحسُنُ . . فاتَ الغرضُ المقصودُ ، وتَبدَّلَ المعنىٰ ، فلو أردتَ هٰذا المعنى الفعليَّ . . قلتَ : زيدٌ حاسنٌ وجهُهُ ؛ لاستعمالِ الأغذيةِ اللَّطيفةِ والأدويةِ المُنضِّرةِ ، فهوَ علىٰ معنىٰ : آخِذٌ وجهُهُ في الحُسْنِ لذٰلكَ ؛ بحيثُ يَصِحُّ أن تقولَ : زيدٌ يَحسُنُ وجهُهُ .

وكلُّ وصفِ فاعلٍ أو مفعولٍ استُعمِلَ بهٰذا المعنى المشروحِ لأوصافِ هٰذَينِ البابَينِ . . فهوَ مِنَ الصِّفةِ المُشبَّهةِ .

الأوصافُ مِنْ بابِ (كَرُمَ)

منها ما جاءَ علىٰ وزنِ (فَعْلٍ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كضَخْمٍ وشَهْمٍ ، ومنها ما جاءَ علىٰ وزنِ (فَعِيلٍ) بفتحٍ فكسرٍ ؛ كجَمِيلٍ وظَرِيفٍ ، وهٰذانِ الوزنانِ يقتسمانِ حَسَبَ السماعِ أكثرَ أوصافِ البابِ .

ومنها ما وردَ بأوزانٍ أُخَرَ كصُلْبٍ بضمٍّ فسكونٍ ، وبَطَلٍ بفتحتَينِ ، وشُجَاعٍ وجَبَانٍ .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٣٨) .

والفرقُ بينَ الإناثِ والذُّكورِ في هـٰذه الأوصافِ بالتاءِ .

الأوصافُ مِنْ بابِ (فَرِحَ)

جاءَتْ أوصافُ هـٰذا البابِ علىٰ ثلاثةِ أنواعٍ :

ـ **النوعُ الأوَّلُ** : يوازنُ (فَعِلاً) بفتحٍ فكسرٍ ، ويُؤنَّثُ بالتاءِ ؛ كفَرِحٍ وطَرِبٍ وبَطِرٍ وأَشِرٍ .

ـ **النوعُ الثاني** : يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَاءَ) بفتحٍ فسكونٍ وفي آخِرِهِ همزةٌ للمُؤنَّثِ ؛ كأحمرَ وحمراءَ ، وأجهرَ وجهراءَ .

ـ **النوعُ الثالثُ** : يوازنُ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ وآخِرُهُ أَلِفٌ للمُؤنَّثِ ؛ كغضبانَ وغَضْبىٰ ، وسكرانَ وسَكْرىٰ .

ولهـٰذِهِ الأنواعِ ضابطٌ بِهِ تُميَّزُ بينَ مواضعِها :

فالأوَّلُ : في أحوالٍ تَحصُلُ ويَسرُعُ زوالُها عادةً ؛ كالفَرَحِ والطَّرَبِ والأَشَرِ .

والثاني : في صفاتٍ وضعُها على البقاءِ ؛ وهوَ دائرٌ بينَ الألوانِ والعيوبِ والحِلَىٰ ؛ كالحُمرةِ والصُّفرةِ ، والحُمقِ والعَمىٰ ، والهَيفِ والغَيدِ .

والثالثُ : في أمورٍ بطيئةِ الزوالِ ؛ كالرَّيِّ والعَطَشِ ، والجُوعِ والشِّبعِ ، والسُّكْرِ والغَضَبِ ، وتسميةُ هـٰذه الأوصافِ صفاتٍ مُشبَّهةً يُذكَرُ سببُهُ في النحوِ [١] .

❋ ❋ ❋

(١) انظر (١/٤٧٥) .

بيانُ اسمِ زمانِ الفعلِ واسمِ مكانِهِ مِنْ مادَّتِهِ (١)

صيغتُهُما واحدةٌ ؛ فإن كانا مِنْ غيرِ الثُّلاثيِّ . . فهيَ كصيغةِ اسمِ المفعولِ منهُ ، وكذٰلكَ مصدرُهُ الميميُّ ، فالصِّيغةُ مُشترَكةٌ بينَ أربعةِ أشياءَ ؛ تقولُ : استخرجتُ الذهبَ مِنَ المَعدِنِ صُبحاً مُستخرَجاً حسناً ، فالذَّهبُ مُستخرَجٌ ، والصبحُ مُستخرَجُهُ ؛ أي : وقتُ استخراجِهِ ، والمَعدِنُ مُستخرَجُهُ أيضاً ؛ أي : مكانُ استخراجِهِ .

وقولُكَ : (مُستخرَجاً حسناً) بمنزلةِ قولِكَ : (استخراجاً حسناً) ، فهوَ مصدرُهُ ، ومنهُ قولُ الشاعرِ (٢) : [من الكامل]

أَظَلُومُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ... رَدَّ ٱلسَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

معناهُ : إنَّ إصابتَكُم بالمكروهِ رجلاً حيَّاكُم وسَلَّمَ عليكُم . . ظلمٌ منكُم لهُ .

وإن كانَ مِنَ الثُّلاثيِّ . . فهُما علىٰ زنةِ (مَفْعلٍ) فإذا كانَ مضمومَ عينِ المضارعِ ، أو مفتوحَها ، أو مُعتلَّ اللَّامِ . . فُتِحَتْ عينُهُ ؛ كمَنْصَرٍ ومَنْظَرٍ ، ومَفْتَحٍ ومَفْرَحٍ ومَطْرَحٍ ، ومَرْمىً ومَدْعىً ومَسْعىً .

وإن كانَ مكسورَ عينِ المضارعِ ، أو كانَ فعلُهُ مثالاً واويّاً ، أو يائيّاً . . كُسِرَتْ عينُهُ ؛ كمَضْرِبٍ ومَجْلِسٍ ، ومَوْعِدٍ ومَوْئِلٍ ومَوْضِعٍ ومَوْجِلٍ ، ومَيْسِرٍ .

وما جاءَ علىٰ خلافِ ذٰلكَ ؛ كـ (مَسْجِدٍ) بالكسرِ ، و(مَشْرُبَةٍ) بالضَّمِّ ،

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٣) .

(٢) هو للعرجي ، وانظر خبره في « مغني اللبيب » (٢/٦٩٧) .

وحقُّهُما الفتحُ ؛ لكونِ مضارعِهِما مضمومَ العينِ في الأوَّلِ ، ومفتوحَها في الثاني . . فإنَّهُ جُعِلَ اسماً للموضعِ المُعَدِّ للفعلِ وإن لم يقعْ فيهِ الفعلُ ، ألا ترىٰ أنَّكَ إذا بنيتَ بيتاً للعبادةِ . . كانَ اسمُهُ مَسْجِداً وإن لم يَسْجُدْ فيهِ أحدٌ ؟!

وأمَّا اسمُ مكانِ الفعلِ المضبوطِ . . فهوَ للموضعِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ ، فإذا أردتَ مِنْ لفظِ المَسْجِدِ هٰذا المعنىٰ . . فتحتَ عينَهُ ، كما تقولُ : (اسجدْ مَسْجَدَ زيدٍ . . تَعُدْ عليكَ بركتُهُ) فمعناهُ : في الموضعِ الذي سجدَ فيهِ زيدٌ .

❋ ❋ ❋

بيانُ اسمِ آلةِ الفعلِ [1]

آلةُ الفعلِ التي وقعَ بها يكونُ اسمُها علىٰ وزنِ (مِفْعَلٍ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ، أو (مِفْعَالٍ) بزيادةِ الألِفِ ؛ كمِفْصَلٍ ، ومِفْصَدٍ ، ومِبْضَعٍ ، ومِقْوَلٍ ، ومِقْوَدٍ ، ومِخْيَطٍ ، ومِسْبَرٍ ، ومِسْبَارٍ ، ومِهْمَازٍ ، ومِخْيَاطٍ .

وتلحقُهُ التاءُ ؛ كمِنْسَأةٍ ، ومِكْنَسَةٍ ، ومِقْرَعَةٍ .

ولا يُغيَّرُ مِنْ أسماءِ الآلةِ ما عينُهُ واوٌ أو ياءٌ كما رأيتَ ، علىٰ خلافِ قاعدةِ : (أنَّهُ إذا تحرَّكَتِ الواوُ أوِ الياءُ وسَكَنَ ما قبلَهُما . . نُقِلَتْ حركتُهُما إليهِ ، وبقيتا ساكنتَينِ ، سكوناً مرسلاً ، أو أُبدِلتا أَلِفاً) كما سبقَ التصريحُ بهِ في مواضعَ ، والإشارةُ إليهِ في غيرِها [2] .

وكما استُثنِيَ مِنْ هٰذهِ القاعدةِ أسماءُ الآلاتِ . . استُثنِيَ منها نحوُ : ٱبْيَضَّ ، وٱسْوَدَّ ، وأبْيَضَ وأَسْوَدَ ، وأقْوَمَ وأَفْيَحَ ، لٰكنْ إذا كانَتْ فاءُ الكلمةِ واواً . . أُبدِلَتْ ياءً كما هوَ شأنُ كلِّ واوٍ وقعَتْ إثرَ كسرةٍ ؛ كمِيزانٍ ومِيقاتٍ مِنَ الوزنِ والوقتِ ، ودِيمةٍ وقِيمةٍ وقِيامٍ مِنْ يدومُ ويقومُ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٧) .

(٢) انظر (١/١٩٢ ، ٣٠٠) .

بيانُ اسمِ التفضيلِ (١)

هوَ اسمٌ يوازنُ (أَفْعَلَ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ، وكما يُسمَّى اسمَ تفضيلٍ . . يُسمَّىٰ : (أَفْعَلَ مِنْ) .

وهٰذهِ الصِّيغةُ للدلالةِ علىٰ أنَّ شيئَينِ اشتركا في صفةٍ ، وزادَ أحدُهُما على الآخَرِ فيها ، والزائدُ مُفضَّلٌ ، والآخَرُ مُفضَّلٌ عليهِ ، وهوَ الذي يُقرَنُ بـ (مِنْ) .

ثمَّ لا تكونُ هٰذهِ الصِّيغةُ إلَّا لفعلٍ ، ثُلاثيٍّ ، مُتفاوِتٍ قُوَّةً وضَعفاً أو قِلَّةً وكثرةً ، مُتصرِّفٍ ، مُثبَتٍ ، ليسَ وصفُهُ علىٰ وزنِ (أفعلَ) ولا علىٰ صورةِ فعلِ المجهولِ ، ولا مِنَ الأفعالِ الناقصةِ .

لأنَّ غيرَ الثُّلاثيِّ لا تُمكِنُ فيهِ الصِّيغةُ ، وغيرَ المُتفاوِتِ لا يزيدُ فيهِ شيءٌ عن شيءٍ ، والجامدَ لا يُصاغُ منهُ شيءٌ ، والمَنفيَّ مُركَّبٌ معَ أداةِ النفيِ ، وما وصفُهُ علىٰ (أفعلَ) مشغولٌ بهٰذه الصِّيغةِ لغيرِ معنى التفضيلِ ، وما علىٰ صورةِ فعلِ المجهولِ يُؤدِّي للإلباسِ ، والأفعالُ الناقصةُ لم يُقصَدْ بها إفادةُ إحداثِها .

ومِنَ الشَّواذِّ قولُهُم : (أشغلُ مِنْ ذاتِ النِّحْيَينِ) ، و(زيدٌ أشهرُ مِنْ عمرٍو) فإنَّ معناهُ : أقوىٰ مشغوليَّةً ومشهوريَّةً ؛ فهوَ مِنْ فعلِ المجهولِ .

وقالَ أهلُ الكوفةِ : يُصاغُ اسمُ التفضيلِ مِنَ الأفعالِ التي وصفُها يوازنُ (أفعلَ) وعليهِ قولُ أبي الطيبِ المتنبي يُخاطِبُ الشَّيبَ (٢) : [من البسيط]

ٱبْعَدْ بَعِدْتَ بَيَاضاً لَا بَيَاضَ لَهُ   لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ ٱلظُّلَمِ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٤٣) .

(٢) كما في « ديوان المتنبي » (ص ٢٤) .

وقيلَ : (كلامٌ أخصرُ) صوغاً مِنِ (اختُصِرَ) فعلٍ مجهولٍ خماسيٍّ ؛ ففيهِ شذوذانِ .

لٰكنْ أنتَ محتاجٌ إلى التفضيلِ فيما فقدَ بعضَ تلكَ الشروطِ ؛ **فالطريقُ لذٰلكَ** : أن تَصوغَ اسمَ تفضيلٍ مِنْ نحوِ : (قَوِيَ) و(كَثُرَ) و(عَظُمَ) و(زادَ) ، ثم تأتي بمصدرِ الفعلِ المُمتنِعِ صوغُ (أفعلَ منهُ) بعدَ ذٰلكَ ، مُبيِّناً بذٰلكَ أنَّهُ موضعُ التفضيلِ ؛ **مثلاً** تقولُ : زيدٌ أقوىٰ إكراماً لعمرٍو ، وأزيدُ اشتغالاً بالخيرِ ، وأكثرُ استخراجاً للفوائدِ ، وأقوىٰ حمرةً .

ويقومُ مَقامَ المصدرِ لفظٌ مُركَّبٌ مِنِ : اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ ، وياءٍ مُشدَّدةٍ تُسمَّىٰ ياءَ النِّسبةِ ، وتاءٍ ؛ كضاربيّةٍ ، ومَضروبيَّةٍ ، ومُكرِميَّةٍ ؛ فتقولُ : (زيدٌ أكثرُ مُكرِميَّةً بينَ الناسِ) مُتوصِّلاً بذٰلكَ لإفادةِ التفضيلِ في فعلٍ مجهولٍ ؛ **لأنَّ** معناهُ : أنَّ زيداً أكرمُ وغيرُهُ أكرمُ ، مِنْ غيرِ تَعرُّضٍ إلىٰ بيانِ المكرمِ ، وزيدٌ أكثرُ مِنْ غيرِهِ في ذٰلكَ المعنىٰ .

❊

ثمَّ إنَّ اسمَ التفضيلِ لهُ مِنْ جهةِ نطقِهِ ثلاثُ حالاتٍ ، ومِنْ جهةِ معناهُ ثلاثةُ استعمالاتٍ :

أمَّا كيفياتُ نطقِهِ :

ـ **فالأُولىٰ** : أن تَنطِقَ بهِ مُفرَداً مُذكَّراً دائماً ، سواءٌ كانَ صفةَ واحدٍ أوِ اثنَينِ أو جماعةٍ مِنَ الإناثِ أوِ الذُّكورِ ؛ وذٰلكَ حيثُ تضيفُهُ إلىٰ نكرةٍ ، أو تأتي بعدَهُ بالمُفضَّلِ عليهِ مقروناً بـ (مِنْ) فتقولُ : زيدٌ أفضلُ رجلٍ ، والزيدانِ أفضلُ رجلَينِ ، والزيدونَ أفضلُ رجالٍ ، وهندٌ أفضلُ امرأةٍ ، والهِندانِ أفضلُ امرأتَينِ ، والهِنداتُ أفضلُ نساءٍ ، فتُطابِقُ الموصوفَ بالمُضافِ إليهِ وجوباً كما رأيتَ .

وتقولُ : زيدٌ أفضلُ مِنْ عمرٍو ، والزيدانِ أفضلُ منهُ ، والزيدونَ أفضلُ منهُ ، وهندٌ أفضلُ مِنْ دعدٍ ، والهِندانِ أفضلُ منها ، والهِنداتُ أفضلُ منها .

ـ **الحالةُ الثانيةُ** : أن تَنطِقَ باسمِ التفضيلِ مطابقاً للمُفضَّلِ في التذكيرِ والتأنيثِ ، والإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ .

وتأنيثُ اسمِ التفضيلِ : أن تجعلَهُ علىٰ وزنِ (فُعْلىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تُعرِّفُ اسمَ التفضيلِ بـ (ألْ) ، وحينَئذٍ لا تأتي بـ (مِنْ) ، فتقولُ : زيدٌ الأفضلُ ، والزيدانِ الأفضلانِ ، والزيدونَ الأفضلونَ أوِ الأفاضلُ ، وهندٌ الفُضْلَىٰ ، والهِندانِ الفُضْلَيَانِ ، والهِنداتُ الفُضْلَيَاتُ أوِ الفُضَلُ .

ـ **الحالةُ الثالثةُ** : أن تَنطِقَ بهِ كيفَ شئتَ ، مُطابِقاً أو غيرَ مُطابِقٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ يُضافُ لمعرفةٍ ؛ فتقولُ : الزيدونَ أفضلُ الرجالِ ، أو أفاضلُهُم ، وهندٌ أفضلُ النساءِ ، أو فُضْلاهُنَّ ، وهٰكذا .

[استعمالاتُ اسمِ التفضيلِ]

وأمَّا استعمالاتُهُ بحَسَبِ المعنىٰ :

ـ **فالأوَّلُ** : ما سَلَفَ شرحُهُ .

ـ **والثاني** : أن تفيدَ بهِ أنَّ شيئاً زادَ في صفةِ نفسِهِ علىٰ شيءٍ آخَرَ في صفتِهِ ؛ فلا يكونُ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ مُشترِكَينِ في صفةٍ ، كما هوَ الحالُ في الاستعمالِ الأوَّلِ ؛ كقولِهِمْ : (العسلُ أحلىٰ مِنَ الخَلِّ) ، و(الصَّيفُ أحرُّ مِنَ الشتاءِ) ، معناهُ : العسلُ زائدٌ في حلاوتِهِ على الخلِّ في حموضتِهِ ، وعلىٰ هٰذا تأويلُ ما وردَ مِنْ ذٰلكَ .

ـ **الاستعمالُ الثالثُ** : أن تفيدَ بِهِ ثبوتَ الوصفِ لمَحَلِّهِ ؛ فهوَ كاسمِ الفاعلِ لم يُقصَدْ تفضيلُ شيءٍ علىٰ شيءٍ ، وأهلُ العربيَّةِ يُمثِّلونَ لذٰلكَ بقولِ بعضِ

العربِ : (الأشجُّ والناقصُ أعدلا بني مروانَ) أي : هما العادلانِ ، ولا عدلَ في غيرِهما .

ومِنْ هٰذا الاستعمالِ قولُ الحسنِ بنِ هانئٍ(١) : [من البسيط]

كَأَنَّ صُغْرَىٰ وَكُبْرَىٰ مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَىٰ أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ

أي : صغيرةَ الفواقعِ وكبيرتَها ، وإلَّا . . لأفردَ وذكَّرَ ؛ لعدمِ التعريفِ والإضافةِ لمعرفةٍ .

تكملةٌ
[في صيغِ المبالغةِ]

كلٌّ مِنَ الفعلِ واسمِ الفاعلِ إذا نسبتَهُ لصاحبِهِ . . كفىٰ في صدقِهِ حصولُهُ منهُ ولو مَرَّةً ؛ فهوَ يَحتمِلُ القلَّةَ والكثرةَ ، فإذا أردتَ أن تَنُصَّ على الكثرةِ . . ضَعَّفتَ عينَ الفعلِ فقلتَ في (ضَرَبَ) مثلاً : (ضَرَّبَ) بتشديدِ الراءِ ، وقد سبقَ(٢) ، وجئتَ بدلَ (فاعلٍ) بإحدىٰ صيغٍ ثلاثٍ مُطَّردةٍ في ذٰلكَ ؛ وهيَ (فَعَّالٌ) بفتحِ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ، و(مِفْعالٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(فَعُولٌ) بفتحٍ فضمٍّ ؛ فتقولُ : زيدٌ رَكَّابٌ للخيلِ ، ومِنْحارٌ للإبلِ ، وصَبُورٌ على الشدائدِ ، وأهلُ الفنِّ يُسمُّونَ هٰذهِ الصيغَ : صيغَ المبالغةِ .

وسُمِعَ مِنَ العربِ ـ علىٰ قِلَّةٍ ، فيُقتصَرُ علىٰ ما سُمِعَ ـ للدلالةِ على الكثرةِ صيغٌ أُخَرُ ؛ كعليمٍ ، ورحيمٍ ، وقديرٍ ، هٰذا بنقلِ الفعلِ لـ (بابِ فَعُلَ) بضمِّ العينِ الذي سبقَ القولُ بكونِهِ مُختصّاً بالغرائزِ ، ونحوُ : حَذِرٍ ، ومِعْطِيرٍ ، وشِرِّيبٍ .

وإذا كانَتْ فاءُ (مِفْعالٍ) واواً . . أُبدِلَتْ ياءً ؛ كمِيزانٍ .

---

(١) كما في « ديوان أبي نواس » (ص ٦٢) .

(٢) انظر (١/٢٠٠) .

وإذا كانَتْ لامُهُ أو لامُ (فَعَّالٍ) مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كمِشْواءٍ ومِقْلاءٍ ، وشَوَّاءٍ وقَلَّاءٍ .

وإذا كانَتْ عينُ (فَعُولٍ) واواً . . أُبدِلَتْ همزةً ؛ كقَؤُولٍ وصَؤُولٍ .

وإذا كانَتْ لامُهُ واواً . . أُدغِمَتْ فيها الواوُ قبلَها ؛ كعَدُوٍّ وصَبُوٍّ .

وإذا كانَتْ ياءً . . أُبدِلَتِ الواوُ قبلَها ياءً ، وأُدغِمَتْ فيها ؛ كبَغِيٍّ وسَعِيٍّ ، وأصلُهُما : بَغُويٌ وسَعُويٌ .

* * *

التقسيمُ الثاني

[في المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ] (١)

الاسمُ : إمَّا مُذكَّرٌ ، وإمَّا مُؤنَّثٌ .

فالمُذكَّرُ : ما وُضِعَ لذكرٍ .

والمُؤنَّثُ : ما وُضِعَ لأُنثىٰ .

وقدِ اعتبَرتِ العربُ التأنيثَ في بعضِ الأشياءِ لأسبابٍ ، فعاملوها معاملةَ الإناثِ ؛ كالشَّمسِ اعتبروها أُنثىٰ لوقوعِها في مقابلةِ القمرِ ، والكأسِ ؛ لوقوعِها في مقابلةِ الإبريقِ ، والحربِ ؛ اعتبروها وَلَّادةً غَرَّارةً كما قالَ عمرٌو (٢) : [من الكامل]

اَلْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فُتَيَّةٌ ... تَسْعَىٰ بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّىٰ إِذَا ٱلْتَهَبَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... عَادَتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

ومِنْ ثَمَّ قالَ أهلُ العربيَّةِ : مُؤنَّثٌ حقيقيٌّ لذواتِ الفروجِ ، ومُؤنَّثٌ مجازيٌّ لغيرِها .

ومعرفةُ المُؤنَّثِ المجازيِّ بتتبعِ كتبِ اللغةِ ؛ إذ ليسَ لها ضابطٌ .

وقد يكونُ التأنيثُ لفظيّاً فقطْ ؛ بمعنىٰ : أنَّ اللَّفظَ يكونُ معَهُ علامةُ التأنيثِ ، ومدلولُهُ مِنَ الذُّكورِ ؛ كطلحةَ وبَطَّةَ اسمَيْ رجلَينِ .

وللمُؤنَّثِ أحكامٌ ؛ كاختصاصِهِ بإشارةٍ وضميرٍ ، كما تقولُ : (هٰذهِ الكأسُ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٥٩) .

(٢) هو سيدنا عمرو بن معديكرب ، كما في « شعر عمرو بن معديكرب » رضي الله عنه (ص ١٥٤) .

لا أشربُها) لٰكنَّ المؤنَّثَ اللَّفظيَّ تَتبعَّضُ فيه الأحكامُ ؛ ففي بعضِ الأبوابِ يُعامَلُ مُعاملةَ المُؤنَّثِ ، وفي بعضِها يُعامَلُ مُعاملةَ المُذكَّرِ ، كما يَتبيَّنُ ذٰلكَ في مواضعِهِ ، والمُؤنَّثُ المجازيُّ يُخالِفُ المُؤنَّثَ الحقيقيَّ في بعضِ الأحكامِ كما يَتبيَّنُ في مواضعِهِ أيضاً .

ثمَّ إنَّ الأشياءَ التي لا يَتميَّزُ ذَكَرُها مِنْ أُنثاها ؛ ما كانَ منها بالتاءِ . . مُؤنَّثٌ ؛ كنملةٍ وبعوضةٍ ، وما خلا منها . . مُذكَّرٌ ؛ كبُرغوثٍ وجُنْدَبٍ .

[علاماتُ التأنيثِ]

وللتأنيثِ ثلاثُ علاماتٍ :

ـ تاءٌ مُتحرِّكةٌ يُختَمُ بها الاسمُ .

ـ وأَلفٌ بعدَ أَلِفٍ لا يمكنُ النطقُ بها فتُبدَلُ همزةً ، وتُسمَّىٰ : أَلِفَ التأنيثِ الممدودةَ .

ـ وأَلِفٌ مفردةٌ ، وتُسمَّىٰ : أَلِفَ التأنيثِ المقصورةَ .

الكلامُ على التاءِ

أكثرُ ما تَلحَقُ الأوصافُ المُشترَكةُ للفَرْقِ ، وقَلَّ لُحوقُها الأسماءَ لذٰلكَ ؛ كرَجُلٍ ورَجُلَةٍ ، وغلامٍ وغلامةٍ ، وفتىً وفتاةٍ ، كما قلَّ لُحوقُها للأوصافِ المُختصَّةِ بالإناثِ ؛ فلا يُقالُ : حائضةٌ ومرضعةٌ ، إلَّا إذا أُريدَ بها معنى الفعلِ ؛ كما تقولُ : هيَ حائضةٌ بعدَ شهرٍ ، فهيَ بمنزلة : هيَ تحيضُ .

ولا تَلحقُ مِنَ الأوصافِ ما كانَ علىٰ وزنِ (مِفْعالٍ) أو (مِفْعِيلٍ) أو (فَعولٍ) بمعنىٰ (فاعلٍ) ، أو (فَعِيلٍ) بمعنىٰ (مفعولٍ) إن عُلِمَ في هٰذا

الموصوفُ ؛ فتقولُ : امرأةٌ مِكْسالٌ ، ومِعطِيرٌ ، وصَبورٌ ، وجَريحٌ ، وتقولُ : رأيتَ جريحةً[1] .

وتكونُ التاءُ معَ التأنيثِ للوَحْدةِ في أسماءِ الأجناسِ الجمعيَّةِ ، وتكونُ للمبالغةِ فقطْ ، أو لتأكيدِها ؛ [كراويةٍ] ، وعلَّامةٍ ، وفَروقةٍ ، وتكونُ عوضاً عن حرفٍ محذوفٍ كما سبق في نحوِ : إقامةٍ وتزكيةٍ ، ويأتي لذٰلكَ مواضعُ[2] .

الكلامُ على الألفَينِ

قدِ اختصَّ كلٌّ بأبنيةٍ ، واشتركتا في أبنيةٍ .

[أبنيةُ الألفِ المقصورةِ]

فمِنْ أبنيةِ المقصورةِ : (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ ، و(فُعَالَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ ، و(فُعَّلَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، و(فِعَلَّىٰ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ[3] ، و(فِعْلَىٰ) بكسرٍ فسكونٍ ، و(فُعُلَّىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وثانيهِ وتشديدِ ثالثِهِ ، و(فُعَّالَىٰ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً .

- **فالأوَّلُ** : كبُهْمَىٰ لنبتٍ ، وحُبْلَىٰ ، وكُبْرَىٰ ، وطُولَىٰ ، وأُولَىٰ ، ورُجْعَىٰ ، وبُشْرَىٰ .

- **والثاني** : كحُمَادَىٰ[4] ، وسُمَانَىٰ وحُبَارَىٰ لطائرَينِ .

- **والثالثُ** : كسُمَّهَىٰ للباطلِ .

---

(١) لأجل تعيين التأنيث ؛ إذ لا قرينة دالة عليه .

(٢) انظر (١/٢٧٣) .

(٣) لعل الأولىٰ والأنسب : (فتشديد ثالثه) بدل (فسكون) .

(٤) بمعنى : الغاية ؛ يقال : حماداك وحماديَّ ؛ أي : غايتك وغايتي ، أو أن التمثيل بـ (جُمادَى) اسم شهر .

ـ والرابعُ : كسِبَطْرَىٰ ودِفَقَّىٰ ؛ لنوعَينِ مِنَ المشيِ .

ـ والخامسُ : كحِجْلَىٰ ، في جمعِ حَجَلَةٍ بفتَحاتٍ ؛ لطائرٍ ، وظِرْبَىٰ ، في ظَرِبانٍ بفتحٍ فكسرٍ ؛ لدابَّةٍ مُنتِنةِ الفَسوِ في حجمِ الهِرَّةِ ، ولا ثالثَ لهـٰذَينِ الجمعَينِ في أوزانِ الجموعِ .

وكدِفْلَىٰ لنبتٍ ، وكِيصَىٰ للرجلِ يأكلُ وحدَهُ ، وينزلُ وحدَهُ ، ولا يُهِمُّهُ غيرُ نفسِهِ ، وذِفْرىٰ للعظمِ خَلْفَ الأُذنِ ، وضِيزَىٰ بالياءِ وهوَ بالهمزِ ، مُثلَّثُ الأوَّلِ .

وربَّما نُوِّنَ بعضُ الكلماتِ الواردةِ علىٰ هـٰذا الوزنِ ، فتكونُ أَلِفُهُ للإلحاقِ بدرهمٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ ؛ مِنْ ذٰلكَ : ذِفْرىٰ ؛ فعلىٰ كونِ الألِفِ للتأنيثِ . . تقولُ : (هـٰذهِ ناقةٌ ذاتُ ذِفْرىٰ نضَّاخةٍ) بالأَلِفِ ، وعلىٰ كونِها للإلحاقِ . . تقولُ : (ذِفْرىً) بالتنوينِ .

ـ والسادسُ : كحُذُرَّىٰ للحَذَرِ ، وبُذُرَّىٰ للتبذيرِ ، وكُفُرَّىٰ لوعاءِ الطَّلْعِ .

ـ والسابعُ : كخُبَّازَىٰ وشُقَّارَىٰ ؛ لنبتَينِ .

[أبنيةُ الألفِ الممدودةِ]

ومِنْ أبنيةِ الممدودةِ : (فَاعُولَاءُ) ، و(مَفْعُلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ ، و(فِعْلِيَاءُ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ، و(فِعَلَاءُ) بكسرٍ ففتحٍ ، و(فَعَالَاءُ) بفتحِ أوَّلِهِ ، و(فَعِيلَاءُ) بفتحٍ فكسرٍ ، و(فَاعِلَاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ، و(أَفْعِلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ .

ـ فالأوَّلُ : كتاسُوعاءَ ، وعاشُوراءَ .

ـ والثاني : كمَشْيُخاءَ للشيوخِ .

ـ والثالثُ : ككِبْرِياءَ ، وكِيمِياءَ ، وإِيلِياءَ لبيتِ المقدسِ .

ـ والرابعُ : كسِيَراءَ ؛ للثيابِ المُخطَّطةِ ألواناً .

ـ والخامسُ : كبَراساءَ ؛ للناسِ ، يُقالُ : لا أدري مِنْ أيِّ البَراساءِ هوَ ، وبَراكاءَ ؛ لمُعظَمِ القتالِ .

ـ والسادسُ : كبَرِيساءَ ؛ لغةٌ في سابقِهِ ، وقَرِيشاءَ ؛ لنوعٍ من التمرِ .

ـ والسابعُ : كقاصِعاءَ ونافِقاءَ ؛ لبابَيْ جُحْرِ اليَربوعِ .

ـ والثامنُ : كأَصْدِقاءَ ، وأَنْبِياءَ ، وأَرْبِعاءَ لليومِ الرابعِ مِنَ الأُسبوعِ ، ويُضَمُّ ثالثُهُ ويُفتَحُ .

[الأبنيةُ المشتركةُ بينَ الألفِ المقصورةِ والممدودةِ]

ومِنَ الأبنيةِ المُشترَكةِ بينَهُما : (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ، و(فُعَلَىٰ) بضمٍّ ففتحٍ ، و(فَعَلَىٰ) بفتَحاتٍ ، و(أَفْعَلَاءُ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ .

فالمقصورُ مِنَ الأوَّلِ : كسَكْرَىٰ ، وشَبْعَىٰ ، وقَتْلَىٰ ، وجَرْحَىٰ ، ودَعْوَىٰ ، ونَجْوَىٰ .

والممدودُ : [كصَحْراءَ] ، وحَمْراءَ ، وهَطْلاءَ ، وطَرْفاءَ .

والمقصورُ مِنَ الثاني : كأُرَبَىٰ للشدائدِ ، وأُدَمَىٰ ، وجُنَفَىٰ ، وشُعَبَىٰ ؛ لمواضعَ ، ومِنْ كلامِ جريرٍ[1] : [من الوافر]

أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَرِيباً ... أَلُؤْماً لَا أَبَا لَكَ وَٱغْتِرَابَا

والممدودُ : كجُنَفَاءَ ، لغةٌ في السابقِ ، وكُبَرَاءَ ، وعُلَمَاءَ ، وحُنَفَاءَ .

والمقصورُ مِنَ الثالثِ : كمَرَطَىٰ ، وبَشَكَىٰ ، وجَمَزَىٰ ؛ لسرعةِ العَدْوِ ، وَحَيَدَىٰ ؛ يُقالُ : حمارٌ حَيَدَىٰ ؛ أي : يحيدُ عن ظلِّهِ لنشاطِهِ ، وبَرَدَىٰ لنهرٍ

---

(١) انظر « ديوان جرير » (٢/٦٥٠) .

بالشأمِ ؛ وهوَ المعنيُّ في قولِ حسَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ [١] : [من الكامل]

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ ٱلْبَرِيصَ عَلَيْهِمُ بَرَدَىٰ يُصَفِّقُ بِٱلرَّحِيقِ ٱلسَّلْسَلِ

والممدودُ : كقَرَماءَ وَجَنَفاءَ لموضعَينِ ، ودَأْثاءَ للأمةِ ، وابنُ دَأْثاءَ : الأحمقُ .

والمقصورُ مِنَ الرابعِ : كأَجْفَلَىٰ للدعوةِ العامَّةِ ؛ يقالُ : فلانٌ يدعو الأَجْفَلىٰ والجَفَلَىٰ بفتَحاتٍ ، ويقابلُها النَّقَرَىٰ بفتَحاتٍ للدعوةِ الخاصَّةِ ، ولبعضِ العربِ [٢] : [من الرمل]

نَحْنُ فِي ٱلْمَشْتَاةِ نَدْعُو ٱلْجَفَلَىٰ لَا تَرَى ٱلْآدِبَ مِنَّا يَنْتَقِرْ

والممدودُ : كأَرْبَعَاءَ .

والغرضُ مِنْ ذكرِ هٰذهِ الأبنيةِ : التنبيهُ علىٰ أنَّ لأَلِفَي التأنيثِ أبنيةً مُشتبِهةً ؛ بحيثُ ينبغي عندَ رؤيةِ بعضِ الكلماتِ التي يكونُ آخِرُها أَلِفاً أن يُبحَثَ عن كونِها ممدودةً أو مقصورةً ، للتأنيثِ أو للإلحاقِ ، وهٰذا الموضعُ مِنَ المواضعِ الصَّعبةِ في اللغةِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر « ديوان حسان بن ثابت » رضي الله عنه (١/٧٤) .

(٢) هو لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٦٥) .

التقسيمُ الثالثُ

[في المُجرَّدِ والمزيدِ] (1)

الاسمُ : إمَّا مُجرَّدٌ ، وإمَّا مزيدٌ .

والمُجردُ : إمَّا ثُلاثيٌّ ، أو رُباعيٌّ ، أو خُماسيٌّ ، ولكلٍّ أنواعٌ مِنَ الأوزانِ لم يَرِدْ علىٰ غيرِها .

بيانُ أوزانِ الثُّلاثيِّ

(**فَعلٌ**) بفتحِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كسَهْلٍ وجَفْنٍ وسَيْفٍ وثَوْبٍ ، وكشَرَطٍ وحَسَنٍ وبابٍ وحَوَلٍ ، وكنَدُسٍ وعَضُدٍ ، وكفَرِحٍ وكَتِفٍ .

و(**فُعلٌ**) بضمِّ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو ضمِّهِ أو كسرِهِ ؛ كحُسْنٍ ونُعْمٍ ، وكرُطَبٍ وصُرَدٍ ، وكعُنُقٍ وسُبُلٍ ، وكدُئِلٍ ورُئِمٍ ؛ وهو قليلٌ جدّاً .

و(**فِعلٌ**) بكسرِ أوَّلِهِ ، وسكونِ ثانيهِ أو فتحِهِ أو كسرِهِ ؛ كذِكْرٍ ونِحْيٍ ، وكعِنَبٍ وقِرَبٍ ، وكإِبِلٍ .

و(**فِعُلٌ**) بكسرِ أوَّلِهِ وضمِّ ثانيهِ **غيرُ موجودٍ في اللُّغةِ** ، فأوزانُ الثُّلاثيِّ **أحدَ عشرَ** .

بيانُ أوزانِ الرُّباعيِّ

(**فَعْلَلٌ**) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كسَلْهَبٍ ، وجَعْفَرٍ .

و(**فُعْلُلٌ**) بضمٍّ فسكونٍ فضمٍّ ؛ كبُرْقُعٍ ، وبُرْثُنٍ .

---

(1) انظر « شذا العرف » (ص ١٠٩) .

و(فِعْلِلٌ) بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كزِبْرِجٍ ، وحِزْمِلٍ .

و(فِعَلٌّ) بكسرٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كفِطَحْلٍ ، وسِبَطْرٍ .

و(فِعْلَلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ ؛ كدِرْهَمٍ ، وضِفْدَعٍ .

فلهُ خمسةُ أوزانٍ ليسَ غيرُ .

بيانُ أوزانِ الخماسيِّ

[فَعَلَّلٌ] بفتحتَينِ فسكونٍ ففتحةٍ ؛ كسَفَرْجَلٍ ، وشَمَرْدَلٍ .

و(فَعْلَلِلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ففتحٍ فكسرٍ ؛ كقَهْبَلِسٍ ، وجَحْمَرِشٍ .

و[فِعْلَلٌّ] بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ فسكونٍ ؛ كقِرْطَعْبٍ ، وجِرْدَحْلٍ .

و[فُعَلِّلٌ] بضمٍّ ففتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ؛ كقُبَعْثِرٍ ، وقُذَعْمِلٍ .

فهٰذِهِ عشرونَ صيغةً لم يرِدِ اسمٌ مُجرَّدٌ علىٰ غيرِها ، فما عداها . . فمزيدٌ ؛ كمُنطلِقٍ ، ومُحْرَنْجِمٍ ، وظَريفٍ ، وحُبلىٰ ، أو ناقصٌ : كعُلَبِطٍ بضمٍّ ففتحٍ فكسرٍ ، أصلُهُ : عُلَابِطٌ ، أو أعجميُّ الوضعِ : كسَرَخْسَ وبَلَخْشٍ ، بفتحتَينِ .

والمزيدُ : كلُّ لفظٍ قامَ دليلٌ علىٰ أنَّ بعضَ حروفِهِ ليسَ أصلاً .

[أدلةُ الزيادةِ في الاسمِ تسعةٌ]

وأدلَّةُ الزيادةِ تسعةٌ :

ـ الأوَّلُ : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ أصلِها ؛ كضاربٍ وتَضارُبٍ مِنَ الضَّربِ ، فما زادَ على الضَّادِ والراءِ والباءِ التي هيَ حروفُ الأصلِ تحكمُ بزيادتِهِ لذٰلكَ .

ـ الدليلُ الثاني : سقوطُ بعضِ الكلمةِ مِنْ فرعٍ ؛ كأسبلَ الزرعُ ، [وحَظِلَتِ]

الإبلُ ؛ أي : خرجَ سنبلُ الزرعِ ، وتأذَّتِ الإبلُ مِنْ أكلِ الحنظلِ ، فنونا (سنبلٍ) و(حنظلٍ) زائدتانِ ؛ لسقوطِهما في الفرعَينِ .

ـ الدليلُ الثالثُ : لزومُ خروجِ الكلمةِ عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها ؛ كتَنْضُبٍ وتَتْفُلٍ [1] بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ ، فالتاءُ فيهما زائدةٌ لعدمِ هٰذا الوزنِ في الرُّباعيِّ المُجرَّدِ .

ـ الدليلُ الرابعُ : التكلُّمُ بالكلمةِ أربعةً مرَّةً ، وثلاثةً مرَّةً ؛ مثلاً : كأَيْطَلٍ وإِطْلٍ .

ـ الدليلُ الخامسُ : ورودُ الكلمةِ علىٰ صورتَينِ تخرجُ بإحداهُما عن أوزانِ نوعِها لو حكمنا بأصالةِ حروفِها دونَ الأخرىٰ ، فنحكمُ بالزيادةِ علىٰ كلتا الصورتَينِ ؛ لوحدةِ الكلمةِ .

ـ الدليلُ السادسُ : كونُ بعضِ الكلمةِ دالّاً علىٰ معنىً ؛ كأحرفِ المضارعةِ .

ـ الدليلُ السابعُ : وقوعُ الحرفِ مِنَ الكلمةِ الجامدةِ في [موضعٍ] لو كانَتِ الكلمةُ مُشتقَّةً . . قطعنا بزيادتِهِ ؛ كنونِ (غضنفرٍ) التي هيَ في موضعِ نونِ (جحنفلٍ) المحكومِ بزيادتِها ؛ لسقوطِها مِنْ أصلِ الكلمةِ ؛ وهيَ الجحفلةُ .

ـ الدليلُ الثامنُ : وقوعُهُ منها في موضعٍ تَغلِبُ زيادتُهُ فيهِ مِنَ المُشتقَّةِ ؛ كهمزةِ (الأفكلِ) الموازنةِ لـ (الأحمرِ) .

ـ الدليلُ التاسعُ : اختصاصُ الحرفِ بموضعٍ لا يقعُ فيهِ إلَّا حرفٌ مِنْ حروفِ الزيادةِ ؛ كالنونِ في كِنْتَأْوٍ وحِنْطَأْوٍ ، بكسرٍ فسكونٍ ففتحٍ فسكونٍ فيهِما ، والأوَّلُ يُستعمَلُ بالمثناةِ فوقُ وبالمثلثةِ : عظيمُ اللِّحيةِ ، والثاني [يُستعمَلُ] بالطاءِ والظاءِ : عظيمُ البطنِ .

---

(١) التنضب : شجر تتخذ منه السهام ، والتتفل : الثعلب أو ولده .

[ضوابطُ الزيادةِ]

وحاصل ذٰلكَ : أنَّكَ تَعرِفُ الزيادةَ والأصالةَ بمعرفةِ الاشتقاقِ ؛ فتقولُ : حروفُ الأصلِ أصولٌ ، وما عداها في الفروعِ زوائدُ ، وبضبطِ الأوزانِ التي جاءَتْ عليها الألفاظُ المقطوعُ بأصالةِ حروفِها ، فإذا سمعتَ لفظاً مُحتمِلاً للزيادةِ والأصالةِ ؛ فإن وافقَ وزنَ نوعِهِ علىٰ تقديرِ الأصالةِ . . **فأصلٌ** ، وإن لم يوافقْ . . **فزائدٌ** ، ويكونُ الحرفُ الذي تريدُ الحكمَ عليه معروفَ الزيادةِ بطريقِ الاشتقاقِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ .

مثلاً : همزةُ (إصبعٍ) تحكمُ بزيادتِها ؛ لأنَّ الاشتقاقَ دَلَّكَ علىٰ زيادتِها في أسماءِ التفضيلِ ، ومضارعِ المُتكلِّمِ ، وفي الجمعِ علىٰ أفعلٍ .

ثمَّ إنَّ خروجَ اللفظِ عن التجرُّدِ : تارةً يكونُ **بتكرُّرِ بعضِ أصولِهِ** ويُسمَّى : المُضعَّفَ ، ولا يَختصُّ التكرُّرُ ببعضِ الحروفِ دونَ بعضٍ ، وتارةً يكونُ خروجُهُ عنِ التجرُّدِ **بزيادةِ بعضِ الحروفِ** ؛ وذٰلكَ مُختصٌّ بالأحرفِ العشرةِ التي عرفتَها سابقاً (١) ، وجمعَها ابنُ مالكٍ في بيتٍ أربعَ مرَّاتٍ فقالَ (٢) : [من الطويل]

هَنَاءٌ وَتَسْلِيمٌ ، تَلَا يَوْمَ أُنْسِهِ ... نِهَايَةُ مَسْؤُولٍ ، أَمَانٌ وَتَسْهِيلُ

غيرَ أنَّ زيادةَ الهاءِ واللَّامِ قليلةٌ ، ومَثَّلوا لزيادةِ الهاءِ بقولِهِم : أَهَراقَ الماءَ ، وبـ (أُمَّهاتٍ) في جمعِ أُمٍّ ، علىٰ خلافٍ في هٰذا ، ومَنْ مَثَّلَ لزيادةِ الهاءِ بهاءِ السكتِ في نحوِ : (لِمَهْ) و(لم تَرَهْ) و(عِهْ) . . رُدَّ عليهِ بكونِ الهاءِ السكتيَّةِ كلمةً مُستقِلَّةً .

---

(١) انظر (١/١٨٦) .

(٢) انظر « شرح التصريح على التوضيح » (٢/٣٦٠) .

ومَثَّلوا للَّامِ بـ (طيْسَلٍ) و(زَيْدَلٍ) ، والأصلُ : طَيْسٌ ؛ وهو الكثيرُ ، وزَيْدٌ ، ومَنْ مَثَّلَ لها بلامِ ذٰلكَ وتلكَ . . رُدَّ عليهِ بردِّ هاءِ السَّكتِ .

ولزيادةِ بقيَّةِ الأحرفِ ضوابطُ هيَ دلائلُ حاضرةٌ معَكَ ؛ متىٰ تحقَّقَتْ . . قطعتَ بالزيادةِ ، وإلَّا . . رجعتَ للدلائلِ السابقةِ .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّهُ متىٰ صحبَتِ الأَلِفُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهيَ زائدةٌ ؛ كضارَبَ ، وعمادٍ ، وحُبْلىٰ .

ومتىٰ صحبَتِ الواوُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (**بابِ سمسمٍ**) . . فهيَ زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، وبُويِعَ .

ومتىٰ صحبَتِ الياءُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، ولم تَتصدَّرْ سابقةً أكثرَ مِنْ ثلاثةِ أصولٍ ، ولم تكنْ كلمتُها مِنْ (**بابِ سمسمٍ**) . . فهيَ زائدةٌ ؛ كيَضرِبُ فعلاً ، ويَرْمَعٍ (١) اسماً .

ومتىٰ سبقَتِ الميمُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهيَ زائدةٌ ؛ كمحمودٍ ، ومنطلقٍ ، ومَسجِدٍ ، ومِفتاحٍ .

ومتىٰ سبقَتِ الهمزةُ أكثرَ مِنْ أصلَينِ ، أو تأخَّرَتْ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ . . فهيَ زائدةٌ ؛ كاحفظْ فعلاً ، وأفضلَ اسماً مُشتقّاً ، وإصبعٍ اسماً جامداً ، وأَفلُسٍ في جمعِ فَلْسٍ ، وكحمراءَ وصحراءَ .

ومتىٰ تطرَّفَتِ النونُ مسبوقةً بأَلِفٍ مسبوقةٍ بأكثرَ مِنْ أصلَينِ ؛ كسَكرانَ وعُثمانَ ، أو تَوسَّطَتْ ساكنةً غيرَ مُضعَّفةٍ أربعةَ أحرفٍ ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ ، أو كانَتْ في بابِ (**الانفعالِ**) ؛ كانطلقَ ومُنطلقٍ ، أو بدأتِ المضارعَ . . فهيَ زائدةٌ .

---

(١) اليرمع : حجارة رخوة إذا فُتِّتت . . انفتَّت .

ومتىٰ كانَتِ التاءُ في بابِ (**التفعُّلِ**) كالتفهُّمِ ، أوِ (**التَفَعْلُلِ**) كالتَّدحرجِ ، أوِ (**التَّفاعُلِ**) كالتَّعاوُنِ ، أوِ (**الافتعالِ**) كالاقترابِ ، أوِ (**الاستفعالِ**) كالاستخراجِ ؛ وهوَ الموضعُ الذي تقطعُ بزيادةِ السينِ فيهِ ، أو كانَتِ التاءُ في (**التفعيلِ** ، أوِ **التَّفعالِ**) ، أو كانَتْ للتأنيثِ ، أو بدأَتِ المضارعَ . . فهيَ زائدةٌ .

❋ ❋ ❋

التقسيمُ الرابعُ
[في المقصورِ والممدودِ والمنقوصِ]

الاسمُ إن كانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . سُمِّيَ : **مقصوراً** ، وإنْ كانَ آخِرُهُ همزةً بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ . . سُمِّيَ : ممدوداً ، وإن كانَ آخِرُهُ ياءً مكسوراً ما قبلَها . . سُمِّيَ : منقوصاً ، وليسَ في الأسماءِ ما يكونُ آخِرُهُ واواً مضموماً ما قبلَها .

وألفُ المقصورِ : إمَّا أصلٌ بدلٌ مِنْ واوٍ ؛ كعصاً وقفاً ، بدليلِ عصوتُهُ وقفوتُهُ ، أو مِنْ ياءٍ ؛ كفتىً ورحىً .

وإمَّا زائدةٌ للتأنيثِ ؛ كحُبلىٰ وذِكرىٰ ، أو **للإلحاقِ** ؛ كذِفرىً وأَرطىً علىٰ ما سبقَ [١] .

وهمزةُ الممدودِ : إما أصلٌ ؛ كقَرَّاءٍ ووَضَّاءٍ مِنْ [قرأَ] [٢] ووَضُؤَ .

وإمَّا بدلٌ مِنْ أصلٍ واوٍ أو ياءٍ ؛ ككِساءٍ مِنَ الكسوةِ ، وولاءٍ مِنَ الوَلْيِ .

وإمَّا بدلٌ مِنْ زائدةٍ للتأنيثِ ؛ كحمراءَ وصحراءَ ، أو **للإلحاقِ** ؛ كـ (عِلْبَاءٍ) المُلحَقِ بزيادةِ الياءِ المُبدلةِ همزةً بـ (قِرْطَاسٍ) مِنَ الصحيحِ .

* * *

---

(١) انظر (١/٢٤٤) .

(٢) في الأصل : (قرء) .

التقسيمُ الخامسُ
[في المُفرَدِ والمُثنَّىٰ والجمعِ] (١)

الاسمُ : إمَّا مُفرَدٌ ، وإمَّا مُثنّىً ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للذُّكورِ ، وإمَّا جمعُ تصحيحٍ للإناثِ ، وإمَّا جمعُ تكسيرٍ ؛ تارةً يكونُ مُشترَكاً ، وتارةً يكونُ مُختصّاً ، كما ستقفُ عليه عندَ تفصيلِهِ .

فالمُثنَّى : اسمٌ مُشترَكٌ بينَ شيئَينِ تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ على اثنَينِ أو اثنتَينِ .

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الذُّكورِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثةِ أشياءَ فأكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ واواً ونوناً في حالٍ ، وياءً ونوناً في حالٍ ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنِ اثنَينِ .

وأمَّا جمعُ تصحيحِ الإناثِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ ثلاثِ إناثٍ أو أكثرَ ، تزيدُ بعدَهُ أَلِفاً فتاءً ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنِ اثنتَينِ .

وأمَّا جمعُ التكسيرِ . . فهوَ اسمٌ مُشترَكٌ بينَ أكثرَ مِنْ شيئَينِ ، تُغَيِّرُهُ إلىٰ صورةٍ مِنَ الصُّورِ الآتي بيانُها ؛ ليَدُلَّ علىٰ أكثرَ مِنْ شيئَينِ .

الكلامُ على المثنىٰ

الاسمُ الذي تريدُ تثنيتَهُ :

إن كانَ مقصوراً ؛ فإن زادَ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ . . وجبَ إبدالُ أَلِفِهِ ياءً ؛ كـ (حُبْلَيَانِ ، ومُصْطَفَيَانِ) وإن لم يَزِدْ ؛ فإنْ كانَتْ أَلِفُهُ بدلَ واوٍ . . عادَتِ

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ١٧٤) .

الواوُ ؛ كـ (عَصَوَانِ ، وقَفَوَانِ) وإن كانَتْ بدلَ ياءٍ . . عادَتِ الياءُ ؛ كـ (فَتَيَانِ ، ورَحَيَانِ) ويُعرَفُ ذٰلكَ بالتتبعِ .

وإن كانَ الاسمُ ممدوداً : فإن كانَتْ همزتُهُ للتأنيثِ . . أُبدِلَتْ واواً ؛ كـ (حَمْراوانِ ، وصَحْراوانِ) وإن كانَتْ أصلاً . . لم تُبدَلْ ؛ كـ (قَرَّاءانِ ، ووَضَّاءانِ) وإن كانَتْ غيرَ ما ذُكِرَ . . جازَ إبدالُها واواً ، والأحسنُ إبقاؤُها ، فتقولُ : عِلْباوانِ وكِساوانِ مثلاً ، والأحسنُ : عِلْباءانِ وكِساءانِ .

وإن كانَ الاسمُ غيرَ ما ذُكِرَ . . فتحتَ آخِرَهُ فقطْ ؛ كـ (زيدانِ ، وقاضيانِ) والنونُ التي تزيدُها للتثنيةِ مكسورةٌ .

الكلامُ علىٰ جمعِ تصحيحِ الذُّكورِ

الاسمُ الذي تريدُ جمعَهُ :

إن كانَ مقصوراً . . حذفتَ أَلِفَهُ .

وإن كانَ ممدوداً . . عملتَ بهِ عملَكَ بالمُثَنَّىٰ .

وإن كانَ منقوصاً . . حذفتَ ياءَهُ ، وضممتَ آخِرَ ما بقيَ معَ الواوِ ، وكسرتَ معَ الياءِ ، كما هوَ الحالُ في بقيَّةِ الأسماءِ غيرِ المقصورةِ .

ولا يُجمَعُ هٰذا الجمعَ إلَّا الأسماءُ الخاليةُ مِنْ تاءِ التأنيثِ والتركيبِ ؛ مِنْ أسماءِ الذُّكورِ العُقلاءِ ، أو أوصافِهِمُ الواردةِ علىٰ غيرِ (أفعلَ ، فَعلاءَ) بالفتحِ والمدِّ ، و(فَعلانَ ، فَعلىٰ) بالفتحِ والقصرِ ، وليسَتْ مِنَ الأوصافِ التي يستوي فيها المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ .

الكلامُ علىٰ جمعِ المؤنَّثِ السالمِ

تُعامَلُ الأسماءُ في هٰذا الجمعِ معاملتَها في التثنيةِ ، وصورةُ المفردِ عندَ

زيادةِ الأَلِفِ والتاءِ بعدَهُ ؛ لتقومَ صيغةُ هٰذا الجمعِ . . محفوظةٌ ، لا يَعرِضُ لها تَغيُّرٌ إلَّا في الأسماءِ ذواتِ التاءِ ؛ فإنَّها تُحذَفُ تاؤُها ، وإلَّا في الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ الساكنةِ العينِ التي لم تكنْ عينُها مُضعَّفةً ولا حرفَ عِلَّةٍ ؛ فإنَّها إذا كانَتْ مفتوحةَ الفاءِ . . وجبَ فتحُ عينِها عندَ الجمعِ ؛ كخَطْوةٍ وخَطَواتٍ ، وجَفْنةٍ وجَفَناتٍ ، ووَثْبةٍ ووَثَباتٍ ، ودَعْدَ ودَعَداتٍ .

وإذا كانَتْ مضمومةَ الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ : الضمُّ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُ الكلمةِ ياءً ، فإنَّهُ يَمتنِعُ ضمُّ العينِ ، ويجوزُ الوجهانِ الآخَرانِ ؛ فتقولُ في جمعِ غُرْفةٍ وخُطْوةٍ : غُرفاتٌ وخُطواتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ زُبْيةٍ : زُبياتٌ ، بتسكين الباءِ وفتحِها لا بضمِّها .

وإذا كانَتْ مكسورةَ الفاءِ . . جازَ في العينِ ثلاثةُ أوجهٍ أيضاً : الكسرُ ، والتسكينُ ، والفتحُ ، إلَّا إذا كانَتْ لامُها واواً ، فإنَّهُ يمتنعُ الكسرُ ؛ فتقولُ في جمعِ كِسْرةٍ : كِسراتٌ ، بالأوجهِ الثلاثةِ ، وفي جمعِ : ذِرْوةٍ : ذرواتٌ ، بالتسكينِ والفتحِ .

تنبيهٌ
[علىٰ أنَّ المرادَ بالاسمِ في الجموعِ ما يقابلُ الصفةَ]

المرادُ بالاسمِ في أبوابِ الجُموعِ : ما قابلَ الصفةَ ؛ فنحوُ : (ضَخْمةٍ) بفتحِ الضَّادِ وسكونِ الخاءِ . . صفةٌ مِنَ الضَّخامةِ ، إذا جمعتَها . . قلتَ : ضَخْماتٌ ، بسكونِ الخاءِ لا غيرُ ؛ لِمَا عرفتَ مِنْ أنَّ فتحَ العينِ إتباعاً لفتحِ الفاءِ . . إنَّما هوَ في الأسماءِ ؛ كجَفْنةٍ وشَرْبةٍ .

الكلامُ علىٰ جمعِ التكسيرِ

هوَ نوعانِ :

جمعُ قِلَّةٍ : يُستعمَلُ في العَشَرةِ فما دونَها إلى الثَّلاثةِ .

وجمعُ كثرةٍ : يُستعمَلُ في الثَّلاثةِ فما فوقَها إلىٰ غيرِ نهايةٍ .

ولكلٍّ صيغٌ ؛ منها ما كثُرَ واشتَهرَ ، ومنها ما قَلَّ ونَدَرَ ، والمقصودُ في هٰذا البابِ ضبطُ الكثيرِ المُشتَهِرِ ؛ لتقليلِ الانتشارِ ، وسهولةِ الحفظِ .

صيغُ جمعِ القِلَّةِ

هيَ أربعٌ :

أَفْعِلةٌ : بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ .

وأَفْعالٌ : بفتحٍ فسكونٍ .

وأَفْعُلٌ : بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ .

وفِعْلَةٌ : بكسرٍ فسكونٍ .

❊ ❊

الصِّيغةُ الأُولىٰ : تكونُ جمعاً لكلِّ اسمِ مُذكَّرٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كطعامٍ وأَطعِمةٍ ، وجِرابٍ وأَجرِبةٍ ، وغُرابٍ وأَغرِبةٍ ، ورَغيفٍ وأرغِفةٍ ، وسَريرٍ [وأسِرَّةٍ] ، وعَمودٍ وأَعمِدةٍ .

وما كانَ مِنْ أسماءِ هٰذا النوعِ الذي يُجمَعُ هٰذا الجمعَ مفتوحَ الفاءِ أو مكسورَها ، مُضعَّفاً ، أو مُعتلَّ اللَّامِ ومَدَّتُهُ أَلِفٌ . . لم يكنْ لهُ جمعٌ غيرُ هٰذا ؛ كبَتَاتٍ وأَبِتَّةٍ ، وكزِمامٍ وأَزِمَّةٍ ، وكقَباءٍ وأَقبيةٍ ، وكإِناءٍ وآنيةٍ .

❊ ❊

صيغةُ (أَفْعَالٍ) : تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ ثُلاثيٍّ علىٰ أيِّ صورةٍ ، إلَّا ما كانَ منها موازناً لـ (فُعَل) بضمٍّ ففتحٍ ، فإنَّ هٰذهِ الصِّيغةَ فيهِ قليلةٌ ، والكثيرُ

غيرُها كما سيأتي التنبيهُ عليه[1] ، وإلَّا ما وازنَ (فَعْلاً) بفتحِ فسكونٍ ، وصَحَّتْ عينُهُ ، ولم تكنْ فاؤُهُ واواً ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ؛ كفَلْسٍ وكَلْبٍ ، فإنَّ هٰذهِ الصِّيغةَ لا تكونُ جمعاً لهُ إلَّا نادراً جدّاً ؛ كقولِهِ[2] : [من البسيط]

مَـاذَا تَـقُـولُ لِأَفْـرَاخٍ بِـذِي سَـلَـمٍ

وما عدا هٰذَينِ النوعَينِ مِنَ الأسماءِ الثُّلاثيَّةِ : فتلكَ الصِّيغةُ فيهِ إمَّا لازمةٌ ، وإمَّا أكثرُ مِنْ غيرِها ؛ كبَيْتٍ وأبياتٍ ، وثَوْبٍ وأثوابٍ ، ووقتٍ وأوقاتٍ ، وجَدٍّ وأجدادٍ .

صيغةُ (أَفْعُلٍ) : تكونُ جمعاً لنوعَينِ مِنَ الأسماءِ : أحدُهُما : كلُّ اسمٍ موازنٍ لـ (فَعْلٍ) الذي سبقَ أنَّهُ لا يُجمَعُ علىٰ أفعالٍ ؛ ككَلْبٍ وأَكْلُبٍ ، وفَلْسٍ وأَفْلُسٍ ، وجَرْوٍ وأَجْرٍ ، وظَبْيٍ وأَظْبٍ .

وما كانَ مِنْ هٰذا النوعِ واويَّ اللَّامِ أو يائيَّها . . تُكسَرُ عينُهُ في الجمعِ ، وتُحذَفُ لامُهُ إن وَلِيَها ساكنٌ ، كما رأيتَ في أَجْرٍ وأَظْبٍ .

وثانيهِما : كلُّ اسمٍ مُؤنَّثٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ؛ كعَناقٍ بفتحِ أوَّلِهِ وأَعْنُقٍ ، وذِراعٍ بكسرِ أوَّلِهِ علىٰ لغةِ تأنيثِها وأَذْرُعٍ ، ولِسانٍ كذٰلكَ وأَلْسُنٍ ، وعُقابٍ بضمِّ أوَّلِهِ وأَعْقُبٍ ، ويَمينٍ وأَيْمُنٍ .

صيغةُ (فِعْلَةٍ) : هيَ مِنَ النوادرِ ؛ لكونِها لم تَرِدْ إلَّا في أسماءٍ معدودةٍ ،

---

(١) انظر (١/٢٦٣ ـ ٢٦٤) .

(٢) هو للحطيئة في « ديوانه » (ص ١٩١) ، وفيه :

مَـاذَا تَـقُـولُ لِأَفْـرَاخٍ بِـذِي مَـرَخٍ ... حُمْرِ ٱلْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ

ويُروىٰ أيضاً : (زغب الحواصل . . .) .

وإنَّما ذُكِرَتْ لاستيفاءِ جموعِ القِلَّةِ ؛ سُمِعَ : صِبْيَةٌ في جمعِ صبيٍّ وصبيَّةٍ ، وفِتْيَةٌ في جمعِ فتىً ، وغِلْمةٌ في جمعِ غلامٍ ، وغِزْلةٌ في جمعِ غزالٍ ، وثِيرةٌ في جمعِ ثورٍ ، وشِيخةٌ في جمعِ شيخٍ ، وثِنْيةٌ في جمعِ ثِنْيٍ بضمِّ المثلثةِ أو كسرِها وسكونِ النونِ ؛ وهوَ الثاني في السيادةِ .

صيغُ جموعِ الكثرةِ

هيَ سبعَ عشرةَ :

الصِّيغةُ الأُولىٰ : (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ صفةٍ توازنُ (أفعلَ) أو (فعلاءَ) كأحمرَ وحمراءَ وحُمْرٍ ، فإنْ كانَتْ عينُ الكلمةِ ياءً ؛ كأبيضَ وبيضاءَ . . كُسِرَتْ فاءُ الجمعِ ؛ كبِيضٍ وغِيدٍ .

❊

الصِّيغةُ الثانيةُ : (فُعُلٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوعٍ مِنَ الأوصافِ .

ـ فالأوَّلُ : كلُّ اسمٍ رُباعيٍّ قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، ولم تكنْ لامُهُ حرفَ عِلَّةٍ ، ولم يكنْ مُضعَّفاً ومَدَّتُهُ أَلِفٌ ؛ كحمارٍ وحُمُرٍ ، وأتانٍ وأُتُنٍ ، وسريرٍ وسُرُرٍ ، وعَمودٍ وعُمُدٍ .

ـ والثاني : كلُّ وصفٍ علىٰ وزنِ (فَعُولٍ) بمعنىٰ فاعلٍ ؛ كصَبورٍ وصُبُرٍ ، وصَدوقٍ وصُدُقٍ .

❊

الصِّيغةُ الثالثةُ : (فُعَلٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ مِنَ الأسماءِ ، ونوعٍ مِنَ الأوصافِ .

ـ **فالأوَّلُ** : كلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَةٍ) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كبُرْمَةٍ وبُرَمٍ ، وقُرْبَةٍ وقُرَبٍ ، وغُرْفَةٍ وغُرَفٍ .

فإن كانَتْ لامُ الكلمةِ واواً أو ياءً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً في الجمعِ ؛ كرَبْوَةٍ ورُبىً ، وزُبْيَةٍ وزُبىً ، ومُنْيَةٍ ومُنىً .

ـ **والثاني** : كلُّ صفةٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ في تأنيثِ (أفعلَ) للتفضيلِ ؛ كالكُبْرَىٰ والكُبَرِ ، والدُّنْيَا والدُّنَا ، والعُلْيَا والعُلَا ، والقُصْوَىٰ والقُصَىٰ ؛ بحذفِ أَلِفِ التأنيثِ ، وإبدالِ الأَلِفِ مِنَ الواوِ والياءِ .

الصِّيغةُ الرابعةُ : (فِعَلٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ يوازنُ (فِعْلةً) بكسرٍ فسكونٍ ، كقِرْبَةٍ وقِرَبٍ ، ودِيمَةٍ ودِيَمٍ .

وربَّما نابَتْ هٰذهِ الصِّيغةُ عن سابقتِها ، ونابَتْ سابقتُها عنها ؛ كصُورةٍ وقُوَّةٍ بالضمِّ ، وصِوَرٍ وقِوىً [بالكسرِ] ، وكحِلْيةٍ ولِحْيةٍ بالكسرِ ، وحُلىً ولُحىً بالضمِّ .

الصِّيغةُ الخامسةُ : (فُعَلَةٌ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لوصفِ عاقلٍ علىٰ وزنِ (فاعلٍ) منقوصٍ ، وتُقَلبُ الياءُ فيها أَلِفاً ؛ كداعٍ ودُعاةٍ ، وراوٍ ورُواةٍ .

الصِّيغةُ السادسةُ : (فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ، تكونُ جمعاً لفاعلٍ وصفِ عاقلٍ صحيحِ اللَّامِ ، فإن كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً . . أُبدِلَتْ أَلِفاً ؛ مثلُ : كاملٍ وكَمَلَةٍ ، وبائعٍ وبَاعَةٍ .

الصِّيغةُ السابعةُ : (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ وأَلِفِ التأنيثِ المقصورةِ ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ فيهِ معنى الآفةِ أوِ الهلاكِ ؛ كمَرِيضٍ ومَرْضَىٰ ، وأَسِيرٍ وأَسْرَىٰ ، وشَتِيتٍ وشَتَّىٰ ، وجَرِيحٍ وجَرْحَىٰ ، وأَحْمَقَ وحَمْقَىٰ ، وسَكْرَانَ وسَكْرَىٰ ، وقَتِيلٍ وقَتْلَىٰ ، وهالكٍ وهَلْكَىٰ ، وزَمِنٍ وزَمْنَىٰ ، ومَيِّتٍ ومَوْتَىٰ ، ولكونِ عَتيقٍ يقعُ في مقابلةِ أسيرٍ قيلَ في جمعِهِ : عَتْقَىٰ .

* *

الصِّيغةُ الثامنةُ : (فِعَلَةٌ) بكسرٍ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لاسمٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فُعْلاً) بضمٍّ فسكونٍ ؛ كدُرْجٍ ودِرَجَةٍ ، وكُوزٍ وكِوَزَةٍ ، وحُبٍّ وحِبَبَةٍ .

*

الصِّيغةُ التاسعةُ : (فُعَّلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ، تكونُ جمعاً لكلِّ وصفٍ مُذكَّرٍ أو مُؤنَّثٍ صحيحِ اللَّامِ يوازنُ (فاعلاً) كعاذلٍ وعاذلةٍ وعُذَّلٍ ، وصائمٍ وصائمةٍ وصُوَّمٍ .

الصِّيغةُ العاشرةُ : (فُعَّالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ وبعدَهُ أَلِفٌ ، تكونُ جمعاً لمُذكَّرِ الصِّيغةِ الماضيةِ ؛ فلهُ صيغتانِ .

*

الصِّيغةُ الحاديةَ عشرةَ : (فِعَالٌ) بكسرِ أوَّلِهِ ، تكونُ جمعاً بكثرةٍ لثمانيةِ أنواعٍ :

ـ أحدُها وثانيها : (فَعْلٌ) و(فَعْلَةٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، اسمَينِ أو وصفَينِ ، ليسَتْ عينُهُما ياءً ؛ مثلُ : كَلْبٍ وكَلْبةٍ وكِلَابٍ ، وصَعْبٍ وصَعْبةٍ وصِعَابٍ ، وتُبَدَّلُ الواوُ ياءً ؛ كثَوْبٍ وثِيَابٍ .

ـ **وثالثُها ورابعُها** : (فَعَلٌ) و(فَعَلَةٌ) بفتَحاتٍ ؛ اسمَينِ صحيحَي اللَّامِ ، ليسَتْ عينُهُما [ولامُهُما] مِنْ جنسٍ ؛ مثلُ : جَمَلٍ وجِمَالٍ ، ورَقَبَةٍ ورِقَابٍ .

ـ **وخامسُها** : (فِعْلٌ) بكسرٍ [فسكونٍ] اسماً ؛ كقِدْحٍ وقِدَاحٍ ، وذِئْبٍ وذِئَابٍ ، ونِهْيٍ ونِهَاءٍ .

ـ **وسادسُها** : (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، اسماً صحيحَ اللَّامِ ؛ كرُمْحٍ ورِمَاحٍ ، وجُبٍّ وجِبَابٍ .

ـ **وسابعُها وثامنُها** : (فَعِيلٌ) و(فَعِيلَةٌ) وصفَيْ (بابِ كَرُمَ) صحيحَي اللَّامِ ؛ كظريفٍ وظريفةٍ وظِرَافٍ ، وتلزمُ صيغةُ (فِعَالٍ) فيما عينُهُ واوٌ مِنْ هـٰذا النوعِ ، فلا يُجمَعُ علىٰ غيرِ هـٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كطويلٍ وطويلةٍ وطِوالٍ .

وشاعَتْ هـٰذهِ الصِّيغةُ أيضاً في كلِّ وصفٍ علىٰ (فَعْلانَ) بفتحٍ فسكونٍ للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) للمؤنثِ ، و(فُعْلانَ) بضمٍّ فسكونٍ لهُ ، و(فُعْلَانةٍ) لها ؛ كغَضْبانَ وغَضْبىٰ وغِضَابٍ ، وعَطْشانَ وعَطْشىٰ وعِطاشٍ ، وكخُمْصانٍ وخُمْصانةٍ وخِماصٍ .

الصِّيغةُ الثانيةَ عشرةَ : (فُعُولٌ) بضمَّتَينِ ، تكونُ جمعاً لخمسةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

ـ **النوعُ الأوَّلُ** : (فَعِلٌ) بفتحٍ فكسرٍ ؛ مثلُ : كَبِدٍ وكُبُودٍ ، وكَرِشٍ وكُرُوشٍ .

ـ **النوعُ الثاني** : (فَعْلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا وصفاً ، وألَّا تكونَ عينُهُ واواً ؛ كفَلْسٍ وفُلُوسٍ ، وقَلْبٍ وقُلُوبٍ ، وبَيْتٍ وبُيُوتٍ ، ودَلْوٍ ودُلِيٍّ ، ونَهْيٍ ونُهِيٍّ ، وفي مثلِ هـٰذَينِ تُقلَبُ واوُ (فُعُولٍ) ياءً ، وتُدغَمُ في الياءِ ؛ **لقاعدةِ** : (متى اجتمعَ واوٌ وياءٌ وسُبِقَتْ إحداهُما بالسكونِ . . قُلِبَتِ

الواوُ ياءً ويُدغَمُ الأوَّلُ في الثاني) فلا يُجمَعُ الوصفُ ؛ كصَعْبٍ ولا واويُّ العينِ ؛ كحوضٍ على هٰذهِ الصِّيغةِ إلَّا نادراً .

ـ النوعُ الثالثُ : (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا تكونَ عينُهُ واواً ، وألَّا تكونَ لامُهُ ياءً ، وألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ مثلُ : جُنْدٍ وجُنُودٍ ، وبُرْدٍ وبُرُودٍ ، فلا يُجمَعُ على هٰذه الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحُلْوٍ ، ولا واويُّ العينِ ؛ كحُوتٍ ، ولا يائيُّ اللَّامِ ؛ كمُدْيٍ لنوعٍ مِنَ المَكاييلِ ، ولا مضاعفٌ ؛ كخُفٍّ .

ـ النوعُ الرابعُ : (فِعْلٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ؛ كقِرْدٍ وقُرُودٍ ، وحِمْلٍ وحُمُولٍ ، ونِحْيٍ ونُحِيٍّ ، ونِهْيٍ ونُهِيٍ لغةٌ في النَّهْيِ [مفتوحَ] الأوَّلِ ؛ اسمٌ للنهرِ الصغيرِ ، وتُلحَظُ فيهِ وفي أمثالِهِ قاعدةُ الواوِ والياءِ ، فلا يُجمَعُ على هٰذهِ الصِّيغةِ وصفٌ ؛ كحِلْفٍ .

ـ النوعُ الخامسُ : (فَعَلٌ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، وألَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ كأَسَدٍ وأُسُودٍ ، وذَكَرٍ وذُكُورٍ ، ورَحىً ورُحِيٍّ ، وعصاً وعُصِيٍّ ، وكلُّ ما تَصرَّفتَ فيهِ بقاعدةِ الواوِ والياءِ . . يجوزُ كسرُ أوَّلِهِ إتباعاً لثانيهِ ؛ لتخفيفِ النطقِ فتقولُ : عِصِيٌّ بكسرِ العينِ ، ورِحِيٌّ ودِلِيٌّ كذٰلكَ ، فلا يُجمَعُ على هٰذهِ الصِّيغةِ الوصفُ منهُ ؛ كحَسَنٍ وبَطَلٍ ، ولا المُضعَّفُ ؛ كَلَبَبٍ وعَدَدٍ .

❁

الصِّيغةُ الثالثةَ عشرةَ : (فِعْلانٌ) بكسرٍ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لأربعةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

ـ النوعُ الأوَّلُ : (فُعَالٌ) بضمِّ أوَّلِهِ ؛ كغُلامٍ وغِلْمانٍ ، وغُرابٍ وغِرْبانٍ ، وقُرادٍ وقِرْدانٍ .

ـ النوعُ الثاني : (فُعَلٌ) بضمٍّ ففتحٍ ؛ كصُرَدٍ وصِرْدانٍ لطيرٍ ، وجُرَذٍ وجِرْذانٍ

لنوعٍ مِنَ الفأرِ ، وغلبَ الاكتفاءُ بهٰذهِ الصيغةِ في جمعِ هٰذا النوعِ عن صيغةِ (أفعالٍ) التي هيَ جمعُ القِلَّةِ لغالبِ الثُّلاثيَّاتِ .

ـ **النوعُ الثالثُ** : (فُعْلٌ) بضمٍّ فسكونٍ واويَّ العينِ ؛ كحُوتٍ وحِيتانٍ ، ونُونٍ ونِينانٍ ، وكُوزٍ وكِيزانٍ .

ـ **النوعُ الرابعُ** : (فَعَلٌ) بفتحتَينِ واويَّ العينِ أيضاً ؛ كقاعٍ وقِيعانٍ ، وبابٍ وبِيبانٍ ، ولحركةِ الواوِ وفتحِ ما قبلَها في هٰذا النوعِ تُبدَلُ أَلِفاً ؛ بحكمِ **قاعدةِ** : (متىٰ تَحرَّكَتِ الواوُ أوِ الياءُ وانفتحَ ما قبلَها . . قُلِبَتْ أَلِفاً) .

❊

الصِّيغةُ الرابعةَ عشرةَ : (فُعْلانٌ) بضمٍّ فسكونٍ ، تكونُ جمعاً لثلاثةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

ـ **النوعُ الأوَّلُ** : (فَعْلٌ) بفتحٍ فسكونٍ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً لا صفةً ؛ كبَطْنٍ وبُطْنانٍ ، وسَيْفٍ وسُوفانٍ ، وتُبدَلُ الياءُ واواً لأجلِ الضمَّةِ .

ـ **النوعُ الثاني** : (فَعِيلٌ) بشرطِ أن يكونَ اسماً أيضاً ؛ مثلُ : كَثِيبٍ وكُثْبانٍ ، وغَديرٍ وغُدْرانٍ ، وقَضِيبٍ وقُضْبانٍ .

ـ **النوعُ الثالثُ** : (فَعَلٌ) بفتحتَينِ ، بشرطِ أن يكونَ اسماً ، صحيحَ العينِ ؛ كحَمَلٍ وحُمْلانٍ ، وذَكَرٍ وذُكْرانٍ .

الصِّيغةُ الخامسةَ عشرةَ : (فُعَلاءُ) بضمٍّ ففتحٍ ، تكونُ جمعاً لنوعٍ واحدٍ مِنَ المفرداتِ ؛ وهوَ (فَعِيلٌ) مِنْ أوصافِ الفاعلينَ ، بشرطِ أَلَّا تكونَ عينُهُ واواً ، وبشرطِ أَلَّا يكونَ مُعتلَّ اللَّامِ ، وبشرطِ أَلَّا يكونَ مُضعَّفاً ؛ نحوُ : بَخِيلٍ وبُخَلاءَ ، وكَرِيمٍ وكُرَماءَ ، ونَبِيهٍ ونُبَهاءَ ، وحُمِلَ عليهِ مِنْ (فاعلٍ)

ما دلَّ علىٰ ما يُشبِهُ المطبوعَ ؛ كصالحٍ وصُلَحاءَ ، وفاسقٍ وفُسَقاءَ ، وعاقلٍ وعُقَلاءَ .

❊ ❊ ❊

الصِّيغةُ السادسةَ عشرةَ : (أَفْعِلاءَ) بفتحٍ فسكونٍ فكسرٍ ، تكونُ جمعاً لنوعَينِ :

ـ **أحدُهُما** : (فَعِيلٌ) المُضعَّفُ ؛ كخَلِيلٍ وأَخِلَّاءَ ، وجَلِيلٍ وأَجِلَّاءَ ، وذَلِيلٍ وأَذِلَّاءَ ، وعزيزٍ وأَعِزَّاءَ .

ـ **وثانيهِما** : (فَعِيلٌ) مُعتلُّ اللَّامِ ؛ كنَبِيٍّ وأَنْبِياءَ ، وتَقِيٍّ وأَتْقِياءَ ، ووَلِيٍّ وأَوْلِياءَ .

❊ ❊

الصِّيغةُ السابعةَ عشرةَ : صيغةٌ تُسمَّىٰ صيغةَ منتهى الجموعِ ، والجمعَ الذي لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ؛ وذٰلكَ أنَّ صيغَ الجموعِ ربَّما جُعِلَتْ مفرداتٍ وجُمِعَتْ ، فيكونُ جمعُها جمعَ الجمعِ ؛ كأفراسٍ جمعَ فَرَسٍ ، يُجمَعُ علىٰ أَفارِسَ ، وحينَئذٍ يكونُ لكلِّ صيغةٍ مِنَ الصِّيغِ السالفةِ نظيرٌ مِنَ المفرداتِ ؛ مثلاً : غِرْبانٌ جمعَ غُرابٍ ؛ **نظيرُهُ في المفرداتِ** : سِرْحانٌ اسماً للذئبِ ، وحُمْرٌ جمعَ أحمرَ ، **نظيرُهُ في المفرداتِ** : قُفْلٌ ، وهٰكذا ، وهٰذهِ الصِّيغةُ لا تُجمَعُ ، وليسَ لها في المفرداتِ نظيرٌ ، ولذٰلكَ مُنِعَتِ الصَّرفَ كما تَعرِفُهُ في علمِ النحوِ .

ثمَّ إنَّ هٰذهِ الصِّيغةَ تكونُ علىٰ أوزانٍ شتَّىٰ ، **وضابطُها** : أنَّها مُتحصِّلةٌ مِنْ خمسةِ أحرفٍ إذا لم يكنْ قبلَ آخرِ المفردِ حرفُ لينٍ ، وإلَّا . . كانَتْ ستةَ أحرفٍ ؛ حرفانِ مُتحرِّكانِ بعدَهُما أَلِفٌ ، وبعدَ الأَلِفِ حرفٌ مكسورٌ ، وآخِرُ الصِّيغةِ أو بينَهُما ياءٌ ساكنةٌ ؛ كصَيْرَفٍ وصيارفَ ، وفرعونَ وفراعينَ .

[تفصيلُ أوزانِ منتهى الجموعِ]

تفصيلُ أوزانِها :

الوزنُ الأوَّلُ : (فواعلُ) يكونُ جمعاً لستةِ أنواعٍ مِنَ المفرداتِ :

ـ **النوعُ الأوَّلُ** : (فَوْعَلٌ) كجوهرٍ وجواهرَ ، وجوربٍ وجواربَ ، وصومعةٍ وصوامعَ .

ـ **النوعُ الثاني** : (فاعَلٌ) بفتحِ ثالثِهِ ؛ كطَابَعٍ وطوابعَ ، وخاتَمٍ وخواتمَ ، وقالَبٍ وقوالبَ .

ـ **النوعُ الثالثُ** : (فاعِلاءُ) بكسرِ ثالثِهِ ؛ كقاصِعاءَ وقَواصعَ ، ونافِقاءَ ونوافقَ ، وراهِطاءَ ورواهطَ ؛ أسماءُ أبوابِ جُحْرِ اليربوعِ .

ـ **النوعُ الرابعُ** : كلُّ اسمٍ غيرِ صفةٍ يوازنُ (فاعِلاً) مثلُ : كاهلٍ وكواهلَ ، وعامرٍ وعوامرَ ، وجابرٍ وجوابرَ .

ـ **النوعُ الخامسُ** : أوصافُ الإناثِ الموازنةُ لـ (فاعِلٍ) مُختتَمةً بالتاءِ أو لا ؛ كحائضٍ وحوائضَ ، وفارِكٍ وفوارِكَ ؛ وهيَ المُبغِضةُ لزوجِها ، وصائمةٍ وصوائمَ ، وقائمةٍ وقوائمَ .

ـ **النوعُ السادسُ** : أوصافُ غيرِ العُقلاءِ الموازنةُ لـ (فاعِلٍ) كصاهلٍ وصواهلَ ، وناهقٍ ونواهقَ .

الوزنُ الثاني مِنْ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ : (فَعائِلُ) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ [رابعِهِ] ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مُؤنَّثٍ ، قبلَ آخِرِهِ مَدَّةٌ ، مُختتَمٍ بالتاءِ ؛ كسَحابةٍ وسحائبَ ، ورِسالةٍ بكسرِ أوَّلِهِ ورسائلَ ، وذُؤابةٍ بضمِّ أوَّلِهِ وذوائبَ ، وحَمُولةٍ بفتحِ أوَّلِهِ وحمائلَ ، وفَعِيلةٍ بفتحِ أوَّلِهِ ؛ كصَحيفةٍ وصحائفَ ،

وخَمِيلةٍ وخَمائلَ ، وتُجمَعُ الأوصافُ الموازنةُ لـ (فَعِيلةٍ) بهـٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كعقيلةٍ وعقائلَ ، وكريمةٍ وكرائمَ ؛ إن لم تكنْ بمعنىٰ (مفعولٍ) كجريحةٍ وقتيلةٍ .

❋

الوزنُ الثالثُ : (فَعالِي) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وآخِرُهُ ياءٌ ، وتُبدَلُ الياءُ أَلِفاً في البعضِ ، فيُفتَحُ ما قبلَها ضرورةً ، وقدِ التُزمَتِ الهيئةُ الأُولىٰ في بعضِ المفرداتِ ، والتُزمَتِ الثانيةُ في بعضٍ آخَرَ ، ووردَ كلٌّ منهُما في بعضٍ ثالثٍ ، فأنتَ بالخيارِ بينَهُما .

فممَّا التُزمَتْ فيهِ الأُولىٰ : حِذْرِيَةٌ بكسرٍ فسكونٍ فكسرٍ [فياءٍ] خفيفةٍ ؛ اسمٌ للقطعةِ الغليظةِ مِنَ الأرضِ ، والأَكَمةِ ، فجمعُها : [حَذارٍ] لا غيرُ ، وسِعْلَاةٌ بكسرٍ فسكونٍ ؛ اسمُ ساحراتِ الجِنِّ ؛ فجمعُهُ : [سَعالٍ] ، وعَرْقُوةٌ بفتحٍ فسكونٍ فضمٍّ فواوٍ خفيفةٍ ؛ كتَرْقُوةٍ ، فالجمعُ : [عَراقٍ وتَراقٍ] ، والعَرْقُوةُ : هيَ الخشَباتُ التي تُجعَلُ للدِّلاءِ مِنْ فوقٍ يُربَطُ فيها الرِّشاءُ ، والتَّرْقُوةُ : العظمُ الذي يلي العنقَ إلى الكتفِ مِنْ أعلى الصَّدرِ .

وممَّا التُزمَتْ فيهِ الثانيةُ : كلُّ وصفٍ علىٰ (فَعْلانَ) للمُذكَّرِ ، و(فَعْلَىٰ) للمُؤنَّثِ ؛ كسَكْرانَ وسَكْرىٰ وسَكارَىٰ ، وغَضْبانَ وغَضْبىٰ وغَضابَىٰ ، وعَطْشانَ وعَطْشىٰ وعَطاشَىٰ .

وممَّا وردَ فيهِ كلٌّ منهُما : كلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلاءَ) كصحراءَ ؛ فتقولُ : صَحارِي بالكسرِ والياءِ ، وصَحارَىٰ بالفتحِ والألفِ .

وكلُّ اسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتحٍ فسكونٍ ؛ كعَلْقَى اسمَ نبتٍ ؛ فتقولُ : عَلاقِي وعَلاقَىٰ .

أبقيت هـٰذه الياءات مثبتة للتوضيح فقط .

وكلُّ اسمٍ على وزنِ (فِعْلَى) بكسرٍ فسكونٍ ؛ كذِفْرى ، اسمٌ للعظمِ خلفَ أُذُنِ الناقةِ ؛ فتقولُ : ذَفارِي وذَفارَىٰ .

وكلُّ وصفٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمٍّ فسكونٍ لمُؤنَّثٍ غيرِ (أفعلَ) كحُبْلَىٰ ؛ فتقولُ : حَبالِي وحَبالَىٰ .

❊

الوزنُ الرابعُ : (فُعالَىٰ) بضمّ أوَّلِهِ وآخِرُهُ ألفٌ ، يكونُ جمعاً لـ (فَعْلانَ) و(فَعْلَىٰ) كسَكْرانَ وسَكْرىٰ وسُكارىٰ ، وهوَ أرجحُ مِنَ المفتوحِ .

الوزنُ الخامسُ : (فَعالِيُّ) بفتحِ أوَّلِهِ وكسرِ رابعِهِ وتشديدِ الياءِ ، يكونُ جمعاً لكلِّ اسمٍ مختومٍ بياءٍ مُشدَّدةٍ تُشبِهُ ياءَ النَّسبِ [وليسَتْ] لهُ ؛ مثلُ : كُرْسيٍّ وكَراسيَّ ، وكُرْكيٍّ وكَراكيَّ .

❊ ❊ ❊

خاتمةٌ فيها مسائلُ

المسألةُ الأُولىٰ

[في ضوابطِ الجمعِ بصيغةِ منتهى الجموعِ]

اعلمْ : أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ إنَّما يُجمَعُ بها مِنَ الأسماءِ ما زادَ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ مِنَ الأسماءِ الرُّباعيَّةِ والخُماسيَّةِ والسُّداسيَّةِ والسُّباعيَّةِ ، وحيثُ كانَتْ غيرَ مُمْكِنةٍ فيما زادَ علىٰ أربعةِ أحرفٍ . . وجبَ أن تَرُدَّ ما زادَ على الأربعةِ إليها ؛ ليمكنَكَ أن تَجمعَهُ بهٰذهِ الصِّيغةِ .

ولذٰلكَ تفصيلٌ ؛ **حاصلُهُ** : أنَّ الاسمَ إذا كان خُماسيّاً مُجرَّداً . . وجبَ حذفُ خامسِهِ ؛ كسَفَرْجَلٍ وسَفَارِجَ .

وإن كانَ خُماسيّاً بزيادةٍ . . حُذِفَ الزائدُ ، إلَّا إذا كانَ ليناً قبلَ الآخِرِ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ ياءً ويَبقىٰ ؛ كغَضَنْفَرٍ وقَرَنْفُلٍ وغَضَافِرَ وقَرافلَ ، وكفِرْعَوْنَ وفَراعينَ ، [وغُرْنَيْقٍ] وغرانيقَ ، وكِرْبَاسٍ وكَرابيسَ ، وعُصْفورٍ وعصافيرَ .

وإن كانَ اسماً مُشتمِلاً علىٰ زيادتَينِ أو أكثرَ . . حذفتَ باختيارِكَ مِنَ الزوائدِ ما يكونُ الباقي بعدَهُ صالحاً لأن يُجمَعَ بهٰذهِ الصِّيغةِ ، إلَّا إذا كانَ أحدُ الزائدَينِ ذا مزيَّةٍ ؛ بحيثُ يكونُ دالّاً علىٰ معنىً مُحقِّقاً لصيغةٍ ، أو كانَ حذفُهُ مُخرِجاً للكلمةِ عنِ النظائرِ ؛ فتقولُ في عَلَنْدَىٰ [وسَرَنْدَىٰ] مثلاً : علاندُ [وعلادٍ] ، وسراندُ [وسرادٍ] .

وتقولُ في مستدعٍ ومقتدرٍ : [مداعٍ] ومقادرُ ، وفي نحوِ استخراجٍ : تخاريجُ ، علىٰ وزنِ تماثيلَ ، فلا تَحذِفُ التاءَ وتُبْقِي السينَ ؛ لخروجِهِ بذٰلك عنِ النظائرِ ، وإلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ كـ (حَيْزَبُونٍ) و(عَيْطَبُولٍ) . . فإنَّ

الواجبَ حذفُ الياءِ دونَ الواوِ ؛ فتقولُ في جمعِهِ : حزابينُ وعطابيلُ .

وممَّا علمتَ في هٰذا الموضعِ تَعرِفُ سائرَ أوزانِ صيغةِ منتهى الجموعِ ؛ فتقولُ في جمعِ (جعفرٍ) مثلاً : جعافرُ ، وزنُهُ (فَعالِلُ) وفي جمعِ (أفضلَ) : أفاضلُ ، وزنُهُ (أفاعلُ) وفي جمعِ (مسجدٍ) : مساجدُ ، وزنُهُ (مفاعلُ) وبالتفكُّرِ لا يَخفىٰ عليكَ اعتبارُ ذٰلكَ .

المسألةُ الثانيةُ

[في جمعِ الجمعِ]

قد تَتفصَّلُ آحادُ النوعِ جُملاً ، وتَتصنَّفُ أصنافاً ، فيُستعمَلُ جمعٌ في كلِّ جملةٍ ، فإذا أردتَ أن تَدُلَّ علىٰ تلكَ الجملِ . . جمعتَ الجمعَ .

مثلاً : إذا كانَ لزيدٍ جِمالٌ نجاتيةٌ(١) ، وجِمالٌ مصريَّةٌ ، وجِمالٌ شاميةٌ . . قلتَ : جِمالُ زيدٍ المصريَّةُ ؛ وهوَ جمعُ (جملٍ) وقلتَ : أحصيتُ جِمالاتِ زيدٍ ؛ وهو جمعُ (جِمالٍ) الذي هوَ جمعُ (جملٍ) وهٰذا **ضابطُ جمعِ الجمعِ** ؛ فإذا [لم] تَتفصَّلِ الآحادُ جُملاً . . لم يَصِحَّ أن تجمعَ الجمعَ ؛ وذٰلكَ أنَّ الجمعَ يقتضي ثلاثةَ أفرادٍ ، والجمعُ الأصليُّ مستغرقٌ لجميعِ الآحادِ ، فمِنْ أينَ يجيءُ مفردٌ ثانٍ وثالثٌ حتىٰ تأتيَ بجمعِ الجمعِ ما لم تَتفصَّلِ الآحادُ جُملاً ؟!

وتأمَّلْ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾(٢) ، فإنَّهُ لو قالَ : (كأنَّهُ جِمالٌ) . . لم يُفِدْ كونَ الشَّرارِ يخرجُ جماعةً جماعةً ، فكانَ جمعُ الجمعِ لازماً لإفادةِ هٰذا المعنىٰ .

---

(١) كذا بالنون والجيم في الأصل ، ولعلها : (بخاتية) وهي الإبل الخراسانية .

(٢) سورة المرسلات : (٣٢ ـ ٣٣) ، وهي قراءة أغلب السبعة .

وعلىٰ هـٰذا الحدِّ تَعتبرُ جمعَ الجمعِ في نحوِ : بيوتاتِ العربِ ، ورجالاتِ قريشٍ ، وأفارسِ العسكرِ ، وهـٰكذا .

المسألةُ الثالثةُ

[في الجمعِ ، واسمِ الجمعِ ، واسمِ الجنسِ الجمعيِّ]

يقولونَ : جمعٌ ، واسمُ جمعٍ ، واسمُ جنسٍ جمعيٌّ .

والفرقُ بينَ هـٰذهِ الأنواعِ الثلاثةِ :

ـ أنَّ الجمعَ : هوَ ما يُعتبَرُ فيهِ تفصيلُ الآحادِ ؛ بحيثُ يكونُ الحكمُ مُنصرِفاً لكلِّ واحدٍ .

فإذا قلتَ : (رجالُ البلدِ قائلونَ) . . فمعناهُ : كلُّ رجلٍ منهُم قائلٌ .

ـ وأنَّ اسمَ الجمعِ : هوَ ما وُضِعَ للجملةِ مِنْ غيرِ تفصيلِ الآحادِ ، فيكونُ الحكمُ مُنصرِفاً للمجموعِ ؛ مثلاً : تقولُ : ارتحلَ قومُ فلانٍ وحلُّوا بكذا ، ورَكْبُ هـٰؤلاءِ أحسنُ مِنْ رَكْبِ أولـٰئكَ .

ـ وأنَّ اسمَ الجنسِ الجمعيَّ : هوَ ما وُضِعَ لماهيَّةٍ بشرطِ أن يُستعمَلَ في جماعةٍ جماعةٍ مِنْ آحادِها إلى الجميعِ ، فإذا أردتَ بهِ واحداً . . ألحقتَهُ التاءَ للفرقِ ؛ كتمرٍ وتمرةٍ ، وقمحٍ وقمحةٍ ، وتُثنِّي ذا التاءِ إذا أردتَ اثنتَينِ .

وكما يُجمَعُ الجمعُ . . يُجمَعُ اسمُ الجمعِ وأسماءُ الأجناسِ الجمعيَّةُ للاختلافِ وتعدُّدِ الجماعاتِ ؛ فتقولُ : الأقوامُ ، والتمورُ ، والأعنابُ .

والتثنيةُ كالجمعِ عندَ الحاجةِ ، فتقولُ : قومانا مُؤتلِفانِ ، ومدينةُ كذا يُوجَدُ فيها تمرانِ ، أحدُهُما أحلىٰ مِنَ الآخرِ .

المسألةُ الرابعةُ

[في كيفيةِ جمعِ المُركَّباتِ والمُثنَّىٰ والجمعِ إذا جُعِلَتْ أعلاماً]

المُركَّباتُ الإضافيَّةُ التي جُعِلَتْ أسماءً[١] تُجمَعُ أجزاؤُها الأُوَلُ كما تُثنَّىٰ ؛ فتقولُ : عبدا اللهِ ، وعُبدانُ اللهِ ، وعبادُ الحقِّ ، وذَوُو القَعدةِ والحِجَّةِ ، وأذواءُ القَعدةِ ، وذواتُ القَعدةِ .

وما كانَ مِنَ الأسماءِ ؛ كابنِ عِرْسٍ ، وابنِ آوىٰ ، وابنِ لَبُونٍ . . يُقالُ في جمعِهِ : بناتُ عِرْسٍ ، وبناتُ آوىٰ ، وبناتُ لَبُونٍ .

والمُركَّباتُ المزجيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإسناديَّةُ ، والمُثنَّىٰ ، والجمعُ ؛ إذا جُعِلَتْ أسماءً[٢] . . جئتَ بـ (ذو) وثَنَّيتَ أو جمعتَ حَسَبَ حاجتِكَ ؛ فتقولُ : [ذَوَا] معديكربَ ، وذَوُو بعلبكَّ ، وأذواءُ سيبويهِ ، وهٰكذا .

المسألةُ الخامسةُ

[في زيادةِ ياءٍ لصيغةِ منتهى الجموعِ التي حُذِفَ منها]

الأسماءُ التي حُذِفَ منها لتَصِحَّ صيغةُ منتهى الجموعِ . . يجوزُ أن يُزادَ قبلَ آخِرِها ياءٌ ساكنةٌ في الجمعِ ؛ لتكونَ عوضاً عنِ المحذوفِ[٣] .

المسألةُ السادسةُ

[في أنَّ صيغةَ منتهى الجموعِ تلحقُها تاءُ التأنيثِ]

صيغةُ منتهى الجموعِ تَلحقُها تاءُ تأنيثٍ ؛ وهيَ علىٰ ثلاثةِ أصنافٍ :

---

(١) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .

(٢) في « شذا العرف » (ص ٢١٤) : (أعلاماً) بدل (أسماء) .

(٣) مثال هٰذه المسألة : (سفرجل) تقول في جمعه : (سفارج) بحذف اللام ، وإن عوضت عن المحذوف . . قلت : (سفاريج) بزيادة الياء قبل آخره . انظر « شذا العرف » (ص ٢١٠) .

ـ **أحدُها** : تاءٌ تُجعَلُ عوضاً عنِ الياءِ التي قبلَ آخِرِ الجمعِ بعدَ حذفِها ؛ تقولُ في مثلِ قناديلَ : قنادلةٌ .

ـ **وثانيها** : تاءٌ تَلحقُ جمعَ المنسوبِ للدلالةِ علىٰ أنَّ الجمعَ لهُ لا لأصلِهِ ؛ كالأشاعثةِ والأزارقةِ والمهالبةِ في جمعِ أشعثيٍّ نسبةً إلىٰ أشعثَ ، وأزرقيٍّ نسبةً إلى الأزرقِ ، ومُهَلَّبيٍّ نسبةً إلى [المُهَلَّبِ] .

فلو كانَ الجمعُ للأشعثِ والأزرقِ [والمُهلَّبِ] . . قلتَ : المهالبُ والأزارقُ والأشاعثُ ، دونَ تاءٍ .

ـ **وثالثُها** : تاءٌ تُزادُ لإلحاقِ الجمعِ بمفردٍ ؛ كصيارفةٍ في جمعِ صَيْرَفٍ ، وصياقلةٍ في جمع صَيْقَلٍ ؛ لإلحاقِهِ بكراهيةٍ وطواعيةٍ .

وما أدخلتَ فيهِ التاءَ مِنْ هـٰذهِ الجموعِ . . يَنصرِفُ بعدَ أن كانَ ممنوعاً من الصرفِ .

وربَّما لحقَتِ التاءُ بعضَ صيغِ الجموعِ لتحقيقِ معنى الجمعيَّةِ ؛ كالتاءِ في حِجارةٍ جمعِ حجرٍ ، وفُحولةٍ وعُمومةٍ وخُؤولةٍ جمعِ فَحْلٍ وعمٍّ وخالٍ ؛ فالأصلُ حِجارٌ كجِبالٍ ، وفُحولٌ وعُمومٌ وخُؤولٌ .

المسألةُ السابعةُ
[في الأفصحِ مِنْ صِيَغِ الجمعِ عندَ تعدُّدِها]

تَبيَّنَ لكَ أنَّ النوعَ الواحدَ مِنَ المفرداتِ قد يَعتورُهُ صيغتا جمعٍ أو أكثرُ ؛ مثلُ : كاملٍ ، وكَمَلَةٍ بفتحتَينِ ، وكُمَّلٍ بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مشدَّداً ، ومثلُ : فَحْلٍ ، وفِحالٍ ، وفُحولٍ ، وفُحْلانٍ ، وأَفْحُلٍ ، هـٰذا مقتضىٰ ما تَقدَّمَ مِنْ توزيعِ صِيَغِ الجموعِ علىٰ أنواعِ المفرداتِ .

ولـٰكنْ حيثُ كنتَ مريداً أن تَتكلَّمَ باللغةِ العربيةِ كما نطقَ بها أهلُها . .

فواجبٌ عليكَ أن تبحثَ عنِ الصِّيغةِ التي نطقوا بها ؛ فتارةً تجدُهُم نطقوا بالصيغتَينِ للمفردِ الواحدِ ، وتارةً تجدُهُمُ اقتصروا علىٰ إحداهُما ، فتنطقُ كما نطقوا .

وقد سبقَ التنبيهُ علىٰ أنَّ هـٰذهِ الضوابطَ إنَّما هيَ للتقريبِ والتسهيلِ[1] ، وإلَّا . . فالسماعُ لازمٌ ، ولذٰلكَ ترىٰ أصحابَ كتبِ اللغةِ يذكرونَ المفردَ ويُعقِّبونَهُ بذكرِ جمعِهِ وإن كانَ مِنَ المشاهيرِ ؛ تنبيهاً علىٰ أنَّهُ المنطوقُ بهِ للعربِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (١/٢١٧) .

التقسيمُ السادسُ
[في المُكبَّرِ والمُصغَّرِ] (١)

الاسمُ : إمَّا مُكبَّرٌ ؛ وهوَ المنطوقُ بهِ علىٰ صيغتِهِ الوضعيَّةِ ، وإمَّا مُصغَّرٌ ؛ وهوَ المُحوَّلُ إلىٰ إحدى الصِّيَغِ الآتي بيانُها لغرضِ الدلالةِ علىٰ حقارةِ قدرِ مُسمَّاهُ ، أو صِغَرِ حجمِهِ ، أو قربِهِ مكاناً أو زماناً .

وربَّما استُعمِلَتِ الصِّيغةُ للتلطُّفِ والتملُّحِ ، أو فظاعةِ المُسمَّىٰ ونكارتِهِ ؛ كرُجَيْلٍ ، وجُبَيْلٍ ، ودُوَيْنٍ ، وقُبَيْلٍ ، وحُبَيْبٍ ، ودُوَيْهِيَةٍ .

بيانُ الصِّيَغِ

هيَ ثلاثٌ : (فُعَيْلٌ) بضمِّ أوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ وزيادةِ ياءٍ ساكنةٍ تُسمَّىٰ : ياءَ التصغيرِ ؛ لتصغيرِ الثُّلاثيَّاتِ .

و(فُعَيْعِلٌ) و(فُعَيْعِيلٌ) بضمٍّ ففتحٍ فزيادةِ تلكَ الياءِ وكسرِ تاليها ، ولأجلِ الكسرةِ تُبدَلُ الألفُ والواوُ الواقعتانِ بعدَها ياءً ؛ في تصغيرِ الأسماءِ الزائدةِ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ .

[مسائلُ في أحكامِ التصغيرِ]

وللتصغيرِ أحكامٌ ، ولنوردْها في مسائلَ :

المسألةُ الأُولىٰ
[في أحوالِ الحرفِ الثاني بعدَ التصغيرِ]

الحرفُ الثاني مِنْ أحرفِ الاسمِ الذي تريدُ [تصغيرَهُ] إن كانَ أَلِفاً مبدلةً

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢١٨) .

مِنْ واوٍ ، أو مبدلةً مِنْ همزةٍ ؛ لوقوعِها ساكنةً بعدَ همزةٍ مفتوحةٍ ، أو كانَتْ زائدةً ، أو أصليَّةً مجهولةً لم يُعلَمْ أنَّها بدلٌ عمَّاذا ، أو كانَ ياءً مبدلةً مِنْ واوٍ . . وجبَ أن تَنطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ واواً ؛ كبابٍ وبُوَيْبٍ ، وكآدمَ وأُوَيْدِمٍ ؛ أصلُها أَأْدمُ بهمزتَينِ ؛ لكونِهِ وصفَ المُذكَّرِ مِنَ الأُدمةِ ، ومُؤنَّثُهُ أدماءُ ، ونحوِ : ضاربٍ وضُوَيْرِبٍ ، وكاهلٍ وكُوَيْهِلٍ ، وعاصمٍ وعُوَيْصِمٍ ، وجاموسٍ [وجُوَيْمِيسٍ] ، ونحوِ صابٍ وصُوَيْبٍ ؛ اسمُ شجرٍ مُرٍّ ، وعاجٍ وعُوَيْجٍ ؛ اسمُ عظمِ الفيلِ ، ونحوِ : قِيمةٍ وقُوَيْمَةٍ ، ودِيمةٍ ودُوَيْمَةٍ ، ومِيزانٍ ومُوَيْزِينٍ .

وإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ أَلِفاً مبدلةً مِنْ ياءٍ ، أو واواً كذٰلكَ [١] . . نُطِقَ بهِ عندَ التصغيرِ ياءً ؛ كنابٍ ونُيَيْبٍ ، ومُوقِنٍ ومُيَيْقِنٍ ، ومُوسِرٍ ومُيَيْسِرٍ ؛ مِنَ اليقينِ واليسارِ .

وإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ ياءً مبدلةً مِنْ همزةٍ . . رُدَّ في التصغيرِ همزةً ؛ كذئبٍ وذُؤَيْبٍ .

وإذا كانَ ياءً بدلَ حرفٍ صحيحٍ . . رُدَّ لأصلِهِ ؛ كدينارٍ ودُنَيْنِيرٍ ، وقِيراطٍ وقُرَيْرِيطٍ ، ودِيوانٍ ودُوَيْوِينٍ .

فإذا كانَ ذٰلكَ الحرفُ ياءً أصليَّةً . . فالأفصحُ إبقاؤُها في التصغيرِ ، وفي لغةٍ رديئةٍ إبدالُها واواً ، وعليه قولُ العامَّةِ : (شوية) في تصغيرِ شيءٍ ؛ فتقولُ على الفصيحِ : بيتٌ وبُيَيْتٌ ، وفي الأسماءِ : حُيَيُّ بنُ أخطبَ .

ويشاركُ التصغيرُ في غالبِ ما سلفَ وما سيأتي جمعَ التكسيرِ ؛ ولذٰلكَ اشتَهرَ أنَّ التصغيرَ والتكسيرَ يَرُدَّانِ الألفاظَ إلىٰ أصولِها .

ألا ترىٰ أنَّكَ تقولُ في جمعِ بابٍ : أبوابٌ ، كما قلتَ في تصغيرِهِ : بُوَيْبٌ ، وعليكَ باعتبارِ ذٰلكَ .

---

(١) يعني : أو كان ذٰلك الحرف واواً مبدلة من ياء .

المسألةُ الثانيةُ

[في أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ إن كانَ ياءً مُشدَّدةً حُذِفَتْ أُولاهما لتوالي الأمثالِ ؛ تقولُ في تصغيرِ صبيٍّ وصبيَّةٍ : صُبَيٌّ وصُبَيَّةٌ .

وإن كانَ أَلِفاً أو واواً ساكنةً . . أُبدِلَ ياءً ؛ كمَقامٍ ومُقَيِّمٍ ، وعَجُوزٍ وعُجَيِّزٍ .

وإن كانَتِ الواوُ مُتحرِّكةً . . جازَ إبقاؤُها ، والأفصحُ إبدالُها ياءً ؛ فتقولُ في تصغيرِ أسودَ وجدولٍ : أُسَيْوِدٌ وجُدَيْوِلٌ ، والأفصحُ : [أُسَيِّدٌ] وجُدَيِّلٌ إذا لم تكنِ الواوُ المُتحرِّكةُ لامَ الكلمةِ ، وإلَّا . . وجبَ إبدالُها ياءً ؛ كدَلْوٍ ودُلَيَّةٍ وكَرَوَانٍ وكُرَيَّانٍ .

المسألةُ الثالثةُ

[في تتمةِ أحوالِ الحرفِ التالي لياءِ التصغيرِ]

الحرفُ التالي لياءِ التصغيرِ : إن كانَ بعدَهُ تاءُ تأنيثٍ أو أَلِفُهُ أو مَدَّتُهُ ، أو أَلِفُ أفعالٍ جمعاً ، أو مَدَّةُ فعلانٍ الذي لم يُجمَعْ علىٰ فَعالِينَ كسَراحينَ . . يجبُ فتحُهُ ، وإلَّا . . جرَتْ عليهِ حركاتُ الإعرابِ في الصِّيغةِ الأُولىٰ(١) ، وكُسِرَ في الصِّيغةِ الثانيةِ(٢) ، ولأجلِ كسرتِهِ إذا كانَ بعدَهُ أَلِفٌ أو واوٌ . . قُلِبَتْ ياءً ؛ فتقولُ : فُوَيْطِمَةُ(٣) ، وحُبَيْلَىٰ ، وحُمَيْراءُ ، وأُجَيْمالٌ ، وسُكَيْرانٌ ، وتقولُ : رُجَيْلٌ ، تُجرِي على اللَّامِ حركاتِ الإعرابِ ، وتقولُ : جُعَيْفِرٌ ، ودُنَيْنِيرٌ ، [وعُصَيْفِيرٌ] ، بالإبدالِ .

---

(١) وهي : (فُعَيْلٌ) .

(٢) وهي : (فُعَيْعِلٌ ، وفُعَيْعِيلٌ) .

(٣) كذا في الأصل ، وتمثيله به لا ينطبق على القاعدة ، ومثَّل له في « شذا العرف » (ص ٢٢٥) بـ (شُجَيْرَة) .

المسألةُ الرابعةُ

[في تصغيرِ الاسمِ الزائدِ علىٰ أربعةِ أحرفٍ]

متىٰ زادَ الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ علىٰ أربعةِ أحرفٍ . . وجبَ حذفُ الزائدِ وردُّهُ إلى الأربعةِ ؛ لتمكنَ صيغةُ التصغيرِ على التفصيلِ الذي سبقَ في صيغةِ منتهى الجموعِ ، إلَّا إذا كانَتِ الزيادةُ ألفَ التأنيثِ الممدودةَ ، أو تاءَهُ ، أو ياءَ نسبٍ ، أو زائدَيْ نحوِ : زعفرانٍ ، أو علمَ تثنيةٍ ، أو علمَ جمعِ تصحيحٍ للذُّكورِ أو الإناثِ ، أو جزءاً ثانياً مِنَ المُركَّبِ المزجيِّ . . فإنَّكَ لا تَحذِفُها ؛ لكونِها في تقديرِ الانفصالِ ، وكأنَّها كلماتٌ مُستقِلَّةٌ ، والتصغيرُ واردٌ علىٰ ما قبلَها .

وأمَّا أَلِفُ التأنيثِ المقصورةُ إذا لم تكنْ رابعةً[1] ؛ فإن كانَتْ سادسةً أو سابعةً . . حُذِفَتْ ، وإن كانَتْ خامسةً ؛ فإن لم تَسبِقْها مَدَّةٌ في الاسمِ الذي هيَ فيهِ [وبحذفها] تصلحُ الصِّيغةُ . . حُذِفَتْ أيضاً ، وإلَّا . . فأنتَ بالخيارِ بينَ حذفِ المَدَّةِ السابقةِ وإبقاءِ أَلِفِ التأنيثِ ، وبينَ حذفِ أَلِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ .

نحوُ : حُبَارىٰ ؛ فلكَ أن تقولَ : حُبَيِّرٌ ؛ بحذفِ ألِفِ التأنيثِ وإبقاءِ المَدَّةِ التي هيَ الأَلِفُ المبدلةُ ياءً لأجلِ ياءِ التصغيرِ ، وأن تقولَ : حُبَيْرىٰ ؛ بحذفِ المَدَّةِ وإبقاءِ الأَلِفِ .

المسألةُ الخامسةُ

[في تصغيرِ الاسمِ الباقي علىٰ حرفَينِ]

إذا كانَ الاسمُ الذي تريدُ تصغيرَهُ باقياً علىٰ حرفَينِ بحذفِ أحدِ حروفِهِ ؛

---

(١) وإذا كانت رابعة . . فإنها تثبت في التصغير ؛ فتقول في (حبلىٰ) : (حُبَيْلى) انظر « شذا العرف » (ص ٢٢٧) .

كعِدَةٍ أصلُها وِعْدٌ ، وسَنَةٍ أصلُها سَنْوَةٌ أو سَنْهَةٌ ، وشَفَةٍ أصلُها شَفْهَةٌ ، ويدٍ أصلُها يَدْيٌ . . رددتَ المحذوفَ ليمكنَ التصغيرُ ؛ فتقولُ : وُعَيْدَةٌ ، وسُنَيَّةٌ أو سُنَيْهَةٌ ، وشُفَيْهَةٌ ، ويُدَيَّةٌ ، ودُمَيٌّ .

وإذا كانَ علىٰ حرفَينِ وضعاً وجعلتَهُ اسماً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً . . ضَعَّفتَهُ بزيادةِ حرفٍ مِنْ جنسِ ثانيهِ ، أو كمَّلتَهُ بياءٍ ؛ فتقولُ في تصغيرِ (هل) : هُلَيْلٌ ، أو [هُلَيٌّ] .

وإن كانَ ثانيهِ حرفَ عِلَّةٍ . . كمَّلتَهُ بحرفٍ مِنْ جنسِهِ ؛ كـ (لو) و(كي) و(ما) فتقولُ : لُوَيٌّ ؛ بإبدالِ الواوِ ياءً ، وكُيَيٌّ ، [ومُوَيٌّ] .

المسألةُ السادسةُ

[في تصغيرِ الأسماءِ المُؤنَّثةِ الثُّلاثيَّةِ]

الأسماءُ المُؤنَّثةُ الثُّلاثيَّةُ ولو حالَ التصغيرِ ، الخاليةُ مِنْ علامةِ التأنيثِ إذا صغرتَها . . ألحقتَها تاءَ التأنيثِ ، إلَّا إذا حصلَ لَبْسٌ ؛ فتقولُ : دُوَيْرَةٌ ، وسُنَيْنَةٌ ، ويُدَيَّةٌ ، وعُيَيْنَةٌ ، وأُذَيْنَةٌ ، ولا تقولُ : شُجَيْرَةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ شجرةٍ ، وأنتَ تريدُ تصغيرَ شَجَرٍ ، ولا تقولُ : خُمَيْسَةٌ ؛ لالتباسِهِ بتصغيرِ خمسةٍ وأنتَ تريدُ تصغيرَ خَمْسٍ .

وقد شَذَّ التجريدُ مِنَ التاءِ في بعضِ الأسماءِ ؛ نحوُ : قُوَيْسٍ ، ونُعَيْلٍ .

وشذَّ إلحاقُ التاءِ بغيرِ الثُّلاثيِّ ؛ فقالوا في تصغيرِ أمامٍ ووراءٍ وقُدَّامٍ : وُرَيِّئةٌ ، وأُمَيِّمةٌ بتشديدِ الياءِ فيهما ، وقُدَيْدِيمةٌ .

المسألةُ السابعةُ

[في تصغيرِ الترخيمِ]

قد يُقتصَرُ مِنَ الاسمِ علىٰ أصولِهِ ويُصغَّرُ ويُسمَّىٰ : تصغيرَ الترخيمِ ؛

فتقولُ في تصغيرِ إرواد : رُوَيْدٌ ، وفي تصغيرِ مِعطَفٍ : عُطَيْفٌ ، وفي تصغيرِ حمَّادٍ ، وحَمْدانَ ، وحَمْدُونَ ، ومحمودٍ ، ومُحمَّدٍ : حُمَيْدٌ ، والاعتمادُ في بيانِ المرادِ على القرينةِ .

المسألةُ الثامنةُ

[في شذوذِ تصغيرِ الأفعالِ والحروفِ والأسماءِ المبنيةِ]

يَتبيَّنُ لكَ ممَّا سلفَ أنَّ التصغيرَ خاصٌّ بالأسماءِ المُتمكِّنةِ ، لا يكونُ في الأفعالِ ، ولا في الحروفِ ، ولا في الأسماءِ المَبنيَّةِ ، وشذَّ تصغيرُ أفعلَ في التعجُّبِ ، وتصغيرُ أسماءِ الإشارةِ ، وبعضِ الأسماءِ الموصولةِ ؛ فسُمِعَ : ذَيَّا وتَيَّا واللَّتَيَّا بفتحِ أوائلِها ، وأُولَيَّاءُ بضمِّ أوَّلِهِ ، قالوا : بعدَ اللَّتَيَّا [والتي] أي : بعدَ الصغيرةِ والكبيرةِ ، وقالَ (١) : [من البسيط]

يَا مَا أُمَيْلِحَ غِزْلَاناً شَدَنَّ لَنَا ... مِنْ هَؤُلَيَّائِكُنَّ ٱلضَّالِ وَٱلسَّمُرِ

* * *

(١) انظر « خزانة الأدب » (٣٦٣/٩) .

[النَّسَبُ]

المنسوبُ : اسمُ قبيلةٍ أو قُطرٍ أو بلدٍ أو غيرِ ذٰلك ، تزيدُ بعدَ آخِرِهِ ياءً مُشدَّدةً يَنتقِلُ إليها الإعرابُ ، ولأجلِها يُكسَرُ آخِرُ الاسمِ ؛ لأنَّ المجموعَ صارَ كلمةً واحدةً ؛ [كنزاريٍّ](1) ومُضَريٍّ ، وحِجازيٍّ وشاميٍّ ومِصْريٍّ ودِمَشْقيٍّ ، وقُطْنيٍّ وشاهيٍّ .

وبذٰلكَ العملِ يصيرُ الاسمُ وصفاً يُنعَتُ بهِ ، ويَعملُ عملَ الأوصافِ كما يَتبيَّنُ في النحوِ .

[مسائلُ في أحكامِ المنسوبِ]

وللمنسوبِ أحكامٌ نوردُها في مسائلَ :

المسألةُ الأُولىٰ
[في النَّسَبِ لِمَا آخِرُهُ ياءٌ مُشدَّدةٌ]

الاسمُ الذي تريدُ أن تَنسُبَ إليهِ : إذا كانَ آخِرَهُ ياءٌ مشدَّدةٌ ؛ فإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفٍ واحدٍ . . فتحتَ الياءَ الأُولىٰ ، ورددتَها لأصلِها إن كانَتْ مُنقلِبةً عن واوٍ ، وقلبتَ الياءَ الثانيةَ واواً مطلقاً ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (حيٍّ) : حَيَوِيٌّ ، وإلىٰ (طيٍّ ، وليٍّ) مصدرَيْ طَوَىٰ ولَوَىٰ : طَوَوِيٌّ ، ولَوَوِيٌّ .

وإذا كانَتْ مسبوقةً بحرفَينِ . . خففتَها ، وقلبتَها واواً ، وفتحتَ ثانيَ الاسمِ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (عَليٍّ ، وعَديٍّ ، وقُصَيٍّ) بضمِّ أولِهِ : عَلَوِيٌّ ، وعَدَوِيٌّ ، وقُصَوِيٌّ .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٤٠) .

وإذا كانَتْ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ فأكثرَ ؛ فإن كانَتْ زائدةً . . حذفتَها ؛ [لئلَّا يجتمعَ أربعُ ياءاتٍ في] كلمةٍ واحدةٍ ؛ فتقولُ في النسبةِ إلىٰ (شافعيٍّ) : (شافعيّ) حُذِفَتْ ياءُ الاسمِ ، ووُضِعَتْ مكانَها ياءُ النَّسَبِ .

وإذا كانَتْ قائمةً مِنْ أصليّ وزائدٍ ؛ كمَرْميّ اسمَ مفعولٍ ، أصلُهُ : مَرْمُويٌ ؛ فالياءُ لامُ الكلمةِ ، والواوُ زائدةٌ قُلِبَتْ ياءً كما هوَ القاعدةُ في مثلِهِ . . فالأحسنُ أن تُحذَفَ كسابقِهِ ، وفي لغةٍ تُحذَفُ الياءُ الزائدةُ ، وتُقلَبُ الأصليةُ واواً ؛ فتقولُ على الأول : مَرْميٌّ ، وعلى الثاني : مَرْمَوِيٌّ .

المسألةُ الثانيةُ

[في النَّسَبِ للاسمِ المقصورِ والمنقوصِ]

الاسمُ إذا كانَ مقصوراً أو منقوصاً :

فمتىٰ جازَتْ أَلِفُ الأوَّلِ أو ياءُ الثاني أربعةَ أحرفٍ . . حُذِفَتْ ، ومتىٰ كانتا ثالثتَينِ . . قُلِبَتا واواً ، وفُتِحَ ما [قبلَهُما] ؛ فتقولُ في المُصطفى اسمَ مفعولٍ ، والمُصطفِي اسمَ فاعلٍ : مصطفيٌّ ، وتقول في النِّسبةِ إلى العصا والرَّحا : عَصَوِيٌّ ورَحَوِيٌّ ، وإلى الشَّجا : شَجَوِيٌّ .

ومتىٰ كانتا رابعتَينِ . . فالأفصحُ حذفُ الياءِ ؛ كقاضيٍّ وقاليٍّ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، فيُفتَحُ ما قبلَها ؛ كقاضَوِيٍّ وقالَوِيٍّ .

وأمَّا الأَلِفُ ؛ فإذا كانَتْ أَلِفَ تأنيثٍ ولم يَسكُنْ ثاني الاسمِ الذي هيَ فيهِ . . حُذِفَتْ أيضاً ، فإن سَكَنَ . . فالأحسنُ الحذفُ ، ويجوزُ قلبُها واواً ، ولكَ زيادةُ أَلِفٍ قبلَها ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ نحوِ حُبْلىٰ : حُبْلِيٌّ ، وحُبْلَوِيٌّ ، وحُبْلَاوِيٌّ .

وإذا كانَتِ الأَلِفُ لإلحاقِ كلمةٍ بكلمةٍ أخرىٰ ؛ كلفظةِ (أرْطىً) التي

أصلُها (أَرْطٍ) ، فزيدَتْ فيها الألفُ لإلحاقِها بـ (جعفرٍ) ، أو كانَتِ الألفُ أصليةً ؛ كـ (مَعْلىً) و(مَرْمىً) . . فالأحسنُ فيهِما القلبُ واواً ؛ فتقولُ : أَرْطَوِيٌّ ومَعْلَوِيٌّ ، ويجوزُ الحذفُ ؛ فتقولُ : أَرْطِيٌّ ومَعْلِيٌّ .

المسألةُ الثالثةُ

[في النَّسَبِ إلى الاسمِ المختومِ بتاءِ التأنيثِ]

الاسمُ إذا كانَ مختوماً بتاءِ التأنيثِ . . حُذِفَتْ (١) ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ فاطمةَ : فاطميٌّ .

وإذا كانَ نحوُ طَيِّبٍ ونَيِّرٍ . . حُذِفَتِ الياءُ الثانيةُ ؛ فتقولُ : طَيْبِيٌّ ونَيْرِيٌّ ، بياءٍ واحدةٍ ساكنةٍ ، وعليهِ فكانَ حقُّ النِّسبةِ إلىٰ طَيِّئٍ : طَيْئِيٌّ ، لـٰكنَّهُم شَذُّوا فقالوا : طائيٌّ .

وإذا كانَ الاسمُ علىٰ وزنِ (فُعَيْلَةٍ) بضمٍّ ففتحٍ فسكونٍ ؛ نحوُ : جُهَيْنَةَ ومُزَيْنَةَ . . حُذِفَتْ ياؤُهُ ؛ فقيلَ : جُهَنيٌّ ومُزَنيٌّ .

وإذا كانَ علىٰ وزنِ (فَعيلةٍ) بفتحٍ فكسرٍ فسكونٍ ، ولم يكنْ واويَّ العينِ ولا مضاعفاً . . حُذِفَتْ ياؤُهُ ، وفُتِحَتْ عينُهُ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ حَنِيفةَ : حَنَفِيٌّ ، وفي النِّسبةِ إلىٰ طَويلةٍ وجَليلةٍ : طَويليٌّ وجَليليٌّ ، دونَ تغييرٍ .

المسألةُ الرابعةُ

[في النَّسَبِ إلى المُركَّباتِ]

المُركَّباتُ الإسناديَّةُ المُسمَّىٰ بها ؛ نحوُ : تأبَّطَ شرّاً ، وبَرَقَ نحرُهُ ، وجادَ الحقُّ ، والمُركَّباتُ المَزجيَّةُ ، والمُركَّباتُ الإضافيَّةُ . . إذا نسبتَ إليها . .

---

(١) أي : حُذِفت تاؤه .

حذفتَ أعجازَها ، واقتصرتَ علىٰ صدورِها ناسباً لها ؛ فتقولُ : تأبَّطيٌّ ، وبَرَقيٌّ ، وجاديٌّ .

وتقولُ : بعليٌّ في النِّسبةِ إلىٰ بعلبكَّ ، ومعديٌّ وقاليٌّ في النسبةِ إلىٰ معديكربَ وقالي قلا [1] ، وذو الياءِ . . كمَعديٍّ وقاليٍّ مِنَ المنقوصِ ؛ فإذا كانَتِ الياءُ رابعةً . . فحكمُها ما مرَّ في المنقوصِ [2] .

ويُستثنىٰ مِنَ المُركَّبِ الإضافيِّ : الكُنىٰ والأعلامُ الغالبةُ ، وما يكونُ فيهِ المضافُ لفظاً واحداً أُضيفَ إلىٰ أشياءَ كثيرةٍ على البدلِ ؛ كأبي بكرٍ ، وأبي طالبٍ ، وأُمِّ كُلثومٍ ، وابنِ عباسٍ ، وابنِ الزبيرِ ، وابنِ عمرَ ، وعبدِ الأشهلِ ، وعبدِ قيسٍ ؛ فإنَّهُم نسبوا في هٰذهِ المواضعِ إلى الأعجازِ ، وحذفوا الصُّدورَ ، وقالوا : بكريٌّ ، وطالبيٌّ ، وكُلثوميٌّ ، وعباسيٌّ ، وهٰكذا .

وربَّما نحتوا مِنَ المضافِ والمضافِ إليهِ اسماً علىٰ وزنِ (فَعْلَلٍ) بفتحِ الفاءِ وسكونِ العينِ وفتحِ اللّامِ الأُولىٰ ؛ كحَضْرَمٍ [من] حضرموتَ ، وعَبْشَمٍ مِنْ عبدِ شمسٍ ، وعَبْقَسٍ مِنْ عبدِ القيسِ ، ومَرْقَسٍ مِنِ ٱمرئِ القيسِ الشاعرِ ؛ فقالوا : الشِّعرُ المَرْقَسيُّ أوَّلُ ما يُستجادُ مِنْ شعرِ العربِ ، وقالَ الشاعرُ [3] : [من الطويل]

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كَأَنْ لَمْ تَرَا قَبْلِي أَسِيراً يَمَانِيَا

المسألةُ الخامسةُ
[في النَّسبِ إلىٰ فعِلٍ بتثليثِ أوَّلِهِ]

الاسمُ إذا كانَ علىٰ وزنِ فعِلٍ بتثليثِ أوَّلِهِ وكسرِ ثانيهِ ، كدُئِلٍ

---

(١) قالي قلا : موضع ، وهما اسمان جُعلا واحداً ، وبُني كل واحد منهما على الوقف .

(٢) أي : من جواز : مَعْدَوِيّ ، وقَالَوِيّ .

(٣) هو عبد يغوث بن الحارث . انظر « البيان والتبين » (٢٦٨/٢) ، و(ترا) في البيت : تسهيل (ترأْ) علىٰ لغة (راءَ) بمعنىٰ (رأىٰ) ، وانظر « مغني اللبيب » (١/٣٦٥ ـ ٣٦٦) .

بضمِّ أوَّلِـهِ ، وإبِـلٍ ، ونَـمِرٍ بفتحِ أوَّلِـهِ . . وجـبَ عنـدَ النِّسبـةِ إليـهِ فتحُ عينِهِ ؛ فتقـولُ : دُؤَلِـيٌّ بفتـحِ الـهمـزةِ ، وإبَلِـيٌّ بفتـحِ البـاءِ ، ونَـمَـرِيٌّ بفتـحِ الميمِ .

المسألةُ السادسةُ

[في النَّسَبِ إلى الاسمِ الممدودِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ ممدوداً ؛ فإن كانَتْ أَلِفُهُ للتأنيثِ . . قُلِبَتْ واواً ؛ فتقولُ : حمراويٌّ ، وخَضراويٌّ ، وصَفراويٌّ .

وإذا كانَتِ الهمزةُ بدلاً عن أصلٍ ؛ نحوُ : كِساءٍ أصلُهُ كِساوٌ مِنَ الكسوةِ ، أو مزيدةً بإلحاقِ الكلمةِ بكلمةٍ أخرىٰ ؛ كعِلْباءٍ أصلُهُ عِلْبٌ ، زِيدَتِ المَدَّةُ لإلحاقِهِ بقِرْطاسٍ . . فلكَ قلبُ الهمزةِ واواً وإبقاؤُها ؛ فتقولُ : كساويٌّ وعِلْباويٌّ ، وكسائيٌّ وعِلْبائيٌّ .

وإذا كانَتِ الهمزةُ أصليةً ؛ كقَرَّاءٍ ووَضَّاءٍ . . بقيَتِ الهمزةُ ؛ فتقولُ : قَرَّائيٌّ ووَضَّائيٌّ .

المسألةُ السابعةُ

[في المنسوبِ الثُّلاثيِّ إن بقيَ منهُ حرفانِ]

المنسوبُ إليهِ إذا كانَ اسماً ثُلاثيّاً ، حُذِفَ منهُ حرفٌ في الاستعمالِ ، فإذا كانَ المحذوفُ لامَهُ ؛ فإن عُهِدَ رَدُّهُ في تثنيةٍ أو جمعِ تصحيحٍ . . وجبَ ردُّهُ في النَّسَبِ ؛ كأبٍ وأخٍ ، قيلَ في تثنيتِهِ : أبوانِ وأخوانِ ، فيُنسَبُ إليهِ بالردِّ ؛ فيُقالُ : أَبَوِيٌّ وأَخَوِيٌّ ، وكسَنَةٍ وعِضَةٍ ، قالوا في الجمعِ : سَنَواتٌ وعِضَواتٌ ، وسَنَهاتٌ وعِضَهاتٌ ، على اللُّغتَينِ ؛ فتقولُ في النَّسَبِ : سَنَوِيٌّ وعِضَوِيٌّ ، أو سَنَهِيٌّ وعِضَهِيٌّ .

وإن لم يُعهَدْ ردُّ اللَّامِ في التثنيةِ وجمعِ التصحيحِ ؛ نحوُ ثُبَةٍ . . جازَ الردُّ وعدمُهُ ؛ فتقولُ : ثُبِيٌّ وثُبَوِيٌّ ، إلَّا إذا كانَتْ عينُهُ مُعتلَّةً ؛ فإنَّهُ يجبُ الردُّ أيضاً ، فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ شاةٍ و(ذي) بمعنىٰ صاحبٍ : شاهيٌّ وذَوَوِيٌّ ، ومَنْ قالَ في يدٍ ودمٍ : يَدانِ ودَمانِ . . جازَ عندَهُ الردُّ والحذفُ ، ومَنْ قالَ : يَدَيانِ ودَمَيانِ . . وجبَ عندَهُ الردُّ .

ويجبُ فتحُ عينِ هٰذهِ الأسماءِ عندَ ردِّ لاماتِها ، وتكونُ كالثُّلاثيَّاتِ المقصورةِ في قلبِ أَلِفِها عندَ النَّسبةِ واواً .

والنِّسبةُ لأُختٍ كالنِّسبةِ لأخٍ ، وبنتٌ كابنٍ ؛ فتقولُ : أَخَوِيٌّ وبَنَوِيٌّ بفتحِ أوَّلِهما وثانيهِما ، وما كانَ كابنٍ واسمٍ محذوفَ اللَّامِ مُعوَّضاً عنها همزةُ الوصلِ . . يجوزُ ردُّ لامِهِ وحذفُ الهمزةِ ، ويجوزُ عكسُهُ ، و(كِلتا) مثلُ (كِلا) ، و(اثنتانِ) كـ (اثنانِ) فتقولُ : كِلَوِيٌّ بفتحِ اللَّامِ ، وثَنَوِيٌّ بفتحِ النونِ .

وإذا كانَ المحذوفُ الفاءَ ؛ فإن كانَتِ اللَّامُ صحيحةً . . لم يُرَدَّ المحذوفُ ؛ تقولُ في النِّسبةِ لعِدَةٍ وزِنَةٍ : عِدِيٌّ وزِنِيٌّ ، وإن كانَتْ مُعتلَّةً ؛ كشِيَةٍ ودِيَةٍ . . رُدَّتْ ؛ فتقولُ : وَشَوِيٌّ بفتحِ أوَّلِهِ وثانيهِ [1]

وإن كانَ المحذوفُ العينَ ؛ فإن كانَتْ لامُهُ صحيحةً . . لمْ تُرَدَّ ؛ نحوُ : مُذْ أصلُها منذُ ، يُنسَبُ إليها : مُذِيٌّ .

وإنْ كانَتِ اللَّامُ مُعتلَّةً . . رُدَّتِ العينُ ، فتُنسَبُ إلىٰ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرىٰ) فتقولُ : مُرْئِيٌّ .

---

(١) كذا في الأصل : (بفتح أوله وثانيه) ، وذكر صاحب « شذا العرف » (ص ٢٥٤) أنها بكسر الواو الأولىٰ ، ومثال (دِية) : وِدَوِيّ .

المسألةُ الثامنةُ

[في النَّسَبِ إلى الثُّنائيِّ وضعاً]

إذا كانَ المنسوبُ إليهِ ثُنائيّاً وَضْعاً ؛ فإن كانَ ثانيهِ صحيحاً ؛ نحوُ : (كَمْ) و(لَمْ) . . جازَ تضعيفُهُ عندَ النَّسَبِ إليهِ ، وإبقاؤُهُ علىٰ صورتِهِ ؛ فتقولُ : كَميٍّ ولَميٍّ بالتشديدِ والتخفيفِ .

وإذا كانَ ثانيهِ مُعتلّاً . . وجبَ تضعيفُهُ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ (لا) و(ما) : لائيٌّ ، ومائيٌّ .

وفي النِّسبة إلىٰ (كيْ) : كَيَوِيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلىٰ حَيٍّ ، وفي النِّسبةِ إلىٰ (لوْ) : لَوِّيٌّ ؛ كالنِّسبةِ إلى الدَّوِّ .

المسألةُ التاسعةُ

[في النَّسَبِ إلى الجمعِ]

إذا نسبتَ إلى الجمعِ . . أعدتَهُ إلىٰ لفظِ المفردِ ونسبتَ إليهِ ؛ فتقولُ في النِّسبةِ إلىٰ أجمالٍ : جَمَلِيٌّ ، إلَّا إذا صارَ الجمعُ بمنزلةِ المفردِ لاستعمالِهِ استعمالَ الأسماءِ ؛ كالأنصارِ ، فإنَّهُ يُنسَبُ إليهِ علىٰ لفظِهِ ؛ فتقولُ : أنصاريٌّ ، أو لكونِهِ لا واحدَ لهُ ؛ كعبابيدَ .

المسألةُ العاشرةُ

[في النَّسبِ إلى الحِرَفِ]

قد نسبوا في الحِرَفِ بلفظٍ علىٰ وزنِ (فَعَّالٍ) فقالوا : حَدَّادٌ ، ونَجَّارٌ ، وبَزَّازٌ مِنَ البَزِّ ؛ وهوَ الأقمشةُ .

وربَّما استُعمِلَ معَ (فعَّالٍ) النَّسبُ الأصليُّ ؛ فقالوا لبائعِ العِطْرِ : عَطَّارٌ

وعِطْرِيٌّ ، وهٰذا كثيرٌ ، واستعملوا أيضاً وزنَ (فاعلٍ) وهوَ قليلٌ ؛ فقالوا : لابنٌ وتامرٌ ؛ أي : ذو لبنٍ وذو تمرٍ ، وأقلُّ منهُ وزنُ (فَعِلٍ) بفتحٍ فكسرٍ ، قالَ الشاعرُ [١] : [من الطويل]

وَلَـسْـتُ بِـلَـيْـلِـيٍّ وَلَٰكِنَّنِي نَـهِـرْ

أرادَ : لستُ ممَّنْ كسبُهُ باللَّيلِ فأُنسَبَ إليهِ ، ولٰكنَّ كسبي بالنهارِ ، فقولُهُ : (نَهِرٌ) كقولِهِ : نَهاريٌّ .

❋ ❋ ❋

---

(١) أراد رجزاً أورده سيبويه في « الكتاب » (٣/٣٨٤) ، والبيت بتمامه :

لَـسْـتُ بِـلَـيْـلِـيٍّ وَلَٰكِنِّي نَـهِـرْ ... لَا أُدْلِـجُ ٱلـلَّـيْـلَ وَلَٰكِنْ أَبْـتَـكِـرْ

الخاتمةُ
في أمورٍ لا تَخُصُّ بعضَ أنواعِ الكلمةِ

الأمرُ الأوَّلُ : أحكامُ الوقفِ (١)

وهوَ قطعُ النطقِ عندَ آخرِ الكلمةِ ؛ إمَّا لتمامِ الكلامِ ، أو للاستراحةِ .

إذا وقفتَ على الضَّمائرِ المتصلةِ ؛ نحوُ : لهُ ، وبهِ ، وغلامِهِ . . حذفتَ الواوَ والياءَ وسَكَّنتَ الهاءَ إذا لم يكنْ قبلَ الضَّميرِ ساكنٌ موجودٌ أو محذوفٌ ، وإلَّا . . جازَ لكَ حذفُ الواوِ والياءِ وإبقاؤُهُما ؛ نحوُ : منهُ ، وإليهِ ، وادعُهُ ، وارمِهِ ، ولا تُحذَفُ الأَلِفُ مِنْ نحوِ : بها وغلامِها .

وإذا وقفتَ على المُنوَّناتِ . . حذفتَ تنويناتِها ، إلَّا إذا كانَ التنوينُ بعدَ فتحةٍ ؛ فإنَّهُ يُبدَلُ أَلِفاً .

وإذا كانَ آخِرُ الموقوفِ عليهِ أَلِفاً . . وقفتَ علىٰ أَلِفِهِ ، وألحقوا (إذاً) الناصبةَ للمضارعِ أحياناً بالمُنوَّنِ المفتوحِ ، فأبدلوا نونَها أَلِفاً .

وإذا وقفتَ على المنقوصِ ؛ فإذا لم يكنْ منصوباً ولا محذوفَ الفاءِ ؛ كـ (يفي) مُسمّىً بهِ ، ولا محذوفَ العينِ كـ (مُرٍ) اسمَ فاعلٍ مِنْ (أرىٰ) فإن كانَ مُنوَّناً . . فالأحسنُ حذفُ يائِهِ ، وإن لم يكنْ مُنوَّناً . . فالأحسنُ إثباتُها .

وفي المنصوبِ وما بعدَهُ يجبُ الإثباتُ .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٣٤٥) .

وإذا وقفتَ علىٰ مُتحرّكٍ غيرِ تاءِ تأنيثٍ . . سَكَّنتَهُ ؛ وهوَ الفصيحُ في اللغةِ .

وبعضُ العربِ يَميلُ بالحرفِ نحوَ الحركةِ ميلاً خفيفاً ، ويُسمِّيهِ العلماءُ : **روماً** .

وبعضُهُم إذا وقفَ على المضمومِ . . ضمَّ شفتَيهِ ومدَّهُما ، ويُسمُّونَهُ : **إشماماً** .

وبعضُهُم يُشدِّدُ الحرفَ الموقوفَ عليهِ ، ويُسمَّىٰ : **تضعيفاً** ، ومحلُّ ذٰلكَ إذا لم يكنْ همزةً ولا واواً ولا ياءً ولا أَلِفاً ، ولم يكنْ ما قبلَهُ ساكناً .

وبعضُهُم يَنقُلُ غيرَ الفتحةِ مِنَ الحرفِ الصحيحِ لسابقِهِ الساكنِ الذي يمكنُ تحريكُهُ ولم يَثقُلْ بالتحريكِ ، إذا لم يُؤدِّ النقلُ إلىٰ صيغةٍ لا نظيرَ لها ، ويُغتفَرُ ذٰلكَ إذا كانَ الموقوفُ عليهِ همزةً كما ينقلُ الفتحةَ من الهمزةِ .

ونقلُ الحركةِ للمُتحرِّكِ السابقِ بعدَ سلبِ حركتِهِ . . لغةٌ لخميَّةٌ بقيَتْ في لسانِ أهلِ مصرَ ؛ فيقولونَ في الوقفِ علىٰ (كتبَهُ) بفتحِ الباءِ : (كتبُهْ) بضمِّها .

وإذا وقفتَ علىٰ تاءِ التأنيثِ المتصلةِ بالأفعالِ أوِ الحروفِ ، أو في أختٍ وبنتٍ . . لم يَتغيَّرْ لفظُها إلَّا بتسكينِ المُتحرِّكِ منها ؛ فتقولُ : ثَمَّتْ ، ورُبَّتْ ، وأختْ وبنتْ ؛ بسكونِ التاءِ ، كما تقولُ : قالَتْ .

وإذا وقفتَ على التاءِ مِنْ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ وما أشبهَهُ . . فالأحسنُ إبقاؤُها تاءً ساكنةً ، والأحسنُ في غيرِ ذٰلكَ إبدالُها هاءً .

وإذا وقفتَ على الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ للجزمِ أوِ البناءِ ، أو علىٰ (ما)

الاستفهاميةِ المخفوضةِ ويجبُ حذفُ ألفِها عندَ ذٰلكَ ، أو علىٰ مبنيٍّ علىٰ حركةٍ وليسَ فعلاً ماضياً ، ولا اسمَ (لا) ، ولا منادىً ، ولا (قبلُ) و(بعدُ) وما أُلحِقَ بهِما . . جازَ لكَ أن تَقِفَ علىٰ أواخرِ هٰذهِ الكلماتِ بالسكونِ ، وجازَ لكَ أن تَجتلِبَ هاءً ساكنةً تُسمَّىٰ : هاءَ السَّكتِ ، إلَّا معَ (ما) الاستفهاميةِ المخفوضةِ بالاسمِ ؛ فإنَّهُ يجبُ ، وإلَّا معَ الفعلِ المحذوفِ اللَّامِ والفاءِ جميعاً ؛ فإنَّهُ يَترجَّحُ ، حتىٰ قيلَ بوجوبِهِ في المضارعِ ؛ كـ (لم [يَعِهْ]) و(لم [يَقِه]) ، ويجبُ في الأمرِ ؛ كـ (قِهْ) و(عِهْ) .

❋ ❋ ❋

الأمرُ الثاني

مِنَ الأمورِ التي لا تَخُصُّ بعضَ أنواعِ الكلمةِ : الإبدالُ[1]

وهوَ جعلُ حرفٍ مكانَ حرفٍ جعلاً مُلتزَماً ، وسببُهُ : التخفيفُ ولَطافةُ الألفاظِ .

والإبدالُ وإن سبقَ التنبيهُ عليهِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ إلَّا أنَّهُ يَحتاجُ لضبطٍ واستيفاءٍ ؛ لتكونَ علىٰ بصيرةٍ مِنْ أصولِ الألفاظِ وما آلَتْ إليهِ ؛ إذ هوَ ركنٌ عظيمٌ مِنْ أركانِ الصَّرفِ[2] .

اعلمْ : أنَّهُ قد وقعَ الإبدالُ في لغةِ العربِ علىٰ نوعَينِ :

نوعٌ شائعٌ مُطَّردٌ في اللُّغاتِ ، وهوَ المرادُ بالبيانِ والشرحِ في هـٰذا الموضعِ .

النوعُ الآخَرُ مُختصٌّ ببعضِ اللُّغاتِ ، يُطَّلَعُ عليهِ في كتبِ اللُّغةِ ، وليسَ يَحتاجُهُ مَنْ يريدُ معرفةَ الفنونِ العربيةِ لأجلِ أن يَنطِقَ بالنطقِ الصحيحِ ويأمنَ الغلطَ في شائعِ الحديثِ ؛ إذِ المُهِمُّ للطالبِ أن يَعرِفَ الأمورَ الكثيرةَ الاستعمالِ التي تستوفي معظمَ أحوالِ الكلامِ .

[أحرفُ الإبدالِ]

ثمَّ الأحرفُ التي يكونُ فيها التبادلُ . . تسعةٌ ، يَجمعُها قولُكَ : هدأتَ مُوطِياً ، ومِنْ هـٰذهِ الأحرفِ ما يكونُ بدلاً عن غيرِهِ ، ويكونُ غيرُهُ بدلاً عنهُ[3] ، كما ستطَّلِعُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ .

---

(١) انظر « شذا العرف » (ص ٢٧٥) .

(٢) انظر (١/١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٤) .

(٣) في الأصل هنا زيادة : (ومنها ما يكون بدلاً عن غيره) ، ويظهر أنه تكرار .

حرفُ الهاءِ

تكونُ بدلاً مِنْ تاءِ التأنيثِ في الوقفِ كما سلفَ بيانُهُ[١] ، وربَّما نطقوا بها بدلاً مِنَ الهمزةِ فقالوا في (أراقَ الماءَ) : هَرَاقَ ، وفي (آتىٰ) : هاتىٰ ، وذٰلكَ مقصورٌ علىٰ ما سُمِعَ منهُ .

حرفُ الهمزةِ

الهمزةُ تكونُ بدلاً عن غيرِها علىٰ سبيلِ الوجوبِ في خمسةِ مواضعَ ، وعلىٰ سبيلِ الجوازِ في مواضعَ يأتي الإلمامُ بها .

ـ الموضعُ الأوَّلُ مِنْ مواضعِ الوجوبِ : الواوُ والياءُ إذا وقعتا طرفَينِ بعدَ أَلِفٍ زائدةٍ . . وجبَ إبدالُهُما همزةً ؛ نحوُ : كساءٍ مِنَ الكسوةِ ، وسماءٍ مِنَ السُّمُوِّ ، ودعاءٍ مِنْ دعوتُ ، وظِباءٍ جمعِ ظَبْيٍ ، ودِلاءٍ جمعِ دَلْوٍ .

ـ الموضعُ الثاني : الواوُ والياءُ مِنِ اسمِ فاعلِ الفعلِ الأجوفِ بإحداهُما مُبدَلَةً أَلِفاً يجبُ إبدالُهُما همزةً ؛ كقالَ فهوَ قائلٌ ، وباعَ فهوَ بائعٌ .

ـ الموضعُ الثالثُ : المَدَّةُ الثالثةُ الزائدةُ في المفردِ إذا جمعتَهُ بصيغةِ منتهى الجموعِ . . يجبُ إبدالُها همزةً ؛ نحوُ : قلادةٍ وقلائدَ ، وصحيفةٍ وصحائفَ ، وعجوزٍ وعجائزَ .

ـ الموضعُ الرابعُ : إذا اجتمعَ في الكلمةِ واوانِ ، أو ياءانِ ، أو ياءٌ وواوٌ ، وجمعتَها علىٰ صيغةِ منتهى الجموعِ . . وجبَ إبدالُ الثانيةِ منهُما همزةً ، كالأوائلِ في جمعِ (أَوَّلَ) ، والنيائفِ في جمع (نَيِّفٍ) ، والسيائدِ في جمعِ (سَيِّدٍ) .

---

(١) انظر (١/٢٩٠) .

ـ **الموضعُ الخامسُ** : الواوانِ إذا اجتمعتا في أوَّلِ الكلمةِ وتَحرَّكَتْ ثانيتُهُما أو سَكَنَتْ وكانَتْ أصليةً . . وجبَ إبدالُ أُولاهُما همزةً ؛ فتقولُ في واصلةٍ إذا صَغَّرتَها : أُوَيْصِلَةٌ ، وإذا جمعتَها : أَواصلُ : قالَ الشاعرُ[1] : [من الخفيف]

ضَـرَبَـتْ صَـدْرَهَـا إِلَـيَّ وَقَـالَـتْ ... يَـا عَـدِيّـاً لَـقَـدْ وَقَـتْـكَ ٱلْأَوَاقِـي

جمعُ واقيةٍ ؛ أي : حافظةٍ .

وتكونُ **الهمزةُ علىٰ سبيلِ الجوازِ** : بدلاً مِنْ واوٍ مضمومةٍ ضمّاً لازماً ، غيرِ مُشدَّدةٍ ؛ كوُجوهٍ وأُجُوهٍ ، ووُقُوتٍ وأُقُوتٍ ، وأَدْوُرٍ وأَدْؤُرٍ ، وأَنْوُرٍ وأَنْؤُرٍ ؛ في جمعِ دارٍ ونارٍ ، وقَؤُولٍ وصَؤُولٍ صيغةِ مبالغةٍ مِنْ قالَ وصالَ ، وصُؤُولٍ وغُؤُورٍ مصدرَيْ صالَ وغارَ ، وخُؤُولٍ جمعِ خالٍ .

وكذٰلكَ تكونُ بدلاً مِنْ ياءٍ بعدَ أَلِفٍ وقبلَ ياءٍ مُشدَّدةٍ ؛ كغائيٍّ في النِّسبةِ لـ (غايةٍ) ، ورائيّ في النِّسبةِ لـ (رايةٍ) .

وكذٰلكَ تكونُ بدلاً عن واوٍ مكسورةٍ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ كإشاحٍ وإفادةٍ وإسادةٍ ؛ في وِشاحٍ ووِفادةٍ ووِسادةٍ .

وجاءَتِ الهمزةُ بدلاً مِنَ الهاءِ في ماءٍ ؛ لتصغيرِهِ علىٰ مُوَيْهٍ ، وجمعِهِ علىٰ أمواهٍ .

تنبيهٌ

إنَّما تُبدَلُ الهمزةُ مِنَ الواوِ والياءِ نطقاً بعدَ أَلِفِ صيغةِ منتهى الجموعِ إذا لم يكنْ لامُ الكلمةِ همزةً أو واواً أو ياءً ، وإلَّا . . نطقتَ بالواوِ في جمعِ مثلِ هِراوةٍ ، وبالياءِ في جمعِ مثلِ خطيئةٍ وهديَّةٍ ومطيَّةٍ ، وتُبدَلُ لامُ الكلمةِ أَلِفاً

(١) هو المهلهل بن ربيعة . في « ديوانه » (ص ٥٨) .

فيها ، فتقولُ : هَراوَىٰ وهدايا وخطايا ومطايا ، ذٰلك أمرٌ لازمٌ لا يَصِحُّ النطقُ بغيرِهِ .

حرفُ الياءِ

تكونُ بدلاً عنِ الأَلِفَ في موضعَينِ :

ـ الموضعُ الأَوَّلُ : إذا وقعَتْ بعدَ كسرةٍ ، كما في جمعِ مِصباحٍ وقِنطارٍ علىٰ مصابيحَ وقناطيرَ ، وكما في تصغيرِهما .

ـ الموضعُ الثاني : إذا وقعَتْ بعدَ ياءِ التصغيرِ ، كما في غزالٍ وغُزَيِّلٍ .

وتكونُ بدلاً عن الواوِ في عشرةِ مواضعَ :

ـ الموضعُ الأولُ : أن تقعَ مُتطرِّفةً إثْرَ كسرةٍ ، ولا يَمنعُ مِنْ كونِها طرفاً وقوعُ تاءِ التأنيثِ أو أَلِفِهِ أو مَدَّتِهِ أو أَلِفٍ ونونٍ زائدتَينِ بعدَها ؛ نحوُ : رضيَ مِنَ الرضوانِ ، وقَوِيَ مِنَ القُوَّةِ ، والغازي والداعي مِنْ غزوتُ ودعوتُ .

ـ الموضعُ الثاني : أن تقعَ عيناً لمصدرِ فعلٍ أُعِلَّتْ فيهِ وقبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ ؛ كصِيامٍ وقِيامٍ لصامَ وقامَ ، وانقِيادٍ واعتِيادٍ مِنِ انقادَ واعتادَ .

ـ الموضعُ الثالثُ : أن تقعَ عيناً لجمعٍ قبلَها كسرةٌ وبعدَها أَلِفٌ إذا صَحَّتْ في المفردِ ، فإذا أُعِلَّتْ فيهِ . . لم يُشترَطِ الأَلِفُ ؛ كدِيمةٍ مِنَ الدوامِ ، وقِيمةٍ مِنْ يقومُ ، وحِيلةٍ مِنْ يحولُ ، فجمعُهُ : دِيَمٌ وقِيَمٌ وحِيَلٌ ، وكحوضٍ وثوبٍ ، جمعُهُ : حِياضٌ وثِيابٌ .

هٰذا إذا لم تَعتلَّ لامُ الكلمةِ ، وإلَّا . . لم تُبدَلِ الواوُ ياءً ؛ تقولُ في جمعِ جَوٍّ : جِواءٌ .

ـ الموضعُ الرابعُ : أن تقعَ طرفاً رابعةً فصاعداً ؛ نحوُ : أعطيتُ وعاطيتُ وتعاطيتُ ، وما تَصرَّفَ منها .

ـ الموضعُ الخامسُ : أن تقعَ ساكنةً غيرَ مُشدَّدةٍ إثْرَ كسرةٍ ؛ نحوُ : مِيزانٍ مِنَ الوزنِ ، ومِيقاتٍ مِنَ الوقتِ ، وإيصاءٍ مِنَ الوصيَّةِ .

ـ الموضعُ السادسُ : أن تقعَ لاماً لوصفٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ ؛ كدُنْيَا مِنَ الدُّنوِّ ، وعُلْيَا مِنَ العُلُوِّ .

وخالفَ أهلُ الحجازِ في قُصْوَىٰ ، وتميمٌ يقولونَ : [قُصْيَا] علىٰ حكمِ القاعدةِ .

ـ الموضعُ السابعُ : أن تَجتمِعَ معَ الياءِ ويكونَ السابقُ ساكناً واجبَ الوجودِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ كسَيِّدٍ مِنَ السُّؤْدُدِ ، وعَلِيٍّ مِنَ العُلُوِّ ، وعُصِيٍّ ، وكطَيٍّ مِنْ طَوَيْتُ ، ولَيٍّ مِنْ لَوَيْتُ ، وطَيَّانٍ ولَيَّانٍ .

ـ الموضعُ الثامنُ : أن تقعَ لامَ (مفعولٍ) لفعلٍ مكسورِ العينِ ؛ كرضيَ فهوَ مَرْضيٌّ .

ـ الموضعُ التاسعُ : أن تقعَ لاماً لجمعٍ علىٰ فُعُولٍ ؛ كعُصِيٍّ ودُلِيٍّ ، أصلُهُما : عُصُووٌ ودُلُووٌ ، جمعُ عَصاً ، أصلُها : عَصَوٌ ، ودَلْوٍ .

ـ الموضعُ العاشرُ : أن تكونَ عيناً لجمعٍ علىٰ (فُعَّلٍ) بضمِّ أوَّلِهِ وتشديدِ ثانيهِ ؛ كصُيَّمٍ ونُيَّمٍ ، وذٰلكَ إبدالٌ جائزٌ ، والتصحيحُ أفصحُ ؛ كصُوَّمٍ ونُوَّمٍ .

حرفُ الواوِ

يكونُ بدلاً عنِ الألِفِ إذا اقتضى الحالُ ضمَّ ما قبلَها ؛ كبُويِعَ مجهولِ بايعَ ، وضُوَيْرِبٍ مُصغَّرِ ضاربٍ .

ويكونُ بدلاً عنِ الياءِ في أربعةِ مواضعَ :

ـ الموضعُ الأوَّلُ : أن تقعَ بعدَ ضمَّةٍ ؛ كمُوقنٍ مِنَ اليقينِ ، ومُوسرٍ مِنَ اليسارِ ، إلَّا إذا كانَتِ الكلمةُ جمعاً لنحوِ أبيضَ ؛ فإنَّ الياءَ تبقىٰ ، ولأجلِها تُبدَلُ الضمَّةُ كسرةً ؛ فتقولُ : بِيضٌ ، بكسرِ الباءِ .

ـ الموضعُ الثاني : أن تقعَ لامَ كلمةٍ بعدَ ضمَّةٍ ؛ مثلُ : نَهُوَ مِنَ النُّهيةِ ، وقَضُوَ المُحوَّلِ مِنْ (قضىٰ يقضي) للتعجُّبِ وإلحاقِهِ بالطبائعِ .

ـ الموضعُ الثالثُ : أن تقعَ لاماً لاسمٍ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) بفتح الفاء ؛ كتَقوىٰ وفَتوىٰ .

ـ الموضعُ الرابعُ : أن تقعَ عيناً لاسمٍ علىٰ وزنِ (فُعْلَىٰ) بضمِّ الفاءِ وما في حكمِ الاسمِ ؛ وهيَ الصِّيغةُ التفضيليةُ ؛ كطُوبىٰ مِنَ الطِّيبِ ، والكُوسىٰ مِنَ الكِيَاسةِ .

حرفُ الأَلِفِ

تكونُ الأَلِفُ بدلاً عنِ الواوِ والياءِ إذا تحرَّكتا تَحرُّكاً أصليّاً وانفتحَ ما قبلَهُما مِنْ كلمتِهِما ، وتَحرَّكَ ما بعدَهُما إن كانتا غيرَ لامِ كلمةٍ ، وإلَّا . . فالشرطُ أَلَّا يقعَ بعدَهُما أَلِفٌ ولا ياءٌ مُشدَّدةٌ ، ولا [تُبدَلانِ] إذا وقعتا عيناً في (فَعِلَ) الذي مصدرُهُ علىٰ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ، وكذا في مصدرِهِ ؛ نحوُ : غَيِدَ غَيَداً ، وعَوِرَ عَوَراً ، ولا تُبدَلُ الواوُ إذا كانَتْ عيناً لـ (افتعلَ) الدالِّ على التفاعلِ ؛ نحوُ : اجتوروا ، واشتوروا ، واعتوروا ، ولا يُبدَلانِ أيضاً إذا وقعَ بعدَهُما حرفٌ أُعِلَّ بإعلالِهِما ؛ كالهوىٰ والجوىٰ .

وكذٰلك إذا وقعَ بعدَهُما زيادةٌ تَخُصُّ الاسمَ ؛ كالأَلِفِ والنونِ مِن [نحوِ] الجَوَلَانِ والطَّوَفَانِ والهَيَمَانِ ، والأَلِفِ في نحوِ : صَوَرَىٰ وحَيَدَىٰ بفتحاتٍ .

حرفُ التاءِ

تكونُ التاءُ بدلاً مِنَ الواوِ والياءِ إذا وقعتا فاءً لصيغةِ (افتعلَ) نحوُ : اتَّقىٰ ، واتَّكل ، واتَّسر ، أصلُهُ : اِوتَقىٰ واوتَكلَ واِيتَسرَ .

حرفُ الطاءِ ، وحرفُ الدالِ

يكونانِ بدلاً مِنْ تاءِ الافتعالِ كما سبقَ تفصيلُهُ[١] .

حرفُ الميمِ

يكون بدلاً مِنْ نونٍ ساكنةٍ وقعَتْ قبلَ باءٍ .

الهمزةُ : إذا وقعَتْ بعدَ همزةٍ في آخِرِ الكلمةِ . . قُلِبَتْ ياءً مطلقاً ، ثمَّ إن كانَ ما قبلَها مفتوحاً . . قُلِبَتْ أَلِفاً ، وإن كانَ مضموماً أو مكسوراً . . حُذِفَتْ في غيرِ النصبِ إذا وقعَ بعدَها ساكنٌ ؛ لكونِ ما هيَ فيهِ صارَ منقوصاً ، وإن كانَ ما قبلَها ساكناً . . بقيَتْ ياءً كما هوَ شأنُ مثلِها .

وإذا كانَ الهمزتانِ في أوَّلِ الكلمةِ ؛ فإن سَكَنَتْ ثانيتُهُما . . وجبَ إبدالُها مِنْ جنسِ حركةِ السابقةِ ؛ نحوُ : آثرتُ أُوثِرُ إيثاراً ، وآمنتُ أُومِنُ إيماناً ؛ مِنَ الأثرةِ والأمنِ .

وإن تَحرَّكَتْ ؛ فإن كانَتْ مضمومةً أو مفتوحةً بعدَ ضمَّةٍ أو فتحةٍ . . وجبَ قلبُها واواً .

وإن كانَتْ مكسورةً أو مفتوحةً بعدَ كسرةٍ . . وجبَ قلبُها ياءً .

---

(١) تقدم (١/٢٠٦) .

وإذا كانَتِ الهمزةُ الأُولىٰ همزةَ المضارعِ . . تَخيَّرتَ بينَ تحقيقِ الهمزةِ الثانيةِ وبينَ قلبِها ؛ علىٰ حكمِ القاعدةِ ، وعليكَ باستخراجِ الأمثلةِ ورعايةِ تفصيلِ الحكمِ فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الكلامِ .

وإن كانَتِ الهمزتانِ في أثناءِ الكلمةِ . . أُدغِمَتِ الأُولىٰ في الثانيةِ ؛ نحوُ : سَآَّلٍ ورَآَّسٍ ولَآَّلٍ .

فهٰذا تقريبُ ضوابطِ الإبدالِ الشائعِ في اللغةِ العربيةِ ، وهناكَ إبدالاتٌ تَطَّلِعُ عليها إذا تَوسَّعتَ في مطالعةِ كتبِ اللغةِ .

❋ ❋ ❋

الأمرُ الثالثُ

نقلُ الحركاتِ مِنْ مواضعِها ، وحذفُ بعضِ حروفِ الكلمةِ

متىٰ تَحرَّكَتِ الواوُ والياءُ وكانَ ما قبلَهُما ساكناً صحيحاً ، ولم تكنِ الكلمةُ فعلاً تَعجُّبيّاً ، ولا كأبيضَ وأسودَ ، ولا مضارعاً لنحوِ عَوِرَ ، ولا اسمَ آلةٍ كالمِقْودِ والمِخْياطِ . . نُقِلَتْ حركتُهُما إلى الساكنِ قبلَهُما ، وبقيتا ساكنتَينِ سكوناً مرسلاً إن كانَ قبلَ الواوِ ضمَّةٌ ، وقبلَ الياءِ كسرةٌ ، وإلَّا . . قُلِبتا أَلِفَينِ ؛ نحوُ : يقولُ ويبيعُ ، وأقامَ وأباعَ ، واستقامَ واستباعَ .

وتُحذَفُ الأَلِفُ مِنَ الإفعالِ والاستفعالِ ، ويُعوَّضُ منها تاءٌ لازمةٌ كما تَقدَّمَ التنبيهُ عليهِ في بابِ المصدرِ (١) ، ويُحذَفُ لهٰذا الإعلالِ واوُ (مفعولِ) نحوِ : مَصُونٍ ومَبِيعٍ ، بإبدالِ الضَّمَّةِ كسرةً في نحوِ مبيعٍ .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر (١/٢٢٢) .

الأمرُ الرابعُ : في الإدغامِ والفكِّ

اعلمْ : أنَّهُ إذا توالىٰ حرفانِ مِنْ جنسٍ واحدٍ ؛ كباءَينِ أو دالَينِ في كلمةٍ أو كلمتَينِ . . فهُما موضعُ الفكِّ والإدغامِ ، واستيفاءُ الكلامِ في ذٰلكَ مِنْ وظيفةِ عِلْمِ القراءاتِ .

وإنَّما تَكلَّمَ الصَّرفيونَ على المِثلَينِ في كلمةٍ واحدةٍ ؛ حيثُ كانَ بحثُهُم عن أحوالِ المفرداتِ ، فوجبَ أن نسيرَ معَ القومِ .

فنقولُ : إذا اجتمعَ المِثلانِ في كلمةٍ . . فتارةً يجبُ الفكُّ ، وتارةً يجبُ الإدغامُ ، وتارةً يجوزُ كلٌّ منهُما .

مواضعُ جوازِهما : يجوزُ كلٌّ مِنَ الفكِّ والإدغامِ في نحوِ حَيِيَ مِنَ الحياةِ أوِ الحَياءِ ، وعَيِيَ ؛ أي : عَجَز عنِ الإبانةِ ، فيجوزُ أن تقولَ : [حَيَّ وعَيَّ] ، وفي نحوِ تتابعَ فيجوزُ أن تقولَ : اتَّابعَ ؛ بجلبِ همزةِ الوصلِ ، وفي نحوِ استترَ فيجوزُ أن تقولَ : سَتَّرَ ؛ بنقلِ الفتحةِ إلى السينِ ، وكسرُ السينِ لغةٌ ، فيُستغنَىٰ عن همزةِ الوصلِ .

وفي المضارعِ الساكنِ الآخِرِ للجزمِ أوِ الوقفِ ، والفكُّ لغةُ الحجازِ ، والإدغامُ لغةُ تميمٍ ، وبكلتَيهِما جاءَ القرآنُ ، وفي الأمرِ .

وإذا أدغمتَ في المضارعِ والأمرِ . . وجبَ تحريكُ ثاني الحرفَينِ للتخلُّصِ .

ويجبُ الفكُّ في موازنِ (فُعَلٍ) بضمٍّ ففتحٍ ؛ كصُفَفٍ وعُقَقٍ ، وفي موازنِ (فِعَلٍ) بكسرٍ ففتحٍ ؛ مثلُ : كِلَلٍ وحِبَبَةٍ ، وفي موازنِ (فُعُلٍ) بضمَّتَينِ ؛ كذُلُلٍ وسُرُرٍ ، وفي موازنِ (فَعَلٍ) بفتحتَينِ ؛ كمَلَلٍ ولَبَبٍ ورَدَدَةٍ ، وفي صيغةِ

إلحاقيَّةٍ ؛ كهَيْلَلَ وجَلْبَبَ ، وفي (فُعَّلٍ) بضمِّ أَوَّلِهِ وفتحِ ثانيهِ مُشدَّداً ؛ نحوُ : جُسَّسٍ في جمعِ جاسٍّ .

وفي الأفعالِ الماضيةِ إذا اتصلت بها الضمائرُ المرفوعةُ البارزةُ ؛ نحوُ : حَلَلْتُ ومَلِلْتُ وصَبَبْتُ .

ويجبُ الإدغامُ في غيرِ ذٰلكَ ، فإن كانَ أَوَّلُ الحرفَينِ ساكناً . . فذاكَ ، وإن كانَ مُتحرِّكاً . . نُقِلَتْ حركتُهُ للساكنِ قبلَهُ إن كانَ ؛ نحوُ : أَزِمَّةٌ تُشَدُّ ، وإلَّا . . حُذِفَتْ ؛ كحَلَّ ومَلَّ وصَبَّ .

وشَذَّتِ العربُ بالفكِّ حيثُ يجبُ الإدغامُ ؛ فقالوا : أَلِلَ السِّقاءُ يَأْلَلُ ؛ أي : فسدَ ، ودَبَبَ زيدٌ يَدبِبُ ؛ أي : نبتَ الشعرُ في جبهتِهِ ، وفي كلماتٍ أُخَرَ مِنَ الأفعالِ والأسماءِ نَبَّهَتْ عليها علماءُ اللغةِ .

مسألةٌ

التاءانِ في أَوَّلِ المضارعِ إذا ابتدأتَ بهِ لا يجوزُ فيهِما الإدغامُ ، كما لا يجوزُ في المتصدرَينِ سوىٰ ما سلفَ ، ويكثرُ حذفُ إحدىٰ تاءَيِ المضارعِ تخفيفاً ؛ نحوُ : تَلظَّىٰ وتَيمَّموا ، فإذا لم تَبتدِئْ بالمضارعِ . . جازَ الإدغامُ ، فلكَ فيهِ حينَئذٍ ثلاثةُ أوجهٍ ؛ تقولُ : لا تَتَرَدَّدْ ، ولا تَرَدَّدْ ، ولا تَّرَدَّدْ .

مسألةٌ

النونُ الساكنةُ ومنها التنوينُ لها خمسةُ أحوالٍ :

ـ الأَوَّلُ : إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها ، وإدغامُها فيه بلا غُنَّةٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تلاقي الراءَ واللَّامَ ؛ مثلُ : مِنْ رَّبِّهِم ، وأن لَّو .

ـ الثاني : إبدالُها مِنْ جنسِ ما بعدَها وإدغامُها فيهِ بغُنَّةٍ ، والغُنَّةُ : إخراجُ

الصوتِ مِنَ الخَيْشُومِ في نوعِ تَرنُّمٍ ؛ وذٰلكَ حيثُ تلاقي الميمَ والواوَ والياءَ ، إلَّا إذا لاقتْهُما في كلمةٍ[1] ؛ نحوُ : دُنْيا وصِنْوانٍ ، والإدغامُ بغُنَّةٍ حكمُها إذا لقيَتْ مثلَها .

ـ **الثالثُ** : إبدالُها ميماً معَ غُنَّةٍ حيثُ تلاقي الباءَ كما مرَّ .

ـ **الرابعُ** : إظهارُها حيثُ تلاقي حرفاً حلقيّاً .

ـ **الخامسُ** : إخفاؤُها ؛ وهوَ حالةٌ بينَ الإدغامِ والإظهارِ فيما عدا الحروفَ السابقةَ .

❋ ❋ ❋

---

(١) أي : لاقت الياءَ والواوَ .

[مخارجُ الحروفِ]

هٰذا ؛ واعلمْ : أنَّ مِنْ وظيفةِ عِلْمِ الصَّرفِ إبانةَ مخارجِ الحروفِ ؛ أي : مواضعِ خروجِها وأوصافِها ؛ لتَعرِفَ كيفيةَ النطقِ بها ، وقد وضعَ بعضُ العلماءِ في ذٰلكَ رسائلَ مُستقِلَّةً ، وسمَّوهُ : **علمَ تجويدِ القرآنِ** ؛ لأنَّ القارئَ يلزمُهُ شِدَّةُ الحرصِ علىٰ إصابةِ النطقِ بحروفِهِ .

هٰذا ؛ وقد سبقَ اطِّلاعُكَ علىٰ أنَّ لكلِّ حرفٍ مخرجاً يَخُصُّهُ[1] ، ولٰكنَّ العلماءَ مشَوا معَ الظاهرِ ، فشرَّكوا بينَ الحروفِ في المخارجِ ؛ **فلذٰلكَ عدُّوها سبعةَ عشرَ** .

ـ **أوَّلُها : الجوفُ** : للأَلِفِ وحرفَيِ المَدِّ الآخَرَينِ ، واعتُبِرَ الجوفُ أوَّلَ المخارجِ ، وجرى الترتيبُ علىٰ ما ترىٰ ؛ لأنَّ الصوتَ قائمٌ بالهواءِ الآخذِ مِنَ الجوفِ إلى الخارجِ ، ولوِ اعتُبِرَ وضعُ الإنسانِ وأنَّ أوَّلَهُ رأسُهُ . . كانَ أوَّلُها الشفتَينِ .

ـ **وثانيها : أقصى الحَلْقِ** : للهمزةِ والهاءِ .

ـ **وثالثُها : وَسَطُهُ** : للعينِ والحاءِ المهملتَينِ .

ـ **ورابعُها : أدناهُ** : للغينِ والخاءِ المعجمتَينِ .

وهٰذه الأحرفُ الستةُ كما عرفتَ تُسمَّى : **الأحرفَ الحَلْقيَّةَ** .

ـ **وخامسُها : ما يلي الحَلْقَ** : للقافِ .

---

(١) انظر (١/٩٩) .

ـ **وسادسُها : ما يلي ذٰلكَ** : للكافِ ، ويُنسَبُ الحرفانِ إلى اللَّهاةِ التي هيَ الحدُّ بينَ الحَلْقِ والحَنَكِ ، فيُقالُ : **الحرفانِ اللَّهَوِيَّانِ** .

ـ **وسابعُها : وَسَطُ اللِّسانِ وما فوقَهُ مِنَ الحَنَكِ** : للجيمِ والشِّينِ والياءِ ، وتُسمَّى : **الأحرفَ الشَّجْرِيَّةَ** ـ بسكونِ الجيمِ ـ نسبةً لشَجْرِ الحَنَكِ ؛ وهوَ ما انفتحَ منهُ بينَ اللَّحْيَينِ .

ـ **وثامنُها : إحدىٰ حافَّتَي اللِّسانِ معَ ما يليها مِنَ الأضراسِ** : للضادِ ، وأكثرُ الناسِ يستعملونَ اليسرىٰ ، ومَنْ قَدَرَ على استعمالِهِما جميعاً . . يُسمَّىٰ : أضبطَ ، وكذٰلك كانَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ .

ـ **وتاسعُها : حافَّةُ اللِّسانِ وما يليها واقعاً على الضَّاحكِ والنَّابِ والرَّباعيَةِ والثَّنِيَّةِ** : للَّامِ ، وهوَ أوسعُ الحروفِ مخرجاً ، **والثَّنِيَّةُ** : إحدى الثنايا الأربعِ ؛ وهيَ الأسنانُ الوسطى ؛ اثنتانِ فوقُ ، واثنتانِ تحتُ ، ويليها **الرَّباعيَاتُ** بفتحِ الراءِ وتخفيفِ الياءِ ، ويليها **الأنيابُ** ، ويليها مِنَ الأضراسِ : **الضَّواحكُ الأربعةُ** ، ويليها **الطَّواحنُ** الاثنا عشرَ ، ويليها **النواجذُ** المعروفةُ بأضراسِ العقلِ .

ـ **وعاشرُها : ما يلي حافَّةَ اللِّسانِ واقعاً على الثَّنِيَّتَينِ** : للنونِ الظاهرةِ .

ـ **والحاديَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ بينَ المخرجَينِ السابقَينِ** : للراءِ المهملةِ .

ـ **والثانيَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً علىٰ نِطْعِ الحَنَكِ** : بكسرِ النونِ وسكونِ الطاءِ ؛ وهوَ ما وراءَ الثنيتَينِ الفوقيتَينِ للطاءِ والدالِ والتاءِ ، وتُسمَّىٰ لذٰلكَ : **الأحرفَ النِّطْعِيَّةَ** .

ـ **والثالثَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ ممَّا يلي الثنايا** : للصاد والزاي والسينِ ، وتُسمَّى : **الأحرفَ الأَسَلِيَّةَ** ؛ نسبةً لأَسَلَةِ اللِّسانِ بفتحِ السينِ وهيَ طرفُهُ .

ـ **والرابعَ عشرَ : طرفُ اللِّسانِ مُنطبِقاً علىٰ طرفِ الثنيتَينِ** : للظاءِ والذالِ .

فالمخارجُ المنسوبةُ للسانِ اثنا عشرَ ، وحروفُها ثمانيةَ عشرَ .

ـ والخامسَ عشرَ : طرفُ الثنيتَينِ موضوعاً علىٰ بطنِ الشَّفَةِ السُّفلىٰ : للفاءِ .

ـ والسادسَ عشرَ : الشَّفَتانِ مُنفتحتَينِ : للواوِ ، ومُنطبِقتَينِ : للميمِ والباءِ ، فالأحرفُ الشَّفَويَّةُ أربعةٌ .

ـ والسابعَ عشرَ : الخَيْشُومُ : وهوَ ما وراءَ الأنفِ إلى الرأسِ ، لغُنَّةِ النونِ والميمِ في نحوِ : لمَّا وعمَّا .

[صفاتُ الحروفِ]

هـٰذا ؛ وأمَّا أوصافُ الحروفِ . . فهيَ :

الهمسُ : وحروفُهُ يَجمعُها قولُ الجزريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : (فحثَّهُ شخصٌ سَكَتْ)(١) ، ويقابلُهُ الجهرُ ، وحروفُهُ ما عدا تلكَ الأحرفَ ، فيُقالُ : الحروفُ المهموسةُ والمجهورةُ ؛ لِمَا في الأُولىٰ مِنَ الخَفاءِ بالنسبةِ للثانيةِ .

والشِّدَّةُ ، والرَّخاوةُ ، والتَّوسُّطُ :

فالشديدةُ : يَجمعُها قولُهُ : (أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ) .

والمُتوسِّطةُ : يَجمعُها قولُهُ : (لِنْ عُمَرُ) .

والرِّخوةُ : ما عدا ذٰلكَ .

والاستعلاءُ : وأحرفُهُ : (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ) ، ويقابلُهُ : الاستفالُ .

والإطباقُ : وأحرفُهُ : الصادُ والطاءُ والضادُ والظاءُ ، ويقابلُهُ الانفتاحُ ، ولا يَخفاكَ مناسبةُ التسميةِ إذا تأمَّلتَ عملَ آلاتِ النطقِ .

---

(١) انظر « المقدمة الجزرية » (ص ٣) .

والذَّلاقةُ : وأحرفُها : (فَرَّ مِنْ لبِّ) ويُقالُ : الأحرفُ الذُّلْقُ ، ويقابلُها **الإصماتُ** ؛ وهوَ المنعُ ، قيلَ في وجهِ التسميةِ بالمصمتةِ : إنَّها ممنوعةٌ مِنَ الانفرادِ أصولاً في بناتِ الأربعةِ فما فوقُ ، ولذٰلكَ حكموا بأعجميَّةِ لفظِ العسجدِ .

والصَّفيرُ : وأحرفُهُ : الصادُ ، والزايُ ، والسينُ .

والقَلْقَلَةُ : ويُقالُ : اللَّقْلَقَةُ ؛ وأحرفُها : (قُطْبُ جَدٍ) فإذا سَكَّنتَ هٰذهِ الأحرفَ . . مِلْتَ بها مَيلاً خفيفاً نحوَ الفتحةِ .

واللِّينُ : وحرفاهُ : الواوُ والياءُ إذا سَكَنتا وانفتحَ ما قبلَهُما .

والانحرافُ : وحرفاهُ : اللَّامُ والراءُ ، ويُقالُ لهُما : المُنحرِفانِ .

قيلَ : ومِنَ الصفاتِ : **التكريرُ** ، وحرفُهُ الراءُ ، ومعناهُ : أنَّها قابلةٌ للتكريرِ ؛ لكونِها يَرتعِدُ بها اللِّسانُ ، لا أنَّها تُكرَّرُ في النطقِ ، بل يجبُ الاحتراسُ منهُ .

والتفشِّي : وحرفُهُ كما ذكرَهُ جميعُ المُؤلِّفينَ : الشينُ المعجمةُ ، وقالَ بعضُهُم : إنَّهُ صفةُ الفاءِ والثاءِ المثلثةِ والضادِ ؛ وهوَ انتشارُ الهواءِ بالحرفِ واتساعُهُ .

والاستطالةُ : وحرفُها : الضادُ ؛ لأنَّكَ إذا مَكَّنتَها في مَخرَجِها . . وجدتَها مُمتدَّةً زيادةً عن سائرِ الحروفِ .

والتفخيمُ : وأحرُفُهُ : المُستعلِيةُ .

والترقيقُ : وحروفُهُ : المُستفِلةُ ، وبعضُ الحروفِ ـ كالراءِ واللامِ ـ تارةً يُفخَّمُ ، وتارةً يُرقَّقُ ؛ كذكرٍ وفِرْعونَ وصِرَاطٍ وخيرٍ .

فهـٰذهِ صفاتُ الحروفِ التي يَلزمُ المحافظةُ عليها ، سيَّما في تلاوةِ القرآنِ الشريفِ ؛ لتكونَ ممتثلاً أمرَ اللهِ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (١) ، سواءٌ قرأتَ **بالترتيلِ** ؛ وهوَ التأنِّي ، أوِ **الحَدْرِ** ؛ وهوَ العجلةُ ، أوِ **التدويرِ** ؛ وهوَ التوسُّطُ ، قالَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنها : (كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذا قرأَ . . تُعَدُّ حروفُهُ ، لا كما تَسرُدونَهُ اليومَ) (٢) .

وينبغي للإنسانِ أن يُروِّضَ آلاتِ نطقِهِ ؛ لتكونَ ألفاظُهُ بيِّنةً واضحةً دونَ تَكلُّفٍ ؛ حتىٰ يَخِفَّ على السمعِ ولا يَمُجُّهُ الطبعُ ، وباللهِ التوفيقُ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة المزمل : (٤) .

(٢) أخرجه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠١٧٣) ، والبيهقي في « السنن الكبير » (٣٢٣/٦) برقم (٥٨٢٣) .

القسم الثّالث
قسم النّحو

[وصيةٌ قبلَ البدءِ بمطالعةِ هـٰذا العِلْمِ]

قبلَ المُضيّ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحْويَّةِ التي بإتقانِها تَعرِفُ كيفَ كانَ فُصحاءُ الأُمَّةِ العربيةِ يَنطقونَ بلغتِها ، ولِمَ كانَتْ هيئاتُ المُركَّباتِ القرآنيَّةِ علىٰ ما أنتَ واجدُها عليه . . لا بدَّ مِنْ دلالتِكَ على السلوكِ الواصلِ بكَ في المُدَّةِ اليسيرةِ إلى المنفعةِ التي هيَ غايةُ كلِّ سعيٍ وطلبٍ ؛ لتلتزمَهُ وتجتنبَ ما عداهُ ، فتكونَ مُمتثِلاً قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « ٱحْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ وَلَا تَعْجِزْ »[1] ، ومُتحقِّقاً مِنْ إصابةِ قولِ القائلِ[2] : [من الطويل]

لِمَا نَافِعٍ يَسْعَى ٱللَّبِيبُ فَلَا تَكُنْ ... لِشَيْءٍ بَعِيدٍ نَفْعُهُ ٱلدَّهْرَ سَاعِيَا

وذٰلكَ السلوكُ المُنوَّهُ بهِ والمدلولُ عليهِ . . هوَ أن تَجهَدَ كلَّ اجتهادِكَ ، وتَصرِفَ جميعَ هِمَّتِكَ وقتاً ما في تخليصِ الأحكامِ التي اشتملَتْ عليها العلومُ الآليَّةُ مِنْ سواقطِ الشبهاتِ ، وتناقضِ العباراتِ ؛ حتىٰ يسهلَ عليكَ ضبطُها وجودةُ حفظِها ، ويَتهيَّأَ لكَ ملاحظتُها متىٰ شئتَ ، حيثُ اعترفتَ أنَّها آلاتٌ وغيرَها المقصودُ .

❋

قالَ أحدُ أكابرِ عقلاءِ الأُمَّةِ ، وقدوةُ سائرِ الأممِ في إخراجِ التاريخِ عن كونِهِ قصصاً وأحاديثَ يُتعجَّبُ منها أو يُضحَكُ عليها ، إلىٰ جعلِهِ أكبرَ مُربٍّ للعقولِ ، وأجلَّ مظهرٍ للإنسانيةِ ؛ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ خلدونَ رحمةُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ عليهِ : (**اعلَمْ** : أنَّ العلومَ المتعارفةَ بينَ أهلِ العُمرانِ علىٰ صِنفَينِ :

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤/٢٦٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « مغني اللبيب » (٣٩١/١) .

علومٌ مقصودةٌ بالذاتِ ؛ كالشَّرعياتِ مِنَ التفسيرِ ، والحديثِ ، والفقهِ ، وعِلْمِ الكلامِ ، وكالطبيعيَّاتِ والإلـٰهيَّاتِ مِنَ الفلسفةِ .

وعلومٌ هيَ آليَّةٌ ووسيلةٌ لهـٰذهِ العلومِ ؛ كالعربيةِ والحسابِ وغيرِهما للشَّرعياتِ ، وكالمَنطِقِ للفلسفةِ ، وربَّما كانَ آلةً لعِلْمِ الكلامِ ولأصولِ الفقهِ علىٰ طريقةِ المُتأخِّرينَ .

فأمَّا العلومُ التي هيَ مقاصدُ . . فلا حرجَ في توسعةِ الكلامِ فيها ، وتفريعِ المسائلِ واستكشافِ الأدلةِ والأنظارِ ؛ فإنَّ ذٰلك يزيدُ طالبَها تمكُّناً في مَلَكَتِهِ ، وإيضاحاً لمعانيها المقصودةِ .

وأمَّا العلومُ التي هيَ آلاتٌ لغيرِها ؛ مثلُ العربيةِ والمَنطِقِ وأمثالِهما . . فلا ينبغي أن يُنظَرَ فيها إلَّا مِنْ حيثُ هيَ آلةٌ لذٰلكَ الغيرِ فقطْ ، ولا يُوسَّعْ فيها الكلامُ ، ولا تُفرَّعُ فيها المسائلُ ؛ فإنَّ ذٰلكَ مُخرِجٌ لها عنِ المقصودِ ؛ إذِ المقصودُ منها ما هيَ آلةٌ لهُ لا غيرُ .

فكلَّما خرجَتْ عن ذٰلكَ . . خرجَتْ عنِ المقصودِ ، وصارَ الاشتغالُ بها لغواً ، معَ ما فيهِ مِنْ صعوبةِ الحصولِ علىٰ مَلَكَتِها ؛ بطولِها وكثرةِ فروعِها ، وربَّما يكونُ ذٰلكَ عائقاً عن تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذاتِ ؛ لطولِ مسائلِها ، معَ أنَّ شأنَها أهمُّ ، والعمرُ يَقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ علىٰ هـٰذهِ الصورةِ ، فيكونُ الاشتغالُ بهـٰذهِ العلومِ الآليَّةِ تضييعاً للعمرِ ، وشغلاً بما لا يعني .

وهـٰذا كما فعلَ المُتأخِّرون بصناعةِ النحوِ والمنطقِ وأصولِ الفقهِ ؛ فإنَّهُم أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها ، وأكثروا مِنَ التفاريعِ والاستدلالاتِ بما أخرجَها عن كونِها آلةً ، وصَيَّرَها مِنَ المقاصدِ ، وربَّما يقعُ فيها أنظارٌ لا حاجةَ بها في العلومِ المقصودةِ ؛ فهيَ مِنْ نوعِ اللَّغوِ ، وأنَّها مُضِرَّةٌ بالمُتعلِّمينَ على الإطلاقِ ؛

لأنَّ المُتعلِّمينَ اهتمامُهُم بالعلومِ المقصودةِ أكثرُ مِنِ اهتمامِهِم بوسائِلها ، فإذا قطعوا العمرَ في تحصيلِ الوسائلِ . . فمتىٰ يظفرون بالمقاصدِ ؟!

فلهٰذا يجبُ على المُعلِّمينَ لهٰذهِ العلومِ الآليَّةِ ألَّا يَتبحَّروا في شأنِها ، ويُنبِّهوا المُتعلِّمَ على الغرضِ منها ، ويقفوا بهِ عندَهُ ، فمَنْ نزعَتْ بهِ هِمَّتُهُ إلىٰ شيءٍ مِنَ التوغُّلِ . . فليَرْقَ لهُ ما شاءَ مِنَ المراقي ، صعباً أو سهلاً ، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ)[1] .

وقالَ في موضعٍ آخَرَ : كانَتْ مُدَّةُ التلميذِ في تونسَ خمسةَ أعوامٍ ، وفي فاسَ ستَّ عشرةَ سنةً ، وكانَتِ المنفعةُ في أهلِ تونسَ كثيرةً ، والتقدُّمُ ظاهراً ، وأهلُ فاسَ علىٰ خلافِ ذٰلكَ .

وسببُهُ : أنَّ علماءَ تونسَ جرتْ عادتُهُم أن يسلكوا بالتلامذةِ مسلكَ التعقُّلِ والتفهُّمِ لِمَا تَحفَّظوهُ ، حتىٰ إذا انقضَتْ مُدَّةُ التعلُّمِ . . خرجَ التلميذُ ومعَهُ محصولٌ معقولٌ مفهومٌ يُرشِدُهُ إلىٰ تحصيلِ ما لم يكنْ قد حصلَ لهُ ، ولا يَعجِزُ إلَّا عن بعضِ الأشياءِ ؛ بحيثُ متىٰ رَدَّدَ فكرَهُ أو شاركَ بعضَ إخوانِهِ فيما خَفِيَ عليهِ واستصعبَ . . تَجلَّىٰ لهُ وانقادَ .

وأمَّا أهلُ فاسَ . . فكانَتْ عادتُهُم أن يأخذَ التلامذةُ بحفظِ الكتبِ الطويلةِ ، والعباراتِ العويصةِ ، واللُّغاتِ الحُوشيَّةِ دونَ تَعقُّلٍ ، إلَّا أن يكونَ التعقُّلُ قهريّاً بديهيّاً أو شبيهاً بهِ .

وبما شرحناهُ مِنَ السببِ وأشباهِهِ تفاوتَ أهلُ الأمصارِ وأجيالُ الأعصارِ في كثرةِ العِلْمِ وثباتِهِ وسرعةِ تحصيلِهِ علىٰ ما كانَ مِنْ صعوبةِ المُؤلَّفاتِ وتقصيرِها وكثرةِ أغلاطِها ، كما هوَ شأنُ الأمورِ المُتجدِّدةِ .

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٣٧) .

فبتلاحقِ الأفكارِ وتفاوتِ الأنظارِ واختلافِ الأذواقِ . . تَسهلُ المُؤلَّفاتُ ، ويظهرُ الصَّوابُ ، ويَحصُلُ الفائتُ ، حتىٰ تكونَ بمنزلةِ الثمارِ التي بدا صلاحُها وتمَّ نضجُها ، فلسانُ حالِها ينادي : تناولوني ، ولا تَتركوني تُتلِفوني .

ويُنبِّهُكَ علىٰ ذٰلكَ أنَّهُ لم يزلْ عملُ المُتأخِّرينَ لِمَا فيهِ مِنَ المحاسنِ يَنسَخُ عملَ مَنْ سبقَ بهِمُ الزمنُ .

ألا ترىٰ إلىٰ مُؤلَّفاتِ جمالِ الدينِ ابنِ مالكٍ كيفَ أبطلَتِ العملَ بما سبقَ مِنَ التآليفِ ؟! بلِ المُتأخِّرُ مِنْ مُؤلَّفاتِهِ أبطلَ العملَ بالمُتقدِّمِ منها ، وعلىٰ ذٰلكَ القياسُ .

وبالجملةِ : فقد تَصفَّتِ العلومُ وتَهذَّبَتْ ، وأمكنَتْ مِنْ نفسِها ، فلا مُعطِّلَ عن سرعةِ تحصيلِها إلَّا سوءُ طريقةِ التعليمِ ، والغفلةُ عنِ المُعوِّقاتِ التي يجبُ اجتنابُها والحذرُ مِنَ الوقوعِ فيها .

فمِنَ المُعوِّقاتِ : المناقشةُ قبلَ فهمِ الأصلِ ، فربَّما تَسمعُ المُعلِّمَ يقولُ : قالَ المُؤلِّفُ كذا وكذا ، فقبلَ أن يُفسِّرَ ألفاظَهُ ويُبيِّنَ الغرضَ منهُ . . يقولُ : وفيهِ شيءٌ ، أو بحثٌ ، أو إشكالٌ ، أوِ اعتراضاتٌ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الألفاظِ .

ومنها : نقلُ عباراتِ الكتبِ الكبيرةِ في الكتبِ الصَّغيرةِ عندَ تفهُّمِها ، ويَجمعُ الناقلُ تلكَ النقولَ في كتابٍ ويُسمِّيهِ : **حاشيةً** ، وربَّما صَعُبَ عليهِ نفسِهِ بعضُ ما يَنقلُهُ ، فيكونُ التلميذُ كمَنْ يَتعلَّمُ السباحةَ في نهرٍ صغيرٍ ، فيُكلَّفُ أن يَخرُجَ إلى البحرِ يقطعُهُ بالسباحةِ !!

ومنها : كثرةُ التأليفِ في الفنِّ الواحدِ ، وتكليفُ الطالبِ أن يَقرأَ جميعَ تلكَ المُؤلَّفاتِ ، فإنَّهُ معَ كونِهِ تَكراراً . . مانعٌ مِنْ تحصيلِ فنٍّ آخَرَ ، وربَّما كانَ سبباً لضياعِ الفنِّ نفسِهِ ؛ فإنَّ الطالبَ إذا تَكرَّرَ استماعُهُ للمسألةِ الواحدةِ . . ملَّ وانصرفَ ذهنُهُ عنِ الحضورِ ، فلو فرضنا أنَّ الكتابَ الثانيَ والثالثَ والرابعَ كلٌّ يَشتمِلُ علىٰ أمرٍ أو أمورٍ لم يَشتمِلْ عليها الآخَرُ . . لم يكنْ ذٰلكَ مفيداً ؛ فإنَّ نفسَ الطالبِ قد مَلَّتْ ، وذهنَهُ قدِ انصرفَ .

وأشدُّ مِنْ ذٰلكَ : أنَّ الكتابَ لهُ شرحٌ ، وللشرحِ شرحٌ ، ولشرحِ الشرحِ شرحٌ ، وهَلُمَّ جرّاً ، يريدُ الشارحُ الأوَّلُ أن يُوضِّحَ الكتابَ ويَفتحَ مُقفلَهُ ، فيَعمِدُ الشارحُ الثاني لإغلاقِهِ ، ويزيدُهُ الثالثُ إغلاقاً .

وبالجملةِ : فالطالبُ يقعُ مِنْ كثرةِ الشُّروحِ المستعملةِ في وقتٍ واحدٍ في أمرٍ عظيمٍ وورطةٍ شديدةٍ ، وتَستشعِرُ نفسُهُ اليأسَ مِنْ تحصيلِ العِلْمِ .

ومِنَ المُعوِّقاتِ : حملُ المُتعلِّمِ على التطبيقِ قبلَ المعرفةِ فضلاً عن جودتِها اللَّازمةِ لذٰلكَ ؛ مثلاً : يَحضُرُ المُبتدِئُ الذي سمعَ كلمةَ النحوِ ليتَعلَّمَهُ ، فقبلَ أن يَعرِفَ شيئاً ما مِنَ النحوِ يَسمعُ الشيخَ يقولُ : باسمِ اللهِ : الباءُ حرفُ جرٍّ أصليٌّ ، ويَشرعُ في تقريرِ الأصليِّ والزائدِ ، ونقلِ الخلافاتِ ، وتكثيرِ الأوجهِ بالعباراتِ الطويلةِ والاستدلالاتِ الدقيقةِ .

فالطالبُ الشديدُ الذكاءِ يَحفظُ تلكَ الألفاظَ ولا يَتعقَّلُ لها معنىً ، ويَبقىٰ علىٰ ذٰلكَ مُدَّةً طويلةً يقرأُ فيها كتباً عديدةً ، فبعدَ انقضاءِ سنواتٍ يكونُ قد تَحصَّلَ معَهُ ألفاظٌ كثيرةٌ ، وقد وصلَ لسنِّ الاحتياجِ وتمييزِ النافعِ مِنْ غيرِهِ ، فيَبتدِئُ أن يَتعقَّلَ المرادَ مِنْ تلكَ الألفاظِ ، ويكونُ ذٰلكَ الوقتُ أوَّلَ طلبِهِ ومعرفتِهِ .

ويَنقسِمُ الطَّلَبةُ حينَئذٍ قسمَينِ :

ـ أحدُهُما : إنسانٌ تَذكَّرَ منفعةَ الاستكمالِ ، فيأخذُ في التفكُّرِ والتعلُّمِ بنفسِهِ .

ـ وآخَرُ : يقولُ : إنِّي حَصَّلتُ مَلَكَةَ العِلْمِ ، فأفهمُ الكتبَ وأُعلِّمُ الناسَ ، وأكونُ في درجةِ الفضلاءِ .

فيذهبُ الأوَّلُ صاعداً ، والثاني هابطاً ، حتىٰ يستويا .

فيجبُ ديانةً وعقلاً تداركُ هـٰذا الخَلَلِ ، واختيارُ أقربِ الطُّرقِ ومُثْلاها ؛ لتصلَ طَلَبةُ العِلْمِ إلىٰ حقيقةِ المعرفةِ ، ويعودَ لهُم شرفُ العلماءِ ، ويظهرَ عليهِم رَوْنقُ التهذُّبِ وجمالُ السيادةِ ، ويكونوا قد حفظوا جوهرةَ العقلِ التي مَيَّزَتْهُم مِنْ بينِ أنواعِ جنسِهِم ، واستعملوها فيما خُلِقَتْ لأجلِهِ ، ويَقتطِفَ ثمراتِ الامتثالِ بالدخولِ في المُخاطبينَ بقولِهِ تعالىٰ شأنُهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (١) .

وامتثلوا الأمرَ المُخاطَبَ بهِ النبيُّ والمقصودُ الكلُّ ؛ وهوَ : ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾ (٢) .

وقد آنَ أن نمضيَ معَكَ في تقريرِ المسائلِ النحويةِ علىٰ ترتيبِ « الخُلاصةِ » لحسنِهِ ، وعمومِ استعمالِها ، والانتفاعِ بها شرقاً وغرباً ، منذُ نظمَها ابنُ مالكٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ؛ فلقد كانَ صادقَ النيَّةِ ، صحيحَ العزمِ ، شديدَ الاجتهادِ في

---

(١) سورة المجادلة : (١١) .

(٢) سورة الكهف : (٢٤) .

تأييدِ الإسلامِ ونفعِ المسلمينَ ، حتَّىٰ إنَّ الناسَ بعدَهُ أكثروا مِنْ نظمِ ألفيَّاتٍ مختلفةٍ ، وزادوا فيها على « الخُلاصةِ » ، ولم يُلتفَتْ إليها .

فنقولُ : ينبغي أن نجعلَ الكلامَ في النحوِ منقسماً إلىٰ :

ـ مُقدِّمةٍ .

ـ وخمسةِ أقسامٍ .

ـ وخاتمةٍ .

* * *

المُقدِّمةُ

[في بيانِ الإفرادِ والتركيبِ ومعنى الكلامِ]

اعلمْ : أنَّ الإفرادَ : جعلُ الشيءِ فرداً ليسَ معَهُ آخَرُ ، ويقابلُهُ التزويجُ ؛ وهوَ جعلُ الشيءِ زوجاً يقارنُهُ زوجٌ آخَرُ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ (١) ، وقالَ : ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (٢) .

ثـمَّ نقلَهُ النحويونَ كما هوَ شأنُ أكثرِ الألفاظِ المستعملةِ في الفنونِ ؛ فتارةً يريدونَ بالمفردِ : ما ليسَ مُركَّباً مِنَ الألفاظِ ، وتارةً يقابلونَ بِهِ المُثنَّىٰ والجمعَ ، وتارةً يقابلونَ بِهِ الجملةَ ، وطوراً يقابلونَ بِهِ المضافَ والشبيهَ بِهِ .

وأنَّ التركيبَ وضعُ الشيءِ على الشيءِ ، ونُقِلَ إلىٰ جمعِ كلمتَينِ فأكثرَ بحيثُ يفيدُ الاجتماعُ معنىً لم يكنْ قبلُ .

وقد عرفتَ : أنَّ موضوعَ النحوِ . . المُركَّبُ ؛ لكونِهِ يَبحثُ عن أحوالِ الكلماتِ ، حيثُ تكونُ أجزاءً لهُ ؛ مِنَ الإعرابِ والبناءِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والحذفِ والذِّكرِ ، ولذٰلكَ تَأخَّرَتْ رتبتُهُ عمَّا سبقَهُ من العلومِ العربيةِ ؛ لكونِها تَبحثُ عنِ المفرداتِ .

وضابطُ المفردِ في هٰذا الموضعِ : ما يكونُ إعرابُهُ واحداً وإن كانَ قائماً مِنْ كلمتَينِ يفيدُ كلٌّ منهُما معنىً ؛ مثلُ : الرجلِ ، وفاطمةَ ، ومصريٍّ .

وضابطُ المُركَّبِ : ما يَتعدَّدُ فيهِ الإعرابُ وإن كانَ معناهُ واحداً ؛ كعبدِ اللهِ ، والإنسانِ الكاملِ ، عَلَمَيْنِ .

(١) سورة النساء : (١) .

(٢) سورة الذاريات : (٤٩) .

وعرفتَ : أنَّ **الكلامَ** : هوَ المُركَّبُ التامُّ المُشتمِلُ على النسبةِ التامَّةِ التي شأنُها أنْ تُقصَدَ إفادتُها ، ويَتلوَها مقطعٌ وفصلٌ بينَها وبينَ غيرِها ، سواءٌ قُصِدَتِ الإفادةُ بالفعلِ أم لا ، وسواءٌ زاحَتْ جهالةً وحَصَّلَتْ عِلْماً أم لا ، وإن كانَ الكلامُ لا يُعتَدُّ بهِ ولا يُعتبَرُ إلَّا إذا وافقَ الحكمةَ الأصليَّةَ في تشريفِ الخالقِ نوعَنا بمزيَّةِ الكلامِ ؛ وهيَ الإفادةُ والاستفادةُ .

وشكَّ أهلُ اللُّغةِ في تفسيرِ الكلامِ : هل هوَ مساوقٌ للقولِ والنطقِ ، أو هوَ ما اكتُفِيَ بنفسِهِ ، ويُستعمَلُ موضعَ التكليمِ كما قالَ شاعرُهُم (١) : [من الوافر]

فَإِنْ تُمْسِ ٱبْنَةُ ٱلسَّهْمِيِّ مِنَّا ... بَعِيداً مَا تُكَلِّمُنَا كَلَامَا

وإطلاقُ الكلامِ على المعاني النفسيَّةِ المُتعرِّضةِ للعبارةِ عنها . . مجازٌ ، وجعلَها الأخطلُ هيَ الجديرةَ باسمِ الكلامِ والأحقَّ بهِ حيثُ يقولُ (٢) : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلَا

وأرادَ الأخطلُ بهٰذا البيتِ : الردعَ والزجرَ لفريقٍ ، والتسليةَ وتسكينَ الخاطرِ لفريقٍ آخَرَ .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّ بعضَ الناسِ إذا تَجبَّرَ وعتا ، وساءَتْ أخلاقُهُ ، وقَبُحَتْ أفعالُهُ ، وكانَ معَهُ مِنَ القهرِ والسَّلاطةِ ما يَحبِسُ الألسنَ . . فهوَ مشتومٌ بالضَّميرِ ، ممقوتٌ بالقلوبِ ، مُتمنَّى الزوالِ ، وحَسْبُ امرئٍ جهلاً أن يَعرِفَ بُغْضَ القلوبِ وشَحناءَ النفوسِ ويتمادىٰ في غيِّهِ .

وأنَّ بعضَ الناسِ تَحسُنُ أحوالُهُ ، وتَطيبُ أفعالُهُ ، وتَملأُ الرحمةُ قلبَهُ ،

---

(١) انظر « الأغاني » (٤٧٢٢/١٣) ، والبيت لحاجز بن عوف الأزدي .
(٢) انظر « شرح شذور الذهب » (ص ٢٨) .

ثمَّ يَمنَعُ خوفُ ضدٍّ غَشومٍ مِنِ انطلاقِ الألسنِ بتقريظِهِ ، والثناءِ عليهِ ، وبثِّ فضائلِهِ ، ولٰكنَّ القلوبَ منطويةٌ علىٰ حُبِّهِ ، ناطقةٌ بمدحِهِ وشكرِهِ ، فهوَ يقولُ : إنَّ العبرةَ بالبواطنِ ، فعندَها الحقائقُ .

وخَصَّ النقلُ الكلمةَ بالقولِ المفردِ ، وفي اللغةِ تُطلَقُ على الجملةِ ، ومنهُ : الكلمةُ الباقيةُ ؛ وهيَ كلمةُ الإخلاصِ ، وعلى القصيدةِ يقولونَ مثلاً : قالَ امرؤُ القيسِ في كلمتِهِ الفلانيَّةِ .

والكلمةُ : بفتحِ الكافِ وكسرِ اللامِ أو سكونِها وعليهِ تُفتَحُ الكافُ وتُكسَرُ ، ثمَّ إنَّها بمعنى المفردِ : واحدُ الكَلِمِ الذي هوَ اسمُ جنسٍ جمعيٌّ ، موضوعٌ ليُستعمَلَ بالمشيئةِ عندَ الحاجةِ في جميعِ الألفاظِ ، وكلِّ جماعةٍ منها دونَ الاثنَينِ والواحدِ ، ويُذكَّرُ ، ويُؤنَّثُ ، ويُفرَقُ بينَهُ وبينَ واحدِهِ بالتاءِ ، كما هوَ شأنُ هٰذا النوعِ مِنَ الأسماءِ ، فتقولُ : الكَلِمُ منهُ كَلِمٌ طيِّبٌ ، وكَلِمٌ غيرُ طيبٍ .

[علاماتُ أنواعِ الكلمةِ]

وعرفتَ تَنوُّعَ الكَلِمِ ، وتَميُّزَ أنواعِهِ الثلاثةِ بالحقائقِ ، ويُذكَرُ لأجلِ التنويرِ على الطالبِ المُبتدِئِ وإرشادِهِ بمُرشدٍ محسوسٍ خواصٌّ لكلِّ نوعٍ منها ؛ فيُقالُ لهُ :

إذا سمعتَ الكلمةَ مخفوضةَ الآخِرِ ؛ نحوُ : باسمِ اللهِ ، أو منادىً معناها مطلوبُ الإقبالِ بأحدِ الأحرفِ الموضوعةِ لذٰلكَ ، أو مختومةً بنونٍ ساكنةٍ تُلفَظُ ولا تُكتَبُ ولا يُكتَبُ لها بدلٌ غالباً ، أو مُفتتَحةً بـ (أل) التعريفيةِ ، أو مسنداً إليها ، أو مضافةً ، أو مُثنَّاةً ، أو مجموعةً . . **فاعرفْ أنَّها اسمٌ** .

وإذا رأيتَ الكلمةَ مصحوبةً بتاءٍ ؛ نحوُ : أنا كتبتُ ، وأنتَ كتبتَ ، وهندٌ كتبَتْ ، أو ياءٍ ؛ نحوُ : تكتبينَ يا هندُ ، واقرئي ، أو نونٍ ؛ نحوُ : ﴿ لَيُسۡجَنَنَّ

﴿وَلَيَكُونًا﴾ [1] ، و﴿لَأَكِيدَنَّ﴾ [2] ، و﴿لَنَسْفَعًا﴾ [3] ، أو بـ (قد) في نحوِ : قد قامَتِ الصلاةُ ، و﴿قَدْ يَعْلَمُ﴾ [4] ، أو بالسين في نحوِ : سيقولُ ، أو بـ (سوف) في نحوِ : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ [5] .. **فاعرفْ أنَّها فعلٌ** .

وتَعرِفُ المضارعَ : بدخولِ (لم) عليهِ في نحوِ : ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [6] ، و(لمَّا) في نحوِ : ﴿لَمَّا يَذُوقُواْ﴾ [7] ، واللَّامِ في نحوِ : ﴿لِيُنفِقْ﴾ [8] ، و(لا) في نحوِ : ﴿وَلَا تُلْقُواْ﴾ [9] .

وتُميِّزُ الماضيَ : بتاءٍ ؛ نحوُ : أنا كتبتُ ، وهندٌ كتبَتْ .

وعلامةُ فعلِ الأمرِ : دلالتُهُ على الطلبِ ، وتوكيدُهُ بنونَيِ التوكيدِ .

[أسماءُ الأفعالِ]

وهنالكَ ألفاظٌ تَدُلُّ علىٰ معاني الأفعالِ ولا تَصحبُها سماتُ الأفعالِ وعلاماتُها ، يُقالُ لها : **أسماءُ الأفعالِ** ؛ لأنَّها وُضِعَتْ ليُستغنىٰ باستعمالِها عنِ النطقِ بألفاظِ الأفعالِ ، وهيَ مثلُ أفعالِها في التعدِّي واللُّزومِ غالباً ؛ فتقولُ : دَراكِ زيداً ، كما تقولُ : أَدرِكْهُ ، ونَزالِ يا عمرُو ، كما تقولُ : انزلْ .

ومِنَ النادرِ لفظُ (آمينَ) ، فلا تقولُ : آمينَ دعاءَنا ، كما تقولُ : استجبْ دعاءَنا .

---

(١) سورة يوسف : (٣٢) .
(٢) سورة الأنبياء : (٥٧) .
(٣) سورة العلق : (١٥) .
(٤) سورة النور : (٦٣) .
(٥) سورة الضحىٰ : (٥) .
(٦) سورة البينة : (١) .
(٧) سورة صٓ : (٨) .
(٨) سورة الطلاق : (٧) .
(٩) سورة البقرة : (١٩٥) .

وهيَ أيضاً مثلُ أفعالِها ؛ في أنَّ فاعلَ بعضِها ضميرٌ مستترٌ أبداً ، وبعضَها يكونُ فاعلُهُ ضميراً مستتراً تارةً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً ، وبعضَها في مقابلةِ أفعالٍ ماضيةٍ ، وبعضَها في مقابلةِ أفعالٍ مضارعةٍ ، وبعضَها ـ وهوَ الأكثرُ ـ في مقابلةِ أفعالٍ أمريَّةٍ .

ثمَّ إنَّها ثلاثةُ أقسامٍ :

ـ قسمٌ موضوعٌ مِنْ أوَّلِ أمرِهِ اسمَ فعلٍ .

ـ وقسمٌ نُقِلَ عن ظرفٍ .

ـ وقسمٌ نُقِلَ عن مصدرٍ .

فمِنَ الأوَّلِ : للماضي : هيهاتَ ؛ أي : بَعُدَ ، وشَتَّانَ ؛ أي : افترقَ ، وسَرَعانَ بفتَحاتٍ ، ووَشْكانَ بفتحٍ فسكونٍ ؛ أي : أسرعَ ، وبُطْآنَ بضمٍّ فسكونٍ ؛ أي : أبطأَ .

وللمضارعِ : وَيْ ؛ أي : أَتعجَّبُ ، وأَوَّهْ ؛ أي : أَتوجَّعُ ، وأُفٍّ ؛ أي : أَتضجَّرُ ، وَبَخٍ بَخْ بفتحِ باءَيهِما وكسرِ الخاءِ في الأُولىٰ مُنوَّنةً ؛ أي : أستحسنُ وأَتعجَّبُ .

وللأمرِ : تَيْدَ بسكونٍ بينَ فتحتَين ؛ أي : ارفقْ ، وآمينَ ؛ أيِ : استجبْ ، وها ؛ أي : خُذْ ، وتُمَدُّ ويُخاطَبُ بها الواحدُ وغيرُهُ بلفظٍ واحدٍ ، وتَتصِلُ بها كافُ الخطابِ مُتصرِّفةً تَصرُّفَ الكافِ الضميرِ ، وتُبدَلُ الكافُ همزةً ، ومنهُ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾ (١) ، وهَيْتَ : كتَيْدَ ، وهِئْتَ : كشِئْتَ ، وهيَّا بفتحِ الهاءِ وكسرِها وتشديدِ الياءِ ، وهَيْتُ : كبَيْتٍ (٢) ؛ أي : أَسرِعْ ، وهَلُمَّ ؛

(١) سورة الحاقة : (١٩) .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها : (كحيثُ) .

أي : أَقبِلْ ، وحَيَّهَلَ مثلُ هَلُمَّ ، ويُنطَقُ بـ (حيَّ) وحدَها ، وتُستعمَلُ في استحثاثِ العقلاءِ ، وتُستعمَلُ (هَلَا) في استحثاثِ غيرِهِم غالباً ، ومِنَ النادرِ[١] : [من الطويل]

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَىٰ وَقُولَا لَهَا هَلَا

ومَهْيَمْ : كمَرْيَمَ ؛ أي : أَخبِرْ[٢] .

* * *

ومِنَ المنقولِ عن ظرفٍ : عليكَ زيداً ؛ أي : الزمْهُ ، وإليكَ ؛ أي : تأخَّرْ ، وإليَّ ؛ أي : أَقبِلْ ، وعندَكَ ، ودونَكَ ؛ أي : خُذْ ، ومكانَكَ ؛ أي : اثبُتْ .

* * *

ومِنَ المنقولِ عن مصدرٍ لم يُنطقْ لهُ بفعلٍ : بَلْهَ ، بسكونٍ بينَ فتحتَينِ ، قالَ كعبُ بنُ مالكٍ الأنصاريُّ في ذكرِ السيوفِ[٣] : [من الكامل]

تَذَرُ ٱلْجَمَاجِمَ ضَاحِياً هَامَاتُهَا   بَلْهَ ٱلْأَكُفَّ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ

ومعناهُ : اتركْ ، ورُوَيْدَ مُصغَّرَ إروادٍ مصدرِ أرودَ ؛ أي : أمهلَ ، تصغيرَ ترخيمٍ .

وبعضُ أسماءِ الأفعالِ قد يُنوَّنُ وحينَئذٍ يكونُ نكرةً ، ويُسمَّىٰ تنوينُهُ : تنوينَ التنكيرِ .

مثلاً : إذا أردتَ أن تنهىٰ جليسَكَ عن حديثٍ بعينِهِ مبيحاً لهُ غيرَهُ . .

---

(١) هـٰذا صدر بيت للنابغة الجعدي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣٣) والبيت بتمامه :

أَلَا حَيِّيَا لَيْلَىٰ وَقُولَا لَهَا هَلَا   فَقَدْ رَكِبَتْ أَمْراً أَغَرَّ مُحَجَّلَا

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/٤) : (كلمة يستفهم بها ؛ أي : ما شأنك) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » (٢١١/٦) .

قلتَ : صَهْ ، دونَ تنوينٍ ، **معناها** : اسكتِ السكوتَ المُتعلِّقَ بهٰذا الحديثِ ، وحَدِّثْ ما شئتَ ، وإذا أردتَ أن تنهاهُ عنِ الحديثِ مطلقاً . . قلتَ : صَهٍ ، بالتنوينِ ، **ومعناهُ** : اسكتْ سكوتاً مُتعلِّقاً بكلِّ حديثٍ .

وعلىٰ ذٰلك : قياسُ ما يَرِدُ عليكَ مِنْ هٰذا النوعِ ؛ كمَهْ ومَهٍ ؛ أي : انكفِفْ ، وإيهِ وإيهٍ ؛ أي : زِدْ في الحديثِ .

ومِنْ أسماءِ الأفعالِ ما يقومُ مَقامَ جملةٍ : مثلُ : هَمْهامْ ، ومَحْماحْ ، وحَمْحامْ ، وبَحْباحْ ؛ بفتحٍ فسكونٍ ، ساكنةَ الأواخرِ ؛ أي : لم يبقَ شيءٌ .

[أسماءُ الأصواتِ]

ويُذكَرُ معَ أسماءِ الأفعالِ ألفاظٌ يُقالُ لها : **أسماءُ الأصواتِ** ؛ وهيَ نوعانِ :

ـ **الأَوَّلُ : الألفاظُ التي تُخاطَبُ بها الحيواناتُ** ؛ مثلُ (هَلَا) في زجرِ الخيلِ ، و(عَدَسْ) في زجرِ البغالِ .

ـ **والثاني : الألفاظُ التي تُحكىٰ بها الأصواتُ المسموعةُ مِنَ الحيواناتِ وغيرِها** ؛ كقولِهِم في حكايةِ صوتِ الغُرابِ : (غاقْ غاقْ) ، وفي حكايةِ صوتِ الذُّبابِ (خازِ بازِ) ، وفي حكايةِ صوتِ السيفِ في الضَّرِيبةِ (قَبْ قَبْ) .

ومَنْ أرادَ التوسُّعَ في معرفةِ أسماءِ الأفعالِ والأصواتِ . . فعليهِ بكتبِ اللغةِ ؛ فإنَّها موضعُ ذٰلكَ ، وإنَّما يذكرُها النحويُّ لتنبيهِ المُتعلِّمينَ ، وحفظِهِم مِنِ اعتقادِ كونِها أفعالاً ؛ حيثُ دَلَّتْ دلالتَها وأفادَتْ معانيَها .

وبما أوردناهُ في هٰذا الموضعِ . . تستغني عن وضعِ بابٍ لأسماءِ الأفعالِ .

❋ ❋ ❋

القسمُ الأوَّلُ

في الإعرابِ والبناءِ ، والمُعرَبِ والمَبنيّ

الإعرابُ : كلمةٌ مُشتَركةٌ بينَ معانٍ كثيرةٍ ، منها الإبانةُ والإظهارُ ، وهوَ الأنسبُ بالمعنى المنقولِ إليهِ ، الذي هوَ الآثارُ المختلفةُ علىٰ آخِرِ الكلمةِ المُركَّبةِ حَسَبَ اختلافِ الاقتضاءِ ؛ لتمييزِ المعاني المتعاقبةِ على الكلمةِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرِهِما .

والبناءُ : وضعُ حجرٍ علىٰ حجرٍ بلاصقٍ بينَهُما ؛ لحفظِ الصورةِ المرادِ بقاؤُها ، نُقِلَ إلىٰ حالةِ آخِرِ الكلمةِ اللّازمةِ التي لا تَتبدَّلُ معَ اختلافِ المقتضياتِ .

أنواعُ الإعرابِ أربعةٌ : رفعٌ ، ونصبٌ ، وخفضٌ ، وجزمٌ .

الرفعُ : ضمةٌ ، وأَلِفٌ ، وواوٌ ، ونونٌ ، يُقالُ للضمَّةِ : أصلٌ ، وللأحرفِ الثلاثةِ : نائبةٌ عنها .

والنصبُ : فتحةٌ ، وأَلِفٌ ، وياءٌ ، وكسرةٌ ، وحذفُ نونٍ ، كسابقِهِ : أصلٌ ، ونائبٌ .

والخفضُ : كسرةٌ ، وياءٌ ، وفتحةٌ كذٰلكَ .

والجزمُ : سكونٌ ، وحذفُ حرفِ عِلَّةٍ ، وحذفُ نونٍ ، أصلٌ ونائبانِ .

والبناءُ أربعةُ أنواعٍ : سكونٌ ، وفتحٌ ، وضمٌّ ، وكسرٌ .

وينوبُ عنِ السكونِ : حذفُ حرفِ عِلَّةٍ وحذفُ نونٍ ، وينوبُ عنِ الفتحِ : ياءٌ وكسرةٌ ، وينوبُ عنِ الضمِّ : أَلِفٌ ، ولا ينوبُ عنِ الكسرِ شيءٌ ، وسيردُ عليكَ مواضعُ ما ذُكِرَ ، فلتكنْ علىٰ ذُكْرٍ منهُ .

* * *

[أصنافُ المَبنيّ]

المبنيُّ : موضعُ البناءِ ؛ وهوَ : **جميعُ الحروفِ ، وجميعُ الأفعالِ الماضيةِ ، وجميعُ الأفعالِ الأمريةِ ، والفعلُ المضارعُ المُتَّصلُ بإحدىٰ نونَي التوكيدِ أو بنونِ الإناثِ** .

ومِنَ الأسماءِ : الضَّمائرُ ، وأسماءُ الإشارةِ ، وأسماءُ الاستفهامِ ، وأسماءُ الشرطِ ، وأسماءُ الأفعالِ ، والأسماءُ الموصولةُ ، والأعدادُ المُركَّبةُ مِنْ أحدَ عشرَ إلىٰ تسعةَ عشرَ ، وما أُجريَ مُجراها ؛ كبيتَ بيتَ ، وصباحَ مساءَ ، وأوَّلَ أوَّلَ ، ويومَ يومَ .

والمُركَّباتُ المَزجيَّةُ المختومةُ بـ (وَيْهِ) ، واسمُ (لا) والمنادى المفردانِ ، وحيثُ ، وإذ ، وإذا ، وبابُ قبلُ وبعدُ .

ويَحسُنُ ـ ولا يجبُ ـ بناءُ أسماءِ الزمنِ المضافةِ إلىٰ جملٍ مُصدَّرةٍ بمبنيٍّ .

ويجوزُ بناءُ كلمةِ (غيرٍ) و(مثلٍ) و(شبهٍ) إذا أُضيفَتْ لمبنيٍّ .

فما كانَ مِنَ المبنياتِ ساكناً . . فهوَ ساكنٌ أبداً ؛ كـ (لمْ) و(مِنْ) و(كَمْ) ، وكذٰلكَ المفتوحُ والمضمومُ والمكسورُ ، كذٰلكَ اللغةُ العربيةُ .

الفعلُ الماضي : إذا اتَّصلَ بغيرِ الألِفِ والواوِ مِنَ الضَّمائرِ البارزةِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، ومعَ الواوِ على الضمِّ ، وفي غيرِ ذٰلكَ على الفتحِ ظاهراً أو مُقدَّراً .

والأمرُ الصحيحُ الآخِرِ : في خطابِ الواحدِ وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ . . مبنيٌّ على السكونِ ، وفي غيرِ ذٰلكَ علىٰ حذفِ النونِ .

والمُعتلُّ الآخِرِ : مبنيٌّ بحذفِ حرفِ العِلَّةِ في خطابِ الواحدِ ، وفي خطابِ جماعةِ الإناثِ مبنيٌّ بالسكونِ ، وفي غيرِهِما بحذفِ النونِ .

والمُتَّصِلُ بإحدىٰ نونَيِ التوكيدِ : مبنيٌّ على الفتحِ .

والمضارعُ المُتصِلُ بإحداهُما : مبنيٌّ على الفتحِ ، والمُتصِلُ بنونِ الإناثِ : مبنيٌّ على السكونِ .

وما كانَ مِنَ الأسماءِ علىٰ صورةِ المُثنَّىٰ : مبنيٌّ على الأَلِفِ في مواضعِ الرفعِ ، وعلى الياءِ في مواضعِ النصبِ والخفضِ .

ويُبنى (الذينَ) الدالُّ على الجماعةِ بالياءِ مطلقاً .

وجمعُ المُؤنَّثِ السالِمِ في موضعِ النصبِ حيثُ يَستحِقُّ البناءَ . . مبنيٌّ على الكسرِ .

والمُعرَبُ غيرُ ما ذُكِرَ .

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنَ الإعرابِ تمييزَ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ . . كانَ حقُّ الأسماءِ أَلَّا يُبنىٰ منها شيءٌ ، ولذٰلكَ تجدُ النحويينَ يلتمسونَ العِلَّةَ لبناءِ ما بُنِيَ منها ؛ فيقولونَ : إنَّما بُنِيَتِ الضَّمائرُ لأمرَينِ :

ـ الأوَّلُ : أنَّ كثيراً منها كائنٌ مِنْ حرفٍ أو حرفَينِ ، وتلكَ حالُ أكثرِ الحروفِ ، وما زادَ مِنَ الضَّمائرِ محمولٌ علىٰ غيرِهِ ، ويُسمُّونَ ذٰلكَ بالشَّبَهِ الوضْعيّ .

ـ والثاني : أنَّ الضَّمائرَ أنواعٌ ، كلُّ نوعٍ منها مُختصٌّ ببابٍ ، فلم تتواردْ عليها المعاني .

مثلاً : التاءُ المضمومةُ في نحوِ (كتبتُ) مُختصَّةٌ بالفاعليَّةِ ، وكلمةُ (أنا) مُختصَّةٌ بالابتداءِ ، وهٰكذا .

وبُنِيَتْ أسماءُ الشَّرطِ ؛ لتضمُّنِها معنىٰ (إنْ) .

وأسماءُ الاستفهامِ ؛ لتضمُّنِها معنى الهمزةِ و(أَمْ) .

وأسماءُ الإشارةِ ؛ لتضمُّنِها معنىٰ (أل) التعريفيةِ .

ويمكنُ اعتبارُ ذٰلكَ في الضَّمائرِ أيضاً ، ويُسمُّونَ ذٰلكَ : الشَّبَهَ المعنويَّ .

وبُنِيَتْ أسماءُ الأفعالِ ؛ لأنَّها لا يُؤثِّرُ فيها عاملٌ لفظيٌّ ، وهيَ مُؤثِّرةٌ في غيرِها بسببِ نيابتِها عنِ الفعلِ ، فأشبهَتْ (إنَّ) التي معناها : أُحقِّقُ ، و(لٰكنَّ) التي معناها : أستدركُ ، ويُسمُّونَهُ : الشَّبَهَ الاستعماليَّ .

وبُنِيَتِ الأسماءُ الموصولةُ و(حيثُ) و(إذ) و(إذا) لافتقارِها في تحصُّلِ عينِ المرادِ بها إلىٰ ضميمةِ جملةٍ ، كما أنَّ الحرفَ لا يَتحصَّلُ معناهُ المرادُ إلَّا بضميمةٍ ، ويُسمُّونَهُ : الشَّبَهَ الافتقاريَّ .

وبُنِيَ العددُ المُركَّبُ وما أشبهَهُ ؛ لتضمُّنِهِ معنىٰ حرفِ العطفِ .

وبُنِيَتْ (قبلُ) و(بعدُ) وقَبِيلُهُما لتضمُّنِها معنىٰ (أل) التعريفيةِ .

وأثبتَ بعضُ النحويينَ مُوجِباً للبناءِ ، وسمَّاهُ : الشَّبَهَ اللفظيَّ ، وجعلَ المبنيَّ بهِ لفظَ (لدىٰ) و(علىٰ) و(عن) والكافِ ؛ حيثُ استُعمِلَتْ (علىٰ) وما بعدَها أسماءً .

ولا تَرِدُ لفظةُ (إلىٰ) بمعنى النعمةِ مفردَ الآلاءِ ؛ لكونِها مقصورةً كالفتىٰ والعصا ، فكما تقولُ : فتاكَ وفتىً بالأَلِفِ والتنوينِ . . تقولُ : إلاكَ وإلىً ، فلم تُشبِهْ (إلى) الحرفيةَ ، بخلاف (لدىٰ) فإنَّها لا تُنوَّنُ ، وإذا أضفتَها . . قلتَ : لديكَ ولدينا ، كما تقولُ : عليكَ وعلينا .

أصنافُ المُعرَبِ

الاسمُ المفردُ وجمعُ التكسيرِ المُنصرِفانِ الصحيحا الآخِرِ : يُرفعانِ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ويُنصَبانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، ويُخفَضانِ بكسرةٍ ظاهرةٍ ، **وغيرُ المُنصرِفَينِ** : يُخفَضانِ بفتحةٍ ظاهرةٍ نيابةً عنِ الكسرةِ .

والمُعتلَّانِ بالأَلِفِ : تُقدَّرُ فيهِما الحركاتُ الثلاثُ ؛ لامتناعِ تحريكِ الأَلِفِ .

والمُعتلَّانِ بالياءِ المكسورِ ما قبلَها : يُقدَّرُ فيهِما ما عدا الفتحةَ ؛ لثقلِ تحريكِها بغيرِها .

والمُعتلَّانِ غيرُ المُنصرِفَينِ : تُقدَّرُ فيهِما الحركتانِ إلَّا فتحةَ النصبِ في المنقوصِ ، ويُقالُ : مخفوضٌ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ نيابةً عنِ الكسرةِ .

المُضافُ إلىٰ ياءِ المُتكلِّمِ : تُقدَّرُ فيهِ الحركاتُ الثلاثُ ؛ لاشتغالِ آخِرِهِ بالكسرةِ المجلوبةِ لمناسبةِ الياءِ قبلَ جعلِ ذٰلكَ المضافِ جزءَ كلامٍ ، فتَعذَّرَتْ ولم تمكنْ حركاتُ الإعرابِ .

وتُقدَّرُ الحركاتُ أيضاً في **الجملِ المجعولةِ أعلاماً** ، وفي **الأعدادِ المُركَّبةِ المُسمَّىٰ بها** إذا حكيتَها ولم تُعرِبْها لفظاً ؛ لجوازِ الأمرَينِ فيها .

أبوك ، وأخوك ، وحموها ، وفوهُ ، وذو جاهٍ : مُخرَجةٌ مِنْ حكمِ المفرداتِ ، فهيَ مُعرَبةٌ بالواوِ رفعاً ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وبالأَلِفِ نصباً ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ ، وبالياءِ خفضاً ؛ نيابةً عنِ الكسرةِ ، بشرطِ أَلَّا تُصغَّرَ ، ولا تُجمَعَ ، ولا تُضافَ للياءِ ، ولا تُثنَّىٰ ، ولا تقطعَ عنِ الإضافةِ ، وإلَّا . . أُعرِبَتْ بالحركاتِ أو بإعرابِ المُثنَّىٰ .

المُثنَّىٰ : إعرابُهُ حرفانِ : أَلِفٌ مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمَّة ، وياءٌ ساكنةٌ مفتوحٌ ما قبلَها مكسورٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ .

وأُلحِقَ بهِ : اثنانِ واثنتانِ ، وكِلا وكِلتا مضافتَينِ لضميرٍ ، وإلَّا . . فهُما مِنَ المقصورِ .

جمعُ المُذكَّرِ السالمِ[1] : إعرابُهُ حرفانِ : واوٌ مضمومٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الضمةِ ، وياءٌ ساكنةٌ سكوناً مرسلاً مكسورٌ ما قبلَها مفتوحٌ ما بعدَها ؛ نيابةً عنِ الفتحةِ والكسرةِ .

وأُلحِقَ بهِ : بابُ عشرينَ ، وأُولو جاهٍ ، وما شذُّوا بجمعِهِ علىٰ هٰذهِ الصِّيغةِ ؛ كأَرَضينَ ، وسِنينَ وبابِهِ ؛ مِنْ جمعِ كلِّ كلمةٍ ثُلاثيَّةٍ حُذِفَتْ لامُها وعُوِّضَ عنها تاءُ التأنيثِ ؛ كعِضِينَ وعِزِينَ ، وما سُمِّيَ بهِ مِنْ ذٰلكَ .

جمعُ المُؤنَّثِ السالمِ : تنوبُ فيهِ الكسرةُ عنِ الفتحةِ ، فإعرابُهُ حركتانِ .

الفعلُ المضارعُ المُعَربُ : لهُ أربعةُ أحوالٍ :

ـ الأُولىٰ : أن يكونَ صحيحَ الآخِرِ ، غيرَ مُتَّصلٍ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ التي هيَ : واوُ الجماعةِ ، وأَلِفُ الاثنَينِ ، وياءُ المخاطبةِ ، وإعرابُهُ إذاً : رفعٌ بضمَّةٍ ظاهرةٍ ، ونصبٌ بفتحةٍ ظاهرةٍ ، وجزمٌ بسكونٍ .

ـ الحالةُ الثانيةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالأَلِفِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُنصَبُ بفتحةٍ مُقدَّرةٍ ، ويُجزَمُ بحذفِ الأَلِفِ نيابةً عنِ السكونِ .

ـ الحالةُ الثالثةُ : أن يكونَ مُعتلَّ الآخِرِ بالواوِ أوِ الياءِ ؛ فيُرفَعُ بضمَّةٍ مُقدَّرةٍ لثقلِ تحريكِهِما بها ، ويُنصَبُ بفتحةٍ ظاهرةٍ لخفتِهِ ، ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ السكونِ .

---

(١) يصح في كلمة (السالم) أن تكون نعتاً للمضاف ، وأن تكون نعتاً للمضاف إليه ، والأرجح : أن تكون نعتاً للمضاف إليه ؛ لأن السلامة في الحقيقة للمضاف إليه عند جمعه . انظر « حاشية الصبان على الأشموني » (١/٨٠) .

ـ **الحالةُ الرابعةُ** : أن يَتصِلَ بأحدِ الضَّمائرِ الثلاثةِ ؛ فيُرفَعُ بالنونِ نيابةً عنِ الضَّمةِ ، ويُنصَبُ ويُجزَمُ بحذفِها نيابةً عنِ الفتحةِ والسكونِ ، وهٰذهِ فائدةُ تلكَ النونِ .

هٰذا ؛ **ولقائلٍ أن يقولَ** : إنَّكم قلتُم : إنَّ الغرضَ مِنَ الإعرابِ تمييزُ المعاني المتواردةِ على الكلمةِ ، وكيفَ يَحصُلُ ذٰلكَ معَ نيابةِ حركةٍ عن حركةٍ ، وحرفٍ واحدٍ عن حركتَينِ ، ومعَ كونِ الإعرابِ تقديريّاً ؟

فيُقالُ لهُ : إنَّ الإنسانَ يَنشأُ خاليَ الذِّهنِ ، مطبوعاً فيهِ حبُّ المعرفةِ ، لٰكنْ في أوَّلِ أمرِهِ يكونُ مشغولاً بالمحسوساتِ ، فَرِحاً بالاطِّلاعِ عليها ، طالباً لمعرفةِ أسمائِها ، دونَ أن يَسرِيَ في المعقولات ، فينبغي كما تقتضي الحكمةُ أن يكونَ تعريفُهُ في هٰذه الحالةِ بأمورٍ ظاهرةٍ وعلاماتٍ محسوسةٍ .

فإذا انتقلَ عن هٰذهِ الحالةِ ، وتراسخَتْ عندَهُ المعاني ، وصارَ موكولاً إلىٰ تعقُّلِهِ . . أُحيلَ في المعرفةِ علىٰ إدراكِ ارتباطِ الكلماتِ في التراكيبِ ، واستغنىٰ بذٰلكَ عنِ العلاماتِ الظاهرةِ والتمييزِ بها .

❋ ❋ ❋

القسمُ الثاني
في الجملةِ الاسميَّةِ

الجملةُ الاسميَّةُ : هيَ المُصدَّرةُ بالاسمِ ، ويُقالُ لأحدِ جزأَيها : مبتدأٌ ، وللجزءِ الآخَرِ : خبرٌ ؛ نحوُ : العلمُ نافعٌ ، والأدبُ حسنٌ .

فالعلمُ والأدبُ : مبتدآنِ ، ونافعٌ وحسنٌ : خبرانِ .

المبتدأُ قسمانِ : مبتدأٌ حقيقةً وصورةً ، ومبتدأٌ صورةً فعلٌ حقيقةً .

ويُسمَّى القسمُ الأوَّلُ : المبتدأَ ذا الخبرِ ، ويُسمَّى القسمُ الثاني : المبتدأَ ذا المرفوعِ المغني عنِ الخبرِ .

❋ ❋ ❋

بيانُ المبتدأ ذي الخبرِ

هوَ اسمٌ ظاهرٌ ، صريحٌ أو مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ يَلحَظُ العقلُ معناهُ أوَّلاً ليحكمَ عليهِ بحالٍ مِنْ أحوالِهِ أو بحالٍ مِنْ أحوالِ مُتعلَّقِهِ .

فالاسمُ الصَّريحُ : نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، والزيدانِ قائمانِ ، والزيدونَ قائمونَ ، والرجالُ قُوَّمٌ ، وهندٌ قائمةٌ ، والهندانِ قائمتانِ ، والهنداتُ قائماتٌ ، والهُنودُ قُوَّمٌ ، والفتىٰ حاضرٌ ، وغلامي شاهدٌ ، والقاضي حاكمٌ .

والاسمُ المُؤوَّلُ : نحوُ : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ (١) ، وما تَقرأُ العلمَ حسنٌ ، ومُعتقَدي أنَّكَ فاضلٌ .

وأمَّا الضَّميرُ : فهوَ : أنا قائمٌ ، ونحنُ قائمانِ ، وقائمونَ ، وأنتَ قائمٌ ، وأنتِ قائمةٌ ، وأنتُما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وأنتُم قائمونَ ، وأنتُنَّ قائماتٌ ، وهوَ قائمٌ ، وهيَ قائمةٌ ، وهُما قائمانِ ، أو قائمتانِ ، وهم قائمونَ ، وهُنَّ قائماتٌ .

وهـٰذهِ الضَّمائرُ تُسمَّىٰ : ضمائرَ الرفعِ المُنفصِلةَ ؛ لأنَّها لا تقعُ إلَّا مبتدأً ، أو فاعلاً ، أو نائباً عنِ الفاعلِ ، والكلُّ مرفوعٌ .

وفي اللغةِ العربيةِ ضميرٌ يُسمَّىٰ : **ضميرَ الشأنِ أوِ القِصَّةِ** ؛ وهوَ ضميرُ غائبٍ أو غائبةٍ لا يَتقدَّمُ لهُ مَرجِعٌ ، بل يكونُ عبارةً عن مضمونِ جملةٍ تُذكَرُ بعدَهُ ، وتُسمَّىٰ : **مُفسِّرةَ الضَّميرِ** .

وذٰلكَ إنَّما يُستعمَلُ في الأخبارِ الخطيرةِ ؛ نحوُ : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) ،

---

(١) سورة البقرة : (١٨٤) .

(٢) سورة الإخلاص : (١) .

فلفظُ (هوَ) ضميرُ غائبٍ لم يَتقدَّمْ له مَرجِعٌ ، بل هوَ عبارةٌ عن مضمونِ الجملةِ بعدَهُ ؛ وهيَ : اللهُ أحدٌ ، فهيَ مُفسِّرتُهُ ، ونحوُ[1] : [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

ويُؤتىٰ بهٰذا الضَّميرِ مُذكَّراً ، ويُسمَّىٰ ضميرَ الشَّأنِ إن كانَ عمدةُ الجملةِ بعدَهُ مُذكَّراً ، ويُؤتىٰ بهِ مُؤنَّثاً ويُسمَّىٰ ضميرَ القصَّةِ إن كانَ عمدتُها مُؤنَّثاً .

فالمبتدأُ ذو الخبرِ : اسمٌ صريحٌ ظاهرٌ ، أوِ اسمٌ مُؤوَّلٌ ، أو ضميرٌ معتادٌ ، أو ضميرُ شأنٍ ، وهٰذا القسمُ يجبُ أن يطابقَهُ المرفوعُ الذي معَهُ ـ وهوَ خبرُهُ ـ إفراداً وتثنيةً وجمعاً ، وتأنيثاً وتذكيراً ، كما سبقَ في الأمثلةِ ، فلا يجوزُ أن يُقالَ : الزيدانِ قائمٌ ، مثلاً ، بل : قائمانِ .

بيانُ المبتدأ ذي المرفوعِ المغني عنِ الخبرِ

هوَ كلُّ اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ ولو تأويلاً ، نُفِيَ أو استُفهِمَ عنهُ ؛ نحوُ : ما قائمٌ الزيدانِ ، وما مضروبٌ العمرانِ ، وأذاهبٌ أخوكَ ؟ وهل أسدٌ هوَ ؟ ولا مُؤدَّبٌ غلاماكَ ، وغيرُ ضائعٍ عملٌ مُخلَصٌ ، و[2] : [من المديد]

غَـيْـرُ مَـأْسُـوفٍ عَـلَـىٰ زَمَـنٍ ... يَـنْـقَـضِـي بِـٱلْـهَـمِّ وَٱلْـمِـحَـنِ

و[3] : [من الخفيف]

غَـيْـرُ لَاهٍ عِـدَاكَ فَـٱطَّـرِحِ ٱلـلَّـهْـ ... ـوَ وَلَا تَـغْـتَـرِرْ بِـعَـارِضِ سَـلْـمِ

ولا قائمٌ إلَّا زيدٌ .

---

(١) صدر بيت لعلي بن الجهم في « ديوانه » (ص ١٧٢) ، والبيت بتمامه :

هِـيَ ٱلـنَّـفْـسُ مَـا حَـمَّـلْـتَـهَـا تَـتَـحَـمَّـلُ ... وَلِـلـدَّهْـرِ أَيَّـامٌ تَـجُـورُ وَتَـعْـدِلُ

(٢) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٤٥) .

(٣) انظر « مغني اللبيب » (٢/٨٨٦) .

وهٰذا القسمُ يُقالُ في إعرابِهِ : الوصفُ مبتدأٌ ، والمرفوعُ بعدَهُ فاعلُهُ أغنىٰ عنِ الخبرِ ، ونائبُ فاعلِهِ كذٰلكَ ، ما لم يَخرُجْ إلىٰ بابٍ آخَرَ ، وإلَّا . . سُمِّيَ بالاسمِ الذي لهُ في ذٰلكَ البابِ .

لٰكنْ إذا كانَ النافي اسماً . . جُعِلَ هوَ المبتدأَ ، وأُضيفَ للوصفِ .

وشرطُ تَعيُّنِ هٰذا الإعرابِ في هٰذا القسمِ : ألَّا يَشتمِلَ الوصفُ علىٰ علامةِ تثنيةٍ ، أو علامةِ جمعٍ ؛ لأنَّ الوصفَ حينَئذٍ عُومِلَ لفظُهُ معاملةَ الفعلِ ، فأُسنِدَ للمُثنَّىٰ والجمعِ وهوَ بصورةٍ واحدةٍ ، كما أنَّ معناهُ معنى الفعلِ ؛ إذ عرفتَ أنَّهُ فعلٌ حقيقةً واسمٌ صورةً ، فلا يَصِحُّ أن يكونَ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مُؤخَّراً ؛ لعدمِ التطابقِ الواجبِ بينَ المبتدأ ذي الخبرِ وخبرِهِ .

فلو طابقَ الوصفُ المرفوعُ في التثنيةِ والجمعِ علىٰ حدِّ المُثنَّىٰ . . تَعيَّنَ أن يكونَ الوصفُ خبراً مُقدَّماً ، والمرفوعُ مبتدأً مُؤخَّراً ؛ لوجودِ شرطِهِ ؛ وهوَ التطابقُ ، ولعدمِ إجراءِ لفظِ الوصفِ مُجرى الفعلِ ؛ حيثُ كانَ فيهِ علامةُ التثنيةِ وعلامةُ الجمعِ ؛ إذِ الفعلُ يجبُ تجريدُهُ مِنَ العلامتَينِ عندَ إسنادِهِ لغيرِ المفردِ .

وفي غيرِ موضعَيْ تَعيُّنِ أحدِ الإعرابَينِ . . يجوزُ كلاهُما .

فللوصفِ المَنفيِّ أو المُستفهَمِ عنهُ معَ المرفوعِ بعدَهُ ثلاثُ حالاتٍ : تَعيُّنُ الابتداءِ والفاعليَّةِ ، وتَعيُّنُ الخبريَّةِ والابتداءِ ، وجوازُ الأمرَينِ .

فلو جاءَ الوصفُ بعدَ المرفوعِ ، أو لم يكنْ منفيّاً ولا مُستفهَماً عنهُ . . وجبَ المطابقةُ بينَهُ وبينَ المرفوعِ ، وكانَ مِنَ القسمِ الأوَّلِ .

واعلمْ : أنَّ مِنْ تراكيبِ هٰذا القسمِ كلمةَ التوحيدِ كما أشارَ إليهِ

الزمخشريُّ (١) ، حيثُ قالَ : الأصلُ : اللهُ إلـٰهٌ ، فقُدِّمَ وأُخِّرَ ، وبيانُهُ : أنَّ مثلَ هـٰذا التركيبِ يُقالُ لهُ : عبارةُ القصرِ والتخصيصِ ، ومُفادُهُ : حكمٌ إجماليٌّ يَتفصَّلُ إلىٰ حكمَينِ : إثباتٍ ونفيٍ ؛ فتقولُ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، أصلُهُ : اللهُ إلـٰهٌ ، وغيرُهُ ليسَ بإلـٰهٍ ، فإذا أردتَ تحويلَهُ إلىٰ عبارةِ الاستثناءِ . . قلتَ : لا شيءَ إلـٰهٌ إلَّا اللهُ ، أو : لا إلـٰهَ شيءٌ إلَّا اللهُ ، علىٰ أن يكونَ التركيبُ مِنَ القسمِ الأوَّلِ ، أو مِنَ القسمِ الثاني ، لـٰكنِ الموجودُ معَنا في عبارةِ القصرِ (لا إلـٰهَ) ، فتَعيَّنَ أن يكونَ مِنَ القسمِ الثاني .

فالمحذوفُ المُستثنىٰ منهُ هوَ المرفوعُ بكلمةِ (إلـٰهٌ) ، وذٰلكَ أنَّهُ ملحوظٌ في معناها الفاعلُ بالقدرةِ عن إرادتِهِ التابعةِ لعلمِهِ ، فهوَ مثلُ : لا أسدَ إلَّا زيدٌ ؛ فالمعنىٰ : لا فاعلَ شيءٍ مِنَ الأشياءِ الموجودةِ إلَّا اللهُ ، فيكونُ هَدْماً قريباً لمُعتقَداتِ الباطلِ .

* * *

---

(١) في تأليف له مفرد في هـٰذه المسألة ، كما ذكر ذٰلك ابن هشام في « مغني اللبيب » (٢/٧٤٦) .

بيانُ الخبرِ

الخبرُ : ما يَلحَظُ العقلُ معناهُ ثانياً ليَحكمَ بهِ على المبتدأ ، أو ليُفسِّرَهُ ويُبيِّنَ المرادَ بهِ .

وهوَ قسمانِ : خبرٌ حقيقيٌّ ، وخبرٌ سببيٌّ .

ـ **فالحقيقيُّ** : ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ المبتدأ المُنتسِبةِ لهُ نسبةَ الفاعليَّةِ ، أو نسبةَ المفعوليَّةِ ، أو مُبيِّناً لحقيقتِهِ ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، ومُكرَمٌ ، وزيدٌ أَكرَمَ ، أو أُكرِمَ ، وأكرمَهُ عمرٌو ، وهٰذا القنديلُ ذهبٌ .

ـ **والسببيُّ** : ما يكونُ حالاً مِنْ أحوالِ شيءٍ لهُ تَعلُّقٌ بالمبتدأ ، فيكونُ الخبرُ مُنتسِباً لذٰلكَ المُتعلِّقِ ، لٰكنْ لكونِ الحالِ حالَ مُتعلِّقٍ بالمبتدأ يُخبَرُ بها عنه ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ أبوهُ ، وركبتُ فرسَهُ ، وجُلِسَ في دارِهِ .

ثمَّ الخبرُ :

ـ **يكونُ مفرداً جامداً غيرَ مُؤوَّلٍ بمُشتقٍّ ، فلا يكونُ مُشتمِلاً علىٰ ضميرٍ** ؛ نحوُ : هٰذا القنديلُ زجاجٌ ، وهٰذا الخاتمُ حديدٌ .

ـ **ويكونُ مفرداً مُشتقّاً ، فيكونُ مُشتمِلاً علىٰ ضميرٍ مُستترٍ يعودُ للمبتدأ** إن لم يَرفعْ ظاهراً ولا ضميراً مُنفصِلاً ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، تَلحَظُ في قائمٍ معنىٰ (هوَ) ، وهندٌ قائمةٌ ، تَلحَظُ معنىٰ (هيَ) ، والزيدانِ قائمانِ ، تَلحَظُ معنىٰ (هما) ، وهٰكذا .

ـ **ويكونُ مفرداً جامداً مُؤوَّلاً بمُشتقٍّ ، فيَشتمِلُ علىٰ ضميرٍ كذٰلكَ** ؛ نحوُ :

زيدٌ أسدٌ ، وعمرٌو ذئبٌ ، وخالدٌ سيفٌ ؛ إذِ المعنىٰ : شجاعٌ يُشبِهُ الأسدَ ، وخَتَّالٌ يُشبِهُ الذئبَ ، وصارمٌ ماضٍ يُشبِهُ السيفَ .

ـ **ويكونُ جملةً فعليَّةً** ، ماضويَّةً أو مضارعيَّةً أو أمريَّةً ، **وجملةً اسميَّةً** ، ولا بدَّ أن تَشتمِلَ علىٰ ضميرِ المبتدأ ليَربِطَها بهِ ، ويُعيِّنَ أنَّها خبرُهُ ، ويكونُ مذكوراً أو محذوفاً يَدُلُّ الكلامُ عليهِ ؛ نحوُ : زيدٌ جاءَ ، وعمرٌو ذهبَ أبوهُ ، وخالدٌ يَتكلَّمُ ، وبكرٌ اضربْهُ ، وحسنٌ غلامُهُ ظريفٌ ، والسَّمْنُ مَنَوَانِ بدرهمٍ ؛ أي : منوانِ منهُ ، ويَدُلُّ الكلامُ عليهِ ، والمذكورُ مُستتِرٌ وبارزٌ كما رأيتَ .

فالخبرُ مفردٌ أو جملةٌ ، وجميعُ المُشتقَّاتِ **إن كانَ الملحوظُ فيها المعنى الوصفيَّ** . . لا تكونُ إلَّا أخباراً أو مبتدآتٍ صوريَّةً ، **وإذا كانَ الملحوظُ فيها الموصوفَ** . . كانَتْ مبتدآتٍ حقيقيةً وكانَتْ أخباراً ؛ فنحوُ : (زيدٌ ضاربٌ) معناهُ : يضربُ أو سيضربُ ، فـ (ضاربٌ) بهٰذا المعنىٰ لا يكونُ مبتدأً حقيقيّاً ؛ لأنَّ الملحوظَ فيه المعنى الوصفيُّ ، فهوَ بمنزلةِ الفعلِ الذي لا يكونُ إلَّا مُسنَداً ، ونحوُ : (ضاربُ زيدٍ هوَ ضاربُ عمرٍو) معناهُ : الشخصُ الذي ضربَ زيداً هوَ الشخصُ الذي ضربَ عمراً ، فـ (ضاربٌ) هنا مبتدأٌ حقيقيٌّ وخبرٌ ؛ لأنَّ الملحوظَ فيهِ الموصوفُ ، فهوَ بمنزلةِ الموصولِ الذي يكونُ مُسنَداً ومُسنَداً إليهِ .

ونحوُ : (السَّفرُ الحميدُ في يومِ الاثنَينِ) ، و(السيرُ الرفيقُ في الأرضِ السَّهلةِ) ، و(زيدٌ في الدارِ) ، و(عمرٌو عندَ خالدٍ) مِنْ كلِّ اسمٍ مِنْ أسماءِ الأعيانِ الجواهرِ أو أسماءِ المعاني الأعراضِ ، أُخبرَ عنهُ بالكونِ والحصولِ مِنْ غيرِ اعتبارِ حالٍ خاصَّةٍ في مكانٍ أو زمانٍ مُختصَّينِ . . جملةٌ تامَّةٌ مُركَّبةٌ مِنْ مبتدأٍ وخبرٍ ، لٰكنَّ اللغةَ التزمَتْ أنْ تَحذِفَ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ يَقرُبُ جدّاً فهمُهُ مِنْ نفسِ الكلامِ ؛ فنحوُ : (زيدٌ في الدارِ) علىٰ معنىٰ : زيدٌ

حاصلٌ أو كائنٌ أو ثابتٌ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأفعالِ العامَّةِ ، أو حصلَ أو كانَ ، أو يَحصُلُ أو يكونُ ، حَسَبَ ما تريدُ مِنَ الأزمنةِ ؛ فإذا لاحظتَ (حاصلٌ) ونحوَهُ . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ المفردِ ، وإذا لاحظتَ (حصلَ) أو (يَحصُلُ) . . كانَ مِنْ قبيلِ الخبرِ الجملةِ ، لٰكنْ ليسَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ ، بل عليكَ أن تلاحظَهُ فقطْ .

لٰكنْ أسماءُ الأعيانِ الجواهرِ لا يفيدُ الإخبارُ عنها بالكونِ والحصولِ في الأزمنةِ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : (زيدٌ يومَ الخميسِ) أو (عمرٌو في شهرِ العيدِ) . . لم يكنْ مفيداً فائدةً مطلوبةً ، فيكونُ كلاماً غيرَ مُعتدٍّ بهِ .

نعم ؛ قدْ يفيدُ ، كما تقولُ للناسي أوِ الغاوي : نحنُ في شهرِ رمضانَ ، لٰكنِ الفائدةُ حينَئذٍ ليسَتْ مِنْ مُجرَّدِ الإخبارِ بالكونِ في الزمانِ ، بل ممَّا يَستتبِعُهُ الكلامُ ؛ إذ معنىٰ (نحنُ في شهرِ رمضانَ) : تَذكَّرْ فلا تأكلْ ولا تشربْ ، أوِ احترمِ الشهرَ المُعظَّمَ فلا تَفسُقْ ولا تَفجُرْ . واعتبرْ مثلَ ذٰلكَ .

وقد تكونُ الأعيانُ مُرتبِطةً بالأزمنةِ تَحدُثُ وتَزولُ مُتجدِّدةً ، فتُشبِهُ المعانيَ التي وضعُها وفطرتُها على التجدُّدِ والتقضِّي بالارتباطِ بالأزمنةِ التي شأنُها ذٰلكَ ، فيكونُ الإخبارُ عنها بالحصولِ في الزمنِ مفيداً ، كما تقولُ : (الهلالُ الليلةَ) أي : يكونُ ، و(الوَرْدُ في شهرٍ من السنةِ) أي : يَحصُلُ ، و(الرُّطَبُ شهرَينِ) ومنهُ : (اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ)(١)

فاسمُ المعنىٰ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في المكانِ ، ويُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ ، واسمُ العينِ يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في المكانِ ، ولا يُخبَرُ عنهُ بالكونِ في الزمانِ إلَّا حيثُ الإفادةُ كما رأيتَ ، والاعتمادُ علىٰ حصولِ الفائدةِ ؛ فمتىٰ حصلَتْ . . كانَ الكلامُ مُعتدّاً بهِ ، ومتىٰ لم تَحصُلْ . . كانَ مِنْ لغوِ القولِ .

---

(١) كلمة لامرئ القيس . انظر خبره في « معاهد التنصيص » (١/١٠ ـ ١١) .

وإذا توالىٰ مبتدآنِ مُذكّرانِ أو مُؤنّثانِ وأُخبرَ عن ثانيهما بحالِ أوّلِهما ؛ بحيثُ تكونُ الحالُ مُنتسِبةً للأوّلِ نسبةً قويّةً كنسبةِ الفاعليّةِ ، ومُنتسِبةً للثاني نسبةً ضعيفةً كنسبةِ المفعوليّةِ . . فتكونُ الحالُ حالَ الأوّلِ وصفتَهُ بسببِ قُوّةِ نسبتِها إليهِ ، ويَصِحُّ الإخبارُ بها عنِ الثاني لكونِها مُنتسِبةً إليهِ ؛ نحوُ : زيدٌ عمرٌو ضاربُهُ ، أو ضربَهُ ، أو يَضرِبُهُ ، لا فرقَ بينَ الفعلِ وغيرِهِ ، ونحوُ : هندٌ دعدٌ ضاربتُها ، أو مضروبتُها ؛ فزيدٌ مبتدأٌ ، وعمرٌو مبتدأٌ ثانٍ ، وكذا هندٌ ودعدٌ ، فإذا أردتَ أنَّ الضربَ حاصلٌ مِنْ زيدٍ وهندٍ ، واقعٌ بعمرٍو ودعدٍ . . فقد أخبرتَ عن ثانِ المبتدأَينِ بحالِ أوّلِهما ، وهٰذهِ إرادتُكَ ونيّتُكَ ، لٰكنِ الكلامُ يأبىٰ بظاهرِهِ أن يفيدَ ذٰلكَ ؛ إذِ المتبادرُ للفهمِ : أن يكونَ الخبرُ صفةَ المُخبَرِ عنهُ وحالَهُ ، فيكونُ القريبُ للفهمِ : أنَّ فاعلَ الضربِ عمرٌو ودعدٌ ، ومفعولَهُ زيدٌ وهندٌ .

فالمَخلَصُ مِنْ ذٰلكَ : أن تأتيَ بدلَ الضميرِ الذي كانَ واجبَ الاتصالِ والاستتارِ بضميرٍ منفصلٍ مُؤخَّرٍ ؛ لأجلِ أن يَدُلَّ ذٰلكَ علىٰ أنَّ الحالَ التي أُخبِرَ بها عنِ الثاني ليسَتْ لهُ ، بل هيَ حالُ الأوّلِ ؛ فتقولُ : زيدٌ عمرٌو ضاربُهُ هوَ ، وضربَهُ هوَ ، وهندٌ دعدٌ ضاربتُها هيَ ، أو ضربَتْها هيَ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

فإذا كانَ المبتدآنِ مُختلِفَينِ تذكيراً وتأنيثاً ؛ نحوُ : هندٌ زيدٌ ضاربتُهُ ، وزيدٌ هندٌ ضاربُها . . كنتَ مستغنياً عن فصلِ الضميرِ ؛ لظهورِ المرادِ بالاختلافِ ، وأنَّ الصفةَ للمبتدأ الأوّلِ بعلامةِ التذكيرِ والتأنيثِ .

وحيثُ كانَ الغرضُ مِنْ إعطاءِ النوعِ الإنسانيِّ قُوّةَ النطقِ أن يُفِيدَ المُتكلِّمُ بكلامٍ سامعَهُ فائدةً لم تكنْ عندَهُ . . كانَ تَكلُّمُهُ بما يَعرِفُ أنَّ مُخاطَبَهُ عارفٌ بِهِ ضائعاً لغواً لا يُعتَدُّ بهِ ؛ نحوُ : السماءُ فوقَنا ، والأرضُ تحتَنا ، والنارُ حارّةٌ ،

والنخلُ طويلةٌ ، ورجلٌ جاءَ ، ودارٌ في البلدِ ، وهٰذا الغلامُ قائمٌ ، وهٰذا الفرسُ يأكلُ ؛ لمَنْ يُبصِرُ ذٰلكَ .

هٰذا ؛ وقد سبقَ لكَ أنَّ الأسماءَ : إمَّا مُعيّنةٌ لأشخاصٍ ، وإمَّا مُعيّنةٌ لأجناسٍ ، وأنَّ الأسماءَ المُعيّنةَ للأجناسِ : إمَّا أن يُرادَ بها أنفسُ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها جميعُ أفرادِ الأجناسِ ، وإمَّا أن يُرادَ بها بعضٌ منها مُعيَّنٌ بواسطةِ عهدٍ أو حضورٍ ، أو بعضٌ مُبهَمٌ ؛ وذٰلكَ بحَسَبِ الأحكامِ التي تريدُ إفادتَها(١) .

فأحكامُ الأشخاصِ غيرُ أحكامِ الأجناسِ ، وأحكامُ الأجناسِ غيرُ أحكامِ جميعِ الأفرادِ ، وهٰكذا .

مثلاً : إذا أردتَ أن تَجعلَ زيداً مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليهِ الشخصَ المُسمَّىٰ بزيدٍ ، وإذاً تَحكمُ عليهِ بحالِهِ التي تَعرِفُها لهُ وتريدُ أن تفيدَها مَنْ يَجهلُها ؛ فتقولُ : زيدٌ كاتبٌ ، وعمرٌو شاعرٌ ، وهٰكذا كلُّ لفظٍ تريدُ بهِ شخصاً بعينِهِ ؛ نحوُ : هٰذا الغلامُ طبيبٌ ، والذي هوَ قائمٌ بينَ يدَيكَ يَتكلَّمُ بكثيرٍ مِنَ الألسنةِ .

وإذا أردتَ أن تَجعلَ لفظَ الإنسانِ مثلاً مريداً بهِ نفسَ الجنسِ مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليهِ نفسَ جنسِ الإنسانِ مِنْ غيرِ اعتبارِ أفرادِهِ رأساً ، وإذاً تَحكمُ عليهِ بالأحوالِ الثابتةِ للأجناسِ ؛ فتقولُ : الإنسانُ نوعٌ شريفٌ بفكرِهِ ونطقِهِ ، والحيوانُ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ ، فأمثالُ هٰذا يكونُ المرادُ

---

(١) انظر (١/١١٥ ـ ١١٦) .

فيها نفسَ الجنسِ ؛ إذ لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ فردٍ مِنْ أفرادِ الإنسانِ نوعٌ ، ولا بعضُ الأفرادِ ، ولا كلُّ حيوانٍ منهُ مُتفكِّرٌ ومنهُ غيرُ مُتفكِّرٍ ، ولا بعضُ الأفرادِ .

❊ ❊

وإذا أردتَ أن تجعلَ اسمَ الجنسِ ؛ كالإنسانِ ، والحيوانِ ، والغائبِ ، والشاهدِ ، مريداً بهِ جميعَ الأفرادِ مبتدأً . . كانَ المحكومُ عليهِ كلَّ فردٍ ؛ فتخبرُ بالأحوالِ العامَّةِ لكلِّ واحدٍ واحدٍ ؛ فتقولُ : الحيوانُ مُتنفِّسٌ مُتيقِّظٌ نائمٌ ، يَصِحُّ ويَمرَضُ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ حيوانٍ كذٰلكَ .

وضابطُ ما يُرادُ بهِ جميعُ الأفرادِ : صحَّةُ وضعِ (كلٍّ) معَهُ ؛ نحوُ : الغائبُ والشاهدُ معلومانِ للهِ ، يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ غائبٍ وشاهدٍ .

وضابطُ ما يُرادُ بهِ نفسُ الجنسِ : ألَّا يَصِحَّ وضعُ (كلٍّ) معَهُ ؛ نحوُ : النخلُ منهُ طويلٌ ومنهُ قصيرٌ ومنهُ مُتوسِّطٌ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ : كلُّ نخلٍ .

❊

وإذا أردتَ أن تَجعلَ اسمَ الجنسِ مراداً بهِ واحدٌ ما مبتدأً . . أخبرتَ بالأحوالِ التي تَحصُلُ بأيِّ واحدٍ مِنْ أفرادِ الجنسِ ؛ كقولِ عمرَ حينَ استُفتِيَ في فديةِ الجرادةِ علىٰ قاتلِها في الحجِّ ، فأفتىٰ بالتصدُّقِ بتمرةٍ ، فرأىٰ بعضَ الناسِ يُقلِّلُ ذٰلكَ : (تمرةٌ خيرٌ مِنْ جرادةٍ)[1] ، فواحدٌ مِنْ آحادِ جنسِ التمرِ يَصلُحُ للفديةِ ، وهوَ خيرٌ مِنَ الجرادةِ .

فتَلخَّصَ : أنَّ المحكومَ عليهِ الذي تَجعلُ اسمَهُ مبتدأً . . هوَ ما يقتضيهِ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٨٢٤٦) .

الحالُ مِنْ واحدٍ مُعيَّنٍ أو غيرِ مُعيَّنٍ ، ومِنْ نفسِ جنسٍ أو جميعِ أفرادِهِ ، وإنَّما المَدارُ علىٰ حصولِ الفائدةِ .

وحيثُ كانَ المبتدأُ محكوماً عليهِ موصوفاً ، وكانَ الخبرُ محكوماً بهِ صفةً . . كانَ المناسبُ أن يُقدَّمَ المبتدأُ في النطقِ ، لٰكنْ أجازَتِ اللغةُ تقديمَ الخبرِ فيهِ حيثُ لم يَحصُلِ اختلالٌ ، فإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ الخبرِ . . وجبَ تأخيرُهُ وإلزامُهُ موضعَهُ ، وإذا حصلَ اختلالٌ بتقديمِ المبتدأ . . وجبَ تأخيرُهُ وإزالتُهُ عن موضعِهِ ، والاختلالُ الذي يَحصُلُ مِنْ ذٰلكَ فسادٌ في المعنى الذي تريدُ أن تفيدَهُ .

وقدِ استُقرِئَتِ المواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنىٰ بتأخيرِ المبتدأ عنِ الخبرِ ، فوُجِدَتْ خمسةً ، والمواضعُ التي يَحصُلُ فيها فسادُ المعنىٰ بتأخيرِ الخبرِ عنِ المبتدأ ، فوُجِدَتْ خمسةً أيضاً ؛ فأحوالُ المبتدأ معَ الخبرِ **ثلاثةٌ** :

- جوازُ التقديمِ والتأخيرِ .
- وجوبُ التقديمِ .
- وجوبُ التأخيرِ .

❋ ❋ ❋

مواضعُ وجوبِ تقديمِ المبتدأ

الأوَّلُ : كلُّ جملةٍ مُركَّبةٍ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلٌّ منهُما لأن تكونَ مبتدأً ولأن تكونَ خبراً ؛ فلا يَتعيَّنُ المبتدأُ لكونِهِ مبتدأً ، ولا يَتعيَّنُ الخبرُ لكونِهِ خبراً . . إلَّا بالرتبةِ بجعلِ المبتدأ أولاً في اللفظِ والخبرِ آخِراً فيهِ ؛ حتىٰ يَتبيَّنَ كونُ الأوَّلِ محكوماً عليهِ ، والثاني محكوماً بهِ ، فيفيدُ التركيبُ المعنى المرادَ ، فلو عكستَ . . لتبادرَ إلى الفهمِ بحَسَبِ هـٰذا الأصلِ المُقرَّرِ أنَّ المُقدَّمَ مبتدأٌ محكومٌ عليهِ ، والمُؤخَّرَ خبرٌ محكومٌ بهِ ، ويفيدُ التركيبُ حينَئذٍ معنىً غيرَ المقصودِ .

مثلاً : تُخاطِبُ إنساناً بقولِكَ : (عدوّي حبيبُكَ) فهـٰذا القولُ جملةٌ مُركَّبةٌ مِنْ كلمتَينِ تَصلُحُ كلٌّ منهُما لكونِها مبتدأً وكونِها خبراً ، فـ (عدوِّي) مبتدأٌ ، و(حبيبُكَ) خبرُهُ ، ولو قلتَ : حبيبُكَ عدوّي . . كانَ (حبيبُكَ) [مبتدأً] ، و(عدوِّي) خبراً ، ولكلٍّ مِنَ التركيبَينِ معنىً يخالفُ معنى الآخرِ ؛ فمعنىٰ قولِكَ : (عدوِّي حبيبُكَ) : أنَّ الشخصَ الذي أعاديه تُحبُّهُ أنتَ ، فأنت عدوِّي ؛ لأنَّ مُحِبَّ العدوّ عدوٌّ .

فالخُلاصةُ : أنَّكَ تريدُ بهـٰذا التركيبِ أن ترميَ مُخاطَبَكَ الذي يَدَّعي حُبَّكَ والصَّداقةَ لكَ بالكذبِ في دعواهُ ، واتصافِهِ بضدِّها .

ومعنىٰ (حبيبُك عدوِّي) : أنَّ الشخصَ الذي تُحِبُّهُ أنتَ أعاديهِ أنا ؛ فأنا أُبغِضُكَ وأكرهُكَ .

فخُلاصةُ الأمرِ مِنْ هـٰذا التركيبِ : أنَّ المُتكلِّمَ يريدُ أن يُبعِدَ المُخاطَبَ عن نفسِهِ ، ويَصُدَّهُ عن ودادِهِ ، ويُعرِّفَهُ أنَّهُ مكروهٌ لهُ .

فهٰذان معنيانِ مختلفانِ ، كلٌّ منهُما مخصوصٌ بتركيبٍ مِنَ التركيبَينِ ، ولا يُستفادُ أحدُهُما إلَّا بتعيينِ المحكومِ عليه ، وتعينِ المحكومِ به ، وذٰلك لا يَحصُلُ إلَّا بتقديمِ المبتدأ وتأخيرِ الخبرِ ، فوجبا ، فلو نطقتَ بأحدِ التركيبَينِ مريداً بهِ معنى التركيبِ الآخَرِ . . كنتَ مخطئاً ؛ إذ لم تُفِدْ مرادَكَ لمخاطِبكَ .

وهٰذا المعنىٰ هوَ الذي يُعبِّرُ عنهُ النحويونَ بالإلباسِ الذي يجبُ اجتنابُهُ ؛ **فالإلباسُ في الكلامِ** : كونُهُ يتبادرُ منهُ خلافُ المرادِ بهِ .

ونظيرُ (عدوِّي حبيبُكَ) : (أفضلُ منِّي أفضلُ منكَ) حيثُ تريدُ الاستعلاءَ علىٰ مُخاطَبِكَ ، و(أفضلُ منكَ أفضلُ منِّي) حيثُ تريدُ الاستدناءَ عنهُ .

فإذا لم تَصلُحْ كلٌّ مِنَ الكلمتَينِ لأن تكونَ مبتدأً ولأن تكونَ خبراً ، بل تَتعيَّنُ إحداهُما لأحدِهِما ، والأُخرىٰ للآخَرِ . . لم يجبِ التقديمُ والتأخيرُ ، بل كانَ علىٰ أصلِ الجوازِ .

مثلاً : إذا أردتَ أن تُلحِقَ صغيراً معلوماً أنَّهُ الصغيرُ بكبيرٍ معلومٍ أنَّهُ الكبيرُ ، علىٰ وجهِ التشبيهِ بإسقاطِ أداةِ التشبيهِ ؛ للمبالغةِ في الإلحاقِ ، كما تقولُ : أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، علىٰ معنىٰ : أنَّ أبا يوسفَ التلميذَ مثلُ أبي حنيفةَ الشيخِ ، فتسقطُ لفظةَ (مثلٍ) ، وتجعلُ الكلامَ مبتدأً وخبراً بلا واسطةٍ ؛ فتقولُ : أبو يوسفَ أبو حنيفةَ ، فيُعلَمُ أنَّ المحكومَ عليهِ بالمشابهةِ واللُّحوقِ هوَ أبو يوسفَ ، فهوَ مُتعيِّنٌ لكونِهِ مبتدأً ، فلو قُدِّمَ أو أُخِّرَ . . لم يَختلَّ المعنىٰ ، ومِنْ هٰذا قولُ الشاعرِ (١) : [من الطويل]

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا وَبَنَاتُنَا ... بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ ٱلرِّجَالِ ٱلْأَبَاعِدِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١/٤٤٤) .

الموضعُ الثاني : كلُّ جملةٍ يكونُ خبرُ مبتدئِها جملةً فعليَّةً فاعلُ فعلِها ضميرٌ مُستتِرٌ ؛ نحوُ : كلُّ إنسانٍ لا يَبلُغُ حقيقةَ الشكرِ . . فيجبُ في مثلِ هٰذه الجملةِ تقديمُ المبتدأ ؛ إذ لو أخَّرتَهُ . . لتبادرَ كونُهُ فاعلاً ، ويَختلِف المعنىٰ ؛ إذ معنىٰ (كلُّ إنسانٍ لا يبلغُ . . .) : نفيُ البلوغِ عن جميعِ أفرادِ الإنسانِ ، ومعنىٰ (لا يَبلُغُ كلُّ إنسانٍ . . .) : نفيُ الكونِ للكلِّ ، فيُحتمَلُ النفيُ عنِ الجميعِ ، ويُحتَملُ النفيُ عنِ البعضِ والإثباتُ للبعضِ .

ويَتعيَّنُ الحملُ عليهِ ما لم تقمْ قرينةٌ علىٰ خلافِهِ ؛ لأنَّهُ القَدْرُ المُتيقَّنُ ، وتلكَ العبارةُ يَعُدُّها المنطقيُّ مِنْ أسوارِ الجزئيَّةِ ؛ لأنَّهُ لا يَعتبرُ غيرَ المُتيقَّنِ ، والغرضُ النصُّ علىٰ نفيِ البلوغِ عنِ الجميعِ ؛ وذٰلكَ علىٰ جعلِ (كلُّ إنسانٍ) مبتدأً ، فيجبُ تقديمُهُ لذٰلكَ .

فلو كانَ فاعلُ الفعلِ اسماً ظاهراً ، أو ضميراً بارزاً ؛ نحوُ : زيدٌ قامَ أبوهُ ، وزيدٌ قاما أخواهُ ، وزيدٌ قاموا إخوانُهُ . . جازَ تأخيرُ المبتدأ ؛ إذ لا يتبادرُ كونُهُ فاعلاً ؛ لاستيفاءِ الفعلِ فاعلَهُ ظاهراً .

الموضعُ الثالثُ : كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنىٰ مبتدئِها علىٰ معنىٰ خبرِها ، ويُسمَّىٰ : **قَصْرَ الموصوفِ على الصفةِ** ؛ رَدّاً علىٰ مَنْ زعمَ اتصافَهُ بغيرِ المذكورِ ، ويُسمَّىٰ : **قَصْرَ قَلْبٍ** ، أو زعمَ اتصافَهُ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّىٰ : **قَصْرَ إفرادٍ** ، أو قطعاً لشكِّ مَنْ تَردَّدَ في اتصافِهِ بالمذكورِ وغيرِهِ ؛ ويُسمَّىٰ : **قَصْرَ تَعيينٍ** .

والقصرُ حكمٌ إجماليٌّ يَتضمَّنُ حكمَينِ :

أحدُهُما : إثباتُ المذكورِ .

والثاني : نفيُ غيرِهِ .

نحوُ : إنَّما زيدٌ كاتبٌ ؛ معناهُ : زيدٌ مقصورٌ على الاتصافِ بالكتابةِ ، ليسَ مُتَّصِفاً بغيرِها ، لا وحدَهُ ولا معَها ، وما زيدٌ إلَّا شاعرٌ ؛ أي : مقصورٌ على الاتصافِ بالشعرِ .

فلو أخَّرتَ المبتدأَ فقلتَ : إنَّما قائمٌ زيدٌ . . لتبادرَ كونُهُ مِنْ قَصْرِ معنى الخبرِ علىٰ معنى المبتدأ ، ويُسمَّىٰ : **قَصْرَ الصفةِ على الموصوفِ** ، فيكونُ المعنىٰ : أنَّ القيامَ ثابتٌ لزيدٍ لا لعمرٍو وحدَهُ أو معَ زيدٍ ، فلو كانَ مرادُكَ هٰذا المعنىٰ . . كانَ التركيبُ مِنَ المواضعِ التي يجبُ فيها تقديمُ الخبرِ كما سيأتي .

الموضعُ الرابعُ : **كلُّ جملةٍ أجريتَ مبتدأَها مُجرى الشرطِ ، وخبرَها مُجرى الجزاءِ ، فأدخلتَ الفاءَ بينَهُما** ؛ وذٰلكَ إذا كانَ المبتدأُ اسماً موصولاً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو موصوفاً بهِ ، أو مُضافاً لأحدِهِما ، أو نكرةً موصوفةً بجملةٍ استقباليةٍ ، أو مضافاً إليها ؛ نحوُ : الذي يَدُلُّني علىٰ مطلوبي فلهُ دينارٌ ، والرجلُ الذي يطيعُ اللهَ فلهُ الجنَّةُ ، وغلامُ الذي يَعقِلُ الأمورَ فهوَ مُؤدَّبٌ ، ورجلٌ يُصدِّقُني ـ أو كلُّ رجلٍ يُصدِّقُني ـ فهوَ حقيقٌ بالثناءِ ؛ إذِ المعنىٰ في هٰذهِ التراكيبِ هوَ المعنى الذي يُقصَدُ بالجملةِ الشرطيةِ ، كأنَّكَ قلتَ : إن دَلَّني أحدٌ علىٰ مطلوبي . . فلهُ دينارٌ .

الموضعُ الخامسُ : **كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها كلمةً يجبُ تصديرُها في جملتِها** ؛ وهيَ كلماتُ الاستفهامِ ، وكلماتُ الشرطِ ، وضميرُ الشأنِ ، ومبتدآتُ الأمثالِ ، والمبتدأُ الذي تدخلُ عليه لامُ التأكيدِ التي تُسمَّىٰ : لامَ

الابتداءِ ، يفيدُ بها المُتكلِّمُ جزمَهُ بمضمونِ الخبرِ ؛ نحوُ : مَنْ يكرهُ الحقَّ ؟ استفهاماً ، ومَنْ تُكرِمْهُ . . أُكْرِمْهُ ؛ شرطاً ، وهوَ اللهُ أحدٌ ؛ ضميرَ الشأنِ ، وطُوبىٰ لكَ ، والشرطُ أَملكُ عليكَ أم لكَ ؛ مِنَ الأمثالِ (١) .

وتقديمُ المبتدأ في هٰذا الموضعِ التزامٌ لغويٌّ ، لا [فرارٌ] مِنْ فسادِ معنىً ، إلَّا في ضميرِ الشأنِ .

مواضعُ تقديمِ الخبرِ

خمسةٌ أيضاً :

الموضعُ الأوَّلُ : كلُّ جملةٍ يكونُ معَ مبتدئِها ضميرٌ يعودُ علىٰ شيءٍ في الخبرِ ؛ نحوُ : في الدارِ صاحبُها ، ونحوُ (٢) : [من المديد]

لِلْفَتَىٰ عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُهْ

لئلَّا يلزمَ وجودُ ضميرِ غائبٍ لمْ يَسبِقْ مُبيِّنُهُ ، فيَنفِرَ السامعُ .

الموضعُ الثاني : كلُّ جملةٍ يكونُ الخبرُ فيها واجبَ التصديرِ ؛ نحوُ : أينَ زيدٌ ؟ وكيفَ عمرٌو ؟ ومِنْ أيِّ بابٍ دخولُكَ ؟

❊

الموضعُ الثالثُ : كلُّ جملةٍ تريدُ أن تَقصُرَ معنىٰ خبرِها علىٰ معنىٰ مبتدئِها ؛ نحوُ : إنَّما شاعرٌ زيدٌ ، وما لنا إلَّا الإسلامُ .

---

(١) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٢٠٦) .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٠) .

الموضعُ الرابعُ : كلُّ جملةٍ تكونُ مثلَ : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ [١] ، وفي كلِّ أرضٍ سعدٌ [٢] .

الموضعُ الخامسُ : كلُّ جملةٍ يكونُ مبتدؤُها (أنْ) وصلتَها ؛ نحوُ : عندي أنَّكَ فاضلٌ ومرادي أنَّك تَتعلَّمُ ؛ إذ لا يَتعيَّنُ كونُ (أنْ) وصلتِها مبتدأً إلَّا بتأخيرِها وتقديمِ الخبرِ .

وحيثُ كانَ الكلامُ مُنبِئاً عن أحدِ الجزأَينِ لو حُذِفَ . . جازَ حذفُهُ ، وكانَ أَولىٰ مِنْ ذكرِهِ ؛ مثلاً : إذا سألَكَ سائلٌ فقالَ : مَنْ عندَكَ ؟ فجوابُكَ : زيدٌ أو عمرٌو ؛ بالشخصِ الذي يكونُ عندَكَ ، فزيدٌ في جوابِكَ مبتدأٌ لم يُنطَقْ لهُ بخبرٍ ، والكلامُ لكونِهِ جوابَ سؤالٍ . . مُنبِئٌ عنِ الخبرِ المحذوفِ ؛ إذِ السائلُ المُخاطَبُ يفهمُ أنَّكَ نويتَ : زيدٌ عندي ، والمدارُ في الكلامِ علىٰ فهمِ المُخاطَبِ مرادَ المُتكلِّمِ .

وإذا سألَكَ سائلٌ بـ (كيفَ زيدٌ) الذي معناهُ : أصحيحٌ زيدٌ أو مريضٌ مثلاً . . فجوابُكَ : (صحيحٌ) فصحيحٌ خبرٌ لم تَنطِقْ بمبتدئِهِ ، والتقديرُ : زيدٌ صحيحٌ ، والمُخاطَبُ يفهمُ ذٰلكَ ، فالعمدةُ في الحذفِ : أن يَفهَمَ المُخاطَبُ المحذوفَ بسببِ دليلٍ يَدُلُّ عليهِ .

وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ المبتدأ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً .

وفي أربعةِ مواضعَ يجبُ حذفُ الخبرِ ، فيكونُ النطقُ بهِ خطأً أيضاً .

---

(١) سورة الأنعام : (٦٧) .

(٢) مثل مشهور قاله الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، رأىٰ من أهله وقومه أموراً كرهها ، فرأىٰ من غيرهم مثل ما رأىٰ منهم ، فقال : (في كل أرض سعد بن زيد) انظر « مجمع الأمثال » (٢/٥٣٠) .

مواضعُ وجوبِ حذفِ المبتدأ

الموضعُ الأوَّلُ : الأوصافُ المذكورةُ لغرضِ المدحِ أوِ الذمّ أوِ الترحُّمِ إذا رُفِعَتْ ؛ نحوُ : زرتُ زيداً الوليُّ ، وارفقْ بخالدٍ المسكينُ ، فهوَ علىٰ تقديرِ : هوَ الوليُّ ، وهوَ المسكينُ ، وتمامُ القولِ في ذٰلك يأتي في بابِ النعتِ[1] .

الموضعُ الثاني : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (في ذمَّتي لَأفعلَنَّ كذا) علىٰ معنى اليمينِ ؛ فقولُكَ : (في ذمَّتي) خبرٌ لمبتدأٍ واجبِ الحذفِ ، تقديرُهُ : في ذمَّتي يمينٌ أو قَسَمٌ أو حَلِفٌ ، كما تَلحَظُ ، ونظيرُهُ : في ضماني وفي عُنُقي لَأفعلَنَّ كذا ، علىٰ ذٰلك المعنىٰ .

الموضعُ الثالثُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (نِعْمَ الرجلُ عمرٌو ، وبئسَ الإنسانُ خالدٌ) تَمدحُ بـ (نِعْمَ) ، وتَذُمُّ بـ (بئسَ) مُعبِّراً عنِ الممدوحِ والمذمومِ أوَّلاً باسمِهِ العامِّ ، ثمَّ تُعبِّرُ عنهُ باسمِهِ الخاصِّ علىٰ نيَّةِ مبتدأٍ يكونُ الاسمُ الخاصُّ خبراً عنهُ ؛ فقولُكَ : (نِعْمَ الرجلُ) جملةٌ تامَّةٌ يَفهَمُ منها المُخاطَبُ أنَّكَ تَمدحُ شخصاً مُعيَّناً ، وعَبَّرتَ عنهُ باسمِهِ العامِّ ، فنفسُهُ تَتشوَّقُ لذكرِ اسمِهِ الخاصِّ ، كأنَّهُ يقولُ : مَنْ هوَ ذٰلكَ الرجلُ [الذي] تَمدحُهُ ؟ فتقولُ : زيدٌ ، علىٰ تقديرِ : هوَ زيدٌ ، فهٰذا المبتدأُ لا يُنطَقُ بهِ .

الموضعُ الرابعُ : نحوُ قولِكَ : (سمعٌ وطاعةٌ) جواباً لِمَنْ يأمرُكَ بأوامرَ ، مِنْ كلِّ مصدرٍ يَصِحُّ وضعُ الفعلِ موضعَهُ ؛ لأنَّ المقصودَ هوَ المعنى الفعليُّ ؛

---

(١) انظر (١/٤٨١) .

إذ معنىٰ قولِكَ : سمعٌ وطاعةٌ : أسمعُ قولَكَ وأُطيعُ أمرَكَ ، فمَنْ يقولُ : سمعٌ وطاعةٌ . . ينوي : أمري وحالي وشأني سمعٌ وطاعةٌ ، فيجبُ حذفُ هـٰذا المبتدأ .

كيفيةُ وقوعِ هـٰذا في المحاورةِ : يقولُ لكَ إنسانٌ تُعظِّمُهُ وتَعتبِرُهُ : افعلْ كذا[1] ، ولا تفعلْ كذا ، يأمرُكَ وينهاكَ ، فتقولُ : امتثالٌ لأمرِكَ ، واجتنابٌ عن نهيِكَ ؛ تعني : حالي أو صفتي امتثالٌ واجتنابٌ ، يَصِحُّ أن تضعَ موضعَهُ : أمتثلُ أمرَكَ ، وأجتنبُ نهيَكَ .

مواضعُ وجوبِ حذفِ الخبرِ

الموضعُ الأوَّلُ : كلُّ تركيبٍ تبدؤُهُ بلفظِ (لَعَمْرُكَ) أو (لَعَمْرُ اللهِ) أو (لَأيمُنُ اللهِ) ، وهـٰذانِ اللَّفظانِ مُستعملانِ في القَسَمِ ، لا يُستعمَلانِ في غيرِهِ ، فإذا قلتَ : لَعَمْرُكَ لَأتبعَنَّ رأيَكَ . . فمعناهُ : لَعَمْرُكَ قَسَمي ويميني ، فلفظُ (قَسَمي) خبرٌ مبتدؤُهُ (لَعَمْرُكَ) .

وعمرٌ بفتحِ العينِ وبضمِّها : مُدَّةُ الحياةِ ، لـٰكنْ لم يقعْ في الحَلِفِ إلَّا المفتوحُ ، وكذٰلكَ : لأيمُنُ اللهِ لَأقتدينَّ بكَ ، فهوَ علىٰ ذٰلكَ المعنىٰ ، فالخبرُ محذوفٌ وجوباً .

الموضعُ الثاني : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (كلُّ إنسانٍ وعملُهُ ، وكلُّ عاملٍ ونيتُهُ ، وكلُّ شخصٍ وحِرفتُهُ) فإنَّ معناهُ : كلُّ شخصٍ وحرفتُهُ مصطحبانِ ، والواوُ الواقعةُ في التركيبِ تفيدُ معنىٰ (مصطحبانِ) الذي هوَ الخبرُ المحذوفُ مِنْ قولِكَ : (كلُّ شخصٍ وحرفتُهُ) الذي هوَ المبتدأُ المذكورُ ،

---

(١) في الأصل زيادة : (وافعل) .

فلمَّا كانَتِ الواوُ تفيدُ المعيَّةَ والمصاحبةَ قطعاً ، وهوَ معنى الخبرِ . . وجبَ حذفُهُ .

❁

الموضعُ الثالثُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِكَ : (نصحي الإخوانَ قابلينَ ، وأخذي المالَ حلالاً ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ مُتَّقِياً ربَّهُ ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربِّهِ وهوَ ساجدٌ) إذِ المعنىٰ : نصحي الإخوانَ إذا وجدتُهُم قابلينَ ، وأكملُ ما يكونُ الإنسانُ إذا استمرَّ مُتَّقِياً ، وهـٰكذا .

وضابطُ هـٰذا الموضعِ : أن يكونَ المبتدأُ مصدراً صريحاً أو مُؤوَّلاً عاملاً في اسمٍ يعودُ عليهِ الضميرُ مِنَ الخبرِ المحذوفِ ، أوِ اسمَ تفضيلٍ مضافاً إلىٰ مصدرٍ كذٰلكَ ، فلفظُ (إذا) المُقدَّرُ في هـٰذا التركيبِ هوَ الخبرُ ، حُذِفَ وجوباً لانفهامِ الكلامِ بدونِهِ ؛ إذ معناهُ : نصحي الإخوانَ حاصلٌ في وقتِ وجدانِهِم قابلينَ للنصحِ ، فهـٰذا المعنىٰ مُنفهِمٌ بلا تأمُّلٍ ولا بُعْدٍ مِنْ قولِكَ : نصحي الإخوانَ قابلينَ ؛ كأنَّكَ قلتَ : نصحي الإخوانَ في حالِ قَبولِهِم ، وهوَ غيرُ خفيٍّ .

❁ ❁

الموضعُ الرابعُ : كلُّ تركيبٍ يكونُ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[1] ، وهيَ التراكيبُ المُفتتَحةُ بـ (لولا) التي وضعَتْها اللغةُ لتفيدَ انتفاءَ مضمونِ جملةٍ بسببِ ثبوتِ مضمونِ جملةٍ أخرىٰ ، وتُسمَّىٰ : **لولا الامتناعيةَ** .

ويقولُ النحويونَ : **لولا** : لامتناعِ الجوابِ لوجودِ الشرطِ ، فلا بدَّ بعدَها مِنْ جملتَينِ ينتفي مضمونُ ثانيتِهِما بسببِ ثبوتِ مضمونِ أُولاهُما ، وتُسمَّى

---

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

الجملةُ الأُولىٰ : جملةَ الشرطِ ، والثانيةُ : جملةَ الجوابِ والجزاءِ .

لٰكنِ الجملةُ الأُولىٰ يجبُ أن تكونَ جملةً اسميةً مُركَّبةً مِنْ مبتدأ يُذكَرُ وخبرٍ يُحذَفُ وجوباً إذا كانَ وصفاً مِنَ الأوصافِ العامَّةِ التي هيَ : الكونُ والوجودُ والثبوتُ والحصولُ ؛ فمعنىٰ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ (١) : لولا الدفعُ موجودٌ وحاصلٌ وثابتٌ فيما بينَ الناسِ . . لَفسدَتِ الأرضُ ، فانتفاءُ فسادِ الأرضِ لثبوتِ وجودِ الدفعِ .

فلو كانَ سببُ انتفاءِ الجوابِ ثبوتَ صفةٍ خاصَّةٍ ، كما في قولِكَ : لولا زيدٌ يُكرِمُ عمراً ويُعظِّمُهُ . . لَأهانَهُ الناسُ واحتقروهُ ، فلفظُ (يُكرِمُ) و(يُعظِّمُ) خبرٌ عن زيدٍ لا يُفهَمُ إلَّا بذكرِهِ . . وجبَ ذكرُهُ ولم يَصِحَّ حذفُهُ إلَّا إذا دلَّ عليهِ دليلٌ .

وتحريرُ هٰذا الموضعِ الذي يجبُ فيهِ حذفُ الخبرِ : هوَ حيثُ يكونُ سببُ انتفاءِ مضمونِ الجوابِ مُجرَّدَ الكونِ والحصولِ ؛ فلو قلتَ : لولا زيدٌ لَهلكَ عمرٌو . . فَهِمَ المُخاطَبُ بسرعةٍ أنَّ المعنىٰ : لولا زيدٌ موجودٌ ؛ فمتىٰ كانَ خبرُ المبتدأ الواقعُ بعدَ (لولا) هٰذِهِ كوناً عامّاً . . لم يُلفَظْ ، ومتىٰ كانَ كوناً خاصّاً ؛ فإن كانَ لو حُذِفَ فُهِمَ . . صحَّ حذفُهُ ، وإلَّا . . وجبَ ذكرُهُ ، وبتأمُّلِ المثالَينِ يظهرُ الحالُ .

[تعدُّدُ الخبرِ]

ويتعدَّدُ الخبرُ فيكونُ اثنَينِ وأكثرَ ، والمبتدأُ واحدٌ في اللَّفظِ ؛ وهوَ علىٰ نوعَينِ :

النوعُ الأوَّلُ : أن يكونَ المبتدأُ الواحدُ في اللَّفظِ واحداً في المعنىٰ أيضاً ، وتعدُّدُ خبرِهِ يكونُ علىٰ ثلاثةِ أنواعٍ :

---

(١) سورة البقرة : (٢٥١) .

ـ **النوعُ الأوّلُ** : أن تُخبرَ عنهُ بوصفَينِ مُمتزِجَينِ قامَ منهُما وصفٌ ثالثٌ ، فيجوزُ أن تُخبرَ بالوصفَينِ وأن تُخبرَ بذٰلكَ الوصفِ ؛ كقولِكَ : الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامِضٌ ، والرُّمَّانُ مُزٌّ ؛ فالحَلاوةُ والحُموضةُ وصفانِ مُمتزجانِ قامَ منهُما وصفٌ واحدٌ يُسمَّى : المُزوزةَ ؛ فلكَ أن تقولَ : حُلْوٌ حامضٌ ، ولك أن تقولَ : مُزٌّ .

ونظيرُهُ : هٰذا الماءُ حارٌّ باردٌ ؛ أي : فاترٌ ، وهٰذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي : أَكْهَبُ .

ولا يَصِحُّ أن تُدخِلَ بينَ الوصفَينِ المُمتزِجَينِ واواً ؛ فلا تقولُ : (حُلْوٌ وحامضٌ) إلَّا إذا أثبتَّ الأمرَ المُتوسِّطَ بنفيِ الضِّدَّينِ ، كما تقولُ : هٰذا الرُّمَّانُ لا حُلْوٌ ولا حامضٌ .

ـ **النوعُ الثاني** : أن تُخبرَ بوصفَينِ مُتجاورَينِ مُتمَيِّزَينِ ؛ كقولِكَ : هٰذا الفرسُ أبيضُ أسودُ ؛ أي : أبلقُ ، وهٰذا يَصِحُّ بواوٍ وبدونِها ، فتقولُ : أبيضُ وأسودُ ، وأبيضُ أسودُ .

ـ **النوعُ الثالثُ** : أن تُخبِرَ بأوصافٍ لا امتزاجَ فيها ولا تَجاوُرَ ؛ كقولِكَ : الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ ، وزينةٌ ومفاخراتٌ .

❁

النوعُ الثاني : أن يَتعدَّدَ المبتدأُ معنىً وهوَ واحدٌ لفظاً : وتَعدُّدُ الخبرِ فيهِ يكونُ علىٰ نوعَينِ :

ـ **النوعُ الأوّلُ** : أن يكونَ الوصفُ مُشترِكاً بينَ الجميعِ ؛ كقولِكَ : غلاما زيدٍ شاعرانِ كاتبانِ صانعانِ ، أو شاعرانِ وكاتبانِ وصانعانِ ، فهوَ كالواحدِ لفظاً ومعنىً .

ـ **النوعُ الثاني** : أن يكونَ لكلِّ واحدٍ وصفٌ يَخُصُّهُ ، فتجبُ الواوُ ؛

كقولِكَ : أبناؤُكَ كاتبٌ وشاعرٌ وتاجرٌ ، فجميعُ هٰذهِ الأخبارِ التي فيها التعدُّدُ يُقالُ فيها : خبرٌ أوَّلُ ، وخبرٌ ثانٍ ، وخبرٌ ثالثٌ ، وهٰكذا إن لم تكنِ الواوُ ، فإن كانَتِ الواوُ . . قيلَ للأوَّلِ : خبرٌ ، وللباقي : معطوفاتٌ ، وللواوِ : حرفُ عطفٍ كما يُبيَّنُ في التوابعِ ، وإن كانَتِ الكلُّ أخباراً بحَسَبِ المعنىٰ .

وقد يكونُ لفظُ الخبرِ هوَ لفظَ المبتدأ ؛ حيثُ يُرادُ التعظيمُ أوِ التحقيرُ ؛ كقولِ الراجزِ(١) : [من الرجز]

أَنَـا أَبُـو ٱلـنَّـجْـمِ وَشِـعْـرِي شِـعْـرِي

وطريقُ التعظيمِ : أنَّ المُتكلِّمَ بمثلِ هٰذا الكلامِ يُخيِّلُ أنَّهُ لمَّا ذكرَ المبتدأَ ليصفَهُ بجمائلِ صفاتِهِ . . تَحيَّرَ لكثرةِ تَوارُدِها عليهِ معَ كونِهِ ظاهرَ الشَّرفِ والكمالِ ، فهوَ يقولُ : لا حاجةَ لذكرِ صفاتِهِ ؛ لاستغنائِهِ بظهورِ كمالِهِ ، واضطرارِ المُطَّلِعِ عليهِ بالاعترافِ لهُ بكمالِ رتبتِهِ في بابِهِ .

ويقولُ الناسُ : العالِمُ عالِمٌ ، والجاهلُ جاهلٌ .

وقالَ الشاعرُ : [من البسيط]

اَلسَّبْعُ سَبْعٌ وَإِنْ كَلَّتْ مَخَالِبُهُ ... وَٱلْكَلْبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقْتَهُ ذَهَبَا

ويُحتملُ أن يكونَ مِنْ هٰذا القبيلِ قولُ اللهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾(٢) .

ونظيرُهُ مِنْ بابِ الشرطيةِ : قولُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ »(٣) .

---

(١) هو أبو النجم العجلي في « ديوانه » (ص ١٩٨) .

(٢) سورة الواقعة : (١٠ ـ ١١) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٤) ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

[أحوالُ المبتدأ والخبرِ]

هٰذا ؛ واعلمْ : أنَّ للمبتدأ والخبرِ أربعَ أحوالٍ :

الحالةُ الأَولىٰ : أن تَنطِقَ بهِما مُجرَّدَينِ :

وحكمُهُما حينَئذٍ : رفعُهُما لفظاً ، أو تقديراً ، أو مَحلّاً ، ولا يفيدُ التركيبُ إلّا مُجرَّدَ الحكمِ بوقوعِ النسبةِ .

الحالةُ الثانيةُ : أن تَقرُنَ بهِما (كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها :

وحكمُهُما حينَئذٍ : رفعُ المبتدأ ونصبُ الخبرِ ، ويَتغيَّرُ الاسمُ ؛ فيُقالُ للمبتدأ : (اسمُ كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها ، وللخبرِ : (خبرُ كانَ) أو إحدىٰ أخواتِها ، ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مع ما لتلكَ الألفاظِ مِنَ المعاني المرادِ بها بيانُ زمانِ النسبةِ وبعضِ أحوالِها .

الحالةُ الثالثةُ : أن تَقرُنَ بهِما أحدَ الأحرفِ الثمانيةِ التي هيَ (إنَّ) و(أَنَّ) وأخواتُهُما :

وحكمُهُما إذاً : نصبُ المبتدأ ورفعُ الخبرِ ، ويُقالُ للمبتدأ : (اسمُ إنَّ) مثلاً ، وللخبرِ : (خبرُها) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ مُقترِناً بمعاني تلكَ الكلماتِ .

الحالةُ الرابعةُ : أنْ تَقرُنَ بهِما كلمةَ (ظنَّ) أو إحدىٰ أخواتِها :

وحكمُهُما حينَئذٍ : النصبُ ، ويُقالُ للمبتدأ : (مفعولٌ أوَّلُ) وللخبرِ : (مفعولٌ ثانٍ) ويفيدُ التركيبُ الحكمَ بوقوعِ النسبةِ علىٰ وجهِ الظنِّ أوِ اليقينِ .

ولكونِ تلكَ الكلماتِ في الأبوابِ الثلاثةِ تُغيِّرُ حكمَ المبتدأ والخبرِ واسمَهُما . . يُسمُّونَها : **نواسخَ الابتداءِ** ؛ مِنَ النَّسخِ ؛ بمعنى : الإبطالِ والإزالةِ .

❋ ❋ ❋

بيانُ بابِ (كانَ)

(كانَ) وأخواتُها إلَّا (كادَ) وصواحبَها . . تَدخُلُ علىٰ جملةِ الابتداءِ كيفَ كانَتْ ، لٰكنْ لا يقعُ الأمرُ هنا خبراً ، وكذٰلكَ لا يقعُ الماضي خبراً لـ (صارَ) و(ليسَ) وأفعالِ الاستمرارِ ؛ وذٰلكَ لأنَّ (صارَ) دالَّةٌ على الانتقالِ والتحوُّلِ إلىٰ صفةٍ لها استمرارٌ ودوامٌ ؛ نحوُ : صارَ زيدٌ أسداً ، وشجاعاً ، ويصنعُ المعروفَ ، وهٰذا هوَ المانعُ مِنْ وقوعِهِ خبراً لأفعالِ الاستمرارِ .

وكذٰلكَ لا يقعُ خبراً لـ (ما دامَ) إلَّا إذا كانَ ذا أثرٍ مُستمِرٍّ ؛ نحوُ : واجبٌ عليكَ أن تفعلَ كيتَ وكيتَ ما دمتَ أعطيتَ بهِ عهدَكَ والتزمتَ فعلَهُ .

وفيما عدا ذٰلكَ يقعُ خبراً ؛ لتحقيقِ الحصولِ أوِ الدلالةِ علىٰ تقادمِهِ ؛ فتقولُ :

كانَ زيدٌ قائماً ، وأصلُهُ : زيدٌ قائمٌ .

وكانَ الزيدانِ قائمَينِ ، وأصلُهُ : الزيدانِ قائمانِ .

وكانَ الزيدونَ قائمينَ ، وأصلُهُ : الزيدونَ قائمونَ .

وكانَ أن تصوموا رمضانَ خيراً ، والأصلُ : أن تصوموا رمضانَ خيرٌ ؛ علىٰ تأويلِ : صومُكم رمضانَ خيرٌ .

وكانَ ما تَحفظُ العِلْمَ حسناً ، وأصلُهُ : ما تَحفظُ العِلْمَ حسنٌ ؛ علىٰ تأويلِ : حفظُكَ العِلْمَ حسنٌ .

وكانَ اللهُ أحدٌ ، والأصلُ : هوَ اللهُ أحدٌ ، علىٰ أنَّ المبتدأَ ضميرُ الشأنِ مُفسَّراً بالجملةِ بعدَهُ .

وأضحيتُ وأمسيتُ مُرشِداً ، والأصلُ : أنا مُرشِدٌ ، فحينَ دخلَ العاملُ

عليهِ . . جئتَ بضميرِ الرفعِ المتصلِ بدلَ ضميرِ الرفعِ المنفصلِ ؛ إذ لا يَصِحُّ الفصلُ معَ إمكانِ الوصلِ ، وكذٰلكَ بقيَّةُ الضَّمائرِ ، ومعَ الاتصالِ يَستتِرُ .

وليسَ لهُ لفظٌ في كانَ وكانَتْ ويكونُ ، وهندٌ تكونُ ، وأكونُ ، ونكونُ ، وتكونُ ، وكُنْ ، وكانَ زيدٌ يقومُ أبوهُ ، وكانَ زيدٌ أبوهُ قائمٌ .

وقالَ زهيرٌ[1] : [من الطويل]

وَكَانَ طَوَىٰ كَشْحاً عَلَىٰ مُسْتَكِنَّةٍ فَـلَا هُـوَ أَبْـدَاهَـا وَلَـمْ يَـتَـقَـدَّمِ

وقالَ آخَرُ[2] : [من الطويل]

وَكُنَّا حَسِبْنَا كُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً عَـشِيَّـةَ لَاقَـيْـنَـا جُـذَامَ وَحِـمْـيَـرَا

في الخبرِ الجملةِ ، وكانَ زيدٌ في الدارِ ، وكانَ زيدٌ عندَكَ ، في الخبرِ المُحتمِلِ أن يكونَ جملةً ، وأن يكونَ مفرداً .

واعلمْ : أنَّ تركيبَ (كنتُ أفعلُ) و(أكونُ أفعلُ) و(كُنِ افعلْ) وهوَ نادرٌ . . للدلالةِ علىٰ تكرُّرِ الفعلِ ، والتحاقِهِ بالعاداتِ ، أمراً بذٰلكَ أو إخباراً عنهُ .

وطريقُ ذٰلكَ : أنَّ الفعلَ القابلَ للاستمرارِ حينَ يُعلَّقُ بالكونِ المُستمِرِّ . . يَدُلُّ علىٰ إرادةِ الاستمرارِ ، فمعنىٰ قولِ الشاعرِ[3] : [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَحْجُو أَبَا عَمْرٍو أَخَا ثِقَةٍ حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِنَا يَوْماً مُلِمَّاتُ

أنَّ حِسْبانَهُ أُخوَّةَ أبي عمرٍو وصداقتَهُ . . أمرٌ مُستمِرٌّ إلىٰ أن أظهرَتِ الشِّدَّةُ

(١) انظر « شرح شعر زهير » لثعلب (ص ٢٩) .

(٢) هو زفر بن الحارث ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (١/٧٩) .

(٣) هو أبو شبل الأعرابي ، كما في « معجم الأدباء » (٢/٣٨٦) .

فسادَ طويَّتِهِ وتمويهَ أُخوَّتِهِ ، ومعنىٰ قولِ الآخَرِ [1] : [من الوافر]

وَكُـونِـي بِـٱلْـمَـكَـارِمِ ذَكِّـرِيـنِـي

ليكنْ تذكيرُكِ إيَّايَ بالمكارمِ فعلاً مُستمِرّاً وعادةً دائمةً ، ولو قالَ لها : ذكِّريني . . لكفىٰ ؛ لامتثالِ أمرِهِ التذكيرَ مَرَّةً واحدةً ، وتقولُ : إن دامَ هـٰذا الطالبُ كما أرىٰ في الاجتهادِ وتَحفُّظِ الأحكامِ الأصليةِ . . فسيكونُ يَفهَمُ في عَويصاتِ المسائلِ .

وخبرُ (كانَ) لكونِهِ أحدَ المنصوباتِ التي ستقفُ علىٰ عددِها عندَ مرورِ أبوابِها عليكَ : يكونُ تارةً ضميراً مِنْ ضمائرِ النصبِ المنفصلةِ ، التي هيَ : إيَّايَ وإيَّاكَ وإيَّاهُ وفروعُها ، وتارةً ضميراً مِنَ الضَّمائرِ المتصلةِ المُشترَكةِ بينَ النصبِ والخفضِ ، قالَ الشاعرُ [2] : [من الطويل]

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ وَكَـوْنُـكَ إِيَّـاهُ عَـلَـيْـكَ يَـسِـيـرُ

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ لعمرَ حينَ هَمَّ بقتلِ ابنِ صائدٍ الذي ظهرَ في عهدِ الرسالةِ مِنَ اليهودِ علىٰ صورةِ المسيخِ الدجَّالِ الذي أنذرَتْهُ الأنبياءُ أُمَمَها ، وكانَ يَتحدَّثُ ببعضِ المُغيَّباتِ : « إِنْ يَكُنْهُ . . فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ ، وَإِلَّا يَكُنْهُ . . فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ » [3] ، ولا تدخلُ هـٰذهِ الأفعالُ علىٰ جملٍ يجبُ حذفُ مبتدآتِها ، ولا علىٰ مبتدآتٍ ملازمةٍ للابتدائيةِ ؛ نحوُ : (ما) التعجبيةِ ، ونحوُ : سلامٌ عليكَ ، ومبتدآتِ الأمثالِ .

ويجوزُ في هـٰذا البابِ : تقديمُ الأخبارِ على الأسماءِ ، ويجبُ : إن كانَ

---

(١) هـٰذا صدر بيت ، انظر « خزانة الأدب » (٩/٢٦٦) ، والبيت بتمامه :

وَكُـونِـي بِـٱلْـمَـكَـارِمِ ذَكِّـرِيـنِـي وَدَلِّـي دَلَّ مَـاجِـدَةٍ صَـنَـاعِ

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٢٧٠) .

(٣) أخرجه البخاري (١٣٥٤) ، ومسلم (٢٩٣٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

معَ الاسمِ ضميرٌ يعودُ علىٰ شيءٍ في الخبرِ ، أوِ اقترنَ بـ (إلَّا) لفظاً أو تقديراً ، أو كانَ نكرةً والخبرُ ظرفٌ ، أو كانَ (أنْ) وصلتَها ، ويَمتنِعُ : إذا كانَ مقصوراً عليهِ .

ويجوزُ تقديمُ الأخبارِ علىٰ أنفسِ الأفعالِ ، إلَّا (دامَ) و(زالَ) وصواحبَها ؛ لامتناعِ الفصلِ بينَ هٰذه الأفعالِ والأدواتِ التي يلزمُ أن تكونَ معَها ، وإلَّا (ليسَ) على الأفصحِ ، **ويَمتنِعُ** تقديمُها علىٰ (ما) النافيةِ وحدَها ، أو معَ هٰذهِ الأفعالِ ، **ويجبُ** تقديمُها إن كانَتْ مِنَ المُتصدِّراتِ .

ويَمتنِعُ تقديمُ الأسماءِ على الأفعالِ ، كما يَمتنِعُ الفصلُ بينَهُما بغيرِ الظرفِ والجارِّ والمجرورِ مِنْ معمولاتِ الخبرِ .

واختصَّتْ (كانَ) بورودِها زائدةً لا يُفادُ بها غيرُ التوكيدِ ، ومُلغاةً لإفادةِ الزمنِ بلا عملٍ .

فالأُولىٰ : كقولِ الشاعرِ : [من الوافر]

سَــرَاةُ بَــنِـي أَبِـي بَـكْـرٍ تَـسَـامَـىٰ عَـلَـىٰ ـ كَـانَ ـ ٱلْـمُـسَـوَّمَـةِ ٱلْـجِـيَـادِ

والثانيةُ : نحوُ قولِكَ : ما كانَ أصحَّ عِلْمَ مَنْ تَقدَّمَ ، ولا أرىٰ مُوجِباً لإلغائِها في مثلِ هٰذا ، ويكونُ اسمُها ضميراً عائداً علىٰ (ما) ، والجملةُ بعدُ خبرٌ ، والتعجُّبُ مِنَ الأمورِ الماضيةِ ، وفي مثلِ : ما أحسنَ تقريرَكَ وأقوى اجتهادَكَ مِنَ الأمورِ الحاضرةِ .

❊

واختصَّتْ (كانَ) أيضاً بجوازِ حذفِها معَ اسمِها ويبقىٰ خبرُها ، وهوَ جيِّدٌ ، أو معَ خبرِها ، وهوَ رديءٌ .

واشتَهرَ الحذفُ معَ (لو) ومعَ (إنْ) ، كقولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ »(١) ؛ أي : ولو كانَ المُلتمَسُ خاتَماً ، وكقولِهِ : « لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ »(٢) ؛ أي : ولو كانَتِ الهديَّةُ فِرسنَ . . . وكقولِ الشاعرِ(٣) : [من البسيط]

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقاً وَإِنْ كَذِباً   فَمَا ٱعْتِذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا

ومنهُ العبارةُ ذاتُ الأوجهِ ؛ كقولِهِ : كلُّ امرئٍ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إن خيراً . . فخيرٌ ، وإن شرّاً . . فشرٌّ ؛ أي : إن كانَ عملُهُ خيراً . . فجزاؤُهُ خيرٌ ، وهوَ أرجحُ الأوجهِ .

والثاني ـ وهوَ رديئُها ـ : رفعُ الأوَّلِ ونصبُ الثاني ؛ أي : إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فهوَ يُجزىٰ خيراً ، وكانَ رديئاً ؛ لأنَّ فيهِ حذفَ الخبرِ معَ (كانَ) ، وكثرةَ الحذفِ مِنَ الجزاءِ ، ولأنَّ فيهِ ضَعفاً بحَسَبِ المعنىٰ ؛ لأنَّ الغرضَ : إن كانَ عملُهُ خيراً ، لا : إن كانَ بعضُهُ وبعضُهُ .

ورفعُهُما يلي الرديءَ ، ونصبُهُما يلي الجيدَ ، وإنَّما يجوزُ رفعُ الأوَّلِ حيثُ يمكنُ تقديرُ الخبرِ ، وإلَّا . . وجبَ النصبُ ؛ نحوُ : أنا ماضٍ معَ زيدٍ إلىٰ مَقصِدِهِ ؛ إن راكباً . . فراكبٌ ، وإن ماشياً . . فماشٍ .

[المقامةُ النحويةُ للحريريّ]

وعلىٰ هٰذهِ المسألةِ بنىٰ أبو محمدٍ الحريريُّ مَقامتَهُ الرابعةَ والعشرينَ ، الموسومةَ بـ (المَقامةِ النحويةِ)(٤) ، ورأيتُ إيرادَها في هٰذا الموضعِ ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢١) ، ومسلم (١٤٢٥) عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما .
(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ، ومسلم (١٠٣٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣) انظر « محاضرات الأدباء » (٥٧٢/٣) .
(٤) وسمَّاها مؤلفها : المقامة القطيعية .

مُلتمِساً مِنَ الطَّلَبةِ أن يُنعِموا أنظارَهُم في كيفيةِ سياقِها ، وتحيُّلِ البلغاءِ علىٰ إيرادِ المسائلِ العلميَّةِ في الأساليبِ الأدبيَّةِ ؛ عسىٰ أن يَلمَحوا الغايةَ التي لها يسعىٰ مَنْ يَكُدُّ نفسَهُ ويَتحاملُ علىٰ قُواهُ ، ويَصرِفُ مِنْ نفيسِ عمرِهِ في تَعلُّمِ الفنونِ المُتعلِّقةِ باللغةِ العربيةِ ؛ وهيَ [1] :

(حكى الحارثُ بنُ همَّامٍ قالَ : عاشرتُ بقَطِيعةِ الرَّبيعِ ، في إبَّانِ الرَّبيعِ ، فتيةً وجوهُهُم أبلجُ مِنْ أنوارِهِ ، وأخلاقُهُم أبهجُ مِنْ أزهارِهِ ، وألفاظُهُم أرقُّ مِنْ نسيمِ أسحارِهِ ، فاجتليتُ منهُم ما يُزرِي على الربيعِ الزاهرِ ، ويغني عن رَنَّاتِ المزاهرِ ، وكنَّا تقاسمنا علىٰ حفظِ الوِدادِ ، وحظرِ الاستبدادِ ، وألَّا يَتفرَّدَ أحدُنا بالتذاذٍ ، ولا يَستأثِرَ ولو برَذاذٍ .

فأجمعنا في يومٍ سما دَجْنُهُ ، ونما حُسنُهُ ، وحكمَ بالاصطباحِ مُزنُهُ . . علىٰ أن نلتهيَ بالخروجِ ، إلىٰ بعضِ المروجِ ؛ لنُسرِّحَ النواظرَ ، في الرياضِ النواضرِ ، ونَصقُلَ الخواطرَ ، بشيمِ المواطرِ ، فبرزنا ونحنُ كالشُّهورِ عِدَّةً ، وكنَدْمانَيْ جَذِيمةَ مَودَّةً ، إلىٰ حديقةٍ أخذَتْ زُخْرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وتَنوَّعَتْ أزاهيرُها وتَلوَّنَتْ ، ومعَنا الكُمَيْتُ الشَّمُوسُ ، والسُّقاةُ الشُّموسُ ، والشادي الذي يُطرِبُ السامعَ ويُلهيهِ ، ويَقْري كلَّ سمعٍ ما يَشتهيهِ .

فلمَّا اطمأنَّ بنا الجلوسُ ، ودارَتْ علينا الكُؤوسُ . . وَغَلَ علينا ذِمْرٌ [2] ، عليهِ طِمْرٌ ، فتَجهَّمناهُ تَجهُّمَ الغِيدِ الشِّيبَ ، ووجدنا صفوَ يومِنا قد شِيبَ ، إلَّا أنَّهُ سَلَّمَ تسليمَ أُولي الفهمِ ، وجلسَ يَفُضُّ لطائمَ النثرِ والنظمِ [3] ، ونحنُ

---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٦٩) ، وسيأتي المصنف بملحق فيه شرح بعض ألفاظها وأخبارها ، ونقل الفصل الشارح لأحاجيها وألغازها .

(٢) يعني : دخل علينا رجل شجاع .

(٣) اللطائم : جمع لطيمة ؛ وهي وعاءُ العطر ، أو المسكُ .

ننزوي مِنِ انبساطِهِ ، وننبري لِطَيِّ بساطِهِ ، إلىٰ أن غَنَّىٰ شادينا المُغْرِبُ ، ومُغرِّدُنا المُطرِبُ : [من الوافر]

إِلَامَ سُعَادُ لَا تَصِلِينَ حَبْلِي ... وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أُلَاقِي

صَبَرْتُ عَلَيْكِ حَتَّىٰ عِيلَ صَبْرِي ... وَكَادَتْ تَبْلُغُ ٱلرُّوحُ ٱلتَّرَاقِي

وَهَاأَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى ٱنْتِصَافٍ ... أُسَاقِي فِيهِ خِلِّي مَا يُسَاقِي

فَإِنْ وَصْلاً أَلَذُّ بِهِ فَوَصْلٌ ... وَإِنْ صَرْماً فَصَرْمٌ كَٱلطَّلَاقِ

قالَ : فاستفهمنا العابثَ بالمثاني[1] ، لِمَ نصبَ الوصلَ الأوَّلَ ورفعَ الثانيَ ؟ فأقسمَ بتربةِ أبوَيهِ ؛ لقد نطقَ بما اختارَهُ سيبويهِ ، فتشعَّبَتْ حينَئذٍ آراءُ الجمعِ ، في تجويزِ النصبِ والرفعِ ؛ فقالَتْ فِرقةٌ : رفعُهُما هوَ الصوابُ ، وقالَتْ طائفةٌ : لا يجوزُ فيهما إلَّا الانتصابُ ، واستبهمَ علىٰ آخَرينَ الجوابُ ، واستعرَ بينَهُمُ الاصطخابُ ، وذٰلكَ الواغلُ يُبدِي ابتسامَ ذي معرفةٍ ، وإن لم يَفُهْ ببنتِ شفةٍ ، حتَّىٰ إذا سكنَتِ الزَّماجرُ ، وصمتَ المزجورُ والزاجرُ . . قالَ : يا قومِ ؛ أنا أُنبِّئُكم بتأويلِهِ ، وأُميِّزُ صحيحَ القولِ مِنْ [عليلِهِ] ؛ إنَّهُ لَيجوزُ رفعُ الوصلَينِ ونصبُهُما ، والمغايرةُ في الإعرابِ بينَهُما ؛ وذٰلكَ بحَسَبِ اختلافِ الإضمارِ ، وتقديرِ المحذوفِ في هٰذا المضمارِ .

قالَ : ففرَطَ مِنَ الجماعةِ إفراطٌ في مماراتِهِ ، وانخراطٌ إلىٰ مباراتِهِ ، فقالَ :

أمَّا إذا دعوتُمْ نَزالِ ، وتَلبَّبتُم للنِّضالِ . . فما كلمةٌ هيَ إنْ شئتُم حرفٌ محبوبٌ ، أوِ اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ ؟

وأيُّ اسمٍ يَتردَّدُ بينَ فردٍ حازمٍ ، وجمعٍ ملازمٍ ؟

وأيَّةُ هاءٍ إذا التحقَتْ . . أماطَتِ الثقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ ؟

---

(١) أراد أوتار العود ؛ لكونها مثنىٰ مثنىٰ .

وأينَ تَدخُلُ السينُ فتَعزِلُ العاملَ ، مِنْ غيرِ أن تجاملَ ؟

وما منصوبٌ أبداً على الظَّرفِ ، لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ ؟

وأيُّ مضافٍ أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلفَ حكمُهُ بينَ مساءٍ وغُدْوةٍ ؟

وما العاملُ الذي يَتصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ ؟

وأيُّ عاملٍ نائبُهُ أرحبُ منهُ وَكراً ، وأعظمُ مكراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ؟

وفي أيِّ موطنٍ تَلبَسُ الذُّكرانُ ، براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ ربَّاتُ الحِجالِ ، بعمائمِ الرجالِ ؟

وأينَ يجبُ حفظُ المراتبِ ، على المضروبِ والضَّاربِ ؟

وما اسمٌ لا يُعرَّفُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ ، أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَينِ ، وفي وضعِهِ الأوَّلِ التزامٌ ، وفي الثاني إلزامٌ ؟

وما وصفٌ إذا أُردِفَ بالنونِ . . نَقَصَ صاحبُهُ في العُيونِ ، وقُوِّمَ بالدُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّضَ للهُونِ ؟

فهٰذهِ ثنتا عشرةَ مسألةً وَفْقَ عددِكُم ، وزنةَ لَدَدِكُم ، ولو زدتُم . . زدنا ، وإن عُدتُم . . عُدنا .

قالَ المُخبرُ بهٰذهِ الحكايةِ : فوردَ علينا مِنْ أحاجيهِ التي هالَتْ لمَّا انهالَتْ ، ما حارَتْ لهُ الأفكارُ وحالَتْ ، فلمَّا أعجَزَنا العَومُ في بحرِهِ ، واستسلمَتْ تمائمُنا لسحرِهِ . . عدلنا مِنِ استثقالِ الرؤيةِ لهُ ، إلى استنزالِ الروايةِ عنهُ ، ومِنْ بغيِ التبرُّمِ بهِ ، إلى ابتغاءِ التعلُّمِ منهُ .

فقالَ : والذي نَزَّلَ النحوَ في الكلامِ ، مَنزِلةَ المِلحِ في الطَّعامِ ، وحجبَهُ عن بصائرِ الطَّغامِ ؛ لا أنلتُكُم مراماً ، ولا شَفَيتُ لكُم غراماً ، أو تُخوِّلَني كلُّ يدٍ ،

ويَختصَّني كلٌّ منكم بيدٍ ، فلم يَبقَ في الجماعةِ إلَّا مَنْ أذعنَ لحكمِهِ ، ونبذَ إليهِ خُبْأةَ كُمِّهِ ، فلمَّا حصلَتْ تحتَ وِكائِهِ . . أضرمَ شُعلةَ ذكائِهِ ، فكشفَ حينَئذٍ عن أسرارِ ألغازِهِ ، وبدائعِ إعجازِهِ ، ما جلا بهِ صَدَأَ الأذهانِ ، وجَلَّىٰ مَطلَعَهُ بنورِ البُرهانِ .

قالَ الراوي : فَهِمْنا ، حينَ فَهِمْنا ، وعَجِبْنا ؛ إذ أُجِبْنا ، وندمنا ، علىٰ ما ندَّ منَّا ، وأخذنا نعتذرُ إليهِ اعتذارَ الأكياسِ ، ونَعرِضُ عليهِ ارتضاعَ الكاسِ ، فقالَ : مَأْرَبٌ لا حفاوةَ ، ومَشرَبٌ لم يَبقَ لهُ عندي حلاوةٌ ، فأطلنا مراودتَهُ ، ووالينا معاودتَهُ ، فشَمَخَ بأنفِهِ صَلَفاً ، ونأىٰ بجانبِهِ أَنَفاً ، وأنشدَ : [من البسيط]

نَـهَـانِـيَ ٱلشَّـيْـبُ عَـمَّـا فِـيهِ أَفْـرَاحِي ... فَـكَـيْـفَ أَجْـمَـعُ بَـيْـنَ ٱلـرَّاحِ وَٱلـرَّاحِ
وَهَـلْ يَـجُوزُ ٱصْطِبَاحِي مِنْ مُعَتَّقَةٍ ... وَقَـدْ أَنَـارَ مَـشِـيبُ ٱلرَّأْسِ إِصْبَاحِي
آلَيْتُ لَا خَامَرَتْنِي ٱلْخَمْرُ مَا عَلِقَتْ ... رُوحِي بِجِسْمِي وَأَلْفَاظِي بِإِفْصَاحِي
وَلَا ٱكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ ٱلسُّلَافِ يَدٌ ... وَلَا أَجَـلْـتُ قِـدَاحِي بَـيْـنَ أَقْـدَاحِ
وَلَا صَرَفْتُ إِلَىٰ صِرْفٍ مُشَعْشَعَةٍ ... هَـمِّـي وَلَا رُحْـتُ مُـرْتَـاحـاً إِلَىٰ رَاحِ
وَلَا نَـظَـمْـتُ عَـلَـىٰ مَـشْـمُـولَـةٍ أَبَـداً ... شَمْلِي وَلَا ٱخْتَرْتُ نَدْمَاناً سِوَى ٱلصَّاحِي
مَحَا ٱلْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَىٰ ... رَأْسِي فَأَبْغِضْ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ مَاحِي
وَلَاحَ يَلْحَىٰ عَلَىٰ [جَرْيِ] ٱلْعِنَانَ إِلَىٰ ... مَـلْـهـىً فَـسُـحْـقاً لَهُ مِنْ لَائِحٍ لَاحِي
وَلَـوْ لَـهَـوْتُ وَفَـوْدِي شَـائِـبٌ لَـخَـبَـا ... بَيْنَ ٱلْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانَ مِصْبَاحِي
قَـوْمٌ سَـجَـايَـاهُـمُ تَـوْقِـيرُ ضَـيْـفِـهِـمُ ... وَٱلشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ ٱلتَّوْقِيرُ يَا صَاحِ

ثمَّ إنَّهُ انسابَ انسيابَ الأَيْمِ ، وأجفلَ إجفالَ الغَيمِ ، فعلمتُ أنَّهُ سِراجُ سَرُوجَ ، وبدرُ الأدبِ الذي يَجتابُ البُروجَ ، وكانَ قُصارانا التحرُّقَ لبُعدِهِ ، والتفرُّقَ مِنْ بَعدِهِ .

تفسيرُ ما أُودِعَ هـٰذهِ المَقامةَ مِنَ النُّكتِ العربيةِ والأحاجي النحويَّةِ [1]

أمَّـا صدرُ البيتِ الأخيرِ مِنَ الأُغنيةِ ، الـذي هـوَ : « فـإنْ وصـلاً أَلَـذُّ بـهِ فوصـلٌ » . . فإنَّهُ نظيرُ قولِهِمْ : المرءُ مَجزيٌّ بعملِهِ ؛ إنْ خيراً . . فخيرٌ ، وإنْ شرّاً . . فشرٌّ ، وهـٰذهِ المسألةُ أَودعَـها سيبويهِ « كتابَهُ » ، وجَـوَّزَ في إعرابِها أربعةَ أوجهٍ :

أحدُها ـ وهوَ أجودُها ـ : أن تَنصبَ « خيراً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، وتَنصبَ « شرّاً » الأوَّلَ وترفعَ الثانيَ ، ويكونُ تقديرُهُ : إن كانَ عملُهُ خيراً . . فجزاؤُهُ خيرٌ ، وإن كانَ عملُهُ شرّاً . . فجزاؤُهُ شرٌّ ؛ فتَنصِبُ الأوَّلَ علىٰ أنَّهُ خبرُ « كانَ » ، وترفعُ الثانيَ علىٰ أنَّهُ خبرُ مبتدأً محذوفٍ ، وقد حذفتَ في هـٰذا الوجهِ « كانَ » واسمَها ؛ لدلالةِ حرفِ الشرطِ الذي هو « إن » علىٰ تقديرِهِما ، وحذفتَ أيضاً المبتدأَ ؛ لدلالةِ الفاءِ التي هيَ جوابُ الشرطِ عليهِ ؛ لأنَّهُ كثيراً ما يقعُ بعدَها .

والوجهُ الثاني : أن تنصبَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ : إن كانَ عملُهُ خيراً . . فهوَ يُجزىٰ خيراً ، وإن كانَ عملُهُ شرّاً . . فهوَ يُجزىٰ شرّاً ؛ فيَنتصِبُ الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ خبرُ « كانَ » ، ويَنتصِبُ الثاني انتصابَ المفعولِ بهِ .

والوجهُ الثالثُ : أن ترفعَهُما جميعاً ، ويكونُ تقديرُ الكلامِ : إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ فيَرتفِعُ « خيرٌ » الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ اسمُ « كانَ » ، ويَرتفِعُ « خيرٌ » الثاني علىٰ ما بُيِّنَ في شرحِ الوجهِ الأولِ ، وقد يجوزُ أن يَرتفِعَ « خيرٌ » الأوَّلُ علىٰ أنَّهُ فاعلُ « كانَ » ، وتَجعلُ « كانَ » المُقدَّرةَ ها هنا هي التامَّةَ التي تأتي بمعنىٰ حدثَ ووقعَ ، فلا تَحتاجُ إلىٰ خبرٍ ؛ كقولِهِ تعالىٰ ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [2] ، ويكونُ التقديرُ

---

(١) انظر « مقامات الحريري » (ص ١٧٥) .

(٢) سورة البقرة : (٢٨٠) .

في المسألةِ : إن كانَ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ ؛ أي : إن حدثَ خيرٌ . . فجزاؤُهُ خيرٌ .

والوجهُ الرابعُ ـ وهوَ أضعفُها ـ : أن ترفعَ الأوَّلَ علىٰ ما تَقدَّمَ شرحُهُ في الوجهِ الثالثِ ، وتَنصِبَ الثانيَ علىٰ ما بُيِّنَ ذكرُهُ في الوجهِ الثاني ، ويكونُ التقديرُ : إن كانَ في عملِهِ خيرٌ . . فهوَ يُجزىٰ خيراً .

وعلىٰ حَسَبِ هٰذا التقديرِ والمُقدَّراتِ المحذوفةِ فيه يَجري إعرابُ البيتِ الذي غُنِّيَ بهِ ، وممَّا يَنتظِمُ في هٰذا السِّلكِ : قولُهُمُ : المرءُ مقتولٌ بما قَتلَ بهِ ؛ إنْ سيفاً . . فسيفٌ ، وإنْ خَنْجَراً . . فخَنْجَرٌ (١) .

* *

وأمَّا الكلمةُ التي هيَ حرفٌ محبوبٌ ، أوِ اسمٌ لِمَا فيهِ حرفٌ حَلُوبٌ . . فهيَ « نعمْ » إن أردتَ بها تصديقَ الأخبارِ ، أوِ العِدةَ عندَ السؤالِ . . فهيَ حرفٌ ، وإن عنيتَ بها الإبلَ . . فهيَ اسمٌ .

والنَّعَمُ تُذكَّرُ وتُؤنَّثُ ، ويُطلَقُ على الإبلِ وعلىٰ كلِّ ماشيةٍ فيها إبلٌ ، وفي الإبلِ الحَرْفُ ؛ وهيَ الناقةُ الضَّامرةُ ، سُمِّيَتْ حَرْفاً ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ السيفِ ، وقيلَ : إنَّها الضَّخمةُ ؛ تشبيهاً لها بحَرْفِ الجبلِ .

*

وأمَّا الاسمُ المُتردِّدُ بينَ فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ . . فهوَ « سراويلُ » قالَ بعضُهُم : هوَ واحدٌ ، وجمعُهُ : سراويلاتٌ ، فعلىٰ هٰذا القولِ هوَ فردٌ ، وكنَّىٰ عن ضمِّهِ الخصرَ بأنَّهُ حازمٌ .

وقالَ آخَرونَ : بل هوَ جمعٌ ، واحدُهُ : سِرْوالٌ ؛ مثلُ : شِمْلالٍ وشماليلَ ،

---

(١) انظر « الكتاب » لسيبويه (١/٢٥٨) .

وسِربالٍ وسرابيلَ ، فهوَ علىٰ هـٰذا القولِ جمعٌ ، ومعنىٰ قولِهِ : « ملازمٌ » ؛ أي : لا يَنصرِفُ ، وإنَّما لم يَنصرِفْ هـٰذا النوعُ مِنَ الجمعِ ؛ وهوَ كلُّ جمعٍ ثالثُهُ أَلِفٌ وبعدَها حرفٌ مُشدَّدٌ أو حرفانِ أو ثلاثةٌ أوسطُها ساكنٌ . . [لثقلِهِ] وتفرُّدِهِ دونَ غيرِهِ مِنَ الجموعِ بأنَّهُ لا نظيرَ لهُ في الأسماءِ الآحادِ[1] .

وأمَّا الهاءُ التي إذا التحقَتْ أماطَتِ الثِّقلَ ، وأطلقَتِ المُعتقَلَ . . فهيَ الهاءُ اللَّاحقةُ بالجمعِ المُقدَّمِ ذكرُهُ ؛ كقولِكَ : صيارفةٌ وصياقلةٌ ، فيَنصرِفُ هـٰذا الجمعُ عندَ التحاقِ الهاءِ بهِ ؛ لأنَّها قد أصارَتْهُ إلىٰ أمثالِ الآحادِ ؛ نحوُ : رفاهيةٍ وكراهيةٍ ، فخَفَّ بهـٰذا السببِ ، وصُرِفَ لهـٰذهِ العِلَّةِ ، وقد كَنَّىٰ في هـٰذهِ الأُحجيةِ عمَّا لا يَنصرِفُ بالمُعتقَلِ ، كما كَنَّىٰ في التي قبلَها عمَّا لا يَنصرِفُ بالملازمِ .

وأمَّا السِّينُ التي تَعزِلُ العاملَ مِنْ غيرِ أن تجاملَ . . فهيَ التي تَدخُلُ على الفعلِ المُستقبَلِ ، وتَفصِلُ بينَهُ وبينَ « أنْ » التي كانَتْ قبلَ دخولِها مِنْ أدواتِ النصبِ ، فيَرتفِعُ حينَئذٍ الفعلُ ، وتَنتقِلُ « أنْ » عن كونِها الناصبةَ للفعلِ إلىٰ [أن] تصيرَ المُخفَّفةَ مِنَ الثقيلةِ ؛ وذٰلكَ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾[2] ، وتقديرُهُ : علمَ أنَّهُ سيكونُ .

وأمَّا المنصوبُ على الظَّرفِ ، الذي لا يَخفِضُهُ سوىٰ حرفٍ . . فهوَ « عندَ »

---

(١) زاد في « المقامات » (ص ١٧٧) : (وقد كنَّىٰ في هـٰذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم ، كما كنَّىٰ في التي قبلها عمَّا ينصرف باللازم) .

(٢) سورة المزمل : (٢٠) .

إذ لا يَجرُّهُ غيرُ « مِنْ » خاصَّةً ، وقولُ العامَّةِ : ذهبتُ إلىٰ عندِهِ . . لحنٌ .

وأمَّا المُضافُ الذي أخلَّ مِنْ عُرَا الإضافةِ بعُروةٍ ، واختلفَ حكمُهُ بينَ مساءٍ وغُـدْوةٍ . . فهوَ « لـدنْ » ولـدنْ : مِنَ الأسماءِ الملازمةِ للإضافةِ ، وكلُّ ما يأتي بعدَها مجرورٌ بها إلَّا غُدْوةً ؛ فإنَّ العربَ نصبَتْها بـ « لـدنْ » لكثرةِ استعمالِهِم إيَّاها في الكلامِ ، ثم نوَّنَتْها أيضاً ليَتبيَّنَ بذٰلكَ أنَّها منصوبةٌ ، لا أنَّها مِنْ نوعِ المجروراتِ التي لا تَنصرِفُ .

وعندَ بعضِ النحويينَ : أنَّ « لـدنْ » بمعنىٰ « عندَ » والصحيحُ : أنَّ بينَهُما فرقاً لطيفاً ؛ وهوَ أنَّ « عندَ » يشتملُ معناها علىٰ ما هوَ في مِلكِكَ ومُكْنَتِكَ ممَّا دنا منكَ وبَعُدَ عنكَ ، و« لدنْ » يَختصُّ معناها بما حضرَكَ وقرُبَ منكَ .

وأمَّا العاملُ الذي يَتَّصِلُ آخِرُهُ بأوَّلِهِ ، ويَعملُ معكوسُهُ مثلَ عملِهِ . . فهوَ « يا » ، ومعكوسُها : « أيْ » ، وكلتاهُما مِنْ حروفِ النداءِ ، وعملُهُما في الاسمِ المُنادىٰ سِيَّانِ ، وإن كانَتْ « يا » أجولَ في الكلامِ ، وأكثرَ في الاستعمالِ ، وقدِ اختارَ بعضُهُم أن يُنادىٰ بـ « أي » القريبُ فقطْ كالهمزةِ .

❊

وأمَّا العاملُ الذي نائبُهُ أرحبُ منهُ وَكْراً ، وأعظمُ مَكْراً ، وأكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً . . فهوَ باءُ القسمِ ، وهٰذهِ الباءُ هيَ أصلُ حروفِ القسمِ ؛ بدلالةِ استعمالِها معَ ظهورِ فعلِ القسمِ في قولِكَ : أقسمُ باللهِ ، ولدخولِها أيضاً على المضمرِ ؛ كقولِكَ : بِكَ لَأفعلَنَّ ، وإنَّما أُبدِلَتِ الواوُ منها في القسمِ ؛ لأنَّهُما جميعاً مِنْ حروفِ الشَّفَةِ ، ثمَّ لتقاربِ معنيَيْهِما ، لأنَّ الواوَ تفيدُ الجمعَ والباءَ

تفيدُ الإلصاقَ ، والمعنيانِ متقاربانِ ، ثمَّ صارَتِ الواوُ المبدلةُ مِنَ الباءِ أدورَ في الكلامِ ، وأعلقَ بالإقسامِ ، ولهٰذا أَلغزَ بأنَّها أكثرُ للهِ تعالىٰ ذِكراً ، ثمَّ إنَّ الواوَ أكثرُ موطناً مِنَ الباءِ ؛ لأنَّ الباءَ لا تَدخُلُ إلَّا على الاسمِ ، ولا تَعملُ غيرَ الجرِّ ، والواوُ تَدخُلُ على الاسمِ والفعلِ والحرفِ ، وتَجُرُّ تارةً بالقسمِ ، وتارةً بإضمارِ رُبَّ ، وتَنتظِمُ أيضاً معَ نواصبِ الفعلِ وأدواتِ العطفِ ، فلهٰذا وصفَها برَحْبِ الوَكْرِ ، وعِظَمِ المَكْرِ .

وأمَّا الموطنُ الذي يَلبَسُ فيهِ الذُّكرانُ براقعَ النِّسوانِ ، وتَبرُزُ فيهِ ربَّاتُ الحِجالِ بعمائمِ الرِّجالِ . . فهوَ أوَّلُ مراتبِ العددِ المُضافِ ، وذٰلكَ ما بينَ الثلاثةِ إلى العشرةِ ؛ فإنَّهُ يكونُ معَ المُذكَّرِ بالهاءِ ، ومعَ المُؤنَّثِ بحذفِها ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ (١) ، والهاءُ في غيرِ هٰذا الموطنِ مِنْ خصائصِ المُؤنَّثِ ؛ كقولِكَ : قائمٌ وقائمةٌ ، وعالمٌ وعالمةٌ ، فقد رأيتَ كيفَ انعكسَ في هٰذا الموضعِ حكمُ المُذكَّرِ والمُؤنَّثِ ، حتى انقلبَ كلٌّ منهُما في ضدِّ قالَبِهِ ، وبَرَزَ في بِزَّةِ صاحبِهِ .

وأمَّا الموضعُ الذي يجبُ فيهِ حفظُ المراتبِ على المضروبِ والضاربِ . . فهوَ حيثُ يَشتبِهُ الفاعلُ بالمفعولِ ؛ لتعذُّرِ ظهورِ علامةِ الإعرابِ فيهِما ، وذٰلكَ إذا كانا مقصورَينِ ؛ مثلُ : موسىٰ وعيسىٰ ، أو مِنْ أسماءِ الإشارةِ ؛ نحوُ : ذاكَ وهٰذا ، فيجبُ حينَئذٍ لإزالةِ اللَّبسِ إقرارُ كلٍّ منهُما في رتبتِهِ ؛ ليُعرَفَ الفاعلُ منهُما بتقدُّمِهِ والمفعولُ بتأخُّرِهِ .

---

(١) سورة الحاقة : (٧) .

وأمَّا الاسمُ الذي لا يُفهَمُ إلَّا باستضافةِ كلمتَينِ أوِ الاقتصارِ منهُ علىٰ حرفَينِ . . فهوَ « مهما » ، وفيها قولانِ :

أحدُهُما : أنَّها مُركَّبةٌ مِنْ « مَهْ » التي هيَ بمعنى : اكفف ، ومِنْ « ما » .

والقولُ الثاني ـ وهوَ الصحيحُ ـ : أنَّ الأصلَ فيها « ما » فزيدَتْ عليها « ما » أخرىٰ ، كما تزادُ « ما » علىٰ « أنَّ » ، فصارَ لفظُها « ماما » ، فثَقُلَ عليهِم توالي كلمتَينِ بلفظٍ واحدٍ ، فأبدلوا مِنْ أَلِفِ « ما » الأُولىٰ هاءً ، فصارتا « مهما » .

ومهما : مِنْ أدواتِ الشرطِ ، ومتىٰ لفظتَ بها . . لم يَتِمَّ الكلامُ ولا عُقِلَ المعنىٰ إلَّا بإيرادِ كلمتَينِ بعدَها ؛ كقولِكَ : مهما تَفعلْ . . أفعلْ ، وتكونُ حينَئذٍ مُلتزِماً للفعلِ ، وإنِ اقتصرتَ منها علىٰ حرفَينِ ؛ وهما « مَهْ » التي بمعنى : اكففْ . . فُهِمَ المعنىٰ ، وكنتَ مُلزِماً مَنْ خاطبتَهُ أن يَكُفَّ .

وأمَّا الوصفُ الذي إذا أُردِفَ بالنونِ نَقَصَ صاحبُهُ في العيونِ ، وقُوِّمَ بالدُّونِ ، وخرجَ مِنَ الزَّبونِ ، وتَعرَّضَ للهُونِ . . فهوَ « ضيفٌ » إذا لحِقَتْهُ النونُ . . استحالَ إلىٰ « ضَيْفَنٍ » وهوَ الذي يَتبعُ الضَّيفَ ، ويَتنزَّلُ في النقدِ منزلةَ الزَّيفِ)[1] .

[خبرُ ندمانَي جَذيمةَ الأبرشِ]

وحيثُ أوردنا هٰذهِ المَقامةَ طلباً لتلكَ الفائدةِ . . فمِنَ اللَّازمِ لإتمامِها أن نُلمِّحَ بكيفيةِ شرحِها ، ونذكرَ ما إليهِ أشارَ الحريريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ قِصَّةِ نَدْمانَيْ جَذِيمةَ ، وما يَحسُنُ إلحاقُهُ بحفظِها ممَّا يكونُ حِلْيةً مِنْ حُلِيِّ الرجالِ العُلماءِ ، فنقولُ :

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي النقل عن العلامة الحريري من « مقاماته » (ص ١٦٩ ـ ١٨١) .

المعاشرةُ : المخالطةُ ، واشتقاقُهُ مِنْ لفظِ العشرةِ ؛ آخِرِ أُولىٰ مراتبِ العددِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُ كانَ مِنْ عاداتِ العربِ : أنَّ القومَ الذينَ يَجتمعونَ في معيشةٍ أن يَجلسوا على الجِفانِ عشرةً عشرةً ؛ يُقالُ عَشَرْتُ القومَ ؛ مِنْ بابِ نصرَ ؛ أي : كمَّلتُهُم عشرةً بكوني معَهُم ، كما يُقالُ : تَسَعْتُهُم وثَمَنْتُهُم . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ومنهُ جاءَتِ المفاعلةُ والتفاعلُ .

وقَطِيعةُ الرَّبيعِ : ناحيةٌ عندَ غربيةِ بغدادَ ، كانَ أقطعَها أبو جعفرٍ المنصورُ ثاني الخلفاءِ مِنْ بني العبَّاسِ وزيرَهُ أبا الفضلِ الرَّبيعَ ، فبنىٰ فيها ، وبنى الناسُ معَهُ ، فصارَتْ قريةً كبيرةً ، وإليهِ نُسِبَتْ ، يُقالُ : أقطعَ السلطانُ بعضَ رعيَّتِهِ أرضَ كذا ؛ أي : مَلَّكَهُ إيَّاها ليَنتفِعَ بها كيفَ شاءَ وتُورَثَ عنهُ دونَ مقابلٍ ، وكانَ الموضعُ المحيطُ بجامعِ أحمدَ بنِ طُولونَ يُسمَّىٰ بالقطائعِ ؛ لأنَّهُ كانَ إذ ذاكَ فضاءً ، فمَلَّكَهُ ذاكَ الوالي لبعضِ الناسِ ، فبنَوا فيهِ ، وصارَ بلداً كما تراهُ في وقتِنا هٰذا مِنَ العِمارةِ الإسماعيليَّةِ .

والبَلَجُ : الوُضوحُ والظُّهورُ ، ومنهُ : [الحقُّ أبلجُ] .

والأنوارُ : جمعُ نَوْرٍ بفتحِ النونِ ؛ وهوَ الأبيضُ مِنَ الأزهارِ ، وخُصَّتِ الأزهارُ بغيرِ الأبيضِ .

ويُقالُ : **زرىٰ عليهِ** : مِنْ بابِ ضربَ ؛ أي : عابَهُ ، وأزرىٰ بهِ مِنَ المهموزِ ؛ أي : نَقَّصَهُ وكانَ غيرَ لائقٍ بهِ .

والمِزْهَرُ كمِنْبَرٍ : عُودُ الضَّربِ المُطربِ ، **والإجماعُ على الأمرِ** : العزمُ والتصميمُ .

وأمَّا قِصَّةُ جَذِيمةَ ونَدْمانَيهِ ـ واسمُهُما مالكٌ وعَقيلٌ ـ . . فهيَ أنَّ جَذِيمةَ هٰذا كانَ مَلَكَ أيامَ الطَّوائفِ بشاطئِ الفراتِ وما والاهُ إلى السَّوادِ ستينَ سنةً .

قالَ ابنُ الكلبيّ [١] : جَذِيمةُ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ قُضاعةَ بالحِيرةِ ، وأَوَّلُ مَنْ حذا النعالَ ، وأدلجَ مِنَ الملوكِ ، ورُفِعَ لهُ الشمعُ .

وكانَ مِنْ أفضلِ ملوكِ العربِ رأياً ، وأظهرِهِم حزماً ، وهوَ أَوَّلُ مَنِ استَجمعَ المُلْكُ لهُ بأرضِ العراقِ ، وغزا بالجيوشِ ، وكانَ بهِ بَرَصٌ ، فكَنَّتِ العربُ عنِ البرصِ إعظاماً ، فقالَتْ لهُ : جَذِيمةُ الوَضَّاحُ ، وجَذِيمةُ الأبرشُ ، وكانَ غزا طَسْماً وجَدِيساً في منازِلِهِم ، فصادفَ حسَّانَ بنَ تُبَّعٍ قد أغارَ عليهِما ، فانصرفَ جَذِيمةُ ، وصادفَتْ خيولُ تُبَّعٍ سَرِيَّةً لهُ ، فقتلوهُم ، فبلغَ الخبرُ جَذِيمةَ ، فقالَ : [من المديد]

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ ... تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شَمَالَاتُ
فِي [فُتُوٍّ أَنَا] كَالِئُهُمْ ... مِنْ بَلَايَا غَزْوَةٍ مَاتُوا
لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ ... نَحْنُ أَسْرَيْنَا وَهُمْ بَاتُوا [٢]

وكانَ جَذِيمةُ قد تَنبَّأَ وتَكهَّنَ ، واتَّخذَ صنمَينِ ، وسمَّاهُما : [الضَّيْزَنَيْنِ] ، ومكانُهُما بالحِيرةِ معروفٌ ، وغزا إياداً بعينِ أباغٍ ، فبعثوا قوماً منهُم سرقوا منهُم [الضّيْزَنَيْنِ] ، وأصبحوا بهِما في إيادٍ ، فأرسلوا إليهِ : أنَّ صنَميكَ أصبحا عندَنا ؛ زهداً فيكَ ، ورغبةً فينا ، فأعطنا عهداً أَلَّا تغزوَنا ونَرُدُّهُما إليكَ ، ففعلَ [٣] .

وكانَ بلغَهُ أنَّ غلاماً مِنْ لخمٍ يُسمَّىٰ عديَّ بنَ نصرٍ . . مقيمٌ في أخوالِهِ مِنْ إيادٍ ، ولهُ ظَرْفٌ ولبٌّ ، وإنَّهُ لحسنٌ أن يُنادِمَ المَلِكَ ويقومَ بمجلسِهِ ، فاشترطَ علىٰ إيادٍ أن يَبعثوا معَ الصنمَينِ بعديِّ بنِ نصرٍ ، وكانَ لهُ جمالٌ وظَرْفٌ ،

---

(١) انظر « الأغاني » (٥٦٥٨/١٦) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٣/١) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٤/١) .

فدفعوهُ إليهِ معَهُما ، فضمَّهُ إلىٰ نفسِهِ ، وكانَ ينادمُهُ ، فتَعشَّقَتْهُ رَقَاشِ أختُ جَذِيمةَ ، فبعثَتْ إليهِ : إذا سقيتَ أخي واستنشىٰ . . فاخطُبْني لكَ ، وأَشهِدْ عليهِ ، ففعلَ ، فلمَّا طَرِبَ جَذِيمةُ . . خطبَها ، فأنعمَ عليهِ ، وأشهدَ عليهِ ، فقالَ لهُ : عَرِّسْ بأهلِكَ ، ففعلَ .

وأصبحَ علىٰ جَذِيمةَ مُضرَّجاً بالطِّيبِ ، فقالَ لهُ : ما هـٰذهِ الآثارُ ؟ فقالَ : آثارُ العُرْسِ ، قالَ : وأيُّ عُرْسٍ ؟ قالَ : عُرْسُ رَقَاشِ ، فأكبَّ جَذِيمةُ على الأرضِ ، وفرَّ عديٌّ ، وطلبَهُ جذيمةُ فلم يُدرِكْهُ ، وقيلَ : ظَفِرَ بهِ ، وقالَ لرَقَاشِ : [من الخفيف]

حَدِّثِينِي رَقَاشِ لَا تَكْذِبِينِي ... أَبِحُرٍّ زَنَيْتِ أَمْ بِهَجِينِ

أَمْ بِعَبْدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ ... أَمْ بِدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُونِ

فقالَتْ لهُ : [من الخفيف]

أَنْتَ زَوَّجْتَنِي وَمَا كُنْتُ أَدْرِي ... فَأَتَانِي ٱلنِّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ

ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ ٱلْمُدَامَةَ صِرْفاً ... وَتَمَادِيكَ فِي ٱلصِّبَا وَٱلْمُجُونِ

فحبَسَها في قصرِها ، فاشتملَتْ علىٰ حَمْلٍ ، فأتَتْ بغلامٍ ، وسَمَّتْهُ عمراً ، وربَّتْهُ حتىٰ ترعرعَ ، فجمَّلَتْهُ وأعطرَتْهُ وألبسَتْهُ كسوةَ مثلِهِ ، ثمَّ أزارَتْهُ خالَهُ ، فأُعجِبَ بهِ وأُلقِيَتْ عليهِ مَحبَّتُهُ .

وخرجَ جَذِيمةُ في سنةٍ قد أكمأَتْ ، وبُسِطَ لهُ في روضةٍ ، وعمرٌو معَ [غِلْمةٍ] يَجتنونَ الكمأةَ ، فكانوا إذا أصابوا كمأةً طيبةً . . أكلوها ، وإذا أصابَها عمرٌو . . خبأَها ، ثمَّ أقبلوا يَتعادونَ وعمرٌو يقدمُهم يقولُ : [من الرجز]

هَـٰذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ ... إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَىٰ فِيهِ

فالتزمَهُ جَذِيمةُ وحلَّ منهُ بمكانٍ .

ثمَّ إنَّ الجنَّ استهوَتْهُ ، فطُلِبَ زماناً ، وأَرسلَ فيهِ في الآفاقِ ، فلم يَجِدْ لهُ خبراً .

ثمَّ إنَّ عمراً أوفىٰ علىٰ مالكٍ وعقيلٍ ابنيْ فارجِ بنِ مالكِ بنِ كعبِ بنِ قيسِ بنِ حميرَ بنِ قضاعةَ وقد نزلا منزلاً ، وهما مُتوجِّهانِ إلىٰ خالِهِ جَذِيمةَ ، ومعَهُما قَينةٌ يُقالُ لها : أمُّ عمرٍو ، وهيَ تُغنِّيهِما وتَسقِيهِما ، فرأَتْ عمراً وقد تَلبَّدَ شعرُهُ ، وطالَتْ أظفارُهُ ، وساءَتْ حالُهُ ، فاحتقرَتْهُ ، فرمتْ إليهِ بكُراعٍ مِنْ طعامِهِما ، وناولَتْهُما ، وأوكأَتْ زِقَّها ولم تناولْ عمراً شيئاً ، فقالَ لها عمرٌو[1] : [من الوافر]

صَدَدْتِ ٱلْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ ٱلْكَأْسُ مَجْرَاهَا إِلَيْنَا
وَمَا شَرُّ ٱلثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ ٱلَّذِي لَا تَصْبَحِينَا
فَمَا شَرِبَ ٱلشَّرَابَ كَمِثْلِ عَمْرٍو وَمَا نَالَ ٱلْمَكَارِمَ فَٱصْبَحِينَا
فَإِلَّا تُنْكِرِي عَمْراً فَإِنِّي أَنَا ٱبْنُ عَدِيَّ حَقّاً فَٱعْرِفِينَا
وَخَالِي لَا أَبَا لَكِ ذُو ٱلْمَعَالِي جَذِيمَةُ كَيْفَ وَيْحَكِ تُنْكِرِينَا

فقالا لهُ : مَنْ أنت يا فتىٰ ؟ قال : أنا عمرُو بنُ عديٍّ ، فضمَّاهُ إليهِما ، وغسلا رأسَهُ ، وأخذا مِنْ شعَرِهِ ، وقلَّما أظفارَهُ ، وألبساهُ بعضَ الثيابِ التي كانَتْ معَهُما ، وقالا : ما كنَّا نُهدي جَذِيمةَ أنفسَ مِنِ ابنِ أختِهِ ، ثمَّ وردا بهِ علىٰ جَذِيمةَ ، فسُرَّ بهِ سروراً شديداً ، وقالَ لهُما : تَمَنَّيا ، فسألاهُ أن يكونا نديمَيهِ ما عاشَ وعاشا ، فنادماهُ أربعينَ سنةً ، ما أعادا عليهِ حديثاً ، فضُرِبَ بهِما المثلُ في تأكيدِ الأُلفةِ[2] .

---

(١) انظر « شرح المعلقات » للتبريزي (ص ٢٥٤) فالبيتان الأوَّلان من معلقة عمرو بن كلثوم .
(٢) انظر « تاريخ الطبري » (١/٦١٦) .

وقالَ مُتمِّمُ بنُ نُويرةَ في مالكٍ أخيهِ حينَ قتلَهُ خالدُ بنُ الوليدِ في غزوةِ أهلِ الردَّةِ ، وكانَ مُتمِّمٌ أخوهُ أحدَ الصحابةِ ، ولمَّا قُتِلَ مالكٌ أخوهُ . . جَزِعَ جَزَعاً شديداً ، وأكثرَ مِنْ قولِ الشعرِ في ذٰلكَ ، وقالَ لهُ يوماً أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطابِ : ليتَ أخي زيداً قيلَ في رثائِهِ مثلُ ما تقولُ في مالكٍ أخيكَ ، فقالَ : لو علمتُ أنَّ مالكاً ماتَ على الإسلامِ كزيدٍ أخيكَ . . ما رثيتُهُ ، والبيتانِ الموردانِ في هٰذا الموضعِ مِنْ قصيدةٍ طويلةٍ (١) : [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدْمَانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَةً ... مِنَ ٱلدَّهْرِ حَتَّىٰ قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً ... لِطُولِ ٱجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

وقالَ أبو خراشٍ الهذليُّ يرثي أخاهُ (٢) : [من الطويل]

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةَ لَاهِياً ... وَذٰلِكَ رُزْءٌ لَوْ عَلِمْتِ جَلِيلُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنْ قَدْ تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ ... وَلٰكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا ... خَلِيلَا صَفَاءٍ مَالِكٌ وَعَقِيلُ

وغزا جَذِيمةُ عمرَو بنَ الظَّرِبِ بنِ حسانَ بنِ أُذينةَ [السَّمَيْدَعَ] العِمْلِيقيَّ مِنَ العماليقِ ؛ وهم قومٌ مِنْ حميرَ ، وكانَ ملكَ الجزيرةِ وملكَ الحضرِ ؛ وهيَ مدينةٌ قديمةٌ بينَ دجلةَ والفراتِ ، فهزمَ جَذِيمةُ جيوشَ عمرٍو ، وقتلَهُ وفرَّقَ جموعَهُ ، وقالَ في ذٰلكَ شاعرُهُم (٣) : [من البسيط]

كَأَنَّ عَمْرَو بْنَ بَرْقَىٰ (٤) لَمْ يَكُنْ مَلِكاً ... وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ ٱلرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ
لَاقَىٰ جَذِيمَةَ فِي شَعْوَاءَ مُشْعَلَةٍ ... فِيهَا حَرَاشِفُ بِٱلنِّيرَانِ تَرْتَشِقُ

---

(١) انظرها في « المفضليات » (ص ٢٦٧) .
(٢) انظر « ديوان الهذليين » (١١٦/٢) .
(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٦١٨/١) .
(٤) في « تاريخ الطبري » (٦١٨/١) : (ثربىٰ) بدل (برقىٰ) .

[خبرُ جذيمةَ الزباءِ]

فملكَتْ بعدَهُ الزَّبَّاءُ ابنتُهُ ، واسمُها نائلةُ ، قالَ ابنُ الكلبيِّ : ولم يكنْ في عصرِ الزَّبَّاءِ أجملُ منها جمالاً ، وأكملُ منها كمالاً ، وكانَ لها شَعَرٌ إذا مشَتْ . . يَتدلَّىٰ وراءَها ، وإذا نشرَتْهُ . . جَلَّلَها ، فسُمِّيَتِ : الزَّبَّاءَ ؛ لكثرةِ شعرِها ، فجمعَتْ خيلَ أبيهَا ، وغزتْ بالجيوشِ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فذلَّلَتْهُم ، فضُرِبَ بها المثلُ ، فقيلَ : أعزُّ مِنَ الزَّبَّاءِ ، واشتَهرَ عنها عُلُوُّ الهِمَّةِ ، وسُمُوُّ القدرةِ ، وقُوَّةُ المَنَعَةِ ، ومَضاءُ العزمِ ، وبذلُ الأموالِ .

فلمَّا استحكمَ مِلكُها . . أرادَتْ أن تَغزوَ جَذِيمةَ لتُدرِكَ فيه ثأرَ أبيها ، فنهتْها أختُها زبيبةُ عن ذٰلكَ ، وقالَتْ : لا طاقةَ لكِ بهِ ، ولٰكنِ ابني أمرَكِ فيهِ على المكرِ والحِيَلِ ، فبعثَتْ إلىٰ جَذِيمةَ تَخطُبُهُ علىٰ نفسِها ؛ ليَتصِلَ مِلكُهُ بمِلكِها ، فيصيرا بذٰلكَ أعزَّ الملوكِ ، وكانَ بلغَهُ عن جمالِها ما أطمعَهُ في الظَّفَرِ بها ، فأخبرَ أربابَ دولتِهِ بمخاطبتِها إيَّاهُ ، فكلُّهُم أشارَ عليهِ أن يَتزوجَها ، إلَّا قصيرَ بنَ سعدِ بنِ عمرٍو ، وكانَ لبيباً عاقلاً ، لهُ عزمٌ وحزمٌ ، وكانَ خازنَهُ وعميدَ دولتِهِ ؛ فإنَّهُ قالَ لهُ : هٰذا رأيٌ فاترٌ ؛ لأنَّ الزَّبَّاءَ قتلتَ أباها ، والدمُ لا ينامُ ، ولكَ في بناتِ الملوكِ الأَكْفاءِ مُتَّسعٌ ، فقالَ لهُ المَلِكُ : إنَّ النَّفْسَ إلىٰ ما تُحِبُّ تَوَّاقةٌ ، وإن كانَ القَدَرُ قد جرىٰ بشيءٍ . . فلا مَفَرَّ عنهُ .

وكتبَتْ إليهِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ منهُ قدومَهُ عليها للنكاحِ ، وقالَتْ لهُ : لولا أنَّ السعيَ في مثلِ هٰذا بالرجالِ أجملُ ، ولهُم ألزمُ . . لسرتُ إليكَ ، وأهدَتْ معَ كتابِها مِنَ العبيدِ والسلاحِ والأموالِ والذهبِ هديَّةً سنيَّةً ، فلمَّا وصلَتْ . . أبهجَتْهُ ، وحَسِبَ أنَّ ذٰلكَ لفَرْطِ رغبتِها فيهِ ، فشاورَ قومَهُ وابنَ أختِهِ عمراً ، فشجَّعوهُ على المسيرِ إليها ، واستخلفَ عمراً علىٰ ملكِهِ ، وسارَ في خَواصِّهِ ،

حتىٰ نزلوا بالفرضةِ ، فشاورَ خَواصَّهُ وقصيراً في الجملةِ ، فأشاروا عليهِ بالمسيرِ إلَّا قصيراً ، فإنَّهُ قالَ : أيُّها المَلِكُ ؛ كلُّ عزمٍ لا يُؤيَّدُ بحزمٍ . . فآخِرُهُ إلىٰ فسادٍ ، ولولا أنَّ الأمورَ تجري على المقدورِ . . لعزمتُ على المَلِكِ ألَّا يفعلَ .

فقالَ جذيمةُ : الرأيُ معَ الجماعةِ ، فقالَ قصيرٌ : أرى القَدَرَ سابقَ الحذرَ ، ولا يُطاعُ لقصيرٍ رأيٌ .

فلمَّا قَرُبَ مِنْ ديارِها . . أرسلَ إليها يُعلِمُها بموضعِهِ ، فأظهرَتِ السُّرورَ بهِ ، وأخرجَتْ لهُ هدايا وأنواعاً مِنَ الأطعمةِ والأشربةِ ، فقالَ لقصيرٍ : كيفَ ترىٰ ؟ فقالَ قصيرٌ : مَنْ لم يَنظُرْ في العواقبِ . . لم يأمنِ المصائبَ ، فاستدركِ الأمرَ قبلَ فوتِهِ وارجعْ ؛ فإنَّ في يديكَ بقيَّةً تَستدرِكُ بها الصَّوابَ ، وإن كنتَ لا بدَّ فاعلاً . . فإنَّ القومَ إن تَلقَّوْكَ غداً يجيءُ قومٌ ويذهبُ قومٌ ، فالأمرُ في يدَيكَ ، وإن تَلقَّوكَ صفَّينِ ؛ فإذا تَوسَّطتَهُم وأحدقوا بكَ . . فقد ملكوكَ ، وهٰذهِ العصا ـ وهيَ فرسٌ لجَذِيمةَ ـ تَسبِقُ الطيرَ ، فسأعرضُها لكَ ، فاركبْها لتسلمَ عليها ؛ فإنَّهُ لا يُشَقُّ غبارُها ، فأرسلَها مثلاً .

فلمَّا كانَ غدٌ . . لقُوهُ صفَّينِ ، فلمَّا تَوسَّطَهُم . . انقضوا عليهِ ، فقالَ لقصيرٍ : صدقتَ ، فما الرأيُ ، فقالَ لهُ : قد تركتَ الرأيَ ، وهٰذهِ العصا ، اركبْها ، فشغلَهُ الأمرُ عنها ، فلمَّا رأىٰ قصيرٌ الجيوشَ تسيرُ بجَذِيمةَ . . أعطى العصا عِنانَها ، فهوتْ بهِ هُوِيَّ الريحِ ، فتطاولَ إليهِ جَذِيمةُ يَنظُرُهُ ، فقالَ : ويلٌ لهُ جَذِيمةُ ، فجرَتْ بهِ إلىٰ غروبِ الشمسِ .

قالَ الأصمعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ(١) : لم تقفْ حتىٰ جرتْ ثلاثينَ مِيلاً ، ثمَّ وقفَتْ فبالَتْ فبُنِيَ على الموضعِ برجٌ يُسمَّىٰ : برجَ العصا .

---

(١) كما في « الأغاني » (١٦/٥٦٦٤) .

وأشرَفَتِ الزَّبَّاءُ مِنْ قصرِها تَنظُرُ إلىٰ جذيمةَ وهوَ يُساقُ ، فقالَتْ : ما أحسنَكَ مِنْ عروسٍ يُزَفُّ إليَّ ، فدخلوا بهِ إليها وحولَها أَلْفُ وصيفةٍ لا تُشبهُ واحدةٌ صاحبتَها في خَلْقٍ ولا زِيٍّ ، وهيَ بينَهُنَّ كالقمرِ حُفَّتْ بهِ النجومُ ، فأمرَتْ بالأَنطاعِ فبُسِطَتْ ، وقالَتْ للوصائفِ : خذنَ بيدِ سيدِكُنَّ وبعلِ مولاتِكُنَّ فأجلسنَهُ على الأنطاعِ ، ففعلنَ بهِ ذٰلكَ ، ثم كشفَتْ لهُ عن شِعْرَتِها ، فرأىٰ شعرَها قد طالَ حتىٰ عقدَتْهُ مِنْ وراءِ ظهرِها ، فقالَتْ لهُ : يا جَذِيمةُ ؛ أَشَوَارَ ذاتِ عروسٍ ؟ قالَ : بل شَوارَ بظراءَ تَفِلَةٍ ، وأمرَ غدرٍ قد بلغَ المَدَىٰ ، فقالَتْ : واللهِ ؛ ما ذاكَ مِنْ عدمِ المَوَاسي ، ولٰكنَّها شيمةُ أَناسي .

ثمَّ أمرَتْ بهِ فسُقِيَ الخمرَ حتىٰ أخذَتْ فيهِ ، وكانَتِ الملوكُ لا تَضرِبُ الأعناقَ إلَّا في الحربِ ، ثمَّ أمرَتْ أن تُقطَعَ رواهشُهُ ، وقالَتْ : تَحفَّظنَ بدمِهِ ، لأَنَّهُ إن قَطَرَتْ مِنْ دمِهِ قطرةٌ في غيرِ الطَّسْتِ . . طُلِبَ بدمِهِ ، فجرىٰ دمُهُ في طَسْتِ ذهبٍ ، فلمَّا ضعفَتْ يداهُ . . سقطتا ، فقطرَتْ على النِّطعِ مِنْ دمِهِ قطَراتٌ ، فقالَتْ : لا تُضيّعوا دمَ الملوكِ ، فقالَ لها : لا يَحزُنْكِ دمٌ ضَيَّعَهُ أهلُهُ ، فذهبَتْ مثلاً .

فقالَتْ : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ مِنَ الكَلَبِ ، وواللهِ ؛ ما وفَّىٰ دمُكَ ، ولا شفىٰ قتلُكَ ، ثم أمرَتْ بهِ فدُفِنَ .

وكانَ عمرُو بنُ عديٍّ يَخرجُ كلَّ يومٍ لبعضِ الحِيرةِ يَستطلِعُ أمرَ خالِهِ ، فنظرَ يوماً إلىٰ فارسٍ قد أقبلَ ، فأشرفَ عليهِ قصيرٌ ، فقالَ لهُ : ما وراءَكَ ؟ فقالَ لهُ : سعى القَدَرُ بالمَلِكِ إلىٰ حَتْفِهِ ، فاطلبْ بثأرِهِ ، فقالَ عمرٌو : وأيُّ ثأرٍ يُطلَبُ مِنَ الزَّبَّاءِ وهيَ أمنعُ مِنْ عُقابِ الجوِّ ؟! فقالَ قصيرٌ : واللهِ ؛ لا أنامُ عن طلبِ دمِهِ ما لاحَ نجمٌ ، فاجدعْ أنفي ، واضرِبْ ظهري ، ودعْني وإيَّاها ، فقالَ عمرٌو : ما أنتَ لذٰلكَ بأهلٍ ، وقد علمتُ نصحَكَ لخالي ، فقالَ : خلِّ عنِّي إذاً .

فجَدَعَ أنفَهُ ، فلَحِقَ بالزَّبَّاءِ ، فقالَتْ : ما جاءَ بكَ ؟ فأشارَ بظهرِهِ وأنفِهِ ، فقالَتْ العربُ : لأمرٍ ما جَدَعَ قصيرٌ أنفَهُ ، فقالَتْ : يا قصيرُ ؛ وبينَنا دمٌ خطيرٌ ؟! فقالَ : يا بنةَ الملوكِ العظامِ ؛ لا ثأرَ ولا قَوَدَ ، ولقد أتيتُ فيهِ ما يأتي مثلُكِ في مثلِهِ ، وقد جئتُكِ مستجيراً بكِ مِنْ عمرٍو ؛ فإنَّهُ عَلِمَ أنِّي أشرتُ علىٰ خالِهِ بالمجيءِ إليكِ ، فجَدَعَ أنفي وأذني ، وأوجعَ ظهري ، وحالَ بيني وبينَ مالي وولدي ، فاستجرتُ بكِ لعلمي أنِّي لا أكونُ معَ أحدٍ أثقلَ عليهِ منكِ .

فقالَتْ لهُ : أهلاً وسهلاً ، وكانَ يَبلُغُها مِنْ رأيِهِ وحزمِهِ ، فاختصَّتْهُ وأنزلَتْهُ واصطفَتْهُ .

فلمَّا وَثِقَتْ بهِ . . أخذَتْ تستشيرُهُ في أمورِها ، فقالَ لها يوماً : إنَّ عمراً يَطلُبُكِ بخالِهِ ، والرأيُ أن تتخذي نفقاً ؛ لعلَّكِ تحتاجينَ إليهِ ، فقالَتْ لهُ : إنِّي قدِ اتخذتُهُ تحتَ سريري ، وخرجتُ بهِ تحتَ سريرِ أختي ، وكانَ الفراتُ يَشُقُّ بينَ قصرَيهِما ، فأظهرَ لها السُّرورَ .

ثمَّ قالَ لها : إنَّ لي بالعراقِ أموالاً كثيرةً تَصلُحُ للملوكِ ، فإن جهَّزتِني بمالٍ للتجارةِ . . توصَّلْتُ بهِ إلىٰ أخذِ تلكَ الذَّخائرِ ، وننقلُها إليكِ ، فجهزَتْهُ ، فاحتالَ حتَّىٰ وصلَ إلىٰ عمرٍو ، فجَهَّزَهُ بطُرَفٍ مِنَ الجواهرِ والخَزِّ والدِّيباجِ والأسلحةِ ، فرجعَ بها .

فلمَّا تَحقَّقَتْ نصحَهُ . . أرسلَتْهُ إلى العراقِ ثالثَ سَفْرةٍ ؛ ليَضرِبَ لها بها عِدَّةً مِنَ السلاحِ ، ويشتريَ لها خيلاً وعبيداً ؛ لتُجهِّزَ جيشاً إلىٰ مَنْ حواليها مِنَ الملوكِ ، فمشىٰ فيما أمرَتْهُ بهِ ، وتَوصَّلَ إلىٰ عمرٍو ، وقالَ : قد أصبتَ الفُرْصةَ مِنَ الزَّبَّاءِ ، فقالَ عمرٌو : قُلْ . . أسمعْ ، ومُرْ . . أفعلْ ؛ فأنتَ طبيبُ هٰذهِ القَرْحةِ ، فقالَ : الرجالَ والمالَ ، فقالَ : حكمُكَ فيما عندي مُسلَّطٌ ، فعَمَدَ إلىٰ أَلْفَيْ رجلٍ مِنْ أهلِ القتالِ ، وجعلَهُم في غرائرَ سُودٍ ، وجعلَ

سلاحَهُمُ السُّيوفَ والحَجَفَ[1] ، وجعلَ رؤوسَ الغرائرِ مربوطةً مِنْ داخلِها ، وجعلَ عمراً في الحملةِ ، وساقَ الخيلَ والعبيدَ ، فلمَّا قاربَها . . بعثَ إليها البشيرَ بسلامةِ قصيرٍ وكلِّ ما جاءَ بهِ ، فسألَتْ عنِ العِيرِ : أينَ نزلَ ؟ فقيلَ لها : بالغُوَيْرِ ، وكانَتْ تَنظُرُهُ مِنْ غيرِ طريقِ الغُوَيْرِ ، فقالَتْ : عسى الغُوَيْرُ أبؤساً .

وتَقدَّمَ قصيرٌ ، فدخلَ عليها يَسُرُّها ، فرَقِيَتْ سطحاً عالياً لتنظرَ مجيءَ الإبلِ ، فنظرَتْ قوائمَها تَسوخُ في الأرضِ لِمَا عليها مِنَ الأثقالِ ، فقالَتْ : يا قصيرُ : [من الرجز]

مَـا لِـلْـجِـمَـالِ مَـشْـيُـهَـا وَئِـيـدَا
أَجَـنْـدَلاً يَـحْـمِـلْـنَ أَمْ حَـدِيـدَا
أَمْ صَـرَفَـانـاً بَـارِداً شَـدِيـدَا
أَمِ ٱلـرِّجَـالَ جُـثَّـمـاً قُـعُـودَا

وكانَتْ قالَتْ لجواريها : إنِّي أرى الموتَ الأحمرَ في الغرائرِ السُّودِ ، فذهبَتْ مثلاً ، فدخلَتِ الجِمالُ المدينةَ ، فجَسَّ بوَّابٌ بمِخْصَرةٍ في يدِهِ غِرَارةً علىٰ آخِرِ بعيرٍ ، فأصابَتِ المِخْصَرةُ خاصرةَ رجلٍ ، فضرطَ ، فصاحَ : الشرَّ الشرَّ ، فأظهروا علامةً كانَتْ بينَهُم ، فحلُّوا رؤوسَ الجَوَالقِ ، فخرجَ منها أَلْفا دارعٍ بأَلْفَيْ سيفٍ ، فصاحوا : يا لِثارِ المَلِكِ المقتولِ غدراً ، وهربَتِ الزَّبَّاءُ تَطلُبُ النفقَ إلىٰ تحتِ الفراتِ ، فسبقَ عمرٌو إلىٰ بابِهِ معَ قصيرٍ ، وكانَتْ صورةُ عمرٍو مُصوَّرةً في جانبِها ، فعندَما رأَتْهُ . . عرفَتْهُ ، وكانَتْ جعلَتْ تحتَ فَصِّ خاتمِها سُمَّ ساعةٍ ، فمصَّتِ الفَصَّ وقالَتْ : بيدي لا بيدِ عمرٍو ، فسقطَتْ وعمرٌو وقصيرٌ يضربانِها بالسيفِ ، فماتَتْ بينَ السُّمِّ والسيفِ .

---

(١) الحَجَف : جمع حجفة ؛ وهي الترس .

فاستباحوا بلدَها بما فيهِ ، واستولىٰ عمرٌو علىٰ مملكتِها ، واتخذَ عمرٌو الحِيرةَ دارَ ملكِهِ ، وتوارثَها بنوهُ واحداً واحداً إلى النُّعمانِ بنِ المنذرِ ، وهوَ الذي أدركَ زمنَ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقتلَهُ كسرىٰ ، وهوَ آخِرُهُم ، وكانَ مَقتَلُ والدِ الزَّبَّاءِ عندَ بعثِ عيسىٰ عليهِ السلامُ .

وقال ابنُ دريدٍ[1] : [من الرجز]

لَقَدْ سَمَا عَمْرٌو إِلَىٰ أَوْتَارِهِ فَٱخْتَطَّ مِنْهَا كُلَّ عَالِي ٱلْمُنْتَمَىٰ
وَٱسْتَنْزَلَ ٱلزَّبَّاءَ قَسْراً وَهْيَ مِنْ عُقَابِ لَوْحِ ٱلْجَوِّ أَعْلَىٰ مُنْتَهَىٰ

هٰذا ؛ وتجويزُ الحريريِّ أن يكونَ المحذوفُ (كانَ) التامَّةَ التي بمعنىٰ حدثَ ، والمرفوعُ فاعلَها . . رَدَّهُ العلماءُ بعدمِ انسياقِ الفهمِ لها ؛ حيثُ لم يكنْ معتاداً حذفُها .

[عودٌ للحديثِ عن (كانَ) وأخواتِها]

ولـ (كانَ) موضعٌ آخَرُ كَثُرَ حذفُها فيهِ ، وتعويضُ كلمةِ (ما) التأكيديةِ عنها ؛ كقولِ الشاعرِ[2] : [من البسيط]

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ ٱلضَّبُعُ

الأصلُ : أن كنتَ ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ ﴾[3] ، فحُذِفَتْ (كانَ) ، وحَلَّتَ (ما) مَحَلَّها ، وانفصلَ الضَّميرُ ، وحلُّ البيتِ : يا أبا خراشةَ ؛ لأجلِ أن كنتَ ذا نفرٍ وصاحبَ عشيرةٍ يَحمونَكَ ويدافعونَ عنكَ . . جزتَ حَدَّكَ ، وتَعدَّيتَ طَورَكَ ، وأدللتَ عليَّ كأنَّكَ ظننتَني فريداً لستُ ذا عشيرةٍ

---

(١) المقصورة بشرح ابن خالويه (ص ٢٠٤) ، وفيها : (منتمىٰ) بدل (منتهىٰ) .
(٢) انظر « خزانة الأدب » (١٣/٤) .
(٣) سورة القلم : (١٤) .

مثلِ عشيرتِكَ ؛ فاكفُفْ مِنْ غَرْبِكَ ، والزمْ أدبَكَ ، وقفْ عندَ حَدِّكَ ؛ فإنَّ قومي الذينَ عرفتَهُم . . لم تأكلْهُمُ الضَّبُعُ .

والمرادُ بالضَّبُعِ : الحيوانُ المعروفُ ، أوِ السَّنَةُ المُجدِبةُ ؛ إذ كانَ مِنْ عاداتِهِم أن يتركوا القتلىٰ في الحروبِ حتَّىٰ تأكلَهُمُ السِّباعُ ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ حينَ قُتِلَ حمزةُ عمُّهُ رضيَ اللهُ عنهُ : « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ ـ وهيَ أختُ حمزةَ ـ لَتَرَكْتُهُ حَتَّىٰ يُحْشَرَ مِنْ أَجْوَافِ ٱلسِّبَاعِ وَحَوَاصِلِ ٱلطُّيُورِ »(١) .

وقالَ الشَّنفرىٰ(٢) : [من الطويل]

فَلَا تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ ... عَلَيْكُمْ وَلَٰكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ
إِذَا حَمَلُوا رَأْسِي وَفِي ٱلرَّأْسِ أَكْثَرِي ... وَغُودِرَ عِنْدَ ٱلْمُلْتَقَىٰ ثَمَّ سَائِرِي
هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي ... سَجِيسَ ٱللَّيَالِي مُبْسَلاً بِٱلْحَرَائِرِ

وأمُّ عامرٍ : كنيةُ الضَّبُعِ ، فكأنَّهُ قالَ : فإنَّ قومي لم تُفنِهِمُ الحروبُ حتىٰ أكلَتْهُمُ السِّباعُ ، أو فإنَّ قومي لم تَتتابعْ عليهِم أيامُ قَحْطٍ وجَدْبٍ حتىٰ أفناهُمُ الجوعُ .

ومِنَ الضُّبُعِ بمعنى السَّنَةِ : قولُ أبي العلاءِ المعريِّ(٣) : [من الطويل]

إِذَا ٱلضَّبُعُ ٱلشَّهْبَاءُ حَلَّتْ بِسَاحَتِي ... نَضَوْتُ عَلَيْهَا كُلَّ مَوَّارَةِ ٱلضَّبْعِ

واختصَّتْ أيضاً (كانَ) بجوازِ حذفِ نونِ مضارعِها ، حيثُ يُجزَمُ ولم يَتصِلْ بهِ ساكنٌ ولا ضميرٌ .

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣١٢٨) ، والترمذي (١٠١٦) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .
(٢) انظر « ديوان الشنفرىٰ » (ص ٥٨ ـ ٥٩) ، وفيه (بالجرائر) بدل (بالحرائر) .
(٣) انظر « شروح سقط الزند » (٣/١٣٤٧) .

وأفعالُ هٰذا البابِ مِنَ الألفاظِ المُشترَكةِ ؛ فتُستعمَلُ تامَّةً مقصودةَ المعاني بالإفادةِ ، كما تقولُ لصاحبِكَ : أمسيتُ ؛ أي : دخلتُ في المساءِ ، إلَّا (فَتِئَ) و(ليسَ) و(زالَ) التي مضارعُها يَزالُ .

[الحروفُ التي تَعملُ عملَ (ليسَ)]

وأثبتَ النحويونَ إعمالَ أربعةِ أحرفٍ مِنْ حروفِ النفيِ إعمالَ (ليسَ) وهي : (ما) و(إن) ، و(لا) و(لات) .

أمَّا كلمةُ (ما) . . فنسبوا إعمالَها لأهلِ الحجازِ ؛ فيُقالُ : (ما) حجازيةٌ ، ويُقالُ عندَ إهمالِها : تميميةٌ ، وبااللُّغتَينِ وردَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ (١) ، بنصبِ بشرٍ ورفعِهِ (٢) ، وألطفَ الشاعرُ في قولِهِ (٣) : [من الكامل]

وَمُهَفْهَفِ ٱلْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ ٱنْتَسِبْ ... فَأَجَابَ مَا قَتْلُ ٱلْمُحِبِّ حَرَامُ

يقولُ : إنَّهُ انتسبَ إلىٰ تميمٍ ؛ حيثُ تَكلَّمَ بلغتِهِم .

ولٰكنَّ إعمالَها مشروطٌ بأربعةِ شروطٍ :

الأوَّلُ : ألَّا تصحبَها (إن) مثلُ : ما إنِ الحقُّ خافٍ .

الثاني : ألَّا يَنتقِضَ نفيُها بـ (إلَّا) مثلُ : ما أنتَ إلَّا مجتهدٌ فبالغٌ ، أو متوانٍ فمحرومٌ ؛ لأنَّ إعمالَها إنَّما هوَ بجهةِ نفيِها ، ولذٰلكَ إذا استدركتَ أو أضربتَ بعدَ منصوبِها بإثباتِ مخالفِهِ . . رفعتَ ، وكانَ المرفوعُ جزءَ جملةٍ حُذِفَ صدرُها ؛ مثلُ : ما زيدٌ كاتباً لٰكنْ شاعرٌ ، أو : بل شاعرٌ ؛ أي : لٰكنْ هوَ ، أو بل هوَ .

---

(١) سورة يوسف : (٣١) .

(٢) انظر « الدر المصون » (١٠/٢٦٢) .

(٣) انظر « نفح الطيب » (٥/٢٢٧) .

الثالثُ : ألَّا يَتقدَّمَ معمولُ الخبرِ على المبتدأ ، وليسَ ظرفاً ولا صاحبَهُ .

الرابعُ : ألَّا يَتقدَّمَ الخبرُ على المبتدأ ، ولذٰلكَ حكموا بغَلَطِ التميميِّ ـ وهوَ أبو فراسٍ همامُ بنُ غالبٍ المشهورُ بالفرزدقِ ـ حيثُ أرادَ أن يَتكلَّمَ بلغةِ ممدوحِهِ الحجازيِّ فقالَ (١) : [من البسيط]

فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ ٱللهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلَهُمْ بَشَرُ

فنصبَ لفظَ (مثلٍ) ، والصَّوابُ رفعُهُ بذٰلكَ الشرطِ .

⁂

وأمَّا كلمةُ (إنْ) . . فنسبوا إعمالَها لأهلِ عاليةِ نجدٍ خاصَّةً ، قالَ شاعرُهُم (٢) : [من المنسرح]

إِنْ هُوَ مُسْتَوْلِياً عَلَىٰ أَحَدٍ إِلَّا عَلَىٰ أَضْعَفِ ٱلْمَجَانِينِ

ومِنْ كلامِ بعضِهِم : إن أحدٌ خيراً مِنْ أحدٍ إلَّا بالعافيةِ ، ولقِلَّةِ مَنْ أعملَها حكمَ النحويونَ بقِلَّةِ إعمالِها .

⁂

وأمَّا (لا) و(لاتَ) بزيادةِ التاءِ . . فلم يَنسُبوا إعمالَها لأحدٍ ، غيرَ أنَّهُم نقلوا اختصاصَ (لاتَ) بالعملِ في أسماءِ الأزمنةِ ؛ كالحينِ والوقتِ والمُدَّةِ والأوانِ ، وأنَّهُ يَلزمُ حذفُ أحدِ معمولَيها ، وحذفُ المرفوعِ أكثرُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾ (٣) ، تقديرُهُ : ولاتَ الحينُ حِينَ مناصٍ .

---

(١) انظر « ديوان الفرزدق » (١/٣١٦) .

(٢) انظر « أوضح المسالك » (١/٢٦١) .

(٣) سورة صٓ : (٣) .

وأثبتَ الكوفيةُ أنَّ بعضَ العربِ يَجُرُّ بها على اختصاصِها بأسماءِ الأزمنةِ ، وشاهدُهُم علىٰ ذٰلكَ قولُ أبي فراسٍ[1] : [من الخفيف]

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلَاتَ أَوَانٍ   فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ

وهيَ عندَهُم حينَئذٍ مثلُ (ربَّ) و(لعلَّ) ، وجرىٰ علىٰ ذٰلكَ أبو الطيبِ ؛ حيثُ كانَتِ الكوفةُ مَنشأَهُ ، وبها تَأَدَّبَ ، فقالَ[2] : [من البسيط]

لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّىٰ لَاتَ مُصْطَبَرٍ   وَٱلْآنَ أَقْحَمُ حَتَّىٰ لَاتَ مُقْتَحَمِ

وتفسيرُ البيتِ : تَصبَّرتُ إلىٰ زمنٍ غيرِ زمنِ اصطبارٍ ، والآنَ أَقحَمُ إلىٰ زمنٍ غيرِ زمنِ اقتحامٍ .

ويظهرُ أنَّهُم حكمُوا باسميَّتِها وتَصرُّفِها تصرُّفَ كلمةِ (غيرٍ) ، فيكونُ التقديرُ في قولِ أبي فراسٍ : طلبوا صلحَنا وغيرُ أوانِ صلحٍ أوانُ طلبِهِم ، وقد نصُّوا على اسميَّةِ (لا) في نحوِ : جئتُ بلا زادٍ[3] .

وأما (لا) : فقالَ البصريةُ . . إنَّها تعملُ بشروطِ (ما) في النكراتِ لا غيرُ ؛ كقولِهِ[4] : [من الطويل]

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى ٱلْأَرْضِ بَاقِيَا   وَلَا وَزَرٌ مِمَّا قَضَى ٱللهُ وَاقِيَا

وأثبتَ الكوفيةُ إعمالَها في المعارفِ ، وعليهِ قولُ أبي الطيبِ[5] : [من الطويل]

إِذَا ٱلْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصاً مِنَ ٱلْأَذَىٰ   فَلَا ٱلْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا ٱلْمَالُ بَاقِيَا

وإنَّما تَعرَّضتُ في هٰذا الموضعِ لحكايةِ نقلِ الكوفيينَ ؛ ليَعرِفَهُ الطَّلَبَةُ

---

(١) في « خزانة الأدب » (٤/١٨٩ ـ ١٩٠) أن البيت لأبي زبيد الطائي .

(٢) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٢٥) .

(٣) يعني : الكوفيين . انظر « مغني اللبيب » (١/٣٢٢) .

(٤) انظر « أوضح المسالك » (١/٢٥٦) .

(٥) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٣٤) .

في كلامِ أبي الطيبِ المتنبي ، حيثُ يَمرُّ بهِم عندَ قراءتِهِ اللَّازمةِ لطَلَبةِ العلمِ ؛ ليَعرِفوا تفاوتَ الأقوالِ في البلاغةِ ، وحسنِ السياقِ ، واختيارِ العباراتِ ؛ إذ كانَ ذٰلكَ هوَ الطريقَ لمعرفةِ إعجازِ القرآنِ .

[(كادَ) وأخواتُها]

وأمَّا (كادَ) وأخواتُها . . فإنَّها تَختصُّ مِنْ بينِ الجملِ الابتدائيةِ بجملةٍ يكونُ خبرُها فعلاً مضارعاً رافعاً لضميرِ المبتدأ ؛ مثلُ : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ (١) ، ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣) .

وأمَّا نحوُ (٤) : [من الطويل]

فَأُبْتُ إِلَىٰ فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ

ونحوُ (٥) : [من الرجز]

أَكْثَرْتَ فِي ٱلْعَذْلِ مُلِحّاً دَائِمَا
لَا تُكْثِرَنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِمَا

ونحوُ : عسى الغُوَيْرُ أبؤساً . . فمحكومٌ بندرتِهِ ، وعدمِ جوازِ استعمالِ مثلِهِ .

لٰكنْ يجبُ اقترانُ خبرِ (حَرَىٰ) و(اخلولقَ) بكلمةِ (أنْ) مثلُ : اخلولقَتِ

---

(١) سورة الإسراء : (٧٣) .

(٢) سورة القلم : (٥١) .

(٣) سورة البقرة : (٧١) .

(٤) هو لتأبط شرّاً في « ديوانه » (ص ٩١) .

(٥) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٣٢٤) .

السماءُ أن تُمطِرَ ، وهوَ الأكثرُ في خبر (عسىٰ) و(أوشك) ، وفي خبرِ (كادَ) و(كَرَبَ) الأكثرُ التجرُّدُ منها .

فمِنَ الكثيرِ : قولُ العربِ : كادَ المُنتعِلُ يكونُ راكباً ، وكادَ العروسُ يكونُ مَلِكاً ، وكادَ الحريصُ يكونُ عبداً ، وكادَ سيِّئُ الخُلُقِ يكونُ سَبُعاً ، وكادَ الفقرُ يكونُ كفراً ، وكادَ البيانُ يكونُ سحراً ، وكادَ النَّعامُ يكونُ طيراً ، وكادَ البخيلُ يكونُ كَلْباً .

ومِنَ القليلِ : ما وقعَ في بعضِ المرويِّ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « كَادَ ٱلْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ نَبِيّاً »(١) ، و« كَادَ ٱلْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْراً »(٢) ، و« كَادَ ٱلْحَسَدُ أَنْ يَسْبِقَ ٱلْقَدَرَ »(٣) .

ويجبُ التجرُّدُ في أخبارِ أفعالِ الشروعِ .

ولـ (عسىٰ) و(اخلولقَ) و(أوشكَ) استعمالٌ آخَرُ ؛ وهوَ أن يُؤتَىٰ بعدَ الأفعالِ بـ (أنْ) ومدخولِها ، ويُقالُ : (أنْ) وما دَخلَتْ عليهِ سَدَّتْ مَسدَّ الاسمِ والخبرِ ؛ نحوُ : عسىٰ أن يَنجليَ الحقُّ ، وأوشكَ أن يَحسُنَ التحصيلُ .

وحينَئذٍ يكونُ لكَ في إعرابِهِ وجهانِ :

الأوَّلُ : أن تقولَ : (أن) وما دَخلَتْ عليهِ في موضعِ الاسمِ والخبرِ ، وسادَّةٌ مَسدَّهُما .

والثاني : أن تقولَ : خبرٌ مُقدَّمٌ ، واسمٌ مُؤخَّرٌ .

وبناءً على الأوَّلِ : تَقولُ : عسىٰ أن يقومَ الزيدانِ ، وعسىٰ أن يقومَ الزيدونَ ،

---

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٠/٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٨) .

(٢) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٣) انظر « المقاصد الحسنة » (٧٨٧) .

وعسىٰ أن تقومَ الهنداتُ ، وعسىٰ أن تظهرَ الشمسُ ، وعسىٰ أن يظهرَ الشمسُ ، والزيدانِ عسىٰ أن يقوما ، والزيدونَ عسىٰ أن يقوموا ، والهِنداتُ عسىٰ أن يَقمنَ ، وهندٌ عسىٰ أن تقومَ .

وبناءً على الثاني : تقولُ : عسىٰ أن يقوما الزيدانِ ، وعسىٰ أن يقوموا الزيدونَ ، وعسىٰ أن يَقمنَ الهِنداتُ ، وعسىٰ أن تظهرَ الشمسُ ، لا غيرُ ، والزيدانِ عسيا أن يقوما ، والزيدونَ عسَوا أن يقوموا ، والهِنداتُ عسينَ أن يَقمنَ ، وهندٌ عستْ أن تقومَ .

وبعضُ العربِ يَكسِرُ سينَ (عسىٰ) عندَ إسنادِهِ للضمائرِ البارزةِ ، وبهِ قرأَ نافعٌ .

❋ ❋ ❋

[بيانُ (بابِ إنَّ) وأخواتِها]

بيانُ الأحرفِ الثمانيةِ التي تنصبُ المبتدأَ ويُقالُ لهُ : اسمُها ، وتَرفعُ الخبرَ ويُقالُ لهُ : خبرُها ؛ وهيَ : (إنَّ) و(أنَّ) و(لٰكنَّ) و(كأنَّ) و(لعلَّ) و(ليتَ) و(لا) و(إلَّا) .

الأحرفُ الستةُ الأولُ يَمتنعُ تقديمُ أخبارِها على الأسماءِ ما لم تكنْ ظروفاً أو صواحبَها ، ولْنُفرِدْ كلَّ حرفٍ بالكلامِ عليهِ ؛ فنقولُ :

الكلامُ علىٰ (إنَّ)

تكونُ في جملةٍ مستأنفةٍ ، وجملةِ صلةٍ ، وجملةِ جوابِ القسمِ ، وجملةٍ حُكِيَتْ بقولٍ ، وجملةٍ أُخبِرَ بها عنِ اسمِ عينٍ ، وجملةٍ أُضِيفَتْ لها (حيثُ) ، وجملةٍ وقعَتْ حالاً ، وجملةٍ وقعَتْ بعدَ (حتَّى) الابتدائيةِ ؛ وهيَ التي لا يُقصَدُ فيها معنى الغايةِ ، بل يُقصَدُ فيها معنى السببيةِ ؛ كقولِكَ : أصلحَ زيدٌ أحوالَهُ ، حتىٰ إنَّ الناسَ مُتفقونَ علىٰ شكرِهِ .

وتصحبُها لامُ الابتداءِ ، فتُزحلَقُ عن موضعِها الذي كانَ لها ؛ حيثُ كانَ اسمُ (إنَّ) مبتدأً . . إلىٰ خبرِ إنَّ ، فتَدخُلُ عليهِ ، وعلىٰ معمولِهِ المُتقدِّمِ عليهِ ، وعلى الفَصْلِ في نحوِ : إنَّ زيداً لهوَ المُنطلِقُ ، وإنَّ هنداً لهيَ المُنطلِقةُ ؛ تقريباً للَّامِ مِنْ موضعِها حَسَبَ الإمكانِ ، فلو تَأخَّرَ الاسمُ عنِ المبتدأ . . صحبَتْهُ ولم تَصحَبِ الخبرَ ؛ لزوالِ المنكرِ الذي هوَ اجتماعُ مُؤكِّدَينِ حرفَينِ شبيهَينِ بالزائدِ في الكلامِ .

وإذا كانَ خبرُ (إنَّ) مَنفيّاً ، أو فعلاً ماضياً مُتصرِّفاً خالياً مِنْ (قد) . . امتنعَتِ اللَّامُ .

وتُخفَّفُ (إنَّ) بحذفِ النونِ الثانيةِ وبقائِها [علىٰ] حرفَينِ مُتحرِّكٍ وساكنٍ ، فيَزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدخُلُ على الفعلِ ، ويَكثُرُ إهمالُها معَ وجودِ الاسمِ بلصقِها ، وحينَئذٍ تَلزمُ اللَّامُ معَها ؛ لرفعِ اشتباهِها بـ (إن) النافيةِ ، فلو تعيَّنَتْ بدونِ اللَّامِ . . لم تَلزمْ ؛ كقولِهِ (١) : [من الطويل]

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ

وقولِهِ (٢) : [من الطويل]

أَنَا ٱبْنُ أُبَاةِ ٱلضَّيْمِ مِنْ آلِ مَالِكٍ وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ ٱلْمَعَادِنِ

إذْ لَا يَحتمِلُ الكلامُ النافيةَ ؛ لظهورِ فسادِ المعنىٰ .

وإذا دخلَتْ على الفعلِ فأكثرُ ما يكونُ فعلاً ماضياً ناسخاً ؛ نحوُ : إن كادَ ليَصُدُّنا ، ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ (٤) .

ودونَهُ : أن يكونَ فعلاً مضارعاً ناسخاً ؛ نحوُ : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (٥) .

ودونَهُ : أن يكونَ فعلاً ماضياً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ : [من الكامل]

. . . إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً . . . . (٦)

واختلفوا في صحةِ القياسِ عليهِ .

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٣٠٦/١) ، والبيت بتمامه :

إِنِ ٱلْحَقُّ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذِي بَصِيرَةٍ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْدَمْ خِلَافَ مُعَانِدِ

(٢) انظر « همع الهوامع » (٥١١/١) .

(٣) سورة الأعراف : (١٠٢) .

(٤) سورة البقرة : (١٤٣) .

(٥) سورة القلم : (٥١) .

(٦) انظر « مغني اللبيب » (٣٧/١) ، والبيت بتمامه :

شَلَّتْ يَمِينُكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ ٱلْمُتَعَمِّدِ

ودونَهُ : أنْ يكونَ فعلاً مضارعاً غيرَ ناسخٍ ؛ نحوُ : إنْ يَزِينُكَ لَنفسُكَ ، وإنْ يَشينُكَ لهِيَهْ .

وأجمعوا على امتناعِ القياسِ عليهِ(١) ، والسِّرُّ في ذٰلكَ : أنَّ وضعَها على الاختصاصِ بالجملةِ الاسميةِ ، فحاولَتِ اللُّغةُ عندَ تخفيفِها ألَّا يزولَ اختصاصُها بالمَرَّةِ ، فأصحبوها النواسخَ التي هيَ مصاحبةٌ دائماً لجملةِ المبتدأ والخبرِ ، فكأنَّها لم تُزَلْ عمَّا لها .

الكلامُ علىٰ (أنَّ)

هيَ مِنَ الموصولاتِ الحرفيَّةِ كما سبقَ(٢) ، فالجملةُ بعدَها مفردٌ مطلوبٌ لإتمامِ الكلامِ ، أو مُتعلِّقٌ مِنْ مُتعلِّقاتِهِ ؛ وذٰلكَ المفردُ مصدرٌ يُؤخَذُ مِنْ خبرِها ويُضافُ لاسمِها إن كانَ الخبرُ مُشتقّاً ، ونفسُ الخبر مصحوباً بياءِ النَّسَبِ ـ التي تُسمَّىٰ ياءَ المصدريةِ ـ وتاءِ التأنيثِ إن كانَ الخبرُ جامداً ؛ فتقولُ في نحوِ : بلغَني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ تقديرُهُ : بلغَني قيامُ زيدٍ ، وفي نحوِ : بلغَني أنَّ زيداً أسدٌ ؛ تقديرُهُ : بلغَني أَسديَّةُ زيدٍ ؛ أي : كونُهُ أسداً .

وتقعُ فاعلاً كما مرَّ ، ومفعولاً ؛ نحوُ : علمتُ أنَّ زيداً كاتبٌ ، ومجروراً ؛ نحوُ : قصدتُكَ أنَّكَ فاضلٌ ؛ أي : لأنَّكَ ، وتُثابُ في الآخرةِ بأنَّكَ تَعملُ الخيرَ في الدنيا ، ولأجلِ أنَّكَ مستقيمٌ أَحبَّكَ الناسُ ، ومبتدأً ؛ نحوُ : يقيني أنَّ زيداً مُدرِكٌ ، وخبراً لمبتدأٍ هوَ اسمُ معنىً غيرُ قولٍ ، ولا يكونُ خبرُ (أنَّ) صادقاً عليهِ ؛ بحيثُ يكونُ مِنْ أفرادِهِ ، وإلَّا . . كانَ موضعَ المكسورةِ ؛ نحوُ : زيدٌ إنَّهُ فاضلٌ ؛ في الإخبارِ عنِ اسمِ العينِ ، وقولي إنَّهُ مستقيمٌ ، واعتقادي إنَّهُ حقٌّ ،

---

(١) انظر « همع الهوامع » (١/٥١٣) .

(٢) انظر (١/١٣٩) .

وخبرُ زيدٍ إنَّهُ صادقٌ ؛ [فالاعتقادُ] فردٌ مِنْ أفرادِ الحقِّ ، وخبرُ زيدٍ فردٌ مِنْ أفرادِ الصادقِ ؛ فلا يَصِحُّ : اعتقادي حقِّيَّتُهُ ، ولا : خبرُ زيدٍ صدقُهُ ، والمثالُ الجامعُ للشروطِ : حالُ زيدٍ أنَّهُ يقولُ الحقَّ ، ومُعتقَدي أنَّهُ شاعرٌ ؛ تقولُ : حالُهُ قولُ الحقِّ ، ومُعتقَدي شعرُهُ .

وتقعُ معطوفةً على تلكَ الأشياءِ ، **فالحاصلُ** : أنَّ جملتَها بالنسبةِ لأجزاءِ الكلامِ غيرُ مقصودةِ الجمليةِ ، وإن كانَتْ جمليتُها بحَسَبِ المعنى مقصودةً ؛ إذ مركزُ التوكيدِ والتقويةِ هوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ ، حتى إنَّهُ ليسَ معنى قولِ مَنْ يقولُ : أعجبَني أنَّ زيداً قائمٌ ؛ على تقديرِ : أعجبَني قيامُ زيدٍ . . أنَّ نفسَ القيامِ الذي هوَ الانتصابُ هوَ الذي أعجبَهُ مِنْ حيثُ سرعتُهُ أو مهلتُهُ مثلاً ، بل معناهُ : أنَّ الذي أعجبَهُ صدورُ القيامِ وحصولُهُ مِنْ زيدٍ ، وهٰذا هوَ معنى الجملةِ .

وتُخفَّفُ (أنَّ) فلا [يَزولُ] اختصاصُها ، لٰكنَّها تَلزمُ حالاً ؛ هيَ أنَّ اسمَها لا يُذكَرُ ، وهوَ ضميرُ شأنٍ إن لم يكنِ المَحَلُّ صالحاً لضميرٍ عادةً ، وأنَّ خبرَها يجبُ أن يكونَ جملةً اسميةً ، أو فعليةً فعلُها جامدٌ أو دعاءٌ أو منفيٌّ ، أو مبتدأٌ بـ (قد) أو مبتدأٌ بالسينِ أو (سوفَ) أو (لو) نحوُ : علمتُ أنْ زيدٌ قائمٌ ، وبلغَني أنْ نِعْمَ زيدٌ ، ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنْ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا ﴾ (١) ، ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ (٢) ، ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ (٣) .

وَٱعْلَمْ فَعِلْمُ ٱلْمَرْءِ يَنْفَعُهُ ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِرَا (٤)

---

(١) سورة النور : (٩) وهي قراءة نافع ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٢/٣٣٠) .
(٢) سورة البلد : (٥) .
(٣) سورة المزمل : (٢٠) .
(٤) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٣٨٧) ، والبيت من السريع .

وسرَّني أن قد قامَ زيدٌ ، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ (١) .

وهنالكَ أربعةُ مواضعَ يجوزُ فيها على اختلافِ الملاحظةِ أن تأتيَ بالمفتوحةِ وأن تأتيَ بالمكسورةِ :

الأوَّلُ : حيثُ يقعُ التركيبُ بعدَ (إذا) الفجائيةِ ؛ كقولِهِ : [من الطويل]

وَكُنْتُ أُرَىٰ زَيْداً كَمَا قِيلَ سَيِّداً ... إِذَا أَنَّهُ عَبْدُ ٱلْقَفَا [وَٱللَّهَازِمِ]

معنى البيتِ : كانَ يُخيَّلُ لي سيادةُ زيدٍ وَفقَ المشهورِ عنهُ ، فلمَّا اختبرتُهُ . . وجدتُهُ مبذولَ الهِمَّةِ في تسمينِ بدنِهِ ؛ فهوَ عبدُ شهواتِهِ ، لا يَحتمِلُ مكارهَ السيادةِ اللازمةَ لِمَنْ أرادَ الشرفَ والرئاسةَ والتقدُّمَ على الغيرِ ، قالَ العربيُّ (٢) : [من الطويل]

بِبَذْلٍ وَحِلْمٍ سَادَ فِي قَوْمِهِ ٱلْفَتَىٰ ... وَكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

وقالَ أبو الطيبِ (٣) : [من البسيط]

لَوْلَا ٱلْمَشَقَّةُ سَادَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ ... اَلْجُودُ يُفْقِرُ وَٱلْإِقْدَامُ قَتَّالُ

فإنَّ الواقعةَ بعدَ (إذا) يجوزُ فتحُها علىٰ أنَّ المذكورَ أحدُ ركنَيِ الجملةِ ، والآخَرَ محذوفٌ ، والتقديرُ : فإذا عبوديتُهُ لقفاهُ و[لهازمِهِ] هيَ الواقعُ ، ويجوزُ الكسرُ علىٰ أنَّ المذكورَ الجملةُ بتمامِها .

الثاني : إذا وقعَتْ بعدَ قَسَمٍ وليسَ معَها لامٌ ؛ نحوُ : أَحلِفُ أو أُقسِمُ باللهِ ؛ إنَّ اليقينَ خيرٌ مِنَ الظَّنِّ ، فإذا كانَ التقديرُ : أَحلِفُ

---

(١) سورة الجن : (١٦) .

(٢) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٢٧٠) .

(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٦٩) .

علىٰ أنَّ اليقينَ خيرٌ . . فتحتَ (أنَّ) وتكون حذفتَ الجارَّ .

❊ ❊

الثالثُ : إذا وقعَتْ بعدَ فاءِ جوابِ الشرطِ ؛ نحوُ : ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) ، الفتحُ علىٰ تقديرِ : فمغفرتُهُ لهُ ورحمتُهُ إيَّاهُ واقعتانِ حَسَبَ ما تَفضَّلَ بكتابتِهِ علىٰ نفسِهِ جلَّ ذكرُهُ .

❊

الرابعُ : حيثُ يكونُ خبرُها يمكنُ أن يُؤخَذَ منهُ ما يَصدُقُ على المبتدأ ؛ نحوُ : أوَّلُ كلامي وآخِرُهُ أنِّي أشكرُ اللهَ علىٰ تواترِ نَعمائِهِ .

فالكسرُ علىٰ أنَّ المقصودَ : أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ هٰذا اللَّفظُ ، والفتحُ علىٰ أنَّ التقديرَ : أوَّلُ الكلامِ وآخِرُهُ شكرُ اللهِ .

[الكلامُ علىٰ (كأنَّ)]

وأمَّا (كأنَّ) . . فإنَّها إذا خُفِّفَتْ . . لم تُهمَلْ ، ويكونُ اسمُها مذكوراً ، ومحذوفاً ، واسماً ظاهراً ، وضميراً ، وإذا كانَ خبرُها مضارعاً . . غلبَ كونُهُ منفيّاً ؛ نحوُ : ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ (٢) ، وإذا كانَ ماضياً . . كانَ مُقترِناً بـ (قد) ؛ نحوُ (٣) : [من الخفيف]

. . . . كَأَنْ قَدْ أَلَمَّا

---

(١) سورة الأنعام : (٥٤) .

(٢) سورة يونس : (٢٤) .

(٣) انظر « أوضح المسالك » (١/٣٣٨) ، والبيت بتمامه :

لَا يَهُولَنَّكَ ٱصْطِلَاءُ لَظَى ٱلْحَرْ ... بِ فَمَحْذُورُهَا كَأَنْ قَدْ أَلَمَّا

ووقوعُهُ مذكوراً ؛ نحوُ[1] : [من الطويل]

وَيَـوْمَ تُـوَافِـيـنَـا بِـوَجْـهٍ مُـقَـسَّـمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إِلَىٰ وَارِقِ ٱلسَّلَمْ

[الكلامُ علىٰ (لـٰكنَّ)]

وأمَّا (لـٰكنَّ) . . فإنَّها إذا خُفِّفَتْ . . أهملَتْ في الفصيحِ .

[الكلامُ علىٰ (ليتَ) و(لعلَّ)]

وأمَّا (ليتَ) و(لعلَّ) . . فإنَّهُما لا يُخفَّفانِ .

وهـٰذهِ الأحرفُ الستةُ تَعقبُها (ما) ، فيَزولُ اختصاصُها بالاسمِ ، وتَدخُلُ على الفعلِ ، فيجوزُ إعمالُها حينَئذٍ وإهمالُها حيثُ تَدخُلُ على الاسمِ ، إلَّا (ليتَ) فلا يَزولُ اختصاصُها ، ولذٰلكَ كانَ إعمالُها أكثرَ مِنْ إهمالِها ، بل أوجبَهُ بعضُهُم .

ودخولُها على الفعلِ نحوُ : زيدٌ كأنَّما يَنظُرُ بعينَيْ أسدٍ ، ونحوُ : إنَّما رأيتُهُ وهوَ ساكتٌ ، إلَّا (أنَّ) و(لـٰكنَّ) و(أنَّ) إذا أتيتَ بعدَ استكمالِ جملتِها مِنَ الاسمِ والخبرِ باسمٍ يشاركُ اسمَها في حكمِهِ . . جازَ لكَ عطفُهُ عليهِ ، وجازَ لكَ رفعُهُ بالابتداءِ والخبرُ محذوفٌ لدلالةِ السابقِ ، أو بالعطفِ على الضَّميرِ المستترِ في خبرِ (إنَّ) ، وحينَئذٍ لا بدَّ مِنَ الفصلِ بينَهُ وبينَ حاملِ الضَّميرِ كما ستقفُ عليه عندَ القولِ في التوابعِ[2] ؛ نحوُ : إنَّ زيداً قائمٌ وعمرٌو ؛ أي : كذٰلكَ ، وإنَّ زيداً قائمٌ هوَ وعمرٌو .

---

(١) البيت لابن صريم اليشكري ، كما في « الكتاب » لسيبويه (٢/١٣٤) .

(٢) انظر (١/٤٨١) .

الكلامُ علىٰ (لا)

إذا أردتَ أن تَنُصَّ على انتفاءِ شيءٍ عن جنسِ شيءٍ ؛ بحيثُ يكونُ الانتفاءُ عن جميعِ أفـرادِهِ . . جئتَ بـ (لا) ، وتُسمَّىٰ (لا) التبرئةَ ، و(لا) النافيةَ للجنسِ .

ونصبتَ بها الاسمَ لفظاً : إن كانَ مضافاً ، أو رفعَ فاعلاً ـ ويُسمَّىٰ هـٰذا وما بعدَهُ : شبيهاً بالمضافِ ـ أو نصبَ مفعولاً أو تَعلَّقَ بهِ ظرفٌ ؛ نحوُ : لا غلامَ خدمةٍ عندَ زيدٍ ، ولا ظريفاً طبعُهُ مذمومٌ ، ولا قارئاً عِلْماً محرومٌ ، ولا رفيقاً بالناسِ مشتومٌ ، ولا واقفاً عندَ حدِّهِ مزيفٌ .

ونصبتَهُ مَحَلّاً وبنيتَهُ على الفتحِ : إن كانَ غيرَ ذٰلكَ ؛ نحوُ : لا رجلَ قائلٌ ما تقولُ ، وعلى الياءِ في نحوِ : لا رجلَينِ ، ولا غافلينَ ، وعلى الكسرِ في نحوِ : لا ذاكراتِ ، نيابةً عنِ الفتحةِ .

وشاعَ في تركيبِ (لا) هـٰذهِ تركُ اللَّفظِ بالخبرِ ؛ لانفهامِهِ ، ومنهُ قولُ القارئِ : لا أحدَ ، بعدَ قراءتِهِ : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [1] ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَا مِسَاسَ ﴾ [2]

وربَّما أُرِيدَ بتركيبِها ـ الذي هوَ مِنَ الخبرياتِ ـ النهيُ ، فيصيرُ مِنَ الإنشائياتِ مثلُ هـٰذا ، ومثلُ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » [3] ، ولا بأسَ باستيفاءِ القولِ في (لا) في هـٰذا الموضعِ .

قد عرفتَ أنَّها مِنْ أحرفِ النفيِ ، لـٰكنَّها ذاتُ أحوالٍ مختلفةٍ :

فإذا دخلَتْ على المضارعِ . . لم تعملْ شيئاً ، ولكَ تَكرارُها وعدمُهُ حَسَبَ

---

(١) سورة النساء : (٨٧) .

(٢) سورة طه : (٩٧) .

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٤٥٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

حاجتِكَ ؛ نحوُ : ﴿ لَا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) ، ونحوُ : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (٢) .

وإذا دخلَتْ على الفعلِ الماضي :

فإن كانَتْ للدعاءِ . . فكذٰلكَ ؛ نحوُ : لا زالَ طالبُ الخيرِ يجدُهُ ، ولا برحَ باغي الشرِّ يَهديهِ اللهُ ويَصرِفُهُ عنهُ .

وإن كانَتْ للإخبارِ . . وجبَ تَكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ (٣) ، ولا راحَ ولا جاءَ .

وإذا دخلَتْ على الجملةِ الاسميةِ :

فإن كانَتْ أجزاؤُها نكراتٍ ، ولم تُفصَلْ مِنَ المبتدأ . . أعملتَها عملَ (إنَّ) حيثُ تريدُ النصَّ على النفيِ عنِ الجنسِ ، وأعملتَها عملَ (ليسَ) حيثُ تريدُ النفيَ عنِ الواحدِ ؛ نحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذٰلكَ ، بل جميعُ أهلِ المدينةِ ، ونحوُ : لا رجلٌ يقولُ ذٰلكَ ولا رجلانِ ، بل جميعُ الناسِ .

وإذا وردَتْ عاملةً هٰذا العملَ ولا قرينةَ علىٰ مرادٍ . . وجبَ الحملُ على النفيِ عنِ الجنسِ ؛ إذ هوَ الظاهرُ ، ولا مقتضىٰ للعدولِ عنهُ .

فإذا كانَتْ أجزاءُ الجملةِ معارفَ أو نكراتٍ ، وفُصِلَتْ (لا) مِنَ المبتدأ : لم تَعملْ شيئاً ، ولزمَ تَكرارُها ؛ نحوُ : ﴿ لَا فِيهَا غَوۡلٌ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٤) ، ونحوُ : لا زيدٌ في الحقِّ ولا عمرٌو .

---

(١) سورة الواقعة : (٧٩) .

(٢) سورة القيامة : (١ ـ ٢) .

(٣) سورة القيامة : (٣١) .

(٤) سورة الصافات : (٤٧) .

وتجيءُ مُكرَّرةً معَ الأوصافِ : إمَّا لإثباتِ الوَسَطِ ؛ نحوُ : لا حارٌّ ولا باردٌ ؛ أي : فاترٌ ، ولا حلوٌ ولا حامضٌ ؛ أي : مُزٌّ ، وإمَّا لغيرِ ذٰلكَ ؛ نحوُ : ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ (١) .

الكلامُ علىٰ (إلَّا)

هيَ مِنَ النواسخِ إذا كانَتْ بمعنىٰ (لٰكنَّ) ، وجاءَ بعدَها ما ليسَ مِنْ جنسِ ما قبلَها ؛ بشرطِ أن يُتوهَّمَ شمولُ الحكمِ لهُ ؛ حتىٰ يَصِحَّ الاستدراكُ ، وإذا كانَ ما بعدَها مِنْ جنسِ ما قبلَها ، وحُكِمَ عليهِ بغيرِ نقيضِ الحكمِ السابقِ ؛ نحوُ : خرجَ أهلُ البلدِ للنزهةِ إلَّا حماراً ، علىٰ معنىٰ لٰكنَّ حماراً لم يَخرجْ وبقيَ في البلدِ ؛ فإنَّ الكلامَ السابقَ يُوهِمُ أنَّهُ لم يبقَ حيوانٌ مِنَ المُستعمَلاتِ في الركوبِ حيثُ كانَ الخروجُ عامّاً لأهلِ البلدِ .

ونحوُ : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ (٢) علىٰ معنىٰ : لستَ عليهِم بمحافظٍ تُلجِئُهُم إلى الدخولِ في الدِّينِ ، لٰكنَّ المتوليَ الكافرَ يُعذِّبُهُ اللهُ ، والكلامُ السابقُ علىٰ (إلَّا) ربَّما أوهمَ إهمالَهُم .

هٰذا ؛ وقد رأيتُ تأخيرَ الكلامِ علىٰ مفعولَيِ الأفعالِ الإدراكيَّةِ والأفعالِ التصييريَّةِ اللَّذينِ عرفتَ أنَّهُما النوعُ الثالثُ مِنَ النواسخِ . . إلىٰ بابِ المفعولِ بهِ ؛ ليكونَ الكلامُ آخذاً بعضُهُ بحُجَزِ بعضٍ .

* * *

---

(١) سورة المرسلات : (٣١) .

(٢) سورة الغاشية : (٢٢ ـ ٢٤) .

القسمُ الثالثُ
في الجملةِ الفعليَّةِ

عرفتَ أنَّ الجملةَ الفعليَّةَ هيَ المُصدَّرةُ بالفعلِ .

الكلامُ على الفاعلِ ونائبهِ

الفاعلُ يَرفعُهُ فعلُ المعلومِ بما تَضمَّنَهُ مِنَ المعنى الذي تَنسُبُهُ إليهِ علىٰ وجهِ طلبِهِ منهُ ، أوِ الإخبارِ بصدورِهِ عنهُ ، فجميعُ ما دلَّ دلالةَ فعلِ المعلومِ يَرفعُ الفاعلَ ؛ فيَرفعُهُ : المصدرُ ، والأفعالُ ، واسمُ الفاعلِ ، والصِّفةُ ، واسمُ التفضيلِ ، والمُصغَّرُ لالتحاقِهِ بالصِّفاتِ ، والمنسوبُ إن لاحظتَ في معناهُ : [ينتسبُ] ، والظروفُ المُستقَرَّةُ بما فيها مِنْ معاني الأفعالِ ؛ نحوُ : أعجبَتْني كتابةُ العلمِ زيدٌ ، وحرصُهُ على الفائدةِ ، ونِعْمَ ما يَصنعُ ، فأكرموهُ ؛ فإنَّهُ عالي الهِمَّةِ ، حسنُ الصُّنعِ ، ولم أرَ رجلاً أجملَ بهِ الإكرامُ منهُ بطالبِ العلمِ ، وما في ذٰلكَ شكٌّ ، وهل عندَ أحدٍ فيهِ رِيبةٌ ؟ وكلُّ محمديِّ الطريقةِ مُصدِّقٌ بذٰلكَ ، وهل مُسَيْكِينٌ إلَّا مَنْ يَجهلُ قيمةَ أعمالِهِ ؟!

ويكونُ **الفاعلُ** : اسماً ظاهراً ، ويكونُ ضميراً مستتراً ؛ أي : ملحوظاً ليسَ لهُ لفظٌ ، وبارزاً ، ومُتصِلاً ، ومُنفصِلاً .

يكونُ ضميراً مستتراً : في أمرِ الواحدِ ، وفي مضارعِ المُتكلِّمِ الحاكي عن نفسِهِ وحدَهُ ، والحاكي عن نفسِهِ وغيرِهِ ، وفي مضارعِ المُخاطَبِ الواحدِ ، وفي فعلِ التعجُّبِ ، وفي أفعالِ الاستثناءِ ، وفي اسمِ التفضيلِ غيرِ نحوِ ما في المثالِ السابقِ (١) .

---

(١) هو قوله المتقدم : لم أرَ رجلاً أجملَ به الإكرامُ منه بطالب العلم .

ويكونُ ضميراً بارزاً : في غيرِ ذٰلكَ ، وفي غيرِ أفعالِ الغيبةِ .

ويكونُ ضميراً بارزاً تارةً واسماً ظاهراً تارةً : في أفعالِ الغَيبةِ غيرِ فعلِ الغائبِ الواحدِ والغائبةِ الواحدةِ ، وفيهِما يكونُ اسماً ظاهراً تارةً وضميراً مستتراً تارةً .

وبسببِ كونِ الفاعِلِ في هٰذَينِ الموضعَينِ تارةً يكونُ ضميراً مستتراً ، وتارةً يكونُ اسماً ظاهراً . . تَسمعُ المُعربينَ يقولونَ في نحوِ : (زيدٌ عرفَ) : الفاعلُ فيهِ ضميرٌ مستترٌ جوازاً ، فالجوازُ صفةُ مجموعِ كونِهِ ضميراً مستتراً ؛ لِمَا عرفتَ أنَّ كونَهُ ضميراً غيرُ لازمٍ ، وفي المواضعِ التي لا يكونُ الفاعلُ فيها إلَّا ضميراً مستتراً ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً . . يقولونَ : الفاعلُ ضميرٌ مستترٌ وجوباً ؛ علىٰ معنىٰ أنَّه لا يكونُ غيرَ ضميرٍ ألبتةَ .

ويكونُ ضميراً مُنفصِلاً : إذا حُصِرَ فيهِ الفعلُ بـ (ما) و(إلَّا) ، أو بـ (إنَّما) ، أو فُصِلَ بأداةِ التفصيلِ ، أو حُذِفَ فعلُهُ .

الأمثلةُ لذٰلكَ : أعرفْ ، أعرفُ ، نَعرِفُ ، تَعرِفُ ، ما أَعرفَ زيداً ، عُرِفَ القومُ ما خلا زيداً ، وما عداهُ ، وحاشاهُ ، وليسَ ، ولا يكونُ ، وهوَ أَعرَفُ مِنْ عمرٍو ، وعرفتُ ، وعرفنا ، وعرفتَ ، وعرفتِ ، وعرفتُما ، وعرفتُم ، وعرفتُنَّ ، وتَعرِفينَ ، وتَعرِفانِ ، وتِعرِفونَ ، وتَعرِفنَ ، واعرِفي ، واعرِفا ، واعرِفوا ، واعرِفنَ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجلانِ ، والرجلانِ عَرَفا ، ويَعرِفانِ ، وعرفتْ ، وتَعرِفُ المرأتانِ ، والمرأتانِ عَرَفَتا ، وتَعرِفانِ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجالُ ، والرجالُ عَرَفوا ويَعرِفونَ ، وعَرَفَتْ وتَعرِفُ النساءُ ، والنساءُ عرفنَ ويَعرِفنَ ، وعَرَفَ ويَعرِفُ الرجلُ ، والرجلُ عَرَفَ ويَعرِفُ ، وعرفَتْ وتَعرِفُ المرأةُ ، والمرأةُ عرفَتْ وتَعرِفُ ، وما عَرَفَ إلَّا أنتَ ، وإنَّما عَرَفَ هوَ ، ويَقرأُ إمَّا أنا وإمَّا أنتَ ، ويقولُ إنسانٌ : مَنْ قرأَ ؟ فتقولُ : أنا ، علىٰ ملاحظةِ قرأتُ ،

فحذفتَ الفعلَ ؛ اتكالاً علىٰ فهمِهِ بقرينةِ السؤالِ ، وفصلتَ الضميرَ .

وممَّا سلفَ تَعرِفُ أنَّ الفعلَ متىٰ أُسنِدَ إلى الأسماءِ الظاهرةِ . . كانَ علىٰ صورةِ فعلِ الغائبِ الواحدِ دائماً ؛ فلا تقولُ : عَرَفا الزيدانِ ، ولا عَرَفوا الرجالُ ، ولا عَرَفنَ النساءُ ، بل تقولُ : عَرَفَ الزيدانِ ، وعَرَفَ الرجالُ ، وعَرَفَتِ النساءُ ، كما تقولُ : عَرَفَ زيدٌ ، وعرفَتْ هندُ .

وهنالكَ لغةٌ رديئةٌ يُسمِّيها النحويونَ لغةَ (أكلوني البراغيثُ) تُلحِقُ الفعلَ : الأَلِفَ والواوَ والنونَ أحرفاً تَدُلُّ بها على الاثنينيَّةِ والجمعيَّةِ ، وذٰلكَ المثالُ المسموعُ مِنْ أهلِ تلكَ اللُّغةِ المشهورُ عنهُم .

والأوصافُ الملحوظةُ ملاحظةَ الأفعالِ لها حكمُها ، ولذٰلكَ تقولُ كما عرفتَ : أقائمٌ الزيدانِ ؟ وما قائمٌ العمرونَ ، كما تقولُ : أقائمٌ زيدٌ ؟ وما قائمٌ عمرٌو ، فالتركيبُ مبتدأٌ صوريٌّ وفاعلٌ ، وإذا قلتَ : أقائمانِ الزيدانِ ؟ وما قائمونَ العمرونَ . . فالتركيبُ خبرٌ مُقدَّمٌ ومبتدأٌ مُؤخَّرٌ ، والوصفُ ومرفوعُهُ غيرُ جملةٍ إلَّا في مثلِ هٰذا التركيبِ .

وإذا كانَ الفاعلُ مُتصِلاً بالفعلِ ، وكانَ ضميرَ أُنثىٰ حقيقةً ، أوِ اعتباراً ، أوِ اسماً ظاهراً لأُنثىٰ حقيقةً ، أو جمعَ مُؤنَّثٍ سالمٍ لم يُجْرَ مُجرىٰ جمعِ التكسيرِ ، وليسَ مُفردُهُ اسمَ ذكرٍ . . وجبَ لأجلِهِ تأنيثُ الفعلِ ، فتأتي معَ الماضي بتاءِ التأنيثِ الساكنةِ ، وتفتتحُ المضارعَ بالتاءِ ؛ فتقولُ : هندٌ كتبَتْ وتَكتبُ ، والشمسُ طلعَتْ وتَطلُعُ ، وقرأَتْ وتَقرأُ عمرةُ .

وإذا فُصِلَ ، أو كانَ اسماً ظاهراً لأُنثى اعتباراً ، أو كانَ جمعَ غيرِ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وغيرِ مُؤنَّثٍ لم يُجْرَ مُجرى المُكسَّرِ ، وليسَتْ آحادُهُ ذكوراً . . جازَ التأنيثُ علىٰ ملاحظةِ معنى الجماعةِ في الجموعِ ، والتذكيرُ علىٰ ملاحظةِ معنى الجمعِ فيها .

وأمَّا جمعُ المُذكَّرِ السالمِ . . فيجبُ معَهُ تذكيرُ الفعلِ ، وقد سَلَفَ حكمُ جمعِ المُؤنَّثِ السالمِ ، والأحسنُ التأنيثُ معَ الإناثِ ، إلَّا في نحوِ : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ﴾ (١) ، والأحسنُ التذكيرُ في نحوِ : ما قامَ إلَّا هندٌ ، وإنَّما كتبَ عمرةُ ، ونِعْمَ المرأةُ هندٌ .

ويُحذَفُ الفعلُ جوازاً في نحوِ قولِ المرأةِ : إلَّا حظيةٌ . . فلا أليةٌ ؛ معناه : إلَّا تَتفِقْ وتَحصُلْ حالةٌ أحظىٰ بها . . فلا آلو ؛ أي : أُقصِّرُ في أمورِ النساءِ ، وكلامُ هٰذهِ المرأةِ تُخبِرُ بهِ أنَّها عاملةٌ بقولِ الشاعرِ (٢) : [من الطويل]

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ ... وَيَقْضِي إِلَـٰهُ ٱلْخَلْقِ مَا كَانَ قَاضِيَا

وفي رواية (٣) :

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

وفي ثالثةٍ (٤) :

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

ومِنْ حذفِ الفعلِ جوازاً قولُ الحارثِ بنِ نهيكٍ (٥) : [من الطويل]

لِيُبْكَ يَزِيدٌ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ ٱلطَّوَائِحُ

أمرَ ببكاءِ يزيدَ ، ولم يذكرِ الباكيَ ؛ فإنَّ الفعلَ في (ليُبْكَ يزيدُ) فعلٌ

---

(١) سورة يوسف : (٣٠) .

(٢) هو إبراهيم بن المهدي ، كما في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٢) .

(٣) بهٰذه الرواية عند ابن المقري في « نفح الطيب » (٢/٦٥٩) ، والبيت بتمامه :

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يُسَاعِدَهُ ٱلدَّهْرُ

(٤) انظر « نفحة اليمن » (ص ١٧٦) ، والبيت بتمامه :

عَلَى ٱلْمَرْءِ أَنْ يَسْعَىٰ عَلَى ٱلْخَيْرِ جَهْدَهُ ... وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ تَتِمَّ ٱلْمَطَالِبُ

(٥) انظر « الكتاب » لسيبويه (١/٢٨٨) .

مجهولٌ ، فاقتضى الحالُ السؤالَ عنهُ ، فكأنَّهُ قيلَ : مَنْ يَبكيهِ ؟ فقالَ : يَبكيهِ ضارعٌ ، فحذفَ الفعلَ ؛ اعتماداً على السؤالِ المُقدَّرِ .

ويُحذَفُ وجوباً : في نحوِ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾ (١) ، وهل زيدٌ كتبَ ؟ مِنْ كلِّ تركيبٍ ذُكِرَ فيهِ مُفسِّرٌ معَ ما يَختصُّ بالفعلِ ، ولا يُحذَفُ الفاعلُ أصلاً ، ويُحذَفانِ معاً ، ومنهُ الحذفُ معَ أحرفِ الجوابِ ؛ نحوُ : هل قامَ زيدٌ ؟ فتقولُ : نعم ، أو : لا ؛ أي : قامَ زيدٌ ، أو لم يقمْ .

ولا يجوزُ تقديمُ الفاعلِ على الفعلِ .

وأمَّا نائبُ الفاعلِ : فيَرفعُهُ فعلُ المجهولِ ، واسمُ المفعولِ ، ومنهُ المنسوبُ إذا لاحظتَ معنى المنسوبِ والمعزيِّ [والمُنْمَىٰ] .

وينوبُ عنِ الفاعلِ : المفعولُ بهِ ، والمصدرُ الذي لم يلازمِ النصبَ ؛ نحوُ : الليلةَ قُرِئَتْ قراءةٌ جيدةٌ ، والمصادرُ الملازمةُ للنصبِ ؛ نحوُ : مَعاذَ اللهِ ، سبحانَ اللهِ . . غيرُ قابلةٍ لذٰلكَ .

وينوبُ عنهُ أيضاً : الظُّروفُ المُتصرِّفةُ ؛ نحوُ : تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ غنيٍّ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ سارقٍ ، تُصُدِّقَ الليلةُ علىٰ بغيٍّ (٢) .

ومثلُ الظرفِ الجارُّ والمجرورُ ؛ نحوُ : بِيعَ واشتُرِيَ في المسجدِ ، وقُرِئَ في الأسواقِ .

وإذا كانَ الفعلُ ذا مفعولَينِ . . فالأفصحُ إنابةُ أوَّلِهما ، ويجوزُ إنابةُ الثاني معَ وجودِ الأوَّلِ إذا لم يلزمْ لَبْسٌ ؛ نحوُ : كُسِيَتْ جُبَّةٌ زيداً ، ولا يجوزُ : أُعطِيَ سالمٌ غانماً ؛ لأنَّهُ يَتبادرُ : أنَّ سالماً هوَ الآخذُ ، وغانماً هوَ المأخوذُ ، والقصدُ

---

(١) سورة التوبة : (٦) .

(٢) أصل هٰذه الأمثلة حديث مرفوع أخرجه البخاري (١٤٢١) ، ومسلم (١٠٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

خلافُ ذٰلكَ ، فالواجبُ أُعطِيَ غانمٌ سالماً ؛ ليَفهَمَ سامعُكَ مرادَكَ حَسَبَ الغرضِ مِنَ الكلامِ .

وإلىٰ هنا عرفتَ الأنواعَ المرفوعةَ مِنْ نوعِ الاسمِ ؛ وهيَ ستةٌ : المبتدأُ ، والخبرُ ، واسمُ بابِ (كانَ) ، وخبرُ بابِ (إنَّ) ، والفاعلُ ، ونائبُهُ ، والمنصوباتُ منهُ عشرةُ أنواعٍ ، مضىٰ منها اثنانِ ؛ هما خبرُ بابِ (كانَ) ، واسمُ بابِ (إنَّ) ، وبقيتُهُ ثمانيةٌ ؛ وهيَ : المفعولُ بهِ ، والمفعولُ المطلقُ ، والمفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، والمفعولُ معَهُ ، والمستثنىٰ ، والحالُ ، والتمييزُ .

الكلامُ على المفعولِ بهِ

المفعولُ بهِ : هوَ اسمُ الشيءِ الذي تَعلَّقَ بهِ الفعلُ علىٰ وجهِ التأثيرِ فيهِ .

ويكونُ صريحاً ؛ نحوُ : نقشتُ الخاتمَ ، وكتبتُ الكتابَ ، وبريتُ القلمَ ، ومُؤوَّلاً ؛ نحوُ : أودُّ لو تَحفظُ العِلْمَ ، فـ (لو) موصولٌ حرفيٌّ يُؤوَّلُ صلتَهُ بمصدرٍ هوَ المفعولُ بهِ ، فالتقديرُ : أودُّ حفظَكَ العِلْمَ ، ونحوُ : أسألُكَ أن تَجتهِدَ في التعلُّمِ ، تقديرُهُ : أسألُكَ الاجتهادَ ، ونحوُ : بَلَّغتُ زيداً أنَّكَ مجتهدٌ ، تقديرُهُ : بَلَّغتُ زيداً اجتهادَكَ ، ونحوُ : أشكرُ ما تُكرِمُ زيداً ؛ تقديرُهُ : أشكرُ إكرامَكَ .

ويكونُ ظاهراً كما مرَّ ، وضميراً مُتصِلاً ؛ وهوَ النوعُ المُشترَكُ بينَ مواضعِ النصبِ ؛ نحوُ : غلامي أعجبَني (١) ، ومواضعِ الخفضِ ، ومُنفصِلاً ؛ وهوَ النوعُ المُختصُّ بمواضعِ النصبِ ؛ نحوُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ (٢) .

ويكونُ واحداً واثنَينِ وثلاثةً كما عرفتَ (٣) .

المفعولُ الواحدُ يكونُ لكلِّ فعلٍ لا يكفي في حصولِهِ فاعلُهُ ، بل يَحتاجُ في حصولِهِ لغيرِ فاعلِهِ ؛ وهوَ المُتعدِّي والمُتجاوِزُ ، فإن كفىٰ في حصولِهِ شيءٌ واحدٌ معَ الفاعلِ . . فهوَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ نحوُ : قرأتُ القرآنَ ، وحفظتُ المسائلَ ، وفهمتُ ما نطقتَ بهِ حينَ سمعتُهُ .

فإذا كانَ المفعولُ الواحدُ ضميراً . . وجبَ أن يُؤتَىٰ بهِ مُتصِلاً بعامِلِهِ ،

---

(١) لعل الأنسب : أن يُؤخَّر هٰذا المثال إلىٰ ما بعد قوله : (ومواضع الخفض) .

(٢) سورة الفاتحة : (٥) .

(٣) انظر (١/١٧٣) .

إلَّا إذا قدمتَهُ عليهِ ، أو حصرتَ فيهِ الفعلَ ، أو فصلتَهُ بـ (إمَّا) ، أو حذفتَ عاملَهُ ؛ فإنَّهُ يجبُ أن يُؤتَىٰ بهِ مُنفصِلاً في هـٰذهِ المواضعِ .

المُتصِلُ : أكرمَني ، وأكرمَنا ، وأكرمَكَ ، وأكرمَكِ ، وأكرمَكُما ، وأكرمَكُم ، وأكرمَكُنَّ ، وأكرمَهُ ، وأكرمَها ، وأكرمَهُما ، وأكرمَهُم ، وأكرمَهُنَّ .

والمُنفصِلُ : للتقديمِ : إيَّايَ أكرمَ زيدٌ ، وإيَّانا ، وإيَّاكَ ، وإيَّاكِ ، وإيَّاكُما ، وإيَّاكُمْ ، وإيَّاكُنَّ ، وزيدٌ إيَّاهُ أُكرِمُ ، وهندٌ إيَّاها أكرمتُ ، وإيَّاهُما ، وإيَّاهُم ، وإيَّاهُنَّ .

المُنفصِلُ : للقصرِ : زيدٌ ما أكرمَ إلَّا إيَّايَ ، وإنَّما أكرمَ إيَّايَ . . . وهَلُمَّ .

المُنفصِلُ : للتفصيلِ بـ (إمَّا) نحوُ : أنا وزيدٌ لا نجتمعُ ؛ فادعُ إمَّا إيَّايَ ، وإمَّا إيَّاهُ .

المُنفصِلُ لحذفِ العاملِ : إيَّاكَ وأفعالَ الأراذلِ ؛ تحذيراً ، ونحوُ : مَنْ ذَكَرَ عمرٌو بخيرٍ ؟ فتقولُ في جوابِهِ : إيَّاكَ ، والأصلُ : ذكرَكَ ، والأصلُ في سابقِهِ : أُحذِّرُكَ ، فلمَّا حُذِفَ العاملُ . . لم يجدِ الضميرُ ما يَتصِلُ بهِ ، فانفصلَ ضرورةً .

المفعولانِ اللَّذانِ يَطلُبُهُما بابا (أعطىٰ) و(ظنَّ) : ولمفعولَيْ كلٍّ مِنَ البابَينِ مسائلُ تَتعلَّقُ بِهما يَتعيَّنُ إيرادُها هنا .

مفعولا بابِ (أعطىٰ)

قد عرفتَ أنَّ المفعولَينِ لبابِ (أعطىٰ) يُسمَّىٰ أحدُهُما : **مفعولاً أوَّلَ** ، وضابطُهُ : أن يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، ويُسمَّى الآخَرُ : **مفعولاً ثانياً** ، وضابطُهُ : ألَّا يكونَ لهُ فاعليَّةٌ في المعنىٰ ، بل لهُ المفعوليَّةُ الخالصةُ .

والذي يجبُ أن تَعرِفَهُ هنا : أنَّهُ يَكثرُ حذفُهُما ، ويكونُ الفعلُ مُنزَّلاً منزلة

الأفعالِ اللَّازمةِ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ الإخبارَ بنفسِ الفعلِ ؛ كقولِكَ : اللهُ هوَ الذي يُعطي ويَمنعُ .

كما يَكثرُ حذفُ المفعولِ الواحدِ ، ويكونُ فعلُهُ كذٰلكَ ؛ نحوُ : هوَ الذي يُحيي ويُميتُ ، ويُضحِكُ ويُبكِي ، ويُغني ويُفقِرُ ؛ فهٰذهِ الأفعالُ مُنزَّلةٌ مَنزلةَ الأفعالِ اللَّازمةِ ؛ إذِ الغرضُ الإخبارُ بحصولِها أنفسِها ، وذٰلكَ مفيدٌ كما رأيتَ .

ويجوزُ حذفُ أحدِهما مِنْ غيرِ دلالةٍ عليهِ ، فيكونُ الفعلُ مُنزَّلاً مَنزلةَ المُتعدِّي لواحدٍ ؛ حيثُ لا يَتعلَّقُ الغرضُ بذكرِ المحذوفِ ؛ كقولِكَ : أعطىٰ زيدٌ عمراً ؛ حيثُ لا يُقصَدُ الإخبارُ بالشيءِ الذي أعطاهُ ، وكقولِكَ : أعطىٰ زيدٌ دراهمَ ودنانيرَ ؛ حيثُ لا تقصدُ الإخبارَ بالأشخاصِ الذينَ أعطاهُم ، ويُسمَّىٰ هٰذا الحذفُ : **الحذفَ اقتصاراً** .

وأمَّا حذفُ أيِّ لفظٍ مِنَ الكلامِ اعتماداً علىٰ دليلٍ يَدُلُّ عليهِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً ، غايةُ الأمرِ : أنَّكَ استغنيتَ عن ذكرِهِ بسببِ كونِهِ مفهوماً مِنَ الدليلِ الذي يَدُلُّ عليهِ . . فإنَّهُ يُسمَّى : **الحذفَ اختصاراً** ، وهوَ جائزٌ في المفاعيلِ وغيرِها .

وإذا كانَ المفعولانِ ضميرَينِ ؛ **فإن كانا مِنْ جنسٍ واحدٍ** ؛ كقولِكَ لعبدِكَ : مَلَّكتُكَ إيَّاكَ ، فيقولُ العبدُ : سيِّدي مَلَّكَني إيَّايَ ، فتُخبِرُ أنتَ عن ذٰلكَ فتقولُ : عبدي مَلَّكتُهُ إيَّاهُ . . وجبَ فصلُ الثاني ، فلا يَصِحُّ : مَلَّكتُكَكَ ، ولا مَلَّكَنِيَّ (١) ، ولا مَلَّكتُهُوهُ ؛ للقبحِ الظاهرِ في غيرِ ضميرَيِ الغَيبةِ ، وفيهِما يَخِفُّ الوصلُ خِفَّةً ما ، سيَّما عندَ اختلافِهِما تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً

(١) إذا أصله : (مَلَّكَنِيي) الياء الأُولىٰ وهي ياء المتكلم المفعول الأول ، والياء الثانية المفعول الثاني ؛ فأُدغمت الأولىٰ بالثانية .

وجمعاً ، فالأفصحُ فيهما الفصلُ ، وجاءَ الوصلُ ؛ قال [1] : [من الطويل]

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ لِضَغْمِهِمَاهَا يَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ نَادِمُهْ

وإن لم يكونا مِنْ جنسٍ واحدٍ . . جازَ لكَ في الذي تَجعلُهُ ثانياً في اللَّفظِ أن تأتيَ بهِ مُنفصِلاً ، وأن تأتيَ بهِ مُتصِلاً ؛ نحوُ : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ [2] ، لـٰكن لا يجوزُ أنْ تأتيَ بهِ متصلاً إلَّا إذا كانَ سابقُهُ أخصَّ منهُ .

والمرادُ بالأخصِّ مِنَ الضَّمائرِ : الأعرفُ والأبعدُ عنِ الاحتمالِ والاشتباهِ ؛ فالأخصُّ : ضميرُ المُتكلِّمِ ؛ إذ لا شبهةَ فيمَنْ يقولُ : (أنا) أنَّهُ يَقصِدُ شخصَهُ ، وأنزلُ منهُ : ضميرُ المُخاطَبِ ؛ إذ لو كانَ بينَ يدَيكَ اثنانِ وخاطبتَ أحدَهُما بـ (أنتَ) . . حصلَ اشتباهٌ في مرادِكَ منهُما ، ولذٰلكَ تَحتاجُ في رفعِهِ إلى التوجُّهِ إليهِ والإشارةِ حَسَبَ ما يُحتاجُ لتعيينِهِ .

فأنزلُ الضَّمائرِ : ضميرُ الغَيبةِ ؛ لأنَّكَ تَعتمِدُ في تعيينِ المرادِ بهِ مَرجِعَهُ ، وربَّما خَفِيَ المَرجِعُ بسببِ كونِهِ التزامياً ، أو تضمنيّاً ، أو مُختلِطاً بأشياءَ تَصلُحُ أن تكونَ مَرجِعاً ، حتىٰ إنَّهُ قد يُوجِبُ السؤالَ .

فالمَرجِعُ الالتزاميُّ : كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [3] .

وكقولِ لبيدٍ [4] : [من الكامل]

حَتَّىٰ إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ ٱلثُّغُورِ ظَلَامُهَا

والتضمينُ : كقولِهِ تعالى : ﴿ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [5] ، وتقولُ : زيدٌ

---

(١) هو مغلس بن لقيط ، كما في « خزانة الأدب » (٥/٣٠٣) ، والرواية فيها وفي « الكتاب » (٢/٣٦٥) : (نابُها) بدل (نادمه) .

(٢) سورة هود : (٢٨) .

(٣) سورة صٓ : (٣٢) .

(٤) انظر « ديوان لبيد » رضي الله عنه (ص ٣١٦) .

(٥) سورة المائدة : (٨) .

خزنَ مالاً ، وصرفَ مالاً ، ولو كانَ صرفَهُ في وجوهِ برٍّ . . لكانَ لهُ خيراً .

فتقولُ : الدرهمُ أعطيتُكَهُ ، وأعطيتُكَ إيَّاهُ ؛ مُخيَّراً ، فإذا قلتَ : الدرهمُ أعطيتُهُ . . وجبَ الفصلُ ؛ فتقولُ : إيَّاكَ ، والمعروفُ سألتُهُ إيَّاكَ ، والجُبَّةُ كسوتُها إيَّاكَ ، فمتىٰ قَدَّمتَ الأخصَّ . . جازَ لكَ في المُؤخَّرِ الفصلُ والوصلُ ، ومتىٰ أخَّرتَهُ . . وجبَ فصلُهُ .

كما أنَّهُ يجوزُ الفصلُ في خبرِ (كانَ) وأخواتِها إذا وقعَ ضميراً ، وكانَ الاسمُ ضميراً ؛ كقولِكَ : الصديقُ الخَصِيصُ كنتَهُ ، وكنتَ إيَّاهُ ، والعدوُّ البغيضُ زيدٌ كانَهُ ، وكانَ إيَّاهُ .

[مفعولا بابِ (ظنَّ)]

وكمفعولَيْ (أعطىٰ) إذا كانا ضميرَينِ . . مفعولا (ظنَّ) وأخواتِها ، ولمفعولَيْ (ظنَّ) وأخواتِها مسائلُ تَتعلَّقُ بها :

الأُولىٰ : مفعولا (بابِ ظنَّ) أصلُهُما المبتدأُ والخبرُ كما سبقَ [1] ، وجميعُ صورِ المبتدأ والخبرِ والمبتدأ ذي المرفوعِ ومرفوعِهِ . . تقعُ بعدَ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي هيَ (ظنَّ) وأخواتُها ؛ فتقولُ : ظننتُ زيداً قائماً ، وظننتُهُ قامَ ، وظننتُهُ يقومُ ، وظننتُهُ أبوهُ قائمٌ ، وظننتُهُ في الدارِ ، وظننتُهُ عندَكَ ، وظننتُهُ الأمرُ غيرُ هَيِّنٍ علىٰ زيدٍ .

لٰكنَّ الضَّمائرَ المُنفصِلةَ المرفوعةَ تصيرُ ضمائرَ مُتصِلةً منصوبةً ؛ لأنَّكَ تَجعلُ المبتدأَ والخبرَ مفعولَينِ لهٰذهِ الأفعالِ ، ونحوُ : أظنُّ زيداً إن تُكرِمْهُ . . يُكرِمْكَ ، وأظنُّ ما مستقيمٌ الزيدانِ ، وعلمتُ أراضٍ أخواكَ .

وحيثُ كانَ مَفادُ هٰذا التركيبِ أنَّ ظنَّكَ أو علمَكَ تَعلَّقَ بوقوعِ نسبةِ أمرٍ

---

(١) انظر (١/١٧٦) .

لأمرٍ في زمنٍ ما . . لم يمكنْ جعلُ الجملةِ التي يكونُ خبرُها طلباً مُتعلَّقاً للظنِّ أو العِلْمِ إلَّا على التأويلِ .

مثلاً : إذا قلتَ : زيدٌ ، وسكتَّ . . قالَ سامعُكَ : ما لهُ ؟ فإذا قلتَ : اضربْهُ ، أو : لا تُهِنْهُ ، أو : هل رضيَ أبوهُ عنهُ . . حصلَتِ الإفادةُ ، وانقطعَ تَشوُّفُ السامعِ دونَ تأويلٍ وإعمالِ فكرٍ ، بخلافِ ما إذا قلتَ : ظننتُ زيداً ؛ فإنَّ سامعَكَ يقولُ : ظننتَهُ ماذا ؟ فإذا قلتَ : أكرمْهُ . . رجعَ السامعُ بفكرِهِ إلى التركيبِ ، واستبانَ أنَّ مُرادَكَ بقولِكَ : ظننتُ زيداً أكرمْهُ . . ظننتُ زيداً بسببِ كونِهِ مستقيمَ الأحوالِ حسنَ السيرةِ طيِّبَ السريرةِ ؛ مُستحَقّاً لأن تأمرَ بإكرامِهِ ، فحاصلُهُ : أنَّ معنىٰ كلامِكَ : ظننتُ زيداً خَيِّراً ، ثمَّ تبينتَ خلافَ ذٰلكَ .

❊ ❊

الثانيةُ : هٰذهِ الأفعالُ تَتعلَّقُ في الحقيقةِ بنسبةِ الخبرِ للمبتدأ ؛ لأنَّكَ تفيدُ أنَّ أمراً مظنونٌ لكَ ، وأنَّ أمراً معلومٌ لكَ ، فإذا قلتَ : علمتُ زيداً قائماً . . فليسَ غرضُكَ أن تفيدَ كونَ شخصِ زيدٍ معلوماً لكَ ، ولا أنَّ معنى القائمِ ـ وهوَ شيءٌ منسوبٌ لهُ القيامُ ـ معلومٌ لكَ ، ولٰكنْ تريدُ أن تفيدَ أنَّ ثبوتَ القائمِ لزيدٍ أمرٌ معلومٌ لكَ ، فالموصوفُ بالمعلوميَّةِ هوَ ثبوتُ الخبرِ للمبتدأ أوِ انتفاؤُهُ عنهُ ، فهوَ المفعولُ في الحقيقةِ ، لٰكنْ لمَّا لم يمكنْ إبرازُ النِّسبةِ إلَّا بالتركيبِ . . أُوردَ التركيبُ ، وجُعِلَ النصبُ الذي هوَ علامةُ المفعوليةِ على المبتدأ والخبرِ اللَّذَينِ هما الطَّرَفانِ للنسبةِ ؛ إذِ النِّسبةُ هيَ الارتباطُ بينَ الشيئَينِ علىٰ وجهِ ثبوتِ الثاني للأوَّلِ أوِ انتفائِهِ عنهُ .

❊

الثالثةُ : إذا قَدَّمتَ الجزأَينِ على الأفعالِ ، أو وَسَّطتَ الأفعالَ بينَهُما . . جازَ لكَ أن تَنصِبَهُما مفعولَينِ ، وأن ترفعَهُما مبتدأً وخبراً ؛ فتقولُ : زيداً

أظنُّ قائماً ، أو زيدٌ أظنُّ قائمٌ ، وزيداً قائماً أظنُّ ، أو زيدٌ قائمٌ أظنُّ ، وتُسمَّى الأفعالُ عندَ الرفعِ : مُلغاةً .

الرابعةُ : إذا كانَتْ جملةُ المبتدأ والخبرِ مُصدَّرةً بـ (ما) النافيةِ ، أو بـ (إنِ) النافيةِ ، أو بـ (لا) النافيةِ ، أو مُصدَّرةً بقَسَمٍ ، أو مُصدَّرةً باستفهامٍ ، أو مُشتمِلةً علىٰ لامِ الابتداءِ مُصدَّرةً فيها ، أو مُزحلَقةً لوجودِ (إنَّ) في صدرِ الجملةِ . . وجبَ رفعُ الجزأَينِ مبتدأً وخبراً ، ويُقالُ : إنَّ الجملةَ في محلِّ نصبٍ مُشتمِلةً علىٰ مفعولَيْ (ظنَّ) مثلاً ؛ كما إذا كانَتِ الجملةُ شرطيَّةً ، وحينَئذٍ تُسمَّى الأفعالُ : مُعلَّقةً عنِ العملِ ؛ حيثُ لم يكنْ لها تَسلُّطٌ علىٰ لفظِ ما بعدَها بالنصبِ ؛ نحوُ : علمتُ ما زيدٌ قائمٌ ، وأظنُّ لا زيدٌ قائمٌ ولا عمرٌو ، وأرىٰ إنِ الأيامُ إلَّا مُخلِفةٌ ما وعدَتْ ، وعلمتُ واللهِ لَزيدٌ قائمٌ ، وعلمتُ أعندَكَ زيدٌ أم عمرٌو ، وعلمتُ هل زيدٌ في الدارِ ، وتَظنُّ أيُّ الرجلَينِ أفضلُ ؟ وأنا ظانٌّ أو عالمٌ لَزيدٌ قائمٌ ، واعلمْ إنَّ زيداً لَقائمٌ .

فإذا وقعَتْ (إنَّ) بعدَ عِلْمٍ ولا لامَ معَها . . وجبَ فتحُها ، وحينَئذٍ يُقالُ : (أنَّ) وصلتُها في تأويلِ مفردٍ مصدرٍ سادٍّ مَسَدَّ مفعولَيْ نحوِ : علمتُ أنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، والتقديرُ : علمتُ قدرةَ اللهِ علىٰ كلِّ شيءٍ ، ونحوِ : علمتُ إن يقمْ زيدٌ . . يقمْ عمرٌو ، وتَعلَّمْ مهما يُرِدِ اللهُ . . يكنْ .

فلا يكونُ المفعولُ جملةً إلَّا في (بابِ ظنَّ) وقد عرفتَ أنَّ المفعولَ في الحقيقةِ هوَ النسبةُ ، فجعلُ الجملةِ مفعولاً . . مشيٌ معَ الظاهِرِ .

المسألةُ الخامسةُ : يَندُرُ حذفُ المفعولَينِ أو أحدِهما في هٰذا البابِ

اقتصاراً ؛ لعدمِ الفائدةِ في الإخبارِ بأنَّ عندكَ ظنّاً أو عِلْماً غالباً ، فإذا قلتَ : أظنُّ أو أعلمُ ؛ تفيدُ أنَّ عندكَ ظنّاً أو عِلْماً . . لم يكنْ مسموعاً منكَ ، بخلافِ : زيدٌ يعطي ويَتفضَّلُ ؛ فإنَّ لهُ فائدةً ظاهرةً .

ومِنَ النادرِ : قولُهُم : مَنْ يَسمعْ . . يَخَلْ ، وهوَ مفيدٌ ، وتقولُ مثلاً : خُلِقَ الإنسانُ يَعلمُ ويَظنُّ ويَتخيَّلُ ويَشُكُّ ويَتوهَّمُ ، فكيفَ تُكلِّفُني تركَ ما هوَ خاصَّةُ نوعي ؟! فيكونُ مفيداً كذٰلكَ .

وقد عرفتَ أنَّ الاعتمادَ في جميعِ الكلامِ علىٰ حصولِ الفائدةِ التي لم تكنْ عندَ المُخاطَبِ ، وإلَّا . . كانَ لغواً .

تكملةٌ
[في أنَّ القولَ قد يَتعلَّقُ باللَّفظِ]

القولُ يَتعلَّقُ باللَّفظِ ، فيكونُ مفعولُهُ اللفظَ المَحكيَّ بعدَهُ مُفاداً أنَّهُ المنطوقُ بهِ ؛ فتقولُ : قلتُ كلمةً ؛ أي : هٰذا اللَّفظَ ، أو لفظاً آخَرَ عَبَّرتَ عنهُ بالكلمةِ ؛ كزيدٍ أو عمرٍو ، وقلتُ زيداً ؛ أي : هٰذا اللَّفظَ ، وقلتُ : زيدٌ قائمٌ ، وهٰكذا ، فالمفعولُ بهِ للقولِ وما تَصرَّفَ منهُ : هوَ الألفاظُ .

والمفعولُ بهِ لبابِ (ظنَّ) : هوَ النِّسبةُ ، والمفعولُ بهِ لبقيةِ الأفعالِ : هوَ الأشياءُ التي تَعلَّقَتْ بها الأفعالُ علىٰ وجهِ التأثيرِ فيها .

وحيثُ عرفتَ أنَّ معنى الفعلِ منسوبٌ يُلحَظُ أوَّلاً ، ونسبةٌ تُلحَظُ ثانياً ، ومنسوبٌ إليهِ يُلحَظُ ثالثاً ، وكانَتْ نسبةُ الفعلِ إلىٰ فاعلِهِ سابقةً في التعقُّلِ عن نسبتِهِ إلىٰ مفعولِهِ ، ونسبتِهِ إلىٰ مفعولِهِ الأوَّلِ كذٰلكَ . . فالمناسبُ أن يكونَ اللَّفظُ علىٰ هٰذا الترتيبِ ؛ تقولُ : كتبَ زيدٌ كتاباً ، وأعطىٰ بكرٌ أباهُ داراً ، ولٰكنْ تارةً يقتضي الحالُ خلافَ ذٰلكَ .

أمَّا الفاعلُ : فلا يَتقدَّمُ على الفعلِ أصلاً ، وأمَّا غيرُهُ ؛ فإن كانَ كلمةً لها صدرُ الكلامِ . . وجبَ تقديمُهُ ؛ نحوُ : ما تكتبُ ؟ ومَنْ تُخاطِبُ ؟ ومَنْ تُكرِمْ . . أُكرِمْ ، ومَنْ تُهِنْ إنْ زيداً وإنْ غيرَهُ . . أُهِنْ .

وإن كانَ الفاعلُ ضميراً ، أو كانَ هوَ والمفعولُ غيرَ ظاهرَيِ الإعرابِ ، أو كانَ المفعولُ مقصوراً عليهِ فعلُ الفاعلِ . . وجبَ تأخيرُ المفعولِ عنِ الفاعلِ ؛ نحوُ : أكرمتُ زائراً ؛ لأنَّ تقديمَهُ عليهِ يُوجِبُ فصلَهُ معَ إمكانِ وصلِهِ ، وهوَ ممتنعٌ ، ومنهُ تَفهمُ أنَّ الغرضَ عدمُ تقديمِهِ على الفاعلِ فقطْ ، والفصلُ بينَهُ وبينَ الفعلِ ، فيَتقدَّمُ على الفعلِ حيثُ لا مانعَ .

ونحوُ : أساءَ ذٰلك هٰذا ، وأكرمَ عيسىٰ موسىٰ ؛ فإنَّهُ لا يَتميَّزُ الفاعلُ مِنَ المفعولِ إلَّا بالموضعِ ؛ لصلاحيةِ كلٍّ لأن يكونَ فاعلاً ، ولأن يكونَ مفعولاً ، ولا ظهورَ للإعرابِ .

فلو تَعيَّنَ كلٌّ لكلٍّ بغيرِ الموضعِ . . لم يَلزمْ ذٰلكَ ؛ نحوُ : أكلَ الكُمَّثرىٰ هٰذا الفتىٰ ، وسبقَ عيسىٰ موسىٰ بألفِ سنةٍ ، ونحوُ : إنَّما قصدَ زيدٌ دارَكَ ؛ أي : قصدَ دارَكَ ولم يَقصِدْ دارَ غيرِكَ .

وأجازَ النحويونَ هنا أن يَتقدَّمَ المقصورُ عليهِ بـ (إلَّا) معَها ؛ نحوُ : ما قصدَ إلَّا دارَكَ زيدٌ ؛ فإنَّهُ لا يُعرَفُ المقصورُ عليهِ بـ (إنَّما) إلَّا بالموضعِ ، بخلافِ المقصورِ عليهِ بـ (ما) و(إلَّا) .

وإذا كانَ المفعولُ ضميراً ، أو كانَ الفاعلُ مقصوراً عليهِ بـ (إنَّما) ، أو كانَ معَ الفاعلِ ضميرٌ مَرجِعُهُ المفعولُ . . وجبَ تقديمُ المفعولِ على الفاعلِ ؛ نحوُ : أكرمَني زيدٌ ، وإنَّما أهانَ عمراً زيدٌ ، وزانَ الشجرَ نورُهُ .

واجعلِ المفعولَ الأوَّلَ فاعلاً ، وأَعمِلْ فكرَكَ في قياسِهما على الفاعلِ والمفعولِ ؛ لتستخرجَ أحكامَهُما ؛ نحوُ : أعطيتُكَ عبداً ، وأعطىٰ زيدٌ

سالماً غانماً ، وإنَّما كسا زيدٌ عمراً جُبَّةً ، وإنَّما كسا بكرٌ جُبَّةً خالداً ، وهٰكذا .

وقد سمعتَ غيرَ مَرَّةٍ : أنَّ كلَّ لفظٍ يُفهَمُ معناهُ دونَ ذكرِهِ لدلالةِ قرينةٍ لفظيةٍ أو حاليةٍ عليهِ . . جازَ لكَ حذفُهُ ؛ كما قالَ[1] : [من الرجز]

وَحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ . . .

وسمعتَ أيضاً : أنَّ بعضَ الألفاظِ يجبُ حذفُهُ ، وبعضَها يجبُ ذكرُهُ ، فيجبُ ذكرُ المفعولِ بهِ كغيرِهِ إذا كانَ جواباً ، أو مقصوراً عليهِ ، أو مُتعجَّباً مِنْ صفتِهِ ، ما لم يكنْ في معطوفٍ ؛ كقولِكَ : أكتبُ جواباً ، لمَنْ يَسألُكَ : ماذا تكتبُ ؟ ولا أقصدُ إلَّا إبانةَ الحقِّ ، وما أحسنَ زيداً وأجملَ !!

[مواضعُ وجوبِ حذفِ ناصبِ المفعولِ بهِ]

ويجبُ حذفُ ناصبِ المفعولِ بهِ في خمسةِ مواضعَ بإنابةِ شيءٍ عنهُ وبدونِها :

الموضعُ الأوَّلُ : تراكيبُ معدودةٌ مسموعةٌ ، وهيَ الأمثالُ وما جرىٰ مَجراها ؛ مِنْ ذٰلكَ قولُهُ تعالى : ﴿ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[2] ؛ أي : انتهوا عنِ التثليثِ وأْتوا خيراً ، ومثلُهُ قولُهُم : حَسْبُكَ خيراً [لكَ] وقولُ أبي الأسودِ : وراءَكَ أوسعَ لكَ ، والقرينةُ : ذكرُ ما يُؤمَرُ بهِ لملائمتِهِ وموافقتِهِ عقبَ النهيِ عن غيرِهِ .

ومنها قولُهُم : امرأً ونفسَهُ ؛ أي : دعِ امرأً ونفسَهُ أو معَ نفسِهِ ؛ نهياً عنِ

---

(١) هو ابن مالك في « ألفيته » ، كما في « شرح ابن عقيل على الألفية » (١/٢٤٣) ، والبيت بتمامه :

وَحَذْفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ كَمَا ... تَقُولُ زَيْدٌ بَعْدَ مَنْ عِنْدَكُمَا

(٢) سورة النساء : (١٧١) .

التعرُّضِ بالنصيحةِ لغيرِ قابلٍ وربَّما استعقبَتْ شرّاً ، وفي الحديثِ : « مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَراً . . فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . فَبِقَلْبِهِ »[1] .

ولبعضِ الشعراءِ[2] : [من السريع]

لَا تَرْجِعُ ٱلْأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا ... مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

ولآخَرَ : [من المتقارب]

إِذَا مَا هَدَيْتَ ٱمْرَأً مُخْطِئاً ... أَضَلَّ ٱلسَّبِيلَ إِلَىٰ قَصْدِهِ

وَلَمْ تَرَهُ سَامِعاً قَابِلاً ... فَحَسِّنْ لَهُ ٱلْمَشْيَ فِي ضِدِّهِ

أيْ : إنِ اضطُررتَ لذٰلكَ ، ومَنْ جَرَّبَ . . عَرَفَ ، ولأبي الطيِّبِ[3] : [من الخفيف]

إِنَّمَا تُنْجِحُ ٱلْمَقَالَةُ فِي ٱلْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوىً فِي ٱلْفُؤَادِ

ومنها قولُهُم : أهلاً وسهلاً ومرحباً ؛ أي : لقيتَ أهلاً لا أجانبَ ، وصادفتَ مكاناً سهلاً ، وحللتَ موضعَ رحبٍ ؛ أي : سعةٍ ، [مِنْ] رَحُبَتْ دارُكَ ؛ أي : كانَتْ رَحْبةً ، بسكونِ الحاءِ ؛ وصفَ المُؤنَّثِ مِنْ رَحُبَ ؛ فهوَ رَحْبٌ ؛ مِنَ البابِ الخامسِ .

ومنها قولُهُم : هٰذا ولا زعماتِكَ ؛ تقولُهُ إذا رميتَ مُخاطَبَكَ بحكايةِ الأكاذيبِ عندَ سماعِكُما خبراً عليهِ سيما الصدقِ ؛ أي : هٰذا أقبلُ وأصدقُ وأزعمُ ولا أسمعُ زعماتِكَ ولا أقبلُها ولا أعتبرُها ، وَقدِّرْ ما يناسبُ الحالَ .

ومنها قولُهُم : عذيرَكَ مِنْ فلانٍ ، وعذيري منهُ ؛ تقولُهُ لِمَنْ أساءَ شخصاً

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٢) انظر « المستطرف » (٣/٣٥٤) .
(٣) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٥٠) .

يظهرُ أنَّهُ لا يَستحِقُّ الإساءةَ عتاباً ، أو يَستحِقُّ ثناءً ؛ أيِ : اذكرْ عذرَكَ أو عاذرَكَ ؛ أيِ : الحالَ التي بها تعذرُ ، أو أعلمُ أنا عذرَكَ ، أوِ الحالَ التي بها تعذرُ .

ومنها قولُهُمُ : الكلابَ على البقرِ ؛ أصلُهُ في الصَّيدِ ، وهوَ موردُ المثلِ ، وتَقولُهُ لإرشادِ صاحبِكَ إلىٰ متاركةِ الناسِ وأعمالِهِم .

ومنها قولُ العربيِّ لغيرِهِ : أهلَكَ واللَّيلَ ؛ أيِ : ائتِ أهلَكَ معَ الليلِ ، أوِ ائتِ أهلَكَ نهاراً واسبقِ الليلَ ؛ فإنَّ الليلَ تَنتشِرُ فيهِ السباعُ والحشراتُ واللصوصُ .

ومنها قولُهُم : عَمْرَكَ اللهَ ، بنصبِ الكلمتَينِ ؛ أي : سألتُ اللهَ تعميرَكَ ومدَّ أيامِكَ ، بحذفِ زيادتَيِ المصدرِ .

وهـٰذا أُنموذجٌ يُنبِّهُكَ على التقاديرِ المناسبةِ فيما يَرِدُ عليكَ مِنَ الأمثالِ وما يَجري مَجراها ؛ فإنَّكَ مُطالَبٌ بما فيهِ زيادةُ منفعتِكَ ؛ مِنَ الاطلاعِ علىٰ أمثالِ العربِ وغيرِهِم ؛ حيثُ كانَتِ الأمثالُ أحرارَ الكلامِ ، ومُستقَرَّ البلاغةِ ، وينابيعَ الحِكَمِ ، منها تستفيدُ ، وبها تَتأدَّبُ ، وعليها تَعتمدُ .

الموضعُ الثاني : تراكيبُ النداءِ ، بضمِّ أولِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرٌ صوتيٌّ ، وبكسرِهِ علىٰ أنَّهُ مصدرُ مفاعلةٍ ؛ فالمنادىٰ مفعولٌ بِهِ لا يُذكَرُ ناصبُهُ معَ إقامةِ أحرفِ النداءِ مُقامَهُ .

غيرَ أنَّ لهُ أحوالاً بحَسَبِها تَختلِفُ أحكامُهُ :

الحالةُ الأُولىٰ : أن يكونَ مفرداً ، معرفةً ـ إفرادُهُ وتَعرُّفُهُ اللَّذينِ عرفتَهُما ـ منادىً مطلوبَ الإقبالِ فقطْ .

وحكمُهُ في هٰذه الحالةِ : البناءُ علىٰ ما يُرفَعُ بهِ لو كانَ مُعرَباً ؛ فيُبنىٰ على **الضَّمِّ الظاهرِ** في نحوِ : يا زيدُ ، ويا رجلُ ، **والمُقدَّرِ** في نحوِ : يا هٰذا ، ويا أنتَ ، ويا إيَّاكَ علىٰ لغةِ مَنْ قالَ : يا إيَّاكَ قد كفيتُكَ ، ويا سيبويهِ ، ويا فتىٰ ، ويا قاضي ؛ لامتناعِ ظهورِهِ أو ثقلِهِ ، **وعلى الألفِ** في المُثنَّىٰ ، **وعلى الواوِ** في جمعِ المُذكَّرِ السالمِ ، **وهوَ في موضعِ نصبٍ** ؛ لكونِهِ مفعولاً بهِ لفعلٍ ملتزمِ الحذفِ ، تقديرُهُ : (دعوتُ) بلفظِ الماضي ؛ لأنَّهُ صارَ إنشاءً ، والمعهودُ نقلُهُ إلى الإنشاءِ هوَ الماضي ؛ كبعتُ واشتريتُ .

نعم ؛ إذا كانَ المنادىٰ عَلَماً ، موصوفاً بابنٍ أوِ ابنةٍ ، مُتَّصِلَينِ بهِ ، مضافَينِ لعَلَمِ أبيهِ أو أُمِّهِ . . جازَ لكَ ضمُّ المنادىٰ ، وفتحُهُ ؛ وهوَ المختارُ للتخفيفِ ، ولهٰذهِ العِلَّةِ يُحذَفُ تنوينُهُ وأَلِفُ (ابنٍ) و(ابنةٍ) مِنَ الخَطِّ إن لم تكنْ أوَّلَ سطرٍ .

وقولُهُ (١) : [من الرجز]

جَـارِيَـةٌ مِـنْ قَـيْـسٍ ٱبْـنِ ثَـعْـلَـبَـهْ

شاذٌّ .

وإذا كانَ مكرَّراً ، والثاني مضافٌ ؛ كقولِ الشاعرِ (٢) : [من البسيط]

يَـا تَـيْـمُ تَـيْـمَ عَـدِيٍّ لَا أَبَـا لَـكُـمُ ... لَا يُـلْـقِـيَـنَّـكُـمُ فِـي سَـوْءَةٍ عُـمَـرُ

وقولِ الآخَرِ (٣) : [من الرجز]

يَـا زَيْـدُ زَيْـدَ ٱلْـيَـعْـمَـلَاتِ ٱلـذُّبَّـلِ
تَـطَـاوَلَ ٱلـلَّـيْـلُ عَـلَـيْـكَ فَـٱنْـزِلِ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٣٦) .
(٢) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٩٨) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » (٢/٣٠٣) .

جازَ لكَ ضَمُّهُ لكونِهِ مِنَ المنادىٰ ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِ صاحبِها ، وجازَ لكَ نصبُهُ إغضاءً عنِ الثاني ، وكأنَّهُ غيرُ موجودٍ ، فيكونُ المنادىٰ حينَئذٍ ليسَ مِنَ المنادىٰ ذي الحالةِ التي نحنُ في إبانةِ حكمِها ، وعليهِ تقولُ : يا غلامانِ غلامَيْ صاحبي ، أو يا غلامَيْ غلامَيْ صاحبي ، ويا زيدونَ زيدِي [اليعملاتِ] ، ويا زيدِي زيدِي اليعملاتِ .

وإذا أردتَ أن تناديَ بالاسمِ المُفتتَحِ بـ (أل) : وجبَ أن تَفصِلَ بينَهُ وبينَ حرفِ النداءِ بكلمتَيْ (أيُّها) في المُذكَّرِ و(أيَّتُها) في المُؤنَّثِ ؛ فكلمةُ (أيٍّ) اسمٌ مُبهَمٌ بمعنىٰ شيءٍ فُسِّرَ بالمنادىٰ ، فالمُفتتَحُ بـ (أل) هوَ المنادىٰ في الحقيقةِ ، لـٰكنَّ الصناعةَ تُلزِمُكَ أن تقولَ : إنَّ كلمةَ (أيٍّ) هيَ المنادى المبنيُّ على الضمِّ في موضعِ نصبٍ ، وها : حرفُ تنبيهٍ ، وما بعدَها صفةٌ ليسَ لها حكمُ تابعِ المنادى الذي يَرِدُ عليكَ تفصيلُ أحكامِهِ عندَ الكلامِ على التوابعِ .

ومثلُ (أيٍّ) في هـٰذا اسمُ الإشارةِ ، وربَّما جُمِعَ بينَهُما ؛ نحوُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ﴾ (١) ، ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾ (٢) ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي ﴾ (٣) ، يا أيُّهـٰذا الرجلُ ، يا أيَّتُهاتي المرأةُ ، ولبعضِهِم (٤) : [من السريع]

أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ إِلَيْهِ ٱذْهَبِي ... فَحُبُّهُ ٱلْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِي
مُفَضَّضُ ٱلثَّغْرِ لَهُ نُقْطَةٌ ... مِسْكِيَّةٌ فِي خَدِّهِ ٱلْمُذْهَبِ
أَيْئَسَنِي ٱلتَّوْبَةَ فِي حُبِّهِ ... طُلُوعُهُ شَمْساً مِنَ ٱلْمَغْرِبِ

---

(١) سورة الانفطار : (٦) .

(٢) سورة الفجر : (٢٧) .

(٣) سورة الحجر : (٦) .

(٤) هو ابن طلحة الصقلي ، كما في « وفيات الأعيان » (١/٢٩١) .

وأجازَتْ ضرورةُ الشعرِ أن يجمعَ الشاعرُ بينَ (يا) و(أل) ، فلا يجوزُ في الكلامِ إلَّا إذا كانَ المنادىٰ جُملةً جُعِلَتْ عَلَماً ؛ نحوُ : يا المنطلقُ زيدٌ ، وإلَّا إذا كانَ لفظَ الجلالةِ ؛ فتقولُ : يا أللهُ ، بقطعِ الهمزةِ على الأفصحِ ، والأحسنُ : اللهُمَّ ، بتعويضِ الشديدةِ عن (يا) ، ولمكانِ التعويضِ شذَّ جمعُهُما في الشعرِ ؛ كقولِهِ[1] : [من الرجز]

إِنِّي إِذَا مَا حَدَثٌ أَلَمَّا ... أَقُولُ يَا [ٱللَّهُمَّ] يَا [ٱللَّهُمَّا]

ولضرورةِ الشعرِ يُنوَّنُ هٰذا المنادىٰ ، وهوَ باقٍ علىٰ ضمِّ بنائِهِ في أصحِّ القولَينِ .

الحالةُ الثانيةُ : ألَّا يكونَ المنادىٰ مطلوبَ الإقبالِ فقطْ ، بل يكونُ معَ طلبِ إقبالِهِ مُستغاثاً مطلوباً أن يكونَ غوثاً مُنقِذاً مِنْ شِدَّةٍ ، ويُذكَرُ بعدَهُ صاحبُ الشِّدَّةِ ، وتارةً يكونُ هوَ المستغيثَ ، وتارةً يكونُ غيرَهُ ، أو يُذكَرُ بعدَهُ نفسُ الشِّدَّةِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المنادىٰ : مُستغاثاً ، وصاحبُ الشِّدَّةِ : مُستغاثاً لأجلِهِ ، والشِّدَّةُ : مُستغاثاً منهُ .

وحكمُهُ حينَئذٍ : أن يُخفَضَ بلامٍ مفتوحةٍ ؛ لأنَّ المنادىٰ واقعٌ موقعَ كافِ الخطابِ الضميرِ ، ومعَ الضَّمائرِ تُفتَحُ اللَّامُ ؛ وهيَ لامُ الاختصاصِ ، مُتعلِّقةٌ بالفعلِ المُقدَّرِ وإن كانَ مُتعدِّياً ؛ لضَعفِهِ بالحذفِ ، ويُخفَضُ المُستغاثُ لأجلِهِ بلامٍ مكسورةٍ كما يُخفَضُ بها المعطوفُ ، إلَّا إذا كَرَّرتَ (يا) لكونِهِ مُستغاثاً مُستقِلّاً ، فتفتحُ معَهُ اللَّامَ وتَخفِضُ المُستغاثَ منهُ بـ (مِنْ) نحوُ : يا لَزيدٍ لِعمرٍو ، ويا لَبكرٍ لي ، ويا لَهشامٍ ولِخالدٍ ، ويا لَهشامٍ ويا لَخالدٍ ، ويا لَخالدٍ مِنْ جورِ الأحكامِ .

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٢٩٥) .

ولكَ أن تَحذِفَ لامَ المُستغاثِ وتُعوِّضَ منها بعدَ آخِرِهِ أَلِفاً ؛ نحوُ : يا زيدَا لعمرٍو .

ومثلُ المُستغاثِ : المُهدَّدُ والمُتعجَّبُ منهُ في كيفِهِ أو كَمِّهِ ؛ نحوُ(١) : [من المديد]

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً ... يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ ٱلْفِرَارُ

في التهديدِ .

وكقولِ العربيِّ حيثُ ينتهي إلىٰ ماءٍ كثيرٍ نميرٍ صافٍ ، وعشبٍ كثيرٍ ريَّانَ ناضرٍ : يا لَلماءِ ، ويا لَلعشبِ .

ومنهُ : يا عجبَا ، وكثيراً ما يَغلطُ القارئُ فيقولُ : (يا عجباً) بالتنوينِ .

فحكمُ المُهدَّدِ والمُتعجَّبِ منهُ . . حكمُ المستغاثِ .

* *

الحالةُ الثالثةُ : أَلَّا يكونَ المنادىٰ مفرداً مُعرَّفاً ، بل إمَّا أن يكونَ مضافاً وما يضارعُهُ ، وإمَّا أن يكونَ نكرةً :

وحكمُهُ حينَئذٍ : النصبُ لفظاً أو تقديراً ؛ نحوُ : يا أخا فهمٍ ، ويا فتى الفتيانِ ، والمرادُ بما يضارعُ المضافَ : ثلاثةُ أشياءَ :

ـ أحدُها : الاسمُ العاملُ ؛ نحوُ : يا حسناً وجهُهُ ، ويا محسناً أعمالَهُ ، ويا بصيراً بأمرِهِ .

ـ الثاني : الاسمُ الموصوفُ بجملةٍ أو ظرفٍ ؛ كقولِهِ(٢) : [من الوافر]

أَعَبْداً حَلَّ فِي شُعَبَىٰ غَرِيباً ... أَلُؤْماً لَا أَبَا لَكَ وَٱغْتِرَابَا

---

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة في « ديوانه » (ص ٣٥) .

(٢) تقدم (١/٢٤٥) .

وكقولِهِ [1] : [من الطويل]

أَيَا شَاعِراً لَا شَاعِرَ ٱلْيَوْمَ مِثْلُهُ ... جَرِيرٌ وَلَـٰكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

وكقولِهِ [2] : [من الطويل]

أَدَاراً بِحُزْوَىٰ هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً ... فَمَاءُ ٱلْهَوَىٰ يَرْفَضُّ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

ـ الثالثُ : العددُ المُشتمِلُ على العطفِ ؛ كأحدٍ وعشرينَ ، واثنَينِ وعشرينَ .

وكلُّ ذٰلكَ يُستعملُ في مُعيَّنٍ ، وفي غيرِ مُعيَّنٍ ، ويَظهرُ ذٰلكَ في الأوصافِ .

فعلى الأوَّلِ : تقولُ : يا غلامَ خدمةِ الماهرَ ، ويا حسناً وجهُهُ المحسنَ ، ويا ثلاثةً وثلاثينَ الأذكياءَ .

وعلى الثاني : تقولُ : ماهراً ، ومحسناً ، وأذكياءَ .

غيرَ أنَّ الموصوفَ بجملةٍ أو ظرفٍ لا يُوصَفُ بعدُ بالمعرفةِ ، كأنَّهُم استنكروا صفةَ المعرفةِ بعدَ صفةِ النكرةِ .

والصحيحُ : جوازُ نداءِ النكراتِ ؛ وهيَ ما لا يُقصَدُ بها مُعيَّنٌ ، موصوفةً وغيرَ موصوفةٍ ؛ نحوُ : يا غافلينَ وقد ترادفَتِ المُذكِّراتُ ، ونحوُ : يا رجلاً يرجو رحمةَ ربِّهِ ويَخافُ غضبَهُ .

هـٰذا ؛ ومِنَ المنادىٰ : أسماءُ الأشياءِ التي يُتوجَّعُ منها ، أو يُتفجَّعُ عليها ، ويُسمَّىٰ نداؤُها : ندبةً ، ويُسمَّى المنادىٰ : مندوباً .

ولا يُندَبُ إلَّا معرفةٌ بالعلميَّةِ ، أو بالإضافةِ إلىٰ مُعيَّنٍ ، أو بصلةٍ مشهورةٍ فيما بينَ الناسِ ؛ نحوُ : وا زيدُ ، بضمِّ آخِرِهِ مُتفجَّعاً عليهِ ، ونحوُهُ : وا كبيرَ

---

(١) القائل هو الصلتان العبدي ، كما في « خزانة الأدب » (٢/١٧٤) .

(٢) القائل هو ذو الرُّمة في « ديوانه » (١/٤٥٦) .

البلدِ ، وا عظيمَ الكرماءِ ، وا غلامي ، وا غلامَكَ ، وا غلامَكِ . . . إلىٰ آخرِ الضَّمائرِ ، وا مَنْ حفرَ بئرَ زمزمَ ؛ ندبةً لعبدِ المُطَّلبِ جدِّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ؛ لكونِهِ اشتَهرَ في ذٰلكَ الأوانِ بمضمونِ هٰذهِ الصِّلةِ ، وا مَنْ وضعَ علمَ النحوِ ؛ لأبي الأسودِ الدُّئِلِيِّ ؛ لاشتهارِهِ بذٰلكَ ، وا مَنْ بنى القاهرةَ ؛ ندبةً لجوهرٍ القائدِ مملوكِ المُعزِّ لدينِ اللهِ ، أوَّلِ ملوكِ الفواطمِ بمصرَ لذٰلكَ .

ولكَ أن تزيدَ بعدَ ما تَنطِقُ بهِ في الندبةِ أَلِفاً ، وتَحذِفَ لأجلِها ما قبلَها مِنْ تنوينٍ أو أَلِفٍ ؛ فنحوُ : (وا موسىٰ) يحتملُ أن تكونَ الألِفُ آخِرَ المندوبِ ، أو زائدةً وآخِرُهُ محذوفٌ ، وتَقلِبَ ضمَّةَ المضمومِ وكسرةَ المكسورِ فتحةً لأجلِ الأَلِفِ التي تزيدُها ، وتُسمِّيها : أَلِفَ النُّدبةِ ، إلَّا إذا كانَتِ الضَّمَّةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ؛ فإنَّكَ تزيدُ بعدَها عِوَضَ الأَلِفِ واواً ؛ نحوُ : وا غلامَهُو ، فالضَّمَّةُ تُميِّزُ ضميرَ المُذكَّرِ مِنْ ضميرِ المُؤنَّثِ ، فلو زدتَ أَلِفاً وقلتَ : وا غلامَها . . لالتبسَ بضميرِ الأُنثىٰ .

وإلَّا إذا كانَتِ الكسرةُ مُميِّزةً شيئاً مِنْ شيءٍ ، فإنَّكَ تزيدُ بعدَها ياءً ؛ نحوُ : وا غلامَكي ، خطاباً لأُنثىٰ ؛ فإنَّكَ لو قلتَ : وا [غلامَكَا] . . لالتبسَ بخطابِ الذَّكَرِ .

ولكَ أن تزيدَ وقفاً هاءَ سكتٍ ؛ فتقولَ وا زيداهْ ، وا غلامَكيهْ ، وا غلامَهُوهْ .

ولكَ أن تأتيَ بالمندوبِ مُجرَّداً مِنَ المَدِّ والهاءِ كما رأيتَ .

وقد حذفَتِ العربُ تخفيفاً مِنْ آخِرِ المنادىٰ غيرِ المندوبِ ، وغيرِ المُستغاثِ ، وغيرِ ذي الإضافةِ وشبهِها ، وغيرِ ذي التركيبِ الإسناديِّ ، وسمَّاهُ النحويونَ : ترخيماً .

فإذا كان المنادىٰ مختوماً بتاءِ التأنيثِ . . رُخِّمَ بحذفِها فقطْ .

وإذا لم يكنْ مختوماً بها . . حُذِفَ آخِرُهُ إن كانَ عَلَماً زائداً علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ ؛ كـ (يا سُعا) في سُعادَ .

ويُحذَفُ معَ الآخِرِ ما قبلَهُ إن كانَ أَلِفاً زائدةً ، أو واواً قبلَها ضمَّةٌ ، أو ياءً قبلَها كسرةٌ ، وكانَتِ الأحرفُ الثلاثةُ مسبوقةً بثلاثةِ أحرفٍ ؛ نحوُ : (يا مَرْوُ) في مروانَ ، و(يا سَلْمُ) في سلمانَ ، ويا (أَسْمُ) في أسماءَ ، و(يا مِسْكُ) في مِسكينٍ علماً ؛ كمسكينٍ الداريِّ ، و(يا مَنْصُ) في منصورٍ .

وإن كانَ المنادىٰ مُركَّباً مزجيّاً . . رُخِّمَ بحذفِ عَجُزِهِ ؛ نحوُ : (يا بَعْلُ) في بعلبكَّ ، و(يا معدي) في [معديكربَ] .

وإذا حذفتَ مِنَ المنادىٰ ما حذفتَ ترخيماً . . فلكَ فيما بقيَ وجهانِ :

الأَوَّلُ : أن تبقيَهُ علىٰ صورتِهِ قبلَ الحذفِ ، فيكونُ المحذوفُ ملحوظاً بحالتِهِ ، ويُسمَّىٰ : **لغةَ مَنْ يَنتظِرُ** ؛ أي : يَنتظِرُ المحذوفَ .

الوجهُ الثاني : أن تجعلَهُ منادىً مُستقِلّاً ، وتقطعَ النظرَ عنِ المحذوفِ ، فتَضُمَّ آخِرَ ما بقيَ معَكَ ، ويُسمَّىٰ : **لغةَ مَنْ لا يَنتظِرُ** .

وإذا حصلَ بعدمِ الانتظارِ اشتباهٌ . . وجبَ الانتظارُ ، فإذا رخمتَ نحوَ : (مُسْلِمةٍ) . . وجبَ أن تقولَ : يا مُسْلِمَ ، بفتحِ الميمِ ؛ إذ لو ضممتَ . . لاشتبهَ بنداءِ مَنِ اسمُهُ مسلمٌ بلا تاءٍ .

وقد عاملَتْ لغةُ مَنْ لا يَنتظِرُ ما بقيَ معاملةَ الأسماءِ التامَّةِ ، فأعطتْهُ ما يَستحِقُّهُ حَسَبَ ما أفادَتْكَ القواعدُ الصَّرفيَّةُ .

مثلاً : إذا ناديتَ (ثمودَ) ورَخَّمتَهُ . . لزمَ أن يكونَ اسماً آخِرُهُ واوٌ قبلَها ضمَّةٌ ، وقد عرفتَ أنَّهُ غيرُ موجودٍ في اللغةِ ، فوجبَ لذٰلكَ قلبُ الواوِ ياءً ، وإبدالُ الضَّمَّةِ كسرةً ؛ فتقولُ : يا ثَمِي ، ويصيرُ مِنَ المنقوصِ .

وإذا ناديتَ نحوَ (حَلاوةٍ) و(هِدايةٍ) . . قلتَ : يا حَلاءُ ويا هِداءُ ، بإبدالِ الواوِ والياءِ همزةً ، كما عرفتَ في نظائرِهِ ؛ كسماءٍ وشراءٍ ، ومَنِ استحضرَ ما عرفَ . . لم يَصعُبْ عليهِ اعتبارُ ما يلزمُ .

وبعضُ **الأسماءِ لا تُستعمَلُ في الكلامِ إلَّا مناداةً** ؛ وهيَ : نَوْمانُ ؛ فتقولُ : يا نَوْمانُ ؛ سبّاً بالكسلِ والبلادةِ والوخامةِ ، ولُؤْمانُ بضمّ أولِهِ ، ومَلْأمانُ بفتحة ؛ سبّاً بقوةِ اللؤمِ ، ومَلْكَعانُ كمَلْأمانَ ؛ سباً بالرخاوةِ ، ومَكْذَبانُ ومَخْبَثانُ ، ومَكْرَمانُ ومَطْيَبانُ ؛ مدحاً بهِما .

فهٰذهِ الأسماءُ لا تُستعمَلُ في غيرِ النداءِ ، ولا يُقاسُ عليها ، كما أنَّ (فُلُ) كنايةً عن ذَكَرٍ ، و(فُلَةُ) كنايةً عن أُنثىٰ . . مُختصَّانِ بالنداءِ ، ولا يُستعمَلانِ في غيرِ شعرٍ .

ولكَ أن تُحوِّلَ كلَّ اسمِ فاعلٍ ثلاثيّ يَدُلُّ علىٰ معنىً يُسَبُّ بهِ إلىٰ وزنِ (فَعالِ) ، ويَختصُّ بالنداءِ في سبِّ الإناثِ ؛ فتقولُ : يا خَباثِ ؛ مُحوَّلاً عن خبيثةٍ ، ويا فَجارِ ؛ مُحوَّلاً عن فاجرةٍ ، ويا غَدارِ ؛ مُحوَّلاً عن غادرةٍ ، وليسَ لكَ أن تُحوِّلَ في سبِّ الذُّكورِ .

وقد وردَ التحويلُ في سبِّهِم إلىٰ وزنِ (فُعَلٍ) ، فتَقتصِرُ علىٰ ما وردَ منهُ ؛ نحوُ : يا غُدَرُ ، ويا لُكَعُ ، ويا فُسَقُ ؛ مُضِيّاً بالحكمِ معَ الكثرةِ والقِلَّةِ ، وقد وردَ حذفُ (يا) نحوُ : ﴿ ءَازَرُ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ﴾ (١) في قراءةِ ضمّ الراءِ ، ونحوُ : ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ ﴾ (٢) ، ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ (٣) .

❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام : (٧٤) ، برفع الراء ، وهي قراءة يعقوب ، كما في « النشر في القراءات العشر » (٢/٢٥٩) .

(٢) سورة يوسف : (٢٩) .

(٣) سورة يوسف : (٤٦) .

الموضعُ الثالثُ : تراكيبُ يُقالُ لها : تراكيبُ الاختصاصِ ؛ وهيَ كلُّ تركيبٍ مُشتمِلٍ على اسمٍ يُذكَرُ في أثناءِ جملةٍ أو بعدَها ؛ لتبيينِ الموضعِ الذي يُخَصُّ بهِ حكمُ الجملةِ ، ويكونُ مطابقاً للمحكومِ عليهِ فيها ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ : « نَحْنُ ـ مَعَاشِرَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ـ لَا نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ »[١] ، فلفظةُ (معاشرَ) اسمٌ ذُكِرَ في أثناءِ جملةٍ ؛ لبيانِ الموضعِ المخصوصِ بحكمِ الجملةِ الذي هوَ ثبوتُ عدمِ الإرثِ ، وكونُ المتروكِ صدقةً ، المُعبَّرُ عنهُ بـ (نحنُ) ، وهوَ مطابقٌ للمحكومِ عليهِ وهوَ (نحنُ) ، والفعلُ الناصبُ المحذوفُ وجوباً : أَخُصُّ معاشرَ الأنبياءِ .

ونظيرُهُ : قولُهُم : نحنُ ـ العربَ ـ أقرى الناسِ للضَّيفِ ، وفي ذكرِ هٰذا الاسمِ رفعُ بهامةٍ في (نحنُ) ، وقد يكونُ لمُجرَّدِ التعاظُمِ ؛ نحوُ : أنا ـ فتى الفتيانِ ـ أُكرِمُ الضيوفَ ، وأَستعمِلُ السيوفَ ، وكونُهُ بعدَ ضميرِ مُتكلِّمٍ . . أكثرُ مِنْ كونِهِ بعدَ ضميرِ خطابٍ .

وقد يُؤتىٰ بلفظِ (أيّ) و(أيَّةٍ) مُفسَّراً باسمٍ هوَ المُختصُّ في الحقيقةِ ، فيَلزمُهُما الضَّمُّ ، ويُقالُ : إنَّهُما في محلِّ نصبٍ ، والجملةُ الاختصاصيةُ جملةٌ اعتراضيةٌ فائدتُها ما سبقَ أو حاليةٌ .

الموضعُ الرابعُ : تراكيبُ الإغراءِ والتحذيرِ ، ويُسمَّى المفعولُ فيها : مُغرىً بهِ ، أو مُحذَّراً منهُ ؛ نحوُ : الغزالَ الغزالَ ، ونحوُ : سهمَكَ والغزالَ ، ونحوُ : إن لم تَكذِبْ . . فشأنَكَ ومَدْحَ الناسِ ؛ إغراءً علىٰ تقديرِ : اطلبِ الغزالَ ، وخذْ [سهمَكَ] واطلبِ الغزالَ ، وانظرْ شأنَكَ وقلْ مدحَ الناسِ .

---

(١) انظر « البدر المنير » (٧/٣١٤) ، وأصله عند البخاري (٣٠٩٣) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .

ونحوُ : الأسدَ الأسدَ ، ورأسَكَ والسيفَ ؛ **تحذيراً** علىٰ تقديرِ : احذرِ الأسدَ ، وقِ رأسَكَ وتَجنَّبِ السيفَ .

لٰكنْ شرطُ وجوبِ حذفِ الفعلِ تَكرارُ الاسمِ أوِ العطفُ كما رأيتَ ، إلَّا إذا ذكرتَ في عبارةِ التحذيرِ لفظةَ (إيَّاكَ) فإنَّهُ يجبُ الحذفُ بلا شرطٍ ؛ نحوُ : إيَّاكَ الجدلَ في غيرِ حقٍّ .

وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ ٱلْمِرَاءَ فَإِنَّهُ ... إِلَى ٱلشَّرِّ دَعَّاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ(١)

وإيَّاكَ وفعلَ الأراذلِ ، وإيَّاكُم أن تعتمدوا علىٰ غيرِ اللهِ ؛ علىٰ تقديرِ : إيَّاكَ أُحذِّرُ الجدلَ ، وإيَّاكَ أُحذِّرُ وتَجنَّبْ فعلَ الأراذلِ .

❊ ❊

الموضعُ الخامسُ : **تراكيبُ الاشتغالِ** ، وصورتُها أن تذكرَ اسماً تأتي بعدَهُ بفعلٍ أوِ اسمِ فاعلٍ أوِ اسمِ مفعولٍ مُتصِلاً بهِ أو مُنفصِلاً عنهُ ، وَتشغلُهُ بضميرِ ذٰلكَ الاسمِ أو بما يَشتمِلُ علىٰ ضميرِهِ ، وحينَئذٍ يُسمَّى المحذوفُ : **المضمرَ علىٰ شريطةِ التفسيرِ** ، ويُسمَّى المذكورُ مِنَ الفعلِ وصاحبَيهِ : **مُفسِّراً** .

ولمكانِ التفسيرِ وجبَ حذفُ المُفسَّرِ لذكرِ المُفسِّرِ ؛ إذ لا يَجتمِعُ العوضُ والمُعوَّضُ ، لٰكنْ يلزمُ في الأوصافِ المستعملةِ في هٰذهِ التراكيبِ أن تكونَ مُعتمِدةً علىٰ مبتدأً يُذكَرُ قبلَ المفعولِ المحذوفِ ناصبُهُ أو بعدَهُ ، أو علىٰ نفيٍ أوِ استفهامٍ ؛ نحوُ : زيدٌ هنداً مُكرِمُها ، وعمراً أنتَ مُحسِنٌ إليهِ ، وما زيداً صاحبُهُ أخواهُ ، وأزيداً مُربِّيهِ أبواهُ ؟

فكلُّ ذٰلكَ صحيحٌ ، [ولو] وضعتَ فيهِ الفعلَ موضعَ الأوصافِ . . لم يكنِ الحكمُ مختلفاً ؛ تقولُ : زيدٌ هنداً يُكرِمُها . . . وهٰكذا ، بخلافِ [ما إذا] لم

---

(١) البيت من الطويل ، وهو من شواهد « الكتاب » لسيبويه (١/٢٧٩) .

يَعتمِدِ الوصفُ ؛ فإنَّهُ لا يجوزُ استعمالُهُ في هـٰذهِ التراكيبِ كما يجوزُ استعمالُ الفعلِ ؛ تقولُ : زيداً يُكرِمُهُ أصحابُهُ ، ولا تقولُ : زيداً مُكرِمُهُ أصحابُهُ .

هـٰذا ؛ والمضمرُ علىٰ شريطةِ التفسيرِ إن أمكنَ تقديرُهُ مِنْ مادَّةِ المُفسِّرِ . . فذاكَ ، وإلَّا . . قَدَّرتَ ما يناسبُهُ ويَدُلُّ عليهِ ؛ فتقولُ في نحوِ : طريقَ الحقِّ سلكتَها ، التقديرُ : سلكتَ طريقَ الحقِّ ، وفي نحوِ : مذهبَ الخيرِ أنتَ رافعٌ منارَهُ ، التقديرُ : أوضحتَ وبَيَّنتَ مذهبَ الخيرِ ، وفي نحوِ : زيداً اشتريتَ غلامَهُ : بايعتَ أو لابستَ زيداً ، وفي نحوِ : زيداً مررتَ بهِ إلى الحاكمِ : أذهبتَ زيداً .

وباعتبارِكَ هـٰذهِ الأمثلةَ لا يَصعُبُ علىٰ ذوقِكَ ولا يَبعُدُ عن إدراكِكَ تقديرُ ما يناسبُ في نحوِ : زيداً ضربتَ عمراً وأخاهُ ، وشتمتَ رجالاً يصحبونَهُ .

هـٰذا ؛ واعلمْ : أنَّ هـٰذا الاسمَ الذي نحنُ في إبانةِ كونِهِ مفعولاً واجباً حَذفُ عاملِهِ . . لا يلزمُ أن يكونَ كذٰلكَ إلَّا في بعضِ التراكيبِ ، ولذٰلكَ تنقسمُ التراكيبُ المُشتمِلةُ علىٰ هـٰذا الاسمِ أربعةَ أقسامٍ : قسمٌ يَتعيَّنُ فيهِ نصبُ الاسمِ المذكورِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ النصبُ ، وقسمٌ يستوي فيهِ النصبُ والرفعُ بالابتداءِ ، وقسمٌ يَترجَّحُ فيهِ الرفعُ .

ـ **القسمُ الأوَّلُ** : كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَختصُّ بالفعلِ ؛ كأدواتِ الشرطِ والتحضيضِ و(هل) نحوُ : إنْ زيداً أكرمتَهُ . . أكرمَكَ ، وهلَّا زيداً تُكرِمُهُ ، وهل زيداً اختبرتَهُ .

ـ **القسمُ الثاني** : كلُّ تركيبٍ وقعَ فيهِ الاسمُ بعدَ ما يَغلِبُ صحبتَهُ للفعلِ ؛ كهمزةِ الاستفهامِ ؛ نحوُ : أزيداً أكرمتَهُ ؟ وحيثُ ؛ [نحوُ] : أجلسُ حيثُ زيداً وجدتَهُ ، أو قبلَ فعلٍ ذي طلبٍ ؛ نحوُ : زيداً أكرمْهُ ، وعمراً لا تُهِنْهُ ، أو عُطِفَ ذٰلكَ التركيبُ علىٰ جملةٍ فعليَّةٍ ؛ نحوُ : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

مُّبِينٌ ۝ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ . . . ﴾ (١) ، أو كانَ نصبُ الاسمِ الواقعِ فيهِ يُعيِّنُ المقصودَ ، والرفعُ يَحتمِلُ غيرَهُ ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٢) ؛ فإنَّ المقصودَ الحكمُ بأنَّ خَلْقَ كلِّ شيءٍ بقَدَرٍ ، لا أنَّ الأشياءَ المخلوقةَ بقَدَرٍ .

ـ القسمُ الثالثُ : كلُّ تركيبٍ وقعَ بعدَ جملةٍ اسميَّةٍ والخبرُ فيها جملةٌ فعليَّةٌ ؛ نحوُ : زيدٌ كَرُمَتْ شمائلُهُ والإحسانُ تحققتُهُ منهُ .

ـ القسمُ الرابعُ : ما عدا تلكَ التراكيبَ .

ولمَّا كانَ المفعولُ في غيرِ الموضعِ الأوَّلِ مُختصّاً بأحكامٍ مُفصَّلةٍ في مسائلَ . . ترجمَ النحويونَ لكلِّ جملةٍ متناسبةٍ مِنْ تلكَ المسائلِ ؛ فقالوا : بابُ النداءِ ، وبابُ الاختصاصِ ، وبابُ الإغراءِ والتحذيرِ ، وبابُ الاشتغالِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة النحل : (٤ ـ ٥) .

(٢) سورة القمر : (٤٩) .

المفعولُ المطلقُ

مصدرٌ ، يُذكَرُ بعدَ مشتقٍّ يكونُ ناصباً لهُ ؛ **لأحدِ أغراضٍ ثلاثةٍ :**

توكيدُ معنىٰ ناصبِهِ : ليفيدَ أنَّ معناهُ هوَ المرادُ باللفظِ ، وليسَ المرادُ معنىً آخرَ عُبِّرَ عنهُ بلفظِهِ مبالغةً ؛ نحوُ قولِكَ : ضربتُ زيداً ضرباً ، وأنا مهينُهُ إهانةً ؛ فلفظُ (ضرباً) مصدرٌ أكَّدتَ بهِ معنىٰ (ضربَ) لتفيدَ أنَّ الحاصلَ منكَ ضربُ زيدٍ لا نوعٌ مِنْ أنواعِ الأذيَّةِ ؛ كالشتمِ ، عَبَّرتَ عنهُ بالضَّربِ مبالغةً .

وبيانُ نوعِهِ : نحوُ : ضربتُ زيداً ضرباً شديداً أو ضعيفاً ، وتَكلَّمَ عمرٌو تَكلُّماً حسناً ، وسارَ سيراً طويلاً .

أو بيانُ عددٍ : نحوُ : وثبتُ وثبةً ، وقامَ قَوْمةً ، وتَكلَّمَ زيدٌ تكلُّمَينِ : تَكلُّماً أعجبَ ، وتَكلُّماً لم يُعجِبْ ، وشربَ بكرٌ شَرَباتٍ .

[ما ينوبُ عنِ المصدرِ]

وينوبُ عنِ المصدرِ أشياءُ فتُسمَّىٰ : مفعولاً مطلقاً بالنيابةِ ؛ وهيَ أربعةَ عشرَ :

ـ لفظةُ (كلٍّ) أو (بعضٍ) مضافتَينِ إليهِ ؛ نحوُ : اجتهدَ زيدٌ كلَّ الاجتهادِ ، وتوانىٰ عمرٌو بعضَ التواني ؛ وذٰلكَ لبيانِ النوعِ ؛ إذِ المعنى : اجتهاداً كاملاً ، وتوانياً قليلاً .

ـ والإشارةُ إليهِ ؛ نحوُ : زجرتُهُ ذٰلكَ الزجرَ فلم يُفِدْ فيهِ ؛ لبيانِ النوعِ أيضاً ؛ إذِ المعنى : الزجرَ الشديدَ الذي اطلعتَ عليهِ .

ـ وعددُهُ ؛ نحوُ : مررتُ بهِ عشرينَ مَرَّةً .

ـ وأداةُ السُّؤالِ عن عددِهِ ؛ نحوُ : كم مَرَّةً مررتَ بهِ ؟

ـ والسُّؤالُ عن نوعِهِ ؛ كـ : أيَّ وصفٍ وصفتَ زيداً ؟ علىٰ معنىٰ : أوَصفاً حسناً وصفتَ زيداً أم وصفاً غيرَ حسنٍ ؟

ـ ومصدرُ فعلٍ غيرِ فاعلِهِ على التشبيهِ بهِ بعدَ حذفِهِ وحذفِ أداةِ التشبيهِ ؛ نحوُ : قرأَ زيدٌ قراءةَ العلماءِ ؛ علىٰ تقديرِ : قراءةً مثلَ قراءةِ العلماءِ .

ـ ومصدرُ فعلٍ فيهِ معنىٰ فعلِهِ ؛ نحوُ : فرحَ زيدٌ بكذا جَذَلاً ؛ إذِ الجَذَلُ الفرحُ الشديدُ ، وسكتَ صمتاً ؛ إذِ الصَّمتُ السكوتُ المقصودُ لخيريَّةِ السكوتِ .

ـ واسمُ عينٍ مِنْ مادَّةِ الفعلِ ؛ نحوُ : ﴿ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴾ (١) .

ـ واسمٌ بمعناهُ يُقالُ لهُ : اسمُ المصدرِ ؛ نحوُ : أعطىٰ زيدٌ عطاءً ؛ بمعنىٰ : إعطاءً .

ـ وضميرُهُ ؛ نحوُ : أعجبَني القولُ الذي قلتَهُ ؛ أيِ : النطقُ الذي نطقتَهُ .

ـ وصفتُهُ ؛ نحوُ : سرتُ طويلاً ؛ أي : سيراً ، ولبثنا قليلاً ؛ أي : لُبْثاً .

ـ وآلتُهُ ؛ نحوُ : ضربتُهُ سوطاً ، أو عَصَوَينِ ، وفي هـٰذا معَ بيانِ آلةِ الفعلِ بيانُ عددِهِ ، أليسَ المعنىٰ : ضربتُهُ ضربةً بسوطٍ ، وضربتَينِ بعصاً ؟!

ـ وألفاظٌ وُضِعَتْ لبيانِ أنواعِ أفعالٍ ؛ نحوُ : رجعَ القهقرىٰ ؛ أي : بظهرِهِ إلىٰ خَلْفٍ ، وقعدَ القُرْفُصاءَ ، واشتملَ الصَّمَّاءَ ، واعتمَّ القَفْداءَ ؛ أي : التفَّ بثوبِهِ ، ولم يُرسِلْ مِنْ [عِمامتِهِ] شيئاً ، وهـٰذهِ الثلاثةُ ممدودةٌ ، وعدا الجَمَزَىٰ ، والمَرَطَىٰ ، والبَشَكَىٰ ؛ أي : عدواً شديداً ، ومشى الحمارُ حَيَدَىٰ ؛ أي : مُتلوِّياً إلىٰ يمينٍ مَرَّةً وإلىٰ شِمالٍ مَرَّةً ، في ألفاظٍ أُخَرَ .

---

(١) سورة نوح : (١٧) .

ولأبي الطيّبِ [1] : [من المتقارب]

أَلَا كُـلُّ مَـاشِـيَـةِ ٱلْـخَـيْـزَلَـىٰ فِـدَىٰ كُـلِّ مَـاشِـيَـةِ ٱلْـهَـيْـدَبَـىٰ

فالهَيْدَبَىٰ : نوعٌ مِنْ مشيِ الإبلِ ، والخَيْزَلَىٰ : نوعٌ مِنْ مشيِ النساءِ ؛ يقولُ : تركَ الهزلَ وأخذَ في الجِدِّ ، فهوَ يفدي النوقَ بالنساءِ .

والمصدرُ المُؤكِّدُ تكريرٌ للفعلِ ؛ فمَنْ قالَ : ضربتُ ضرباً . . كأنَّهُ قالَ : ضربتُ ضربتُ ، ولذٰلكَ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ ، بخلافِ المُبيِّنِ للنوعِ والمُبيِّنِ للعددِ ؛ تقولُ : سرتُ سيرَيِ الغاوي والراشدِ .

ويُحذَفُ ناصبُ المفعولِ المُطلَقِ إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، ويجبُ حذفُهُ :

إذا أُقيمَ المصدرُ مُقامَهُ في الطَّلبِ ؛ نحوُ : قراءةً للعِلْمِ ؛ أيِ : اقرأ العِلْمَ ، فهوَ بدلُ الفعلِ ، ولذٰلكَ يُؤكِّدُ ويُبيِّنُ نوعُهُ وعددُهُ ؛ فتقولُ : ضرباً زيداً ضرباً ، وضربَ تأديبٍ ، وضَرَباتٍ .

وإذا كانَ بعدَ استفهامٍ توبيخيٍّ ؛ نحوُ : أتوانياً وقد جدَّ الناسُ ؟! أي : أتتوانىٰ ؟!

وإذا فُصِلَ بـ (إمَّا) نحوُ : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [2] ؛ أي : فإمَّا تَمنُّونَ ، وإمَّا تَفدونَ .

وإذا كُرِّرَ وكانَ عاملُهُ خبراً عنِ اسمٍ لا يكونُ المصدرُ خبراً عنهُ إلَّا مجازاً ، وإذا كانَ مقصوراً عليهِ كذٰلكَ ؛ نحوُ : أنتَ سيراً سيراً ؛ أي : تسيرُ ، وما أنتَ إلَّا سيراً ، وإنَّما أنتَ سيرةَ الحكماءِ ، وإنَّكَ حفظاً حفظاً ، ويجوزُ أن

---

(١) انظر « ديوان المتنبي » (ص ٣٨٢) ، وفيه : (الهيذبىٰ) بدل (الهيدبىٰ) وهما بمعنىً .

(٢) سورة محمد : (٤) .

يكونَ منهُ : ما كنتَ إلَّا اشتغالاً بالخيرِ ، وما وجدتُكَ إلَّا حرصاً على الفائدةِ وابتهاجاً بالنادرةِ .

كما يجوزُ أن يكونَ مُحدَّثاً بهِ خبراً في الأوَّلِ ، ومفعولاً بهِ في الثاني ، كما لو رفعتَ المصدرَ في سابقِهِ .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُشتمِلةٍ علىٰ معناهُ قطعاً ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ : مُؤكِّداً لنفسِهِ ؛ نحوُ : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾[١] ، فـ (وعدَ اللهِ) مفعولٌ مطلقٌ محذوفُ العاملِ وجوباً ، يُسمَّىٰ : مؤكداً لنفسِهِ ؛ لكونِهِ واقعاً بعدَ جملةٍ تَضمَّنَتْ معنى الوعدِ قطعاً ؛ وهيَ : (إليهِ مرجعُكُم) فإنَّها إخبارٌ بأنَّ اللهَ سيحيي الخلقَ ويُعيدُهُم ويَرجِعونَ إلىٰ حسابِهِ ، وهوَ وعدٌ منهُ ، ونحوُ : لزيدٍ عليَّ ألفٌ إقراراً .

وإذا كانَ بعدَ جملةٍ مُتضمِّنةٍ معناهُ لا حتماً ، ويُسمَّىٰ : مُؤكِّداً لغيرِهِ ؛ نحوُ : أنا ناصحٌ لكَ صدقاً ؛ فإنَّ (أنا ناصحٌ لكَ) خبرٌ يَحتمِلُ الصدقَ .

وإذا كان واقعاً بعدَ مصدرٍ في جملةٍ تامَّةٍ علىٰ معنى التشبيهِ ؛ نحوُ : لزيدٍ صوتٌ صوتَ حمارٍ .

وإذا بَيَّنَ فاعلَ فعلِهِ أو مفعولِهِ بذكرِهِ بعدَهُ مُضافاً إليهِ أو مجروراً بلامٍ ؛ نحوُ : بُعْداً لزيدٍ ؛ أي : بَعُدَ زيدٌ بُعْداً ، وحُكْمَ اللهِ ؛ أي : حَكَمَ اللهُ حُكْماً ، وسقياً لكَ ، ورَعْياً لكَ ؛ الأصلُ : سقاكَ اللهُ سَقْياً ، ورعاكَ ، وحفظَكَ ورعايتَكَ كذٰلكَ .

فيُحذَفُ وجوباً في تسعةِ مواضعَ ، وجوازاً في غيرِها : إذا دلَّ عليهِ دليلٌ ، كما إذا قيلَ لكَ : أضربتَ زيداً ؟ فتقولُ : ضرباً ، كما يجوزُ حذفُ المصدرِ

---

(١) سورة يونس : (٤) .

كذٰلكَ ؛ كأن يُقالَ لكَ : هل ضربتَ زيداً ضربَ التأديبِ علىٰ ما صَدَرَ منهُ ؟ فتقولُ : ضربتُهُ ؛ أي : ضربتُهُ ضربَ التأديبِ ، كما يُحذَفُ هوَ وعاملُهُ لو أجبتَ بـ (نعم) أو (لا) .

ويَتقدَّمُ المفعولُ المُطلَقُ ويَتأخَّرُ حَسَبَ الاقتضاءِ حيثُ لا مانعَ .

واعلمْ : **أنَّ الفعلَ مِنْ حيثُ الحَدَثُ يَتضمَّنُ معنيَينِ** : **معنىً مُشترَكٌ بينَ جميعِ الأفعالِ** ويُعبَّرُ عنهُ بالإيجادِ والإيقاعِ والفعلِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، **ومعنىً خاصٌّ يَتعلَّقُ بهِ ذٰلكَ المعنىٰ** .

ألا ترىٰ أنَّكَ تَفهمُ مِنْ قولِنا : ضربَ زيدٌ ، وقامَ عمرٌو : أوجدَ زيدٌ ضرباً ، وأوقعَ عمرٌو قياماً ؟!

فالمعنى الخاصُّ : هوَ المفعولُ ؛ ولذٰلكَ سُمِّيَ الدالُّ عليهِ مفعولاً دونَ تقييدٍ بـ (فيهِ) أو (معَهُ) كما هوَ الحالُ في كلِّ ما يُسمَّىٰ مفعولاً ، ويُوضِّحُ لكَ ذٰلكَ : أنَّهُ ربَّما اعتُبِرَ المعنى العامُّ في الفعلِ المُتعدِّي فلَزِمَ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ (١) ؛ أي : أوجدي الهزَّ بهِ وأوقعيهِ فيهِ ، وقولِ العربيِّ (٢) : [من الطويل]

. . . . . يَجْرحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

أي : يَفعلِ الجرحَ بها .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة مريم : (٢٥) .

(٢) هو ذو الرُّمة . في « ديوانه » (١/١٥٦) ، والبيت بتمامه :

وَإِنْ تَعْتَذِرْ بِٱلْمَحْلِ عَنْ ذِي ضُرُوعِهَا إِلَى ٱلضَّيْفِ يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

المفعولُ لأجلِهِ

وهوَ اسمٌ ، يُذكَرُ لبيانِ العِلَّةِ الباعثةِ على الفعلِ أوِ الغرضِ المُترتِّبِ عليهِ ؛ وهوَ ما يكونُ مُتقدِّماً في التصوُّرِ وتصوُّرُهُ باعثٌ على الفعلِ ، ومُتأخِّراً في الوجودِ ؛ نحوُ : أكرمتُكَ لإكرامِكَ إيَّايَ ، أو أكرمتُكَ لتشكرَني .

وإنَّما يُنصَبُ : إذا كانَ مصدراً ، وقتُهُ ووقتُ فعلِهِ واحدٌ ، وفاعلُهُما كذٰلكَ ؛ نحوُ : قامَ زيدٌ إجلالاً لعمرٍو ؛ فمتىٰ تَخلَّفَ شرطٌ مِنَ الشُّروطِ الثلاثةِ . . لم يُنصَبْ ؛ نحوُ : سافرَ زيدٌ للشتاءِ ؛ فليسَ مصدراً ، وأكرمتُ عمراً لإكرامِهِ إيَّايَ ؛ فليسَ الفاعلُ واحداً ، وأكرمتُ زيداً اليومَ لإهانتي لهُ أمسِ ؛ فليسَ الوقتُ واحداً .

ومنهُ : أزورُ زيداً مِنْ أجلِ لطافتِهِ ، و« دَخَلَتِ ٱمْرَأَةٌ ٱلنَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ ٱلْأَرْضِ »[1] ؛ أي : بسببِ هِرَّةٍ .

ويجوزُ في المستوفي للشروطِ أَلَّا يُنصَبَ ؛ فتقولُ : قامَ زيدٌ لإجلالِ عمرٍو ، فليسَ المفعولُ لأجلِهِ مِنَ المنصوباتِ وجوباً .

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ مقارب .

المفعولُ فيهِ

ويُسمَّىٰ : ظرفاً ؛ لاشتمالِهِ على الفعلِ وإحاطتِهِ بهِ اشتمالَ الظُّروفِ علىٰ مظروفاتِها وإحاطتَها بها .

قد سلفَ لكَ أنَّ جميعَ الألفاظِ التي يَربِطُها بالأفعالِ حروفُ الإضافةِ تُسمَّىٰ : مفعولاً بهِ غيرَ صريحٍ ، ومفعولاً بهِ بواسطةٍ ، ويُقالُ حينَئذٍ للأفعالِ : إنَّها مُتعدِّيةٌ إليها بالواسطةِ ، في مقابلةِ المفعولِ بهِ الصَّريحِ (١) .

فعلىٰ هٰذا تقولُ في نحوِ : أنا جالسٌ هنا لانتظارِ زيدٍ ، وخرجتُ للنزهةِ في يومِ الجمعةِ ، وجلستُ في مجلسِ فلانٍ أُحدِّثُهُ ويُحدِّثُني : إنَّ لفظَ (لانتظارِ) ولفظَ (في يومِ) ولفظَ (في مجلسِ) منصوبةُ الموضعِ ؛ لكونِها مفاعيلَ غيرَ صريحةٍ ، لٰكنِ [اطَّرَدَ] حذفُ الخافضِ في بعضِ المواضعِ ، والتُزِمَ في بعضِها ، ومِنْ تلكَ المواضعِ : المفعولُ لأجلِهِ ، والمفعولُ فيهِ ، وتراكيبُ (أنَّ) بفتحِ النونِ المُشدَّدةِ ، و(أنْ) بسكونِ النونِ ، وتلكَ المواضعُ هيَ التي يكونُ حذفُ حرفِ الإضافةِ فيها قياسيّاً مُطَّرداً حَسَبَ ما تَقرَّرَ في بابِ حروفِ الإضافةِ (٢) .

فاتَّضحَ لكَ أنَّ المفعولَ لأجلِهِ والمفعولَ فيهِ مُنتظِمانِ في المفعولِ بهِ ، لٰكنْ [لاطِّرادِ] حذفِ الخافضِ منهُما والتزامِهِ في بعضِهِما . . جعلَهُما النحويونَ نوعَينِ مُستقِلَّينِ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ ، وترجموا لمسائلِهِما ، نظيرُ ما فعلوا في النداءِ وما معَهُ .

---

(١) انظر (١/١٧٨) .

(٢) انظر (١/١٢٦) .

[ضابطٌ لحذفِ الخافضِ وانتصابِ المخفوضِ على الظرفيةِ]

هٰذا ؛ والذي علينا أن نَعرِفَهُ في هٰذا الموضعِ : أنَّ حذفَ الخافضِ وانتصابَ المخفوضِ على الظرفيَّةِ . . مُطَّردٌ في جميعِ أسماءِ الأزمنةِ ، فنذكرُ بعدَ ما فيه معنى الفعلِ لتعيينِ الزمنِ الذي وقعَ فيهِ الفعلُ نوعاً ما مِنَ التعيينِ ؛ نحوُ : سرتُ شهراً ، وأقمتُ سنةً . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنْ أسماءِ الأزمنةِ وما أُضيفَ إليها ممَّا يفيدُ الاستغراقَ أوِ التبعيضَ ؛ نحوُ : انتظرتُكَ كلَّ اليومِ ، ويوماً ، وبعضَ آخَرَ ، وأكثرَ النهارِ .

وأمَّا أسماءُ الأمكنةِ . . فما كانَ منها لمحدودٍ ذي صورةٍ قارٍّ في موقعِهِ ؛ كالمدينةِ والبلدِ والدارِ والطريقِ . . فلا يَطَّرِدُ فيها ذٰلكَ إلَّا معَ (دخلتُ) و(سكنتُ) و(نزلتُ) تقولُ : دخلتُ دارَ زيدٍ ، وسكنتُ مصرَ ، ونزلتُ بغدادَ .

ويَطَّرِدُ في غيرِ ذٰلكَ ؛ **كأسماءِ الجهاتِ** التي هيَ : فوقٌ ، وتحتٌ ، وأمامٌ ، وقُدَّامٌ ، ووراءُ ، وخَلْفٌ ، ويمنةٌ ، ويسرةٌ ، ويمينٌ ، ويسارٌ ، **وأسماءِ المُقدَّراتِ** ؛ كفَرْسخٍ ، ومِيلٍ ، وشِبْرٍ ، **وكأسماءِ الأمكنةِ** التي سبقَ لكَ أنَّها مِنَ المُشتقَّاتِ ، علىٰ تفصيلٍ فيها **حاصلُهُ** : أنَّ أسماءَ الأمكنةِ المُشتقَّةَ مِنَ الأفعال ؛ إن كانَتْ مأخوذةً مِنْ أفعالٍ دالَّةٍ على الاستقرارِ والكونِ في مكانٍ . . فإنَّها كما تُنصَبُ بأفعالِها تُنصَبُ بما تضمنَ ذٰلكَ المعنىٰ ؛ نحوُ : جلستُ مَجلِسَ زيدٍ ، وأقمتُ مَجلِسَهُ . . . وهٰكذا ؛ كالمكانِ ، والمَقامِ ، والمَسكنِ ، والمَوقِفِ ، والمَقِيلِ ، والمَبيتِ ، وإن لم تكنْ علىٰ هٰذا الحدِّ . . لم تُنصَبْ إلَّا بأفعالِها ، ومِنَ المسموعِ فلا يُقاسُ عليهِ نصبُ أسماءِ الأمكنةِ الدالَّةِ على القربِ أوِ البعدِ ؛ نحوُ : زيدٌ منكَ مَزجَرَ الكلبِ ، ومَناطَ الثُّريَّا ، ومَقعَدَ الخاتِنِ ، ومَقعدَ القابلةِ ، ومَعقِدَ الإزارِ .

[الظروفُ المتصرفةُ وغيرُ المتصرفةِ]

ثمَّ إنَّ بعضَ الظروفِ لم تُستعمَلْ إلَّا منصوبةً أو مخفوضةً بـ (إلىٰ) أو (حتىٰ) ، أو بـ (إلىٰ) فقطْ ؛ نحوُ : حتىٰ متىٰ ؟ وإلىٰ متىٰ ؟ وإلىٰ أينَ ؟ أو مخفوضةً بـ (مِن) التي هيَ للابتداءِ أوِ الظَّرفيةِ نيابةً عن (في) حَسَبَ ما يَقتضيهِ ذوقُكَ ، ويَنساقُ إليهِ فهمُكَ ؛ نحوُ : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْۢ بَعْدُ ﴾ (١) ؛ أي : في الزمنِ السابقِ ، وفي الزمنِ اللاحقِ ، ونحوُ : ﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾ (٢) ، ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ (٣) ، و﴿ خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾ (٤) .

وهٰذهِ الظُّروفُ التي هٰذا شأنُها تُسمَّىٰ : ظروفاً غيرَ مُتصرِّفةٍ ، وما عداها يُسمَّىٰ : ظُروفاً مُتصرِّفةً ، فمعنىٰ كونِها مُتصرِّفةً : أنَّها تَخرجُ عنِ الظَّرفيةِ وما أُلحِقَ بها ، لا أنَّ وصفَ التصرُّفِ ثابتٌ لها معَ كونِها ظُروفاً ؛ تقولُ : يومُ الجمعةِ يومٌ مُباركٌ ، على الابتداءِ والإخبارِ ، ولا ظرفيةَ .

ويَنوبُ عن أسماءِ الأزمنةِ : مصادرُ ، فتُنصَبُ بدلَها ؛ نحوُ : آتيكَ خُفوقَ النجمِ ، وطلُوعَ الشمسِ ، وقُدومَ الحاجِّ ؛ أي : وقتَ خُفوقٍ وطُلوعٍ وقُدومٍ .

ومِنَ المصادرِ النائبةِ عنِ اسمِ زمنٍ ، فيكونُ منصوباً على الظَّرفيةِ بالنيابةِ : المصدرُ المُؤوَّلُ ملاحظةً مِنْ مُشتقٍّ بسابكِ (ما) التي تُسمَّىٰ مَصدريَّةً ظرفيةً ؛ نحوُ : أنا مُنتظِرُكَ ما دامَ هٰذا النجمُ ، فهوَ علىٰ تأويلِ (دوامَ هٰذا النجمِ) ، فـ (دوامَ) منصوبٌ على الظرفيةِ بالنيابةِ ، والأصلُ : وقتَ دوامٍ .

ومنهُ : (رَيْثَما) في نحوِ قولِكَ : انتظرْني رَيْثَما تَقرأُ سورةً وُسْطىٰ ؛ إذ رَيْثَ

---

(١) سورة الروم : (٤) .

(٢) سورة مريم : (٥) .

(٣) سورة الكهف : (٦٥) .

(٤) سورة محمد : (١٦) .

مصدرُ راثَ ؛ بمعنىٰ : بَطُؤَ ، و(ما) التي بعدَها مصدريةٌ فقطْ ، والتقديرُ : ريثَ قراءةٍ ، علىٰ معنىٰ : وقتَ بطْءِ قراءةٍ .

وقلَّ إنابةُ المصدرِ عن ظرفِ المكانِ ؛ نحوُ : جريتُ رميةَ نُشَّابةٍ ؛ أي : مسافةَ رميِها ، وفي الحديثِ : أقطعَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ الزبيرَ حُضْرَ فرسِهِ [1] ؛ أي : مسافةَ حُضْرِها ، والحُضْرُ ـ بضمٍّ فسكونٍ ـ : العَدْوُ ، وأُريدَ بهِ في الحديثِ العَدْوُ حُبْسَةَ نَفَسٍ .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه أبو داوود (٣٠٦٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

المفعولُ معَهُ

هوَ اسمُ الشيءِ الذي فُعِلَ الفعلُ بمَعيَّتِهِ وصحبتِهِ ومقارنتِهِ ، يُذكَرُ مسبوقاً بواوٍ بعدَ الفعلِ المُنبِّهِ علىٰ أنَّهُ حصلَ ووقعَ بمقارنتِهِ ؛ تقولُ : سرتُ والجبلَ حتىٰ وصلتُ لأقصى الصَّعيدِ ، فمعناهُ : أنَّكَ فعلتَ السيرَ والجبلُ مقارنٌ ومصاحبٌ لكَ طولَ سيرِكَ ، وتقولُ لِمَنْ سألَكَ عن موضعٍ : امشِ وهٰذا الطريقَ لا تَنحرِفْ لا يَمنةً ولا يَسرةً . . تَصِلْ إلىٰ مقصودِكَ .

[أحوالُ المفعولِ معَهُ مشاركاً في الفعلِ أو لا]

ثمَّ **المفعولُ معَهُ** : تارةً يكونُ مشاركاً في الفعلِ ، وتارةً لا يكونُ مشاركاً فيهِ ، **غايةُ الأمرِ** : أنَّهُ مُصاحِبٌ للفاعلِ حالةَ الفعلِ في الوجودِ والموضعِ .

ومِنْ حيثُ إنَّ المفعولَ معَهُ يكونُ مشاركاً تارةً وغيرَ مشاركٍ تارةً ؛ فمتىٰ كانَ مشاركاً . . **كانَ عطفُهُ على الفاعلِ أفصحَ وأرجحَ** ، إلَّا إذا أضعفَ العطفَ مُضعِفٌ ، كما إذا كانَ لفظُ الفاعلِ ضميراً مُتصِلاً لم يُفصَلْ بينَهُ وبينَ الواوِ بفاصلٍ ؛ نحوُ : سرتُ وزيدٌ وزيداً إلىٰ بلدِ كذا ؛ فإنَّ النصبَ علىٰ كونِهِ مفعولاً معَهُ أرجحُ ؛ وذٰلكَ لأنَّ الضَّميرَ المرفوعَ المُتصِلَ لا يُعطَفُ عليهِ إلَّا إذا وُجِدَ فاصلٌ بينَهُ وبينَ الواوِ ، فإذاً يكونُ العطفُ أرجحَ في نحوِ : سرتُ أنا وزيدٌ ، وفي نحوِ : سرتُ إلىٰ بلدِ كذا وزيدٌ ، **وأرجحيَّةُ العطفِ** : لكونِهِ نصّاً في المشاركةِ في الفعلِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ المفعولَ معَهُ تارةً يكونُ مشاركاً ، وتارةً يكونُ غيرَ مشاركٍ ، فلا نصَّ فيهِ على المشاركةِ .

ومتىٰ لم يكنِ المفعولُ معَهُ مشاركاً . . وجبَ نصبُهُ وامتنعَ العطفُ ؛ نحوُ : سرتُ والطريقَ ، فالطريقُ غيرُ سائرٍ .

ومتىٰ كانَ الفعلُ مِنَ الأفعالِ الاشتراكيةِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنِ اثنَينِ فصاعداً . . امتنعَ المفعولُ معَهُ ووجبَ العطفُ ؛ كاختصمَ زيدٌ وعمرٌو ، واصطفَّ خالدٌ وبكرٌ ورجلٌ ؛ إذ وضعُ البابِ علىٰ أن يكونَ الفاعلُ يَستقِلُّ بالفعلِ ، وهٰذهِ الأفعالُ لا يمكنُ استقلالُ الواحدِ بها .

وكما أنَّكَ تُنبِّهُ علىٰ مقارنةِ فاعليةِ الفعلِ للمفعولِ معَهُ . . تُنبِّهُ علىٰ مقارنةِ مفعوليةِ الفعلِ به ؛ نحوُ : علفتُهَا تبناً وماءً ؛ حيثُ يكونُ الماءُ حاضراً وقتَ العَلْفِ لا مَسقيّاً ، وإلَّا . . كانَ نصبُ الماءِ علىٰ تقديرِ : وسقيتُها ؛ كقولِ الشاعرِ (1) : [من الرجز]

[عَلَفْتُهَا] تِبْناً وَمَاءً بَارِداً حَتَّىٰ غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا

وقولِهِ (2) : [من الوافر]

إِذَا مَا ٱلْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ ٱلْحَواجِبَ وَٱلْعُيُونَا

أي : كحَّلنَ العيونَ .

[وجوبُ نصبِ المفعولِ معَهُ بفعلٍ محذوفٍ]

ونصبَتِ العربُ المفعولَ معَهُ بفعلٍ محذوفٍ وجوباً بعدَ (كيفَ) و(ما) الاستفهاميتَينِ ؛ فقالوا : كيف أنت وقصعةً مِنْ ثريدٍ ؟ الأصلُ : كيفَ تكونُ وقصعةً . . . ، فكيفَ : خبرٌ مُقدَّمٌ لـ (تكونُ) ، واسمُهُ ضميرُ المُخاطَبِ المُتصِلُ المُستتِرُ ، فلمَّا حُذِفَ الفعلُ . . بَرَزَ الضَّميرُ وانفصلَ ، كما هو

(1) انظر « خزانة الأدب » (٣/١٣٩) .

(2) انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢/٢٤٢) .

العادةُ ، ومعنى العبارةِ : أقادراً تكونُ على التهامِ القصعةِ أم عاجزاً عنهُ ؟ أجابَ بعضُهُم فقالَ : آكُلُها وأقولُ : هل مِنْ مزيدٍ ؟ فذٰلكَ حُطَمةٌ لُهَمةٌ ، ونحوُ : ما أنتَ وهٰذا ؟ لِمَنْ يَتعرَّضُ لِمَا لا خبرةَ لهُ بهِ ؛ أي : ما تكونُ وهٰذا فعلَ بهِ ما ذُكِرَ .

* * *

المُستثنىٰ

وهوَ اسمُ شيءٍ ثُنِيَ وصُرِفَ عنهُ حكمٌ شاملٌ لهُ بأداةٍ مخصوصةٍ ؛ نحوُ : خرجَ أهلُ البلدِ إلَّا زيداً ؛ فزيدٌ : اسمُ شخصٍ صُرِفَ عنهُ حكمٌ وردَ علىٰ أهلِ البلدِ الشاملِ لمُسمَّىٰ زيدٍ ؛ وهوَ الخروجُ .

[أحوالُ المستثنىٰ]

وإنَّما يجبُ نصبُهُ : إذا كانَ بعدَ كلامٍ مُثبَتٍ تامٍّ كالمثالِ ، أو كانَ معَ كلامٍ مَنفيٍّ تامٍّ وقُدِّمَ على المُستثنىٰ منهُ ؛ نحوُ : ما خرجَ إلَّا زيداً أهلُ البلدِ ، فلو لم يكنْ مُتقدِّماً على المُستثنىٰ منهُ . . لم يجبْ نصبُهُ ، **بل جازَ لكَ فيهِ أمرانِ** : أن تَنصِبَهُ مُستثنىً ، وأن تَجعلَهُ تابعاً للمُستثنىٰ منهُ في إعرابِهِ ، ويُسمَّىٰ حينَئذٍ : بدلاً ، كما ستَعرِفُ في شرحِ التوابعِ [١] .

فإذا لم يكنِ الكلامُ تامّاً ؛ بأن حُذِفَ المُستثنىٰ منهُ . . قامَ المُستثنىٰ مَقامَهُ ، وعُومِلَ بما يَقتضيهِ العاملُ ؛ فإن كانَ المُستثنىٰ منهُ مرفوعاً . . رفعتَ المُستثنىٰ ؛ لقيامِهِ مَقامَهُ ؛ نحوُ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ ؛ فتقولُ : ما قامَ إلَّا زيدٌ ، وإذا كانَ منصوباً . . نصبتَ المُستثنىٰ ؛ نحوُ : ما رأيتُ أحداً إلا زيداً ؛ فتقولُ : ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فتَنصِبُهُ علىٰ أنَّهُ مفعولٌ بهِ ، وإذا كانَ مجروراً . . جررتَ المُستثنىٰ ، ونقلتَ إليهِ الخافضَ ؛ نحوُ : ما مررتُ بأحدٍ إلَّا زيدٍ أو زيداً ؛ فتقولُ : ما مررتُ إلَّا بزيدٍ ، وهٰذهِ عبارةُ القصرِ .

ويُقالُ لهٰذا النوعِ مِنَ الاستثناءِ : **الاستثناءُ المُفرَّغُ** ؛ يعني : الاستثناءَ الذي فُرِّغَ فيهِ العاملُ عنِ الاشتغالِ بالمُستثنىٰ منهُ ، وشُغِلَ بالمُستثنىٰ ؛ لعِلْمِكَ أنَّهُ

---

(١) انظر (١/٤٨١) .

أُقيمَ مُقامَهُ ، وأكثرُ ما يكونُ التفريغُ في النفيِ ؛ لأنَّ أكثرَ الإثباتاتِ لا يَصِحُّ فيها التفريغُ ؛ مثلاً : إذا قلتَ : رأيتُ إلَّا زيداً . . كانَ معناهُ : رأيتُ كلَّ أحدٍ إلَّا زيداً ، وهوَ فاسدٌ ، بخلافِ قولِكَ : ما رأيتُ إلَّا زيداً ، فإنَّ معناهُ : ما رأيتُ أحداً إلَّا زيداً ، وهوَ صحيحٌ ؛ لإمكانِهِ .

والتفريغُ الصحيحُ في الإثباتِ . . نحوُ : قرأتُ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) فإنَّ معناهُ : قرأتُ كلَّ القرآنِ إلَّا سورةَ (الرَّعدِ) وهوَ صحيحٌ ، وضابطُهُ : أن يكونَ ثبوتُ الفعلِ لكلِّ أفرادِ جنسِ المُستثنىٰ ممكناً .

[الاستثناءُ بغيرِ (إلَّا)]

ويكونَ الاستثناءُ بحرفٍ هوَ (إلَّا) ، وباسمَينِ هما (غيرٌ) و(سوىً) ، وبأربعةِ أفعالٍ هيَ : (ليسَ) ، و(خلا) ، و(عدا) ، [و (حاشىٰ)] ، وبكلمةٍ مُركَّبةٍ مِنْ فعلٍ وحرفٍ هيَ (لا يكونُ) .

فإذا كانَ الاستثناءُ بـ (غيرٍ) و(سوىً) . . كانَ المُستثنىٰ مجروراً دائماً بالإضافةِ ، وكانَ حكمُ المُستثنىٰ بـ (إلَّا) مِنْ وجوبِ نصبٍ وجوازِ نصبٍ واتباعٍ ومعاملةٍ بما يَقتضيهِ العاملُ . . ثابتاً لكلمتَيْ (غيرٍ) و(سوىً) .

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (ليسَ) . . كانَ المُستثنىٰ منصوباً أبداً علىٰ أنَّهُ خبرٌ لـ (ليسَ) ، واسمُها ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ علىٰ بعضِ الشاملِ للمُستثنىٰ ؛ فإذا قلتَ : خرجَ أهلُ البلدِ ليسَ زيداً . . فهوَ علىٰ إضمارِ ضميرٍ في (ليسَ) يَعودُ علىٰ بعضِ أهلِ البلدِ ؛ فالمعنىٰ : ليسَ بعضُ أهلِ البلدِ المحكومُ لهُم بالخروجِ زيداً ، ومثلُ (ليسَ) : **(لا يكونُ)** .

وإذا كانَ الاستثناءُ بـ (خلا) و(عدا) ؛ فإنْ أتيتَ قبلَهُما بـ (ما) المصدريةِ . . وجبَ نصبُ المُستثنىٰ علىٰ أنَّهُ مفعولٌ بهِ للفعلَينِ ، وفاعلُهُما

ضميرٌ مستترٌ وجوباً يَعودُ علىٰ بعضِ الشاملِ ، كما في (ليسَ) و(لا يكونُ) ، وإن لم تأتِ بـ (ما) المصدريةِ . . جازَ لكَ نصبُ المُستثنىٰ علىٰ ما سبقَ ، وجازَ جرُّهُ بـ (خلا) و(عدا) علىٰ أنَّهُما حرفا جرٍّ ؛ **لأنَّهُما يُستعمَلانِ فعلَينِ ويُستعمَلانِ حرفَينِ ، كما أنَّ (حاشا) كذٰلكَ ، فيجوزُ نصبُ مستثناها وجرُّهُ على الرعايتَينِ .**

فالمُستثنىٰ ليسَ مِنَ المنصوباتِ دائماً ، وبعضُهُ مِنْ أنواعِ المنصوباتِ السابقةِ ، خلا أنَّ عباراتِهِ ملحوظٌ فيها معنىٰ (إلَّا) مخصوصةً بحالٍ لم تكنْ قاصرةً عليهِ في غيرِ الاستثناءِ .

[أحوالُ المستثنىٰ معَ تكرارِ (إلَّا)]

هٰذا ؛ وقد وردَتْ (إلَّا) مُكرَّرةً : فإن كانَ المُستثنىٰ مُتعدِّداً في اللَّفظِ ، واحداً في المعنىٰ ؛ بأن عَبَّرتَ عن شيءٍ باسمَينِ مِنْ أسمائِهِ ؛ نحوُ : إلَّا الفتىٰ إلَّا العَلَا ، و : إلَّا أبا حفصٍ إلَّا عمرَ . . كانَتْ (إلَّا) الثانيةُ مُؤكِّدةً للأُولىٰ تأكيداً لفظيّاً ، وكانَ الاستثناءُ واحداً ، وإذا كانَ مُتعدِّداً لفظاً ومعنىً . . كانَتِ الاستثناءاتُ مُتعدِّدةً أيضاً ، وكانَتْ (إلَّا) مُؤسِّسةً .

وتفصيلُ القولِ حينَئذٍ :

أنَّهُ إذا كانَ الاستثناءُ مُفرَّغاً ؛ فإذا كانَتِ الاستثناءاتُ مِنْ مُستثنىً منهُ واحدٍ . . أعطيتَ العاملَ واحداً مِنَ المُستثنياتِ ، والأرجحُ الأوَّلُ ، [ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ : ما أقبلَ إلَّا زيدٌ إلَّا عمراً إلَّا بكراً ، وإذا كانَ لكلِّ مُستثنىً مُستثنىً منهُ علىٰ حِدَةٍ . . تَعيَّنَ إعطاءُ الأوَّلِ للعاملِ ، ونصبتَ الباقيَ ؛ نحوُ : لا تُكرِمْ إلَّا الحكماءَ إلَّا الفسقةَ منهُم إلَّا التائبَ إلَّا مَنْ لا تُؤثِّرُ التوبةُ في جنايتِهِ .

وإذا لم يكنْ مُفرَّغاً ؛ فإن تَقدَّمَتِ المُستثنياتُ . . وجبَ نصبُها بحكمِ ما سَلَفَ ، وإن تَأخَّرَتْ ؛ فإن كانَ الكلامُ إيجابيّاً . . وجبَ النصبُ كما سَلَفَ أيضاً ، وإن كانَ سلبيّاً . . تَخيَّرتَ في واحدٍ ؛ بينَ إتباعِهِ للمُستثنىٰ منهُ ـ وهوَ الأرجحُ ـ وبينَ نصبِهِ ، ونصبتَ الباقيَ إذا كانَ المُستثنىٰ منهُ واحداً .

وها هنا تركيبٌ وقعَ فيهِ اختلافٌ انبنىٰ عليهِ الاختلافُ في حكمٍ شرعيٍّ ؛ وهوَ نحوُ قولِكَ في الإقرارِ : لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا أربعةً إلَّا ثلاثةً .

فبعضُ الفقهاءِ يقولُ : الاستثناءانِ مِنَ العشرةِ ، فيكونُ المُقَرُّ بهِ ثلاثةً ؛ لأنَّهُ أخرجَ الأربعةَ والثلاثةَ ـ وهيَ سبعةٌ ـ مِنَ العشرةِ ، فبقيَ ثلاثةٌ تكونُ هيَ المُقَرَّ بهِ .

وبعضُهُم يقولُ : إنَّ استثناءَ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ، فيكونُ المُقَرُّ بهِ تسعةً .

وبعضُهُم يقولُ : إنَّ التركيبَ مُحتمِلٌ ، فيَرجِعُ لاستفسارِ المُقِرِّ .

وكلُّ ذٰلكَ إذا أمكنَ الأمرانِ ، وإلَّا . . كانَ استثناءُ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ؛ فلو قالَ المُقِرُّ : لهُ عليَّ عشرةٌ إلَّا تسعةً إلَّا ثمانيةً . . . وهٰكذا إلى الواحدِ . . كانَ المُقَرُّ بهِ خمسةً علىٰ رأيِ مَنْ يقولُ بالاحتمالِ (١) ومَنْ يقولُ : إنَّ استثناءَ كلٍّ ممَّا قبلَهُ ، وباطلٌ لاغٍ عندَ غيرِهِم .

❋ ❋ ❋

---

(١) الذي يقول بالاحتمال . . فإنه يرجع إلى استفسار المقر ، إلا إذا كان هـٰذا المثال مما لا يحتمل غير الخمسة عنده ، والله تعالىٰ أعلم .

الحالُ

وهوَ اسمٌ أو ما يقعُ مَوقِعَهُ مِنْ جملةٍ ، يُذكَرُ لبيانِ الهيئةِ التي يكونُ عليها الفاعلُ حالَ فاعليتِهِ للفعلِ أو المفعولُ حالَ مفعوليتِهِ لهُ ، ويكونُ الفعلُ مُقيَّدَ الحصولِ بها ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً .

فـ (راكباً) : اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدٍ الفاعلِ للمجيءِ التي هوَ عليها حالةَ فاعليتِهِ للمجيءِ ، ونحوُ : أَكرِمْ زيداً مجتهداً في طلبِ العِلْمِ .

فـ (مجتهداً) : اسمٌ ذُكِرَ لبيانِ هيئةِ زيدٍ المفعولِ التي هوَ عليها حالَ المفعوليةِ ، وأفادَتْ أنَّ إكرامَهُ لا يَحصُلُ إلَّا حالةَ اجتهادِهِ .

فحصولُ الفعلِ مُقيَّدٌ بوجودِ الاجتهادِ ؛ فلو قلتَ : (أَكرِمْ زيداً) ولم تَزِدْ . . كانَ المعنىٰ : أنَّ إكرامَكَ لهُ يَحصُلُ مطلقاً غيرَ مُقيَّدٍ بشيءٍ .

[أحوالُ صاحبِ الحالِ وعاملِها]

وللحالِ **صاحبٌ** هوَ المُتصِفُ بها ، و**عاملٌ** هوَ رافعُ صاحبِها أو ناصبُهُ مثلاً .

وأكثرُ ما يكونُ صاحبُ **الحالِ** معرفةً ، ويكونُ نكرةً إن سُبِقَ : بنفيٍ ، أو نهيٍ ، أو استفهامٍ ، أو وصفٍ ، أو تَقدَّمَتْ عليهِ الحالُ .

فالمعرفةُ : نحوُ : جئتُكَ زائراً ؛ فصاحبُ الحالِ تاءُ المُتكلِّمِ ، وهوَ معرفةٌ .

والنكرةُ : نحوُ قولِكَ : ما جاءَ رجلٌ ماشياً ولا راكباً ، ولا يَغتبْ أحدٌ أحداً

مُحتقِراً إثمَ الغِيبةِ ، وأعقلُ الناسِ رجلٌ مسلمٌ عاملاً بعلمِهِ داعياً لدينِهِ لاطفاً بحزبِهِ(١) ، وقولِهِ(٢) : [من مجزوء الوافر]

لِــمَــيَّــةَ مُــوحِــشــاً طَــلَــلُ

ولا يكونُ صاحبُ الحالِ مُضافاً إليهِ إلَّا إذا كانَ المُضافُ جزءاً منهُ أو مثلَ الجزءِ ؛ نحوُ : خذْ بيدِ المظلومِ مُستغيثاً بكَ ، ونحوُ : ﴿ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ﴾(٣) ، وإلَّا إذا كانَ المُضافُ عاملاً فيهِ عملَ الفعلِ ولو بالتأويلِ وملاحظةِ المعنىٰ ؛ نحوُ : أنا مُكرِمُ زيدٍ باذلاً هِمَّتَهُ فيما يعني ، ونحوُ : أنتَ حسنُ الوجهِ نافعاً للناسِ ، ونحوُ قولِكَ وقد رأيتَ رسمَ بابٍ كبيرٍ لدارٍ صغيرةٍ : هـٰذا بابُ الدارِ كبيرةً ، علىٰ معنىٰ : هـٰذا يناسبُ الدارَ كبيرةً .

وعاملُ الحالِ : كلُّ ما فيهِ رائحةُ الفعلِ ملاحظةً ؛ كحرفِ التنبيهِ ، واسمِ الإشارةِ ، وأداةِ التشبيهِ ، وحرفِ التمنِّي ، وما عدا الفعلَ وفروعَهُ يُسمَّىٰ : عاملاً معنويّاً ؛ لأنَّهُ إنَّما عَمِلَ بالمعنى الفعليّ الملحوظِ معَهُ ؛ نحوُ : ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا ﴾(٤) ؛ أي : أُنبِّهُكُم لرؤيتِهِ في تلكَ الحالِ ، أو أشيرُ إليهِ فيها ؛ لأجلِ أن تَتحقَّقوا إمكانَ بشراكُم ، ونحوُ : كأنَّ زيداً جبلٌ مُزاحِماً شدائدَ الأمورِ .

[مواضعُ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ]

ويُحذَفُ عاملُ الحالِ وجوباً في أربعةِ مواضعَ :

الأوَّلُ : إذا كانَتْ مُؤكِّدةً لمعنىٰ جملةٍ ، وسيأتي(٥) .

---

(١) ومثال النكرة المسبوقة باستفهام قول الشاعر : (من البسيط)

يَـا صَـاحِ هَـلْ حُـمَّ عَـيْـشٌ بَـاقِـياً فَـتَـرَىٰ ... لِـنَـفْـسِـكَ ٱلْـعُـذْرَ فِـي إِبْـعَـادِهَـا ٱلْأَمَـلَا

(٢) صدر بيت لكثير عزة ، كما في « ديوانه » (ص ٥٠٦) ، والبيت بتمامه :

لِــمَــيَّــةَ مُــوحِــشــاً طَــلَــلُ ... يَــلُــوحُ كَــأَنَّــهُ خِــلَــلُ

(٣) سورة النحل : (١٢٣) .

(٤) سورة هود : (٧٢) .

(٥) انظر (١/٤٥٣) .

الثاني : إذا كانَتْ سادَّةً مَسدَّ خبرٍ حُذِفَ وجوباً ، وسبقَ [1] .

الثالثُ : إذا كانَتْ لبيانِ زيادةٍ أو نقصٍ ؛ نحوُ : هٰذا يساوي ألفَ درهمٍ فصاعداً أو فنازلاً ؛ أي : فيذهبُ العددُ صاعداً ، وللصَّاحبِ بهاءِ الدينِ زهيرٍ [2] : [من مجزوء الخفيف]

لَعَنَ ٱللهُ صَاعِداً وَأَبَاهُ فَصَاعِدَا
وَبَنِيهِ فَنَازِلاً وَاحِداً ثُمَّ وَاحِدَا

الرابعُ : إذا وقعَتْ في التوبيخِ بالاستفهامِ ؛ نحوُ : أعاصياً وقد أطاعَ الناسُ ؟! أي : أتبقىٰ عاصياً ، ومنهُ : أتميميّاً مَرَّةً وقيسيّاً أخرىٰ ؟!

وفي غيرِ ذٰلكَ يكونُ كبقيةِ الألفاظِ التي يجوزُ حذفُها ؛ اعتماداً على القرائنِ .

ويجوزُ تقديمُ الحالِ علىٰ صاحبِها وعلىٰ عامِلِها : إن كانَ فعلاً مُتصرِّفاً ، أوِ اسمَ فاعلٍ ، أوِ اسمَ مفعولٍ ، لا غيرُ ، إلَّا إذا كانَ العاملُ اسمَ تفضيلٍ وكانَ المُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ كلٌّ منهُما صاحبَ حالٍ ، أو شيئاً واحداً فُضِّلَ علىٰ نفسِهِ باعتبارِ حالَينِ :

فالأوَّلُ : كقولِكَ : زيدٌ مُنفرِداً أنفعُ مِنْ عمرٍو مُصطحِباً جيشاً ؛ فـ (مُنفرِداً) و(مُصطحِباً) : حالانِ ؛ الأُولىٰ لزيدٍ ، والثانيةُ لعمرٍو ، والعاملُ فيهِما لفظُ (أنفعُ) الذي هوَ اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَتْ أُولى الحالَينِ عليهِ .

والثاني : كقولِكَ : هٰذا البَلَحُ بُسْراً أطيبُ منهُ رُطَباً ؛ فـ (بُسراً) و(رُطَباً) : حالانِ للبلحِ ، والعاملُ فيهما لفظُ (أطيبُ) الذي هوَ اسمُ تفضيلٍ ، وقُدِّمَتِ

(١) انظر (١/٣٥٢) .
(٢) انظر « ديوان بهاء الدين زهير » (ص ٨٩) .

الأُولىٰ عليهِ ، والمُفضَّلُ والمُفضَّلُ عليهِ هوَ البَلَحُ باعتبارِ كونِهِ بُسْراً وباعتبارِ كونِهِ رُطَباً .

وتعدَّدُ **الحالُ وصاحبُها واحدٌ** ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ راكباً لابساً أحسنَ ثيابهِ مُتقلِّداً سلاحَهُ ، **وتَتعدَّدُ وصاحبُها مُتعدِّدٌ** ؛ فإذا كانَتْ مِنْ لفظٍ واحدٍ . . ثَنَّيتَ وجمعتَ بحَسَبِ الحالِ ؛ نحوُ : لقيتُ زيداً راكبَينِ ، ولقيتُ العُلماءَ مُتذاكِرينَ ، فإن لم يكونا مِنْ لفظٍ واحدٍ ، بلِ اختلفا في ذاتِهِما ، أو بحَسَبِ ما يَتعلَّقُ بهِما . . أتيتَ بكلٍّ مِنَ الحالَينِ علىٰ حِدَةٍ ؛ نحوُ : لقيتُ راكباً زيداً ماشياً ، ولقيتُ زيداً راكباً ماشياً ، وفي هٰذا تكونُ الحالُ الأُولىٰ للاسمِ الثاني ، والحالُ الثانيةُ للاسمِ الأوَّلِ ، أو بالعكسِ ؛ حَسَبَ ما تعطيهِ القرائنُ ، ونحوُ : لقيتُ راكباً حماراً زيداً راكباً فرساً ، ورأيتُ زيداً راكباً حماراً راكباً فرساً . . كذٰلكَ .

[أقسامُ الحالِ]

وإذا لم يُفهَمْ معنى الحالِ مِنْ لفظٍ مِنَ الألفاظِ المذكورةِ معَها . . سُمِّيَتْ : **حالاً مُؤسِّسةً** .

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ عامِلِها . . سُمِّيَتْ : **مُؤكِّدةً لعامِلِها** ؛ نحوُ : ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[1] ؛ فإنَّ العُثُوَّ معناهُ الإفسادُ ، فلفظُ (مفسدينَ) حالٌ مُؤكِّدةٌ للفظِ (تعثَوا) الذي هوَ عاملُها .

وإذا فُهِمَ معناها مِنْ صاحبِها . . سُمِّيَتْ : **مُؤكِّدةً لصاحبِها** ؛ نحوُ ﴿ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا ﴾[2] ، فـ (جميعاً) : حالٌ صاحبُها لفظُ (مَن)

---

(١) سورة البقرة : (٦٠) .

(٢) سورة يونس : (٩٩) .

الموصولِ بلفظِ (في الأرضِ) ، المُؤكَّدِ بـ (كلُّهُمْ) فُهِمَ منهُ معنى الإحاطةِ والشُّمولِ والعمومِ ، وأُفيدَ هٰذا المعنىٰ بلفظِ (جميعاً) ، فهيَ حالٌ مُؤكِّدةٌ لصاحبِها .

وتكونُ مُؤكِّدةً لمعنىً تَضمَّنَتْهُ جملةٌ اسميةٌ مُنعقِدةٌ مِنِ اسمَينِ جامدَينِ ، وتُسمَّىٰ : **مُؤكِّدةَ الجملةِ** ؛ نحوُ : زيدٌ أبوكَ شَفُوقاً عليكَ ، وعمرٌو أخوكَ مساعداً لكَ ؛ وذٰلك حيثُ تكونُ الجملةُ معطيةً معنى الحالِ التزاماً حَسَبَ ما تَحكمُ بهِ العادةُ ، وهٰذهِ الحالُ في بابِها نظيرةُ المصدرِ المُؤكِّدِ لنفسِهِ في بابِهِ .

وهٰذا مِنْ مواضعِ وجوبِ حذفِ عاملِ الحالِ كما سبقَ الوعدُ بهِ [1] ، وتقديرُهُ : خلقَهُ اللهُ وأودعَهُ طباعَهُ وأظهرَ نتائجَها شَفُوقاً عليكَ .

وأثبتَ بعضُ العلماءِ للحالِ عاملاً غيرَ ما سَلَفَ ؛ وهوَ نسبةُ الخبرِ للمبتدأ وثبوتُهُ لهُ ، وبهِ رُدَّ منعُ سيبويهِ مجيءَ الحالِ مِنَ المبتدأ ، مُعلِّلاً ذٰلكَ بعدمِ ما تكونُ الحالُ قيداً لهُ ، فإنَّها حينَئذٍ تكونُ قيداً للمعنى الفعليِّ الذي يُشَمُّ مِنْ نسبةِ الخبرِ للمبتدأ ، والردُّ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ الحالَ تكونُ حينَئذٍ مِنْ ضميرِ المبتدأ المحمولِ لذٰلكَ الفعلِ الملحوظِ ، وعلىٰ هٰذا تكونُ الحالُ المُؤكِّدةُ للجملةِ المذكورةِ ليسَتْ محذوفةَ العاملِ .

وإذا كانَتِ الحالُ مِنَ الأوصافِ الثابتةِ لصاحبِها دائماً . . سُمِّيَتْ : **حالاً لازمةً** ، وحينَئذٍ لا تفيدُ تقييدَ العاملِ ؛ إذ معنىٰ تقييدِهِ أنَّهُ يَحصُلُ ويُوجَدُ وقتَ وجودِها ، وينتفي حصولُهُ وقتَ انتفائِها وعدمِها ، والحالُ اللَّازمةُ ليسَ لها انتفاءٌ ؛ نحوُ : سألتُ اللهَ عالماً بحالِ السائلينَ ، فالعِلْمُ صفةٌ ثابتةٌ

---

(١) انظر (١/٤٥٠) .

دائماً للهِ تعالى الذي هوَ صاحبُ الحالِ ، وليسَتْ مُقيَّدةً لحصولِ السُّؤالِ ؛ فإنَّكَ لا تَلحَظُ أنَّكَ تَسألُهُ في حالِ ثبوتِ العِلْمِ لهُ دونَ حالِ انتفائِهِ عنهُ ، فإنَّهُ لا ينتفي ، ومِنَ اللَّازمةِ نحوُ : خلقَ اللهُ الزَّرافةَ يدَيها أطولَ مِنْ رجلَيها ، واليَرْبوعَ رجلَيهِ أطولَ مِنْ يدَيهِ .

وإذا كانَتْ مِنَ الأوصافِ التي تثبتُ حيناً وتنتفي حيناً ؛ كرُكوبِكَ ومشيِكَ وقُعودِكَ . . سُمِّيَتْ : **حالاً مُنتقِلةً** ، وهٰذهِ هيَ التي يُقصَدُ بها تقييدُ العاملِ ، فإذا قلتَ : اضربْ زيداً مسيئاً . . فمعناهُ : أطلبُ منكَ ضربَ زيدٍ في حالِ كونِهِ مسيئاً ، فإذا انتفَتْ إساءتُهُ وصارَ محسناً . . فلا أطلبُ منكَ ضربَهُ .

ولا تكونُ الحالُ إلَّا نكرةً : فإذا جاءَتْ معرفةً في اللَّفظِ . . فهيَ نكرةٌ بحَسَبِ المعنى الملحوظِ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ وحدَهُ ، فلفظُ (وحدَهُ) حالٌ ، وهوَ معرفةٌ بإضافتِهِ للضَّميرِ ، لٰكنْ معناهُ : جاءَ زيدٌ مُنفرِداً ، فهوَ نكرةٌ بحَسَبِ الملاحظةِ ؛ إذِ الغرضُ مِنَ الحالِ بيانُ هيئةِ صاحبِها وصفتِهِ ، وذٰلكَ يَحصُلُ بلفظِ النكرةِ ، فلا غرضَ في التعريفِ .

ومنهُ قولُهُم : أقبلَتِ الخيلُ بَدَادِ ؛ كفَجَارِ ، عَلَمَ جنسٍ للتبدُّدِ ؛ أي : مُتبدِّدةً غيرَ مُجتمِعةٍ ، وقولُهُم : أرسلَها العِراكَ ؛ أي : مُعترِكةً ، وهٰذا مِنْ تراكيبَ وردَتْ عنهُم مشتملةً علىٰ مصدرٍ منصوبٍ يُتبادرُ مِنْ فحوى الكلامِ أنَّهُمُ اعتبروهُ حالاً ؛ نحوُ : طلعَ بغتةً ، وأقبلَ ركضاً ، وبذٰلكَ قالَ بعضُ النحويِّينَ حاكماً بشذوذِهِ ، غيرَ مُجيزٍ القياسَ عليهِ ، وأجازَهُ بعضٌ ، ومنهُم مَنْ جعلَهُ مفعولاً مطلقاً ؛ أي : طُلوعَ بغتةٍ ، ومجيءَ ركضٍ .

وأكثرُ ما تكونُ الحالُ مِنَ المُشتقَّاتِ صراحةً : حيثُ عرفتَ أنَّها وصفٌ ،

وجاءَتْ مُشتقَّةً بالتأويلِ والملاحظةِ كما جاءَ أخوها الخبرُ كذٰلكَ ؛ نحوُ : بِيعَ البُرُّ إردبّاً بدينارٍ ؛ أي : مُسعَّراً ، وكلَّمتُهُ فاهُ إلىٰ فِيَّ ؛ أي : مشافهةً ، وبعْهُ كذا يداً بيدٍ ؛ أي : مناقدةً ، وكرَّ زيدٌ أسداً ؛ أي : مُشْبِهاً [لهُ] .

[جملةُ الحالِ وروابطُها]

ثمَّ إنَّ الحالَ تكونُ مفردةً كما رأيتَ ، وتكونُ جملةً خبريَّةً ؛ اسميَّةً أو فعليَّةً ، ماضيَّةً أو مضارعيَّةً ، مثبتةً أو نافيةً ، ولا بدَّ لها مِنْ رابطٍ يَربِطُها بصاحبِها ، ورابطُها : إمَّا ضميرٌ يَعودُ علىٰ صاحبِها ، أو واوٌ تُفتتَحُ بها الجملةُ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ ؛ فـ (يَتبسَّمُ) : جملةٌ فعليةٌ مضارعيَّةٌ حالٌ مِنْ زيدٍ ، مُرتبِطةٌ بالضَّميرِ المُستترِ في الفعلِ العائدِ علىٰ زيدٍ ، ونحوُ : جئتُكَ والشمسُ طالعةٌ ؛ فـ (الشمسُ طالعةٌ) : جملةٌ اسميَّةٌ حالٌ مِنْ ضميرِ المُتكلِّمِ أو مِنْ ضميرِ المُخاطَبِ ، مُرتبِطةٌ بالواوِ الداخلةِ عليها .

ويكونُ الرابطُ الواوَ وحدَها إن لم يكنْ في الجملةِ ضميرٌ كما رأيتَ ، ويكونُ الرابطُ الضَّميرَ وحدَهُ كما رأيتَ أيضاً ، وقد يَجتمِعانِ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ وهوَ ضاحكُ السِّنِّ .

[مواضعُ اقتصار الربطِ على الضميرِ]

لٰكنْ تَمتنعُ الواوُ ، ويجبُ الاقتصارُ في الربطِ على الضَّميرِ في ستةِ مواضعَ :

الأوَّلُ : إذا كانَتْ جملةُ الحالِ مُؤكِّدةً لمضمونِ جملةٍ ؛ نحوُ : هوَ الحقُّ لا شكَّ فيهِ ، و﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة : (٢) .

الثاني : إذا كانَتِ الجملةُ ماضويَّةً عُطِفَ فيها بـ (أو) التعميميةِ ؛ نحوُ : لأُكرِمنَّ زيداً أحسنَ أو أساءَ ، معناهُ : مُتَّصِفاً بأيِّ صفةٍ .

الثالثُ : إذا وقعَتْ بعدَ عاطفٍ ؛ نحوُ : ﴿ بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (1) .

الرابعُ : إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً بـ (ما) نحوُ : عهدتُكَ ما تصبو .

الخامسُ : إذا كانَ مضارعُها مُثبتاً ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ يَتبسَّمُ .

السادسُ : إذا كانَ مضارعُها مَنفيّاً بـ (لا) نحوُ : ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ ﴾ (2) .

وتَتعيَّنُ الواوُ لربطِ المضارعِ المسبوقِ بـ (قد) : نحوُ : ﴿ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ ﴾ (3) .

❋ ❋ ❋

---

(1) سورة الأعراف : (٤) .

(2) سورة المائدة : (٨٤) .

(3) سورة الصف : (٥) .

التمييزُ

اسمٌ يَذكرُهُ المُتكلِّمُ ؛ ليُبيِّنَ بهِ عينَ مرادِهِ مِنِ اسمٍ سابقٍ يَصلُحُ لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ ؛ وهوَ علىٰ نوعَينِ :

النوعُ الأوَّلُ : أن يُذكَرَ الاسمُ الصالحُ لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ أولاً ، ثمَّ يُذكَرَ الاسمُ الذي نُسمِّيهِ تمييزاً لذٰلكَ الغرضِ .

النوعُ الثاني : أن يُلحَظَ الاسمُ الصالحُ للأشياءِ أولاً ولا يُلفَظَ ، ثمَّ يُذكَرَ التمييزُ لذٰلكَ الغرضِ .

[تمييزُ الكيلِ والوزنِ والعددِ والمساحةِ]

شرحُ النوعِ الأوَّلِ : أسماءُ الكيلِ والوزنِ والعددِ والمِساحةِ ؛ مثلاً : تُذكَرُ فيُعلَمُ شيءٌ ما مكيلٌ أو موزونٌ أو معدودٌ أو ممسوحٌ ؛ فإذا قلتَ : عندي إردبٌّ ، أو عندي قنطارٌ ، أو عندي ذراعٌ ، أو عندي عشرةٌ . . فمعناهُ : عندي مكيلُ إردبٍّ ، وموزونُ قنطارٍ ، وممسوحُ ذراعٍ ، ومعدودُ عشرةٍ ؛ فمكيلُ إردبٍّ يَصلُحُ لأن يُرادَ بهِ قمحٌ [1] ، أو شعيرٌ ، أو رزٌّ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ كيلَها ، وكذٰلكَ موزونُ قِنطارٍ يَصلُحُ أن يُرادَ بهِ عسلٌ موزونُ قنطارٍ ، أو سمنٌ ، أو زيتٌ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ التي اعتادَ الناسُ وزنَها ، وهٰكذا في الممسوحِ والمعدودِ .

وحينَئذٍ علمتَ أنَّ هٰذهِ الأسماءَ لا تفيدُ مُخاطَبَكَ مُرادَكَ منها ، فصارَتْ مُبهَمةً ؛ أي : مُبهَماً مُرادُكَ غيرَ مُتعيِّنٍ في ضمنِ الأشياءِ التي تَصلُحُ لإرادتِها هٰذهِ الأسماءُ ، فتَذكرُ اسمَ الشيءِ الذي تريدُهُ ، ويُسمَّىٰ : تمييزاً ؛ لتفيدَ

---

(١) في الأصل زيادة : (مكيل إردب) .

مُخاطَبَكَ مُرادَكَ ؛ فتقولُ : عندي إردبٌّ بُرّاً ، أو قِنطارٌ عسلاً ، وذراعٌ قماشاً ، وعشرةُ عبيدٍ ؛ فـ (برّاً) ومثلُهُ هوَ الذي يُسمَّىٰ تمييزاً ؛ لأنَّهُ مَيَّزَ مُرادَكَ مِنَ الأشياءِ التي كانَ مُختلِطاً بها .

لٰكنْ تمييزُ الكيلِ والوزنِ والمِساحةِ لا يجبُ نصبُهُ ، بل يجوزُ ، ويجوزُ جرُّهُ بإضافةِ اسمِ الكيلِ وغيرِهِ إليهِ ، ويجوزُ جرُّهُ بكلمةِ (مِنْ) ، فلكَ فيهِ ثلاثةُ أوجهٍ ؛ تقولُ : عندي إردبٌّ بُرّاً بالنصبِ ، وعندي إردبُّ بُرٍّ ؛ بجرِّ الإضافةِ ، وعندي إردبٌّ مِنْ بُرٍّ ؛ بجرِّ (مِنْ) ، فليسَ تمييزُ هٰذهِ الأسماءِ مِنَ المنصوبِ وجوباً .

وأمَّا تمييزُ العددِ . . فتمييزُ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ وتمييزُ مئةٍ سواءٌ كانَتْ وحدَها أو مُركَّبةً معَ ثلاثةٍ إلىٰ تسعةٍ ، أو مُثنَّاةً ، وتمييزُ أَلْفٍ . . يجبُ جرُّها ، إلَّا أنَّ تمييزَ الثلاثةِ إلى العشرةِ يكونُ بلفظِ جمعٍ ، وتمييزُ المئةِ والأَلْفِ بلفظِ مفردٍ ، وتمييزُ أحدَ عشرَ إلىٰ تسعةَ عشرَ ، وتمييزُ عشرينَ إلىٰ تسعةٍ وتسعينَ . . يجبُ نصبُهُما ، فليسَ تمييزُ العددِ منصوباً كلِّيّاً ، بل هوَ علىٰ هٰذا التفصيلِ ؛ تقولُ : عندي ثلاثةُ أثوابٍ ؛ بجرِّ إضافةِ اسمِ العددِ إلى اسمِ المعدودِ ، وهٰكذا أربعةُ عبيدٍ ، وعشرةُ أسيافٍ ، ومئةُ درهمٍ ، ومئتا دينارٍ ، وثلاثُ مئةِ عبدٍ ، وأَلْفُ رجلٍ ، وأحدَ عشرَ بيتاً ، [وعشرونَ] داراً ، وتسعٌ وتسعونَ نَعْجةً .

فلو قلتَ : عندي عشرونَ ألفَ رأسٍ مِنَ الغنمِ . . فـ (أَلْفَ) : تمييزٌ لـ (عشرينَ) منصوبٌ وجوباً ، و(رأسٍ) : تمييزٌ لـ (أَلْفَ) مجرورٌ وجوباً .

و﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ [1] : طريقٌ أخرىٰ غيرُ طريقِ التمييزِ ، سُلِكَتْ لزيادةِ التعجيبِ مِنْ هٰذهِ الحادثةِ الغريبةِ ، علىٰ معنىٰ : أردتُ بالعددِ سنينَ ، لا أيّاماً ولا شهوراً .

---

(١) سورة الكهف : (٢٥) .

[تمييزُ النِّسبةِ]

شرحُ النوعِ الثاني مِنَ التمييزِ : هوَ أن تَلحَظَ اسماً صالحاً لأن يُرادَ بهِ أشياءُ كثيرةٌ ولا تَلفِظَهُ ، ولٰكنْ تكونُ هٰذهِ الأشياءُ الكثيرةُ مُتعلِّقةً بشيءٍ فتَذكرُ ذٰلكَ الشيءَ الذي لهُ تلكَ الأشياءُ انتساباً وتَعلُّقاً بهِ ، ناسباً إليهِ أمراً بحَسَبِ الظاهرِ ، وفي الملاحظةِ والاعتبارِ هوَ منسوبٌ للاسمِ المُبهَمِ الملحوظِ ، ثمَّ تَذكرُ اسمَ مُرادِكَ بعدُ تمييزاً .

مثالُ ذٰلكَ : أن تقولَ : طابَ زيدٌ ؛ فلفظُ (طابَ) يَدُلُّ علىٰ حصولِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ الرَّداءةِ ، أوِ الطيبِ الذي هوَ مقابلُ التُّفالةِ ، قاصداً أنَّ شيئاً مِنَ الأشياءِ المُنتسِبةِ لزيدٍ هوَ الموصوفُ بالطيبِ ، لٰكنْ لم تَذكرْ لفظَ الشيءِ ، ونسبتَ (طابَ) إلىٰ (زيدٌ) ، فالتقديرُ : طابَ شيءٌ مِنَ الأشياءِ المُتعلِّقةِ بزيدٍ ، وزيدٌ يَتعلَّقُ بهِ رائحتُهُ ، ونفسُهُ ، وأهلُهُ ، وغِلمانُهُ ، ودُورُهُ ، ودوابُّهُ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، ومُرادُكَ شيءٌ مِنْ تلكَ الأشياءِ بعينِهِ ، فتَذكرُهُ بعدَ زيدٍ تمييزاً ؛ فتقولُ : طابَ زيدٌ رائحةً ؛ أي : عطرَتْ ولم تخبثْ ، وخبثُ الرائحةِ هوَ معنى التُّفالةِ ، أو طابَ زيدٌ داراً ، أو طابَ غلاماً ، أو أباً . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأشياءِ المُتعلِّقةِ بهِ ، وتريدُ أن تصفَها بالطيبِ .

ومنهُ : زيدٌ أعلى الناسِ منزلةً .

ومنهُ : ما أكرمَ زيداً صاحباً ؛ حيثُ تريدُ مدحَ صاحبِهِ دونَهُ .

ومنهُ : للهِ زيدٌ فُروسيَّةً أو فارساً ، وبعضُهُم يُعرِبُ (فارساً) : حالاً ، وهوَ ظاهرٌ ، كما إذا أردتَ مدحَ زيدٍ بقولِكَ : ما أكرمَهُ صاحباً ، فتُعرِبُ (صاحباً) : حالاً ، قالَ جريرٌ (١) : [من الكامل]

لَا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً فِي تَغْلِبٍ فَٱلزَّنْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمُ أَخْوَالَا

---

(١) انظر « ديوان جرير » (١/٦٥) .

فأخوالاً : يُعرَبُ حالاً ، لا تمييزاً ؛ فإنَّكَ تَمدحُ الزَّنجَ وخُؤولتَهُم ، ولا تريدُ أن تَمدحَ أخوالَهُم حتىٰ تكونَ أردتَ شيئاً يُنسَبُ للزَّنجِ ثمَّ بينتَهُ بعدُ كما هوَ شأنُ التمييزِ .

ومنهُ : ضربتُ زيداً ظهراً وبطناً .

وما يكونُ مُفسِّراً لفاعلٍ يُسمَّىٰ : **تمييزَ الفاعلِ** ، وما يكون مُفسِّراً لمفعولٍ يُسمَّىٰ : **تمييزَ المفعولِ** ، وهٰذا النوعُ مِنَ التمييزِ منصوبٌ وجوباً ، وناصبُ التمييزِ الاسمُ المُفسَّرُ بهِ .

والنحويونَ يُسمُّونَ النوعَ الأوَّلَ : **تمييزَ المفردِ** ، ويُسمُّونَ النوعَ الثانيَ : **تمييزَ النسبةِ وتمييزَ الجملةِ** ؛ لأنَّ البَهامةَ بحَسَبِ الظاهرِ في نسبةِ الفعلِ التي هيَ روحُ الجملةِ .

وتحقيقُ القولِ : أنَّ التمييزَ مُفسِّرٌ لمفردٍ مُبهَمٍ دائماً ، غايةُ الأمرِ : أنَّهُ ملفوظٌ أو ملحوظٌ .

ولا يكونُ التمييزُ إلا نكرةً ، ولا يتقدَّمُ علىٰ عاملِ المفسَّرِ .

[أحكامُ تمييزِ العددِ]

هٰذا ؛ وإذا جرىٰ ذكرُ العددِ في هٰذا الموضعِ . . فلا بأسَ أن نُلخِّصَ لكَ بقيةَ أحكامِهِ ، فنقولُ :

اعلمْ : أنَّ الواحدَ والاثنَينِ لا يُميَّزانِ ؛ فلا تقولُ : واحدٌ رجلٌ مثلاً ، استغناءً بإفادةِ لفظِ رجلٍ وامرأةٍ الوَحدةَ ، ولفظِ رجلَينِ وامرأتَينِ الاثنينيَّةَ ، بخلافِ نحوِ رجالٍ ، فلا دلالةَ لهُ علىٰ عددٍ بعينِهِ ، فيُذكَرُ العددُ المقصودُ ، ويُميَّزُ بالمعدودِ ، وأنَّهُ قد خُولِفَ بألفاظِ العددِ مِنْ ثلاثةٍ إلىٰ عشرةٍ مُفرَدةً أو مُركَّبةً طريقُ التأنيثِ والتذكيرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ بعضَ الألفاظِ المُشترَكةِ بينَ الإناثِ

والذُّكورِ تَلحقُها التاءُ عندَ إرادةِ الأُنثىٰ ، وفي العددِ المذكورِ التاءُ معَ المُذكَّرِ ، والعبرةُ في التأنيثِ والتذكيرِ باللَّفظِ ؛ فتقولُ : ثلاثةُ أشخاصٍ ، وأنتَ تريدُ إناثاً ، وثلاثُ أنفسٍ ، وأنتَ تريدُ ذُكوراً .

وقد جاءَ اعتبارُ المعنىٰ ، قالَ عمرُ بنُ أبي ربيعةَ[١] : [من الطويل]

وَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

والأفصحُ : ثلاثةُ أشخاصٍ كما عرفتَ .

وإذا تَعدَّدَ التميزُ وكانَ مُذكَّراً ومُؤنَّثاً ؛ فإن فصلتَ بينَهُ وبينَ العددِ بكلمةِ (بينَ) أو بكلمةِ (مِنْ) في غيرِ يومٍ وليلةٍ ، أو كانَ المُذكَّرُ عاقلاً . . فالعبرةُ بالمُذكَّرِ ؛ تقولُ : ملكتُ خمسةً بينَ عبدٍ وجاريةٍ ، أو بينَ جاريةٍ وعبدٍ ، ومِنْ عبدٍ وجاريةٍ ، وعكسِهِ ، وتقولُ : لقيتُ خمسةَ عشرَ امرأةً ورجلاً .

وإذا لم تَفصِلْ ولم يكنِ المُذكَّرُ عاقلاً . . فالعبرةُ بالسابقِ .

وإن كانَ المُميِّزُ يوماً وليلةً . . فالعبرةُ باللَّيلةِ ؛ فإنَّ اعتبارَ التاريخِ عندَ العربِ باللَّيالي ، قالَ تعالىٰ : ﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[٢] .

وفي الحادي والثاني والثالثِ تَرجِعُ للأصلِ ؛ فتقولُ : المسألةُ الحاديةَ عشرةَ ، والبابُ الرابعَ عشرَ ، وموازنُ فاعلٍ هٰذا تارةً يُستعمَلُ اسمَ فاعلٍ ، ويُضافُ لِمَا يليهِ مِنَ الدَّرجةِ في العددِ ، أو يَنصِبُهُ ؛ فتقولُ : خرجتُ إلى الجهةِ الفلانيةِ عاشرَ تسعةِ رجالٍ ، أو عاشراً تسعةَ رجالٍ ، وتارةً يُستعمَلُ لفظاً دالّاً على الواحدِ مِنَ العددِ ، فيُضافُ لهُ فقطْ ؛ فيُقالُ : خرجَ فلانٌ رابعَ أربعةٍ ، وجاءَ خامسَ خمسةٍ ؛ أي : بعضَ أربعةٍ ، وبعضَ خمسةٍ .

---

(١) انظر « ديوان عمر بن أبي ربيعة » (ص ١٢٧) .

(٢) سورة البقرة : (٢٣٤) .

وإذا أردتَ تعريفَ العددِ ولم يكنْ مُضافاً . . أدخلتَ عليهِ (أل) ، فتقولُ : هاتِ الخمسةَ عشرَ درهماً ، وإذا كانَ مُضافاً . . فالفصيحُ إدخالُ (أل) على المُضافِ إليهِ ، قالَ الشاعرُ في يزيدَ بنِ المُهلَّبِ[١] : [من الكامل]

مَـا زَالَ مُـذْ عَـقَـدَتْ يَـدَاهُ إِزَارَهُ فَـسَـمَـا فَـأَدْرَكَ خَـمْـسَـةَ ٱلْأَشْـبَـارِ

يُدْنِي كَتَائِبَ مِنْ كَتَائِبَ تَلْتَقِي فِـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكِ ٱلْـعَـجَـاجِ مُـثَـارِ

وبعضُ العربِ يُدخِلُ (أل) على الجزأَينِ في المُضافِ والمُركَّبِ .

هٰذا ؛ وتقولُ : أعطيتُ فلاناً كذا ، أو كذا كذا ، أو كذا وكذا ، كنايةً عن عددٍ ؛ فتُميِّزُهُ بمُميِّزٍ تَنصِبُهُ ، أو تَخفِضُهُ بـ (مِنْ) ، فتقولُ : كذا درهماً ، ومِنْ درهمٍ ، ومثلُ (كذا) في هٰذا الحكمِ . . كلمةُ (كأيِّنْ) و(كمِ) الخبريَّةِ التي يُفادُ بها التكثيرُ ؛ نحوُ : كم يدٍ لي عندَكَ ؛ تارةً تُستعمَلُ كالعشرةِ ، فتُميَّزُ بجمعٍ مخفوضٍ بالإضافةِ ، وتارةً تُستعمَلُ كالمئةِ .

و(كمِ) الاستفهاميةُ ؛ نحوُ : كم كتاباً ملكتَ ؟ يجبُ نصبُ تمييزِها إلَّا إذا خُفِضَتْ هيَ بحرفٍ ؛ نحوُ : بكم درهماً اشتريتَ هٰذا ؟ فإنَّهُ حينَئذٍ يجوزُ خفضُهُ بالإضافةِ ، وإلَّا إذا فُصِلَتْ ، فيجوزُ جرُّهُ بـ (مِنْ) نحوُ : ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ ﴾[٢] .

❋ ❋ ❋

(١) هو الفرزدق في « ديوانه » (٤٩٨/١) .

(٢) سورة البقرة : (٢١١) .

الكلامُ على المُضافِ إليهِ
وعلىٰ عواملِ مُعْرَبِ الأفعالِ ، وعلى التوابعِ

المُضافُ إليهِ : هوَ الاسمُ الصَّريحُ أو المُؤوَّلُ ، المخفوضُ بأحدِ حروفِ الإضافةِ ملفوظاً أو ملحوظاً .

[المخفوضُ بحرفٍ ملفوظٍ]

فالأوَّلُ : تتميمُ الكلامِ عليهِ : أنَّ المخفوضَ بـ (مذْ) و(منذُ) لا يكونُ إلا اسمَ وقتٍ ظاهراً .

والمخفوضَ بـ (رُبَّ) لا يكونُ إلا نكرةً ، والمخفوضَ بالكافِ والواوِ و(حتىٰ) لا يكونُ إلَّا ظاهراً ، والتاءُ مُختصَّةٌ بلفظِ الجلالةِ ولفظِ (ربِّ) .

و مثلُ قولِ الشاعرِ (١) : [من الخفيف]

رُبَّـهُ فِـتْـيَـةً دَعَـوْتُ إِلَـىٰ مَـا ... يُـورِثُ ٱلْـمَـجْـدَ دَائِـبـاً فَـأَجَـابُـوا

وقولِ الراجزِ (٢) : [من الرجز]

وَلَـنْ تَـرَىٰ بَـعْـلاً وَلَا حَـلَائِـلَا ... كَـهُـوَ وَلَا كَـهُـنَّ إِلَّا حَـاظِـلَا

شاذٌّ ، وبعضُ العربِ يَخفِضُ بـ (متىٰ) ، وهيَ عندَهُم بمعنىٰ (مِنْ) ، قالَ شاعرُهُم (٣) : [من الطويل]

شَـرِبْـنَ بِـمَـاءِ ٱلْـبَـحْـرِ ثُـمَّ تَـرَفَّـعَـتْ ... مَـتَـىٰ لُـجَـجٍ خُـضْـرٍ لَـهُـنَّ نَـئِـيـجُ

---

(١) تقدم (١٤٤/١) .

(٢) انظر « ديوان رؤبة بن العجاج » (ص ١٢٨) .

(٣) انظر « ديوان الهذليين » (٥٢/١) وهو لأبي ذؤيب الهذلي .

وبعضُ آخَرُ يَخفِضُ بـ (لعلَّ) ، قالَ شاعرُهُم [1] : [من الطويل]

فَقُلْتُ ٱدْعُ أُخْرَىٰ وَٱرْفَعِ ٱلصَّوْتَ جَهْرَةً لَعَلَّ أَبِي ٱلْمِغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ

و(لعلَّ) في هٰذهِ اللُّغةِ . . مثلُ (ربَّ) المخفوضِ بها جزءُ الكلامِ الواقعِ بعدَها ، فهوَ مُعرَبُ اللَّفظِ والمَحَلِّ بإعرابَينِ مُختلِفَينِ .

وقد وردَ : لولا أنا ، ولولايَ ، ولولا نحنُ ، ولولانا . . . إلىٰ آخِرِ الضَّمائرِ ، وعرفتَ أنَّ هٰذا النوعَ مِنَ الضَّمائرِ مُشترَكٌ بينَ النصبِ والخفضِ ؛ نحوُ : غلامُكَ أكرمَكَ [2] ، فقالَ سيبويهِ : إنَّ (لولا) إذاً مثلُ (ربَّ) ، وقالَ آخَرونَ : هوَ مِنْ إنابةِ ضميرٍ عن ضميرٍ [3] ؛ كالإنابةِ في قولِهِم : ما أنا كأنتَ ، ولا أنتَ كأنا .

وإذا اتصلَتْ (ما) بـ (ربَّ) والكافِ . . عَمِلا ، ولم يعملا ، وإذا لم يعملا . . دخلا على الجملتَينِ ، وتُسمَّىٰ حينَئذٍ كلمةُ (ما) الزائدةِ : كافَّةً مُهيِّئةً ؛ لكفِّهِما عنِ العملِ ، وتهيئتِهِما للدُّخولِ على الجملِ ، كما تُسمَّىٰ بهٰذا الاسمِ إذا أبطلَتْ عملَ (إنَّ) وأخواتِها .

[المخفوضُ بحرفٍ ملحوظٍ]

النوعُ الثاني مِنَ المُضافِ : هوَ المخفوضُ بحرفٍ يُلحَظُ ولا يُلفَظُ أصلاً ؛ وذٰلكَ الحرفُ هوَ : **لامُ الملكِ وشبهِهِ** ؛ نحوُ : غلامُ زيدٍ ؛ أي : الغلامُ المملوكُ لزيدٍ ، ونحوُ : سَرجُ الفرسِ ، وبَرْذعةُ الحمارِ .

---

(١) هو كعب بن سعد الغنوي في « خزانة الأدب » (١٠/٤٢٦) .

(٢) انظر (١/٣٦١) .

(٣) انظر « مغني اللبيب » (١/٣٧٧) .

والغرضُ مِنَ الإضافةِ : **تعيينُ المُضافِ** ؛ بإضافتِهِ إلىٰ مُعيَّنٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ المعارفِ ، **وتخصيصُهُ** بإضافتِهِ إلىٰ مخصوصٍ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ النكراتِ .

فالأوَّلُ : كقولِكَ : هٰذا غلامي ، وغلامُنا ، وغلامُك . . . إلىٰ آخِرِ الضَّمائرِ ، فالمرادُ : بـ (غلام) تعيَّنَ بإضافتِهِ إلى الضَّميرِ الذي مدلولُهُ مُتعيّنٌ ، وهٰكذا بقيةُ المعارفِ .

والثاني : كقولِكَ : هٰذا غلامُ رجلٍ ؛ فمدلولُ (غلامٍ) صارَ مخصوصاً بإضافتِهِ إلىٰ مخصوصٍ ؛ وهوَ جنسُ الرجلِ ، فإنَّكَ لو قلتَ : غلامٌ . . يَتناولُ غلامَ الرجلِ وغلامَ المرأةِ ، فلمَّا أضفتَهُ . . تَخصَّصَ بأحدِ الجنسَينِ .

[أنواعُ الإضافاتِ]

وبعضُ الإضافاتِ قد تكونُ بينَ مظروفٍ وظرفٍ ، فيُتخيَّلُ أنَّها علىٰ معنىٰ (في) كقولِكَ : سيرُ الليلِ مبروكٌ (١) ، ونومُ الظهرِ مندوبٌ ، **فمعناهُ الحقيقيُّ** : السيرُ المنسوبُ لِلَّيلِ بسببِ وقوعِهِ فيهِ ، والنومُ المنسوبُ للظهرِ بذٰلكَ .

وبعضُها يكونُ بينَ شيءٍ وجنسِهِ الذي اتُّخِذَ منهُ ، فيُتخيَّلُ أنَّها علىٰ معنىٰ (مِنْ) كقولِكَ : خاتمُ ذهبٍ ، وبابُ ساجٍ ، وثوبُ حريرٍ ، **فمعناهُ** : خاتمٌ منسوبٌ للذهبِ بسببِ كونِهِ مُتخَذاً منهُ ، وهٰكذا .

وهٰذا النوعُ مِنَ الإضافةِ يُسمَّىٰ : **إضافةً بيانيةً** ، **وضابطُها** : أن يكونَ المُضافُ إليهِ جنساً للمُضافِ .

---

(١) كذا في الأصل .

وهنالكَ إضافةٌ تُسمَّىٰ بالإضافةِ للبيانِ ؛ نحوُ : شجرُ الأراكِ ، وضابطُها : أن يكونَ المُضافُ إليهِ نوعاً مِنَ المُضافِ .

فالنسبةُ في الإضافةِ البيانيَّةِ : العمومُ والخصوصُ مِنْ وجهٍ ، وفي الإضافةِ للبيانِ : العمومُ والخصوصُ المطلقانِ .

وتُسمَّىٰ هـٰذهِ الإضافةُ : إضافةً معنويةً .

وثَمَّ إضافةٌ تُسمَّىٰ : إضافةً لفظيَّةً ؛ وهيَ إضافةُ اسمِ الفاعلِ أوِ اسمِ المفعولِ أوِ الصفةِ المُشبَّهةِ لمعمولٍ مِنْ معمولاتِها ؛ فيكونُ المُضافُ إليهِ مُتعلِّقاً بالمُضافِ تَعلُّقَ الفاعليَّةِ لهُ أوِ المفعوليَّةِ بهِ ، ويكونُ المُضافُ مُتعلِّقاً بالمُضافِ إليهِ تَعلُّقَ الحصولِ منهُ أوِ الوقوعِ بهِ ؛ كقولِكَ : أنا راكبُ الفرسِ غداً ، ومسابقُ الفرسانِ ، وزيدٌ عظيمُ الأملِ فيكَ ، وهوَ مُروَّعُ القلبِ .

فلفظُ (راكبٍ) : اسمُ فاعلٍ تَعلَّقَ بالفرسِ تَعلُّقَ الوقوعِ بهِ ، ولفظُ (الفرسِ) مُتعلِّقٌ بـ (راكبٍ) تَعلُّقَ المفعوليَّةِ ؛ إذ يَصِحُّ أن تقولَ : أنا راكبٌ الفرسَ ؛ بنصبِ الفرسِ على المفعوليَّةِ .

وكذٰلكَ : مسابقٌ الفرسانَ ، وزيدٌ عظيمٌ أملُهُ ؛ برفعِ الأملِ فاعلاً ، ومُروَّعٌ قلبُهُ ؛ برفعِ القلبِ نائبَ فاعلٍ ، فليسَتْ هـٰذهِ الإضافةُ حقيقيةً ، ولـذٰلكَ سُمِّيَتْ : لفظيَّةً .

وفائدتُها : التخفيفُ بحذفِ تنوينِ الوصفِ المُفرَدِ ، ونونِ المُثنَّىٰ والجمعِ علىٰ حدِّهِ ، ولا يستفيدُ المُضافُ بها تعيُّناً وهوَ ظاهرٌ ، ولا اختصاصاً ؛ لأنَّهُ حاصلٌ بتَعلُّقِ الفاعليَّةِ أوِ المفعوليَّةِ ، كما يَظهرُ لكَ عندَ الرجوعِ للأصلِ مِنْ نصبِ المفعولِ ورفعِ الفاعلِ .

ثمَّ إنَّ الإضافةَ توجبُ : حذفَ تنوينِ المُضافِ ، وحذفَ نونِهِ إن كانَ مُثنّىً أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وتَمنعُ أن تَدخُلَ (أل) على المُضافِ ، لٰكنِ المُضافُ في الإضافةِ اللفظيَّةِ يجوزُ أن تَدخُلَ عليه (أل) إن كانَ مُثنّىً أو جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ بلا شرطٍ ، وإن كانَ غيرَهُما . . فجوازُهُ مشروطٌ بكونِهِ مُضافاً إلىٰ ما فيهِ (أل) أو مُضافاً إلىٰ مُضافٍ لِمَا فيهِ (أل) نحوُ : هٰذانِ الراكبا فرسٍ ، والطالعو جبلٍ ، والحسنُ الوجهِ ، والضاربُ رأسِ الجاني .

[ما يكتسبُهُ المضافُ من المضافِ إليهِ]

ثمَّ إنَّ المُضافَ : كما يَكتسِبُ التعيُّنَ مِنَ المُضافِ إليهِ المعرفةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ ، والتخصُّصَ مِنَ المُضافِ إليهِ النكرةِ بسببِ إضافتِهِ إليهِ . . يَكتسِبُ الظَّرفيةَ منهُ إذا كانَ ظرفاً بسببِ إضافتِهِ إليهِ ؛ نحوُ : أجيئُكَ كلَّ حينٍ ، وبعضَ الأحيانِ ، وذاتَ يومٍ ، وذاتَ ليلةٍ ، وقمتُ كلَّ مَقامٍ لزيدٍ ، وجلستُ بعضَ مجالسِ عمرٍو .

ويَكتسِبُ المفعوليَّةَ المُطلقةَ إذا أُضيفَ لمصدرٍ يكونُ لولا المُضافُ مفعولاً مطلقاً ؛ نحوُ : مشيتُ كلَّ مشيٍ ، وقرأتُ أحسنَ القراءةِ ، ووقفتُ بعضَ الوقوفِ ، ويكونُ مدلولُ لفظةِ (كلٍّ) في مثلِ هٰذا : جميعَ أفرادِ جنسِ ما أُضيفَتْ إليهِ ، ومعنىٰ (بعضٍ) : بعضَ أفرادِهِ ، ومعنىٰ (أحسنَ) ـ ومثلِهِ مِنْ كلِّ اسمِ تفضيلٍ ـ : الفردَ الزائدَ مِنْ أفرادِ ما أُضيفَ إليهِ في الصفةِ المدلولِ عليها بلفظِهِ .

وكذٰلكَ يَكتسِبُ وجوبَ تَصدُّرِهِ في الجملةِ إن كانَ المُضافُ إليهِ مِنَ الأمورِ التي يجبُ تَصدُّرُها ؛ كالمُضافِ لاسمِ استفهامٍ ، أوِ اسمِ شرطٍ ؛ نحوُ : غلامَ مَنْ صحبتَ ؟ وكتابَ أيِّ شخصٍ استعرتَ ؟ وغلامَ مَنْ تُكرِمْ . . أُكرِمْ .

وكذٰلك يَكتسِبُ منهُ التأنيثَ إن كانَ المُضافُ مُذكَّراً ، والمُضافُ إليه

مُؤنَّثاً ، ويَكتسِبُ التذكيرَ إن كانَ بالعكسِ ، ولـٰكنْ شرطُ هـٰذَينِ الاكتسابَينِ : أن يكونَ المُضافُ بحيثُ لو حُذِفَ . . لبقيَ الحكمُ لهُ صحَّةٌ ، أمَّا إذا لو حُذِفَ فسدَ الحكمُ . . امتنعَ هـٰذانِ الاكتسابانِ .

صورةُ الصحةِ : قولُكَ [١] : [من البسيط]

إِنَارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوىً

الإنارةُ مُؤنَّثٌ مُضافٌ للعقلِ المُذكَّرِ ، اكتسبَ المُؤنَّثُ مِنَ المُضافِ إليهِ التذكيرَ ، ولذٰلكَ قلتَ : مكسوفٌ ، ولم تقلْ : مكسوفةٌ ، والشرطُ حاصلٌ ؛ فإنَّكَ لو حذفتَ لفظَ الإنارةِ ، وقلتَ : العقلُ مكسوفٌ بطوعِ هوىً . . بقيَ الحكمُ صحيحاً ، ونظيرُهُ [٢] : [من الخفيف]

رُؤْيَـةُ ٱلْـفِـكْـرِ مَـا يَـؤُولُ لَـهُ ٱلْأَمْـ ـرُ مُعِينٌ عَلَى ٱجْتِنَابِ ٱلتَّوَانِي

وقولُكَ : قُطِعَتْ بعضُ أصابعِ زيدٍ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ﴾ [٣] .

صورةُ الفسادِ : قولُكَ : جاءَتْ فتاةُ زيدٍ ، لا يَصِحُّ أن تقولَ : جاءَ فتاةُ زيدٍ ؛ لامتناعِ الاكتسابِ فيهِ ؛ إذ لو حذفتَ لفظَ (الفتاةِ) المُضافَ . . لفسدَ الحكمُ ؛ فإنَّ المجيءَ لم يَتعلَّقْ بزيدٍ أصلاً ، بخلافِ القطعِ في (قُطِعَتْ بعضُ الأصابعِ) مثلاً ؛ فإنَّ القطعَ الواقعَ على البعضِ واقعٌ على الأصابعِ في الجملةِ ، فلو قلتَ : قُطِعَتِ الأصابعُ ؛ بمعنىٰ : أنَّ القطعَ تَعلَّقَ بالأصابعِ وحصلَ فيها مِنْ غيرِ ملاحظةِ العمومِ . . كانَ الحكمُ صحيحاً .

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (٢/٦٦٥) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

إِنَـارَةُ ٱلْعَقْلِ مَكْسُوفٌ بِطَوْعِ هَوىً وَعَقْلُ عَاصِي ٱلْهَوَىٰ يَزْدَادُ تَنْوِيرَا

(٢) انظر « همع الهوامع » (٢/٥١٢) .

(٣) سورة آل عمران : (٣٠) .

[أسماءٌ ملازمةٌ للإضافةِ]

ثـمَّ إنَّ مِـنَ الأسـماءِ أسـماءً تقتضي بطبيعةِ معناها أن تكونَ مُضافةً ، فلازمَتِ الإضافةَ ؛ وهيَ لفظُ (كلٍّ) و(بعضٍ) ، وربَّما حُذِفَ ما أُضيفا إليهِ ملحوظاً ، ولفظةُ (وَحْدٍ) ، ولا تُضافُ إلَّا إلىٰ ضميرٍ ؛ كوَحدي ، ووَحدَكَ ، ووَحدَهُ ، ومثلُ وَحدَكَ : (لبَّيْكَ) ـ تثنيةُ (لَبٍّ) محذوفِ زوائدِ التلبيةِ ـ في الجوابِ ، و(سعدَيكَ) و(دوالَيكَ) في الدعاءِ بالسَّعدِ والدولةِ ، و(حنانَيكَ) في الاستعطافِ ، قالَ الشاعرُ[1] : [من الطويل]

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَٱسْتَبْقِ بَعْضَنَا ... حَنَانَيْكَ بَعْضُ ٱلشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

و(هذاذَيْكَ) في طلبِ الإسراعِ ، ولفظةُ (حيثُ) مِنْ أسماءِ الأمكنةِ ، ولفظةُ (إذ) مِنْ أسماءِ الزمنِ الماضي ، ولا يُضافانِ إلَّا إلىٰ جملةٍ ، وكَثُرَ تعويضُ التنوينِ عنها معَ (إذ) ، ولفظةُ (إذا) مِنْ أسماءِ الزمنِ المستقبلِ ، ولا تُضافُ إلَّا إلىٰ جملةٍ فعليَّةٍ ، ويُعوَّضُ عنها التنوينُ أيضاً ، ولفظةُ (لدنْ) ، وتُضافُ لمفردٍ وجملةٍ ؛ نحوُ : ﴿ مِن لَّدُنَّا ﴾[2] ، ونحوُ[3] : [من الطويل]

صَـرِيـعُ غَـوَانٍ رَاقَـهُـنَّ وَرُقْـنَـهُ ... لَدُنْ شَبَّ حَتَّىٰ شَابَ سُودُ ٱلذَّوَائِبِ

ونصبوا بها (غدوةً) تمييزاً ، ولفظةُ (عندَ) ولفظةُ (معَ) ، ولا يُضافانِ إلَّا لمفردٍ ، وتَسكُنُ عينُ (معَ) ، وإذا وليَها ساكنٌ . . كُسِرَتْ أو فُتِحَتْ ، وتُنصَبُ حالاً ؛ نحوُ : (أقبلتا معاً) فلا تُضافُ .

ولفظةُ (كلا) و(كلتا) ، ولا يُضافانِ إلَّا للفظٍ يَدُلُّ على اثنَينِ أوِ اثنتَينِ ؛ نحوُ : كلا الرجلَينِ ، وكلتا المرأتَينِ ، وكلاهُما ، وكلتاهُما .

---

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ١٧٢) .

(٢) سورة النساء : (٦٧) .

(٣) هو للقطامي في « ديوانه » (ص ٢٨٠) .

ولفظةُ (أيّ) ، ولا تُضافُ إلَّا لِمَا يُلحَظُ فيهِ التعدُّدُ ؛ لأنَّ المقصودَ منها كيفَ استُعمِلَتْ واحدٌ مِنْ آحادِ ما تُضافُ إليهِ ، لٰكنْ إذا استعملتَها موصولةً . . وجبَ أن تُضافَ لمعرفةٍ ؛ نحوُ : يعجبُني أيُّهُم هوَ يَتقي اللهَ ، علىٰ معنى الذي منهُم هوَ يَتقي اللهَ .

وإذا كانَتْ صفةً أو حالاً . . وجبَ إضافتُها إلىٰ نكرةٍ ؛ نحوُ : زيدٌ رجلٌ أيُّ رجلٍ ، وهٰذا زيدٌ أيَّ إنسانٍ .

وإذا كانَتِ استفهاميةً أو شرطيَّةً . . جازَ إضافتُها إلىٰ معرفةٍ وإلىٰ نكرةٍ ؛ نحوُ : أيُّ الرجالِ عندَكَ ؟ وأيُّ رجلٍ عندَكَ ؟ [ونحوُ] : أيَّ الرجالِ تُكرِمْ . . أُكرِمْ ، وأيَّ رجلٍ تُكرِمْ . . أُكرِمْ .

ولفظةُ (غيرٍ) و(قبلٍ) و(بعدٍ) و(تحتٍ) و(فوقٍ) و(أمامٍ) و(قُدَّامٍ) و(وراءٍ) و(خلفٍ) و(أسفلَ) و(دونٍ) و(أوَّلَ) و(مِنْ علٍ) ، ولهٰذهِ الألفاظِ أربعةُ أحوالٍ :

الأوَّلُ : إضافتُها لفظاً كما هوَ مقتضىٰ طبيعةِ معناها .

الثاني : أن يُحذَفَ ما أُضيفَتْ إليهِ ملحوظَ اللَّفظِ ، فتبقىٰ علىٰ صورتِها عندَ وجودِهِ .

الثالثُ : أن يُحذَفَ غيرَ ملحوظٍ أصلاً ، وتكونُ الكلماتُ مُستعمَلَةً نكراتٍ ، فتُعرَبُ حَسَبَ الاقتضاءِ .

الرابعُ : أن تُستعمَلَ معارفَ ملحوظاً فيها تَعيُّنُ المدلولِ ، فتكونُ مُتضمِّنةً معنىٰ (أل) كما سبقَ في قسمِ المُعرَبِ والمَبنيِ (١) .

تقولُ : جاءَ زيدٌ قبلَ عمرٍو ، وجاءَ زيدٌ وجاءَ عمرٌو بعدَ ؛ أي : بعدَهُ

(١) انظر (١/٣٢٥) .

بنصبِها كما كانَتْ ، ونحوُ[1] : [من الوافر]

فَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً

أي : في زمنٍ سابقٍ ، ونحوُ : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[2] ؛ أي : السابقِ واللاحقِ ، وحينَئذٍ تُبنىٰ على الضمِّ ، وتسمَّىٰ [هٰذهِ] الظُّروفُ : غاياتٍ ؛ لأنَّها صارَتْ إذاً غاياتٍ بعدَ أن كانَ الغايةُ غيرَها .

ثمَّ كثيراً يُحذَفُ المُضافُ ، فيقومُ المُضافُ إليهِ مَقامَهُ في وظيفتِهِ مِنَ الكلامِ . ويُحذَفُ المُضافُ إليهِ ، ويَبقى المُضافُ علىٰ صورتِهِ ؛ بشرطِ أن يُعطَفَ عليهِ لفظٌ مُضافٌ لمثلِ ما حُذِفَ منهُ ؛ نحوُ قولِكَ : قطعوا يدَ ورجلَ القاطعِ ، فالأصلُ : يدَ القاطعِ ورجلَهُ ، فحُذِفَ المُضافُ إليهِ لـ (يدٍ) ، فلم يَبقَ مَرجِعٌ للضَّميرِ في (رِجْلٍ) ، فجيءَ بالاسمِ الظاهرِ ، فدلَّ على المحذوفِ مِنَ الأوَّلِ .

ثمَّ لا يُفصَلُ المُضافُ مِنَ المُضافِ إليهِ إلَّا بمعمولِ المُضافِ ، فإنَّهُ يجوزُ ، والأحسنُ تركُهُ ؛ كقولِكَ : زيدٌ معطي درهماً عمرٍو ، والأحسنُ : معطي عمرٍو درهماً .

[أحوالُ المضَافِ لياءِ المتكلِّمِ]

ثمَّ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ : إن كان آخِرُهُ صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ . . وجبَ

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (١/٤٢٦) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

فَسَاغَ لِيَ ٱلشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً   أَغَصُّ بِنُقْطَةِ ٱلْمَاءِ ٱلْحَمِيمِ

(٢) سورة الروم : (٤) .

كسرُهُ ، وجازَ لكَ فتحُ الياءِ وتسكينُها ؛ كغلامِي وغلامِيَ ، ودلوِي ودلوِيَ ، وظبيِي وظبيِيَ .

وإن كانَ آخِرُهُ أَلِفاً . . بقيَتِ الأَلِفُ بصورتِها ، وتَعيَّنَ فتحُ الياءِ ؛ كفتايَ وعصايَ وغلامايَ .

وإن كانَ آخِرُهُ ياءً ساكنةً . . وجبَ إبقاؤُها بصورتِها وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّمِ مفتوحةً وجوباً ؛ كغُلامَيَّ وزيدِيَّ ، جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ .

وإذا كانَ آخِرُهُ ياءً مُشدَّدةً . . جازَ إبقاؤُها بصورتِها معَ إسكانِ الياءِ ، وجازَ حذفُ ثانيةِ الياءَينِ معَ فتحِ ياءِ المُتكلِّمِ ؛ كقولِكَ : هـٰذا بُنَيِّي مُصغَّراً ، وبُنَيَّ ، وهـٰذا كرسِيِّي وكرسِيَّ .

وإن كانَ آخِرُهُ واواً ـ وهوَ جمعُ المُذكَّرِ السالمِ إذا كانَ بالواوِ ـ . . وجبَ قلبُ واوِهِ ياءً وإدغامُها في ياءِ المُتكلِّمِ ، فإن كانَ ما قبلَ الواوِ ضمةً . . أُبدِلَتْ كسرةً ، وإن كانَ فتحةً . . بقيَتْ ؛ نحوُ : هـٰؤلاءِ زيدِيَّ وهُم مُصطفَيَّ ؛ بفتحِ الفاءِ ، وكسرِ الدالِ .

وإذا كانَ المُضافُ لياءِ المُتكلِّمِ منادىً صحيحاً أو مُلحَقاً بهِ . . جازَ لكَ إبقاءُ الياءِ ساكنةً ، ومفتوحةً ، وحذفُها ، وقلبُها أَلِفاً وفتحُ ما قبلَها لأجلِها ، وحذفُ الأَلِفِ وإبقاءُ الفتحةِ ؛ نحوُ : يا غلاميْ ، وغلاميَ ، وغلامِ بالكسرِ ، وغلاما ، وغلامَ بالفتحِ ، ونحوُ : (يا بُنَيَّ) مُحتمِلٌ .

وجازَ في خصوصِ لفظةِ (أبٍ) ولفظةِ (أُمٍّ) حذفُ الياءِ وتعويضُ تاءٍ منها ؛ فتقولُ : يا أبتِ ويا أُمَّتِ ، مكانَ أبي وأمي ، فلا يجوزُ أن تَجمعَ بينَهُما ، ولكَ فتحُ التاءِ علىٰ أنَّ المحذوفَ المُعوَّضَ عنهُ هوَ الأَلِفُ المُنقلِبةُ عن ياءِ المُتكلِّمِ ، ولكَ كسرُها بناءً علىٰ أنَّ المحذوفَ الياءُ .

والتزمَتِ العربُ في : يا بنَ أُمِّ ، وابنةَ أمِّ ، وابنَ عمِّ ، وابنةَ عمِّ . . حذفَ ياءِ المُتكلِّمِ دونَ إبدالِها أَلِفاً فيَبقىٰ ما قبلَها مكسوراً ، وبعدَ إبدالِها أَلِفاً فيبقىٰ مفتوحاً .

[الممنوعُ مِنَ الصَّرفِ]

هـٰذا ؛ وقد عرفتَ أنَّ الأسماءَ التي لا تَنصرِفُ ـ أي : لا تُنوَّنُ تنوينَ التمكينِ الذي يُسمَّىٰ صَرْفاً ـ تُخفَضُ بالفتحةِ نيابةً عنِ الكسرةِ ، إلَّا إذا أُضيفَتْ أو عُرِّفَتْ بـ (أل) ، فإنَّها حينَئذٍ تُخفَضُ بالكسرةِ .

وهـٰذهِ أنواعُ ما لا يَنصرِفُ ؛ وهيَ :

كلُّ جمعٍ لا نظيرَ لهُ في الآحادِ ، والمنقوصُ مِنْ هـٰذا النوعِ ـ نحوُ : دواعٍ وسوارٍ ـ تُحذَفُ ياؤُهُ في حالتَيِ الرفعِ والخفضِ ، ويُعوَّضُ عنها تنوينٌ يُقالُ لهُ : تنوينُ العوضِ .

وكلُّ مُؤنَّثٍ بإحدى الألفَينِ .

وكلُّ وصفٍ يوازنُ (فَعْلَانَ) بفتحِ الفاءِ ؛ بشرطِ أن يكونَ مُؤنَّثُهُ علىٰ وزنِ (فَعْلَىٰ) كسكرانَ ، سَكرىٰ .

وكلُّ وصفٍ أتىٰ علىٰ زنةٍ خاصَّةٍ بالفعلِ أو غالبةٍ فيهِ ، ولم يُؤنَّثْ بالتاءِ ، وكانَ أصليَّ الوصفيَّةِ .

وكلُّ وصفٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كمَوْحَدَ وأُحادَ . . . إلىٰ آخِرِ ما وردَ ، وأُخَرَ المعدولِ عنِ الآخَرِ ؛ إذ قد عرفتَ أنَّ اسمَ التفضيلِ لا يُثنَّىٰ ولا يُجمَعُ إلَّا حيثُ يُعرَّفُ ، فإذا قلتَ : بنساءٍ أُخَرَ . . كانَ حقُّهُ بنساءٍ آخَرَ ؛ أي : أشدَّ تأخُّراً .

وكلُّ عَلَمٍ مُركَّبٍ تركيباً مَزجيّاً بغيرِ (وَيْهِ) .

وكلُّ عَلَمٍ زِيدَ في آخِرِهِ أَلِفٌ ونونٌ ؛ كحسَّانَ وعفَّانَ مِنَ الحِسِّ والعِفَّةِ ، لا مِنَ الحُسْنِ والعُفونةِ .

وكلُّ عَلَمٍ مُؤنَّثٍ بالتاءِ ، وكلُّ أعلامِ الإناثِ .

وكلُّ عَلَمٍ أعجميٍّ ، غيرِ ثُلاثيٍّ ، ساكنِ الوسطِ .

وكلُّ عَلَمٍ جاءَ علىٰ زنةٍ تَخُصُّ الفعلَ أو تَغلِبُ فيهِ .

وكلُّ عَلَمٍ آخِرُهُ أَلِفُ إلحاقٍ .

وكلُّ عَلَمٍ معدولٍ عن أصلٍ ؛ كعُمَرَ المعدولِ بهِ عن عامرٍ ؛ وذٰلكَ لأنَّهُ جرتِ العادةُ أن يسمُّوا عامراً تفاؤلاً بالعمارةِ ، ثمَّ يُعدَلُ بهِ لتلكَ الصِّيغةِ .

ولفظُ (سَحَرَ) الذي أردتَ بهِ سَحَرَ يومِكَ ، و(قَطامِ) وما أشبهَهُ ممَّا لا يَنصرِفُ في لغةِ تميمٍ ، ومبنيةٌ على الكسرِ في لغةِ الحجازِ كما سلفَ(١) .

وإذا نُكِّرَتِ الأعلامُ . . صُرِفَتْ ، وكذا إذا صُغِّرَتْ ، ما لم تَخرجْ إلىٰ نوعٍ آخَرَ مِنْ أنواعِ ما لا يَنصرِفُ ؛ كأعورَ ، إذا صغَّرته . . قلتَ : أُعَيْوِرُ ، فيُوازِنُ : أُبَيْطِرُ .

ويُنوَّنُ ما لا يَنصرِفُ لضرورةِ الشعرِ ، ويُسمَّى التنوينُ : تنوينَ الضَّرورةِ ، وللتناسبِ ؛ نحوُ : ﴿ سَلَٰسِلَا وَأَغْلَٰلَا ﴾(٢) ، ويُسمَّىٰ : تنوينَ التناسبِ .

وإذا نُوِّنَ ما لا يَنصرِفُ للضَّرورةِ . . خُفِضَ بالكسرةِ .

[تنويهٌ بما مرَّ مِنَ الألفاظِ العاملةِ عملَ الأفعالِ]

هـٰذا ؛ وممَّا سلفَ لكَ عرفتَ أنَّ الألفاظَ العاملةَ عملَ الأفعالِ ؛ مِنَ المصدرِ

---

(١) انظر (١/٣٦٩ ـ ٣٧٠) .

(٢) سورة الإنسان : (٤) ، وهي قراءة نافع والكسائي ، بالتنوين في (سلالاً) انظر « النشر في القراءات العشر » (٢/٣٩٤) .

وغيرِهِ . . قد يُضافُ لبعضِ معمولاتِهِ [1] ؛ مثلاً : تقولُ : يعجبُني حفظُ زيدٍ لطائفَ الأشعارِ ، بإضافةِ (حفظُ) لـ (زيدٍ) ، وبدونِها ويُنوَّنُ ، وحفظٌ لطائفِ الأشعارِ زيدٌ ، وتقولُ : معطٍ عمراً درهماً ، ومُعطىٰ عمرٍو درهماً ، ومُعطىٰ درهمٍ عمراً .

[بعضُ أحكامِ الصفةِ المُشبَّهةِ]

غيرَ أنَّ للصفةِ المُشبَّهةِ أحكاماً تحتاجُ لتفصيلِها .

وحاصلُهُ : أنَّكَ إذا أجريتَ صفةَ شيءٍ علىٰ صاحبِهِ إخباراً بها عنهُ أو نعتاً لهُ بها ؛ نحوُ : زيدٌ حسنُ الوجهِ ، وهوَ رجلٌ سليمُ القلبِ ؛ فالحسنُ والسلامةُ صفتا الوجهِ والقلبِ ، أجريتَهُما علىٰ صاحبَيهِما ؛ إخباراً في الأوَّلِ ، ونعتاً في الثاني . . فقد نطقتَ بتركيبٍ يجوزُ أن يكونَ علىٰ صورٍ شتَّىٰ .

والضَّبطُ أن تقولَ : إنَّ الصفةَ : إمَّا أن تكونَ بـ (أل) أو بدونِها ، واسمُ موضعِ الصفةِ بـ (أل) أو بدونِها ، مُضافاً إلىٰ ضميرِ صاحبِهِ أو لا ، واسمُ موضعِ الصفةِ مرفوعٌ أو منصوبٌ أو مخفوضٌ ، فهٰذهِ ثمانيَ عشرةَ صورةً .

منها صورتانِ **باطلتانِ** ؛ هما : الحسنُ وجهِهِ ، والحسنُ وجهٍ ، بخفضِ الوجهِ فيهِما .

ومنها ثلاثٌ **مُمتنِعةٌ في السَّعةِ** ؛ وهيَ : الحسنُ وجهَهَ ، وحسنٌ وجهَهَ بالنصبِ ، وحسنٌ وجهِهِ بالخفضِ .

ومنها صورتانِ **غيرُ قبيحتَينِ** ؛ وهما : الحسنُ الوجهَ ، وحسنٌ الوجهَ ، بالنصبِ فيهِما على التشبيهِ بالمفعولِ بهِ .

---

(١) انظر (١/٤٦٦) .

ومنها صورتانِ قبيحتانِ ؛ وهما : الحسنُ الوجهُ ، وحسنٌ الوجهُ ، بالرفعِ فيهِما .

ومنها صورتانِ أقبحُ مِنْ هاتَينِ ؛ وهما : الحسنُ وجهٌ ، وحسنٌ وجهٌ ، بالرفعِ فيهِما .

ومنها صورةٌ مُتوسِّطةٌ ؛ وهيَ : حسنُ وجهٍ بالجرِّ .

وما عدا ذٰلكَ فصيحٌ جيدٌ سائرَ الاستعمالِ ؛ وهيَ : الحسنُ وجهُهُ بالرفعِ ، والحسنُ الوجهِ بجرِّ الإضافةِ ، والحسنُ وجهاً بنصبِ التمييزِ ، الأُولىٰ أصلٌ ، والثِّنتانِ فرعاها ، وحسنٌ وجهُهُ ، وحسنُ الوجهِ ، وحسنٌ وجهاً كذٰلك .

ومتىٰ رفعَتِ الصفةُ اسمَ موضعِها . . لم يكنْ فيها ضميرُ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُ اسمَ الموضعِ ؛ تقولُ : هندٌ حسنٌ وجهُها ، وزيدٌ حسنةٌ أخلاقُهُ ، ومتىٰ لم ترفعْهُ . . كانَتْ مُشتمِلةً علىٰ ضميرِ صاحبِهِ ، فهيَ تطابقُهُ ؛ نحوُ : هندٌ الحسنةُ وجهاً والوجهِ ، وزيدٌ حسنٌ أخلاقاً والأخلاقِ .

* * *

بيانُ عواملِ مُعرَبِ الأفعالِ

مُعرَبُ الأفعالِ كما سلفَ لكَ هوَ المضارعُ[1] ؛ فيكونُ مرفوعاً حيثُ يَتجرَّدُ مِنْ ناصبٍ وجازمٍ ، ويكونُ منصوباً إذا دخلَ عليهِ ناصبٌ ، ومجزوماً إذا دخلَ عليهِ جازمٌ .

بيانُ نواصبِهِ

هيَ : (لن) ، والفعلُ معَها لا يكونُ إلَّا مُستقبَلاً ؛ ولذلكَ يُقالُ فيها : إنَّها حرفُ نفيٍ ونصبٍ واستقبالٍ .

و(إذاً) ، بشرطِ تَصدُّرِها واستقبالِ منصوبِها ، واتصالِهِ بها ، ولا يَضُرُّ الفصلُ بقسَمٍ أو نداءٍ .

و(كي) ، مسبوقةً باللَّامِ وغيرَ مسبوقةٍ .

ولـ (أن) **ثلاثةُ أحوالٍ** : وجوبُ ذكرِها ، ووجوبُ حذفِها ، وجوازُ الأمرَينِ .

فيجبُ ذكرُها : إذا تَوسَّطَتْ بينَ اللَّامِ و(لا) ؛ نحوُ : ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2] .

ويجبُ حذفُها : بعدَ لامِ الجُحودِ ؛ وهوَ أشدُّ الإنكارِ ، وتكونُ مسبوقةً بـ (ماكانَ) أو (لم يكنْ) مثلاً ؛ نحوُ : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾[3] ، ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[4] ، وأفادَتِ العبارةُ الجَحدَ بسببِ أنَّهُ قد

---

(١) انظر (١/٣٣١) .

(٢) سورة الحديد : (٢٩) .

(٣) سورة النساء : (١٣٧) .

(٤) سورة الأنفال : (٣٣) .

نُفِيَ الفعلُ بنفيِ الاستعدادِ لهُ ؛ فمَنْ يقولُ : ما كنتُ لأكتمَ علماً . . يريدُ : أنِّي لم أكنْ مُستعِدّاً لذٰلكَ ، ولم يكنْ مِنَ الأحوالِ الكونيَّةِ التي تدخلُ تحتَ الاستطاعةِ .

وبعدَ (أو) التي تُفسَّرُ بـ (إلىٰ أن) إذا وقعَتْ بعدَ فعلٍ لهُ امتدادٌ وبقاءٌ ، وبـ (إلَّا أن) إذا وقعَتْ بعدَ غيرِ مُمتدٍّ ؛ نحوُ[1] : [من الطويل]

لَأَسْتَسْهِلَنَّ ٱلصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ ٱلْمُنَىٰ فَمَا ٱنْقَادَتِ ٱلْآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

فاستسهالُ الصَّعبِ أمرٌ يَمتدُّ معَ الأزمنةِ ، فتُفسَّرُ (أو) بـ (إلىٰ أن) .

ونحوُ : لَأقتلنَّ المُرتدَّ أو يتوبَ ، فالقتلُ ليسَ لهُ امتدادٌ ، فتُفسَّرُ (أو) بـ (إلَّا أن) .

وبعدَ (حتى) الغائيةِ الخافضةِ ، فما بعدَها مستقبلٌ لِمَا قبلَها ، لا الابتدائيةِ التي تفيدُ السببيَّةَ ، وما بعدَها حاليٌّ ؛ نحوُ : ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾[2] ، أي : إلىٰ تبيُّنِ الخيطِ ، والابتدائيةُ كقولِكَ : وأنتَ داخلٌ مَكَّةَ : سرتُ اللَّياليَ ذواتِ العددِ حتَّىٰ أدخلُ مَكَّةَ ؛ أي : فهـٰأنا ذا أدخلُها .

وبعدَ فاءٍ تفيدُ سببيَّةَ سابقِها للاحقِها ، فتُسمَّىٰ : فاءَ السببيةِ .

وبعدَ واوٍ تفيدُ تَعلُّقَ الحكمِ بالجمعِ بينَ أمرَينِ ، فتُسمَّىٰ : واوَ المعيَّةِ .

ولا يُستعملانِ إلَّا بعدَ نفيٍ ، أو طلبٍ ؛ مِنْ أمرٍ ، ونهيٍ ، واستفهامٍ ، وتَمنٍّ ، وعَرْضٍ ، وحَضٍّ ؛ كقولِهِ[3] : [من البسيط]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

---

(١) انظر « أوضح المسالك » (٤/١٥٧) .

(٢) سورة البقرة : (١٨٧) .

(٣) انظر « همع الهوامع » (٢/٣٨٩) .

وقولِهِ : لا تُعْنَ بالجفاءِ وتَمدحَ عمراً .

وإذا حذفتَ الفاءَ بعدَ الطَّلبِ . . جزمتَ الفعلَ بـ (إن) التي يَتضمَّنُ الكلامُ معناها ، مثلاً : تقولُ : أعطني ما سألتُكَ فتجدَني مسارعاً إلىٰ هواكَ ، تَحذِفُ الفاءَ فيصيرُ : أعطني . . تجدْني ، فمعناهُ : إن تعطني .

وهٰذهِ الكلماتُ التي هيَ الواوُ والفاءُ و(أو) . . هيَ أحرفُ العطفِ ، لٰكنَّ عطفَها يَعتمِدُ ملاحظةَ المعنىٰ ، فالمعطوفُ عليهِ مصدرٌ ملحوظٌ مِنَ الفعلِ السابقِ ؛ فقولُكَ : لَأطلبنَّ أو أبلغَ المنىٰ . . تأويلُهُ : ليكنْ منِّي طلبٌ أو بلوغٌ .

ويجوزُ حذفُ (أن) باقيةَ العملِ بعدَ لامِ التعليلِ ، وبعدَ عاطفٍ على اسمٍ ؛ نحوُ : أزورُكَ لتزورَني ، أو لأن تزورَني ، ونحوُ : [من الوافر]

وَلُـبْـسُ عَـبَـاءَةٍ وَتَـقَـرَّ عَـيْـنِـي ... أَحَـبُّ إِلَـيَّ مِـنْ لُـبْـسِ ٱلـشُّـفُـوفِ

ونحوُ : حالُ الفقراءِ وأَبلُغَ المجدَ خيرٌ .

فإذا حذفتَ (أن) في غيرِ هٰذا . . وجبَ رفعُ الفعلِ ، قالَ[1] : [من الطويل]

أَلَا [أَيُّهَـٰذَا] ٱلزَّاجِرِي أَحْضُرُ ٱلْوَغَىٰ ... وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

أي : أن أحضرَ ، فحذفَ ورفعَ .

بيانُ جوازمِهِ

هيَ (لم) ، و(لمَّا) ، و(لا) الناهيةُ ، ولامُ الأمرِ ، و(إن) الشرطيةُ ، وما تَضمَّنَ معناها مِنَ الأسماءِ ، و(إذما) .

فـ (لم) تَجزِمُ المضارعَ وتَنفي حصولَهُ في الأوقاتِ الماضيةِ ، فيَخرجُ عن أصلِ وضعِهِ ، ولذٰلك تَسمعُهُم يقولونَ : (لم) : حرفُ نفيٍ وجزمٍ وقلبٍ .

---

(١) هو طرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٣١) .

وبينَها وبينَ (لـمَّا) فرقٌ ؛ وذٰلكَ : أنَّ (لـمَّا) يَنسحِبُ نفيُها علىٰ حالِ التكلُّمِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا معَ مُنتظَرِ الحصولِ ، فهيَ مقابلةٌ لـ (قد) في الإثباتِ ، مثلاً : تكونُ مُنتظِراً إقامةَ الصلاةِ خارجَ المسجدِ بحيثُ يَسمعُكَ بعضُ مَنْ فيهِ ؛ فتقولُ : هل أقاموا الصلاةَ ؟ فيجيبُكَ : لمَّا يقيموها ، فإذا أقاموها . . أجابَكَ بـ : قد أقاموها ، ولذٰلكَ يُقالُ : قد : حرفُ توقُّعٍ ؛ أي : تَصحَبُ المُتوقَّعَ المُنتظَرَ .

والفعلُ الماضي معَ (إن) في موضعِ جزمٍ ، يَظهرُ ذٰلكَ في العطفِ عليهِ ؛ تقولُ : إن أرضاكَ زيدٌ ويَسْعَ في أغراضِكَ . . وجبَ إكرامُهُ ؛ لأنَّ الماضيَ إذاً مستقبلٌ في المعنىٰ ، فللماضي حالةُ إعرابٍ .

❋ ❋ ❋

بيانُ التوابعِ

خمسةُ أشياءَ مِنْ أجزاءِ التركيبِ تُسمَّىٰ : توابعَ ؛ لأنَّها تكونُ دائماً تابعةً في إعرابِها لِمَا قبلَها ، فيكونُ متبوعاً لها ؛ وهيَ : النعتُ ، والتوكيدُ ، وعطفُ البيانِ ، وعطفُ النسقِ ، والبدلُ .

[النعتُ وأقسامُهُ]

والنعتُ يَنقسِمُ باعتبارِ الغرضِ منهُ أربعةَ أقسامٍ :

ـ القسمُ الأوَّلُ : نعتٌ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ متبوعِهِ وتمييزَهُ عن سائرِ ما عداهُ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ نوعاً مِنَ الأنواعِ . . سُمِّيَ النعتُ : مُعرِّفاً ووصفاً كاشفاً ؛ كقولِكَ : الإنسانُ الحيوانُ الناطقُ . . نوعٌ شرَّفَهُ اللهُ تعالىٰ بالعقلِ ، وصَرَّفَهُ فيما على الأرضِ ، فقولُكَ : (الحيوانُ الناطقُ) نعتٌ للإنسانِ يُميِّزُهُ عن سائرِ الأنواعِ ، فهوَ مُعرِّفٌ لهُ ، ووصفٌ كاشفٌ عن حقيقتِهِ .

وهٰذا النوعُ مِنَ النعتِ يَصِحُّ أن تضعَ بينَهُ وبينَ منعوتِهِ كلمةَ (أي) ، وهيَ حرفُ تفسيرٍ ؛ لكونِ النعتِ مُفسِّراً ومُبيِّناً ومُفصِّلاً لمجملٍ ؛ فتقولُ : الإنسانُ ؛ أيِ : الحيوانُ الناطقُ .

وضابطُ هٰذا : أن يكونَ النعتُ أمراً مُشترَكاً بينَ سائرِ أشخاصِ نوعٍ مُنفرِدةٍ بهِ ؛ بحيثُ يُعيِّنُ جميعَ الأشخاصِ ويُعرِّفُها لِمَنِ اطَّلعَ عليهِ ، ويُميِّزُها مِنْ غيرِها ، والغالبُ فيهِ أن يُؤتىٰ بهِ علىٰ صورةِ خبرٍ لمبتدأٍ هوَ المنعوتُ ، فيُقالُ : الإنسانُ : حيوانٌ ناطقٌ ؛ حيثُ يكونُ الغرضُ مُجرَّدَ التعريفِ .

ـ القسمُ الثاني : نعتٌ يكونُ الغرضُ منهُ تعيينَ شخصٍ أو جماعةٍ

أشخاصٍ ، وتمييزَهُ مِنْ مشاركٍ في اسمٍ ، أو في اسمٍ ووصفٍ مثلاً ، ويُسمَّىٰ : نعتاً مُقيّداً ؛ نحوُ : جاءَني زيدٌ التاجرُ ؛ حيثُ يكونُ في معلومِكَ علىٰ ما فهِمَ المُتكلِّمُ أشخاصٌ كلُّهُم مُسمَّونَ بزيدٍ ، إلّا أنَّ زيداً منهُم عالمٌ ، وزيداً آخَرَ تاجرٌ ، وزيداً آخرَ زرَّاعٌ ، فتقولُ : (زيدٌ التاجرُ) تمييزاً لهُ مِنْ مشاركيهِ في الاسمِ ، مُقيّداً لهُ بوصفِهِ .

وتقولُ : جاءَني زيدٌ التاجرُ العالمُ ؛ حيثُ يكونُ ثَمَّ زيدٌ تاجرٌ فقطْ ، وزيدٌ عالمٌ فقطْ ، وزيدٌ تاجرٌ عالمٌ ، فيَتعدَّدَ النعتُ بسببِ حاجةِ التمييزِ حتىٰ يَحصُلَ .

ـ القسمُ الثالثُ : نعتٌ يُذكَرُ لغرضِ مدحِ منعوتِهِ بفضيلةٍ أو ذَمِّهِ برذيلةٍ ، وإنَّما يكونُ ذٰلكَ إذا كانَ المنعوتُ مُتعيِّناً مُتميِّزاً بدونِ النعتِ ؛ لأجلِ أن يَنصرِفَ ذهنُ المُخاطَبِ إلىٰ أنَّ الغرضَ هوَ المدحُ أوِ الذمُّ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ (١) ، فامرأةُ أبي لهبٍ ـ أحدِ أعمامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ معلومٌ أنَّها أُمُّ جميلٍ أختُ أبي جهلٍ ، فلم تكنْ مُفتقِرةً إلى التعيينِ والتمييزِ ، فعلمنا أنَّ ذكرَ (حمالةَ الحطبِ) نعتاً إنَّما هوَ لذمِّها بذٰلكَ ، والحَطَبُ الذي كانَتْ تَحمِلُهُ هوَ حطبٌ شائكٌ ، كانَتْ تَلُمُّهُ ثمَّ تلقيهِ وتُفرِّقُهُ في مسالكِ النبيِّ ـ صلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ تؤذيهِ بذٰلكَ .

وكقولِكَ : جاءَنا والي البلدِ الهُمامُ .

ونظيرُ ذٰلكَ : الأوصافُ التي تُذكَرُ للترحُّمِ والتعطُّفِ ؛ نحوُ : اللهُمَّ ؛ إنِّي عبدُكَ المسكينُ الضعيفُ .

---

(١) سورة المسد : (٤) .

ـ **القسمُ الرابعُ : نعتٌ يُذكَرُ لغرضِ تأكيدِ معنىً يَتضمَّنُهُ متبوعُهُ** ؛ كقولِهم : أبعدُ مِنْ أمسِ الدَّابرِ ، وأقربُ مِنَ الغدِ المُقبِلِ .

وجميعُ أقسامِ النعتِ تفيدُ معنىً في المتبوعِ ، لٰكنْ ليسَتْ إفادتُهُ هيَ الغرضَ بتبعيتِهِ دائماً ؛ لما عرفتَ .

[النعتُ الحقيقيُّ والسببيُّ]

ويَنقسِم باعتبارِ كونِهِ صفةً لمتبوعِهِ ، أو صفةً لشيءٍ مِنْ مُتعلَّقاتِ متبوعِهِ إلىٰ قسمَينِ :

القسمُ الأوَّلُ : يُسمَّىٰ : نعتاً حقيقيّاً .

القسمُ الثاني : يُسمَّىٰ : نعتاً سببيّاً ؛ لأنَّ وصفَ الغيرِ إنَّما جُعِلَ وصفاً للمنعوتِ في الكلامِ بسببِ كونِ صاحبِ الوصفِ مُنتسِباً ومُرتبِطاً بالمنعوتِ .

فالأوَّلُ : كقولِكَ : زيدٌ العالمُ ، فالعِلْمُ صفةُ زيدٍ حقيقةً .

والثاني : كقولِكَ : زيدٌ العالمُ أبوهُ ، فالعِلْمُ صفةٌ للأبِ ، ونُعِتَ بها زيدٌ لكونِ الأبِ مِنْ مُتعلَّقاتِ زيدٍ ، فليسَ العِلْمُ صفةَ زيدٍ ، بل صفةُ أبيهِ ، لٰكنْ مِنْ حيثُ كونُهُ صفةَ أبيهِ حصلَ لزيدٍ صفةٌ ؛ وهيَ كونُهُ عالمَ الأبِ .

وللأوَّلِ حكمٌ : وهوَ أنَّه يجبُ أن يكونَ موافقاً لمتبوعِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ ، وفي إفرادِهِ وتثنيتِهِ وجمعِهِ ، وفي تذكيرِهِ وتأنيثِهِ .

ومِنْ هنا سُمِّيَ : **تابعاً** ؛ فلا تُوصَفُ معرفةٌ بنكرةٍ ، ولا بالعكسِ ، ولا مُفرَدٌ بغيرِهِ ؛ فتقولُ : زيدٌ الفاضلُ ، ورجلٌ صالحٌ ، والزيدانِ الفاضلانِ ، ورجلانِ فاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، ورجالٌ فُضَلاءُ ، وهندٌ الفاضلةُ ، وامرأةٌ فاضلةٌ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

فيُقالُ فيهِ : إنَّهُ يتبعُ منعوتَهُ في أربعةِ أشياءَ مِنْ عشرةٍ ؛ هيَ : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ، والإفرادُ والتثنيةُ والجمعُ ، والتذكيرُ والتأنيثُ .

وللثاني حكمٌ : وهوَ [أنَّهُ] يجبُ أن يوافقَ متبوعَهُ في إعرابِهِ ، وفي تعريفِهِ وتنكيرِهِ فقطْ ، وأمَّا تذكيرُهُ وتأنيثُهُ ، وإفرادُهُ وتثنيتُهُ وجمعُهُ . . فبحَسَبِ ما بعدَهُ ؛ وهوَ صاحبُ الوصفِ المذكورِ حقيقةً ، فيُقالُ : إنَّهُ تابعٌ لمنعوتِهِ في شيئَينِ مِنْ خمسةٍ ؛ هيَ : الرفعُ والنصبُ والجرُّ ، والتعريفُ والتنكيرُ ؛ فتقولُ : زيدٌ القائمةُ أُمُّهُ ، وهندٌ القائمُ أبوها ، ورجلٌ ذاهبةٌ جاريتُهُ .

ولكونِ الوصفِ الرافعِ للفاعلِ أو نائبِهِ في الحقيقةِ فعلاً . . تُجرِّدُهُ مِنْ علامتَيِ التثنيةِ والجمعِ وإنِ اكتنفَتْهُ التثنيةُ ، مثلاً : تقولُ : رأيتُ الزيدَينِ الكاتبَ أبواهُما ، علىٰ معنى : اللَّذَينِ يكتبُ أبواهما ، فلا تقلِ : الكاتبَينِ ، ولا اللَّذَينِ يَكتبانِ .

لٰكنْ إنَّما يجبُ إتباعُ النعتِ منعوتَهُ في إعرابِهِ إذا لم يَتعيَّنْ بدونِ النعتِ ، فإذا تَعيَّنَ بدونِهِ . . جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ قطعُ النعتِ بإعرابٍ وحدَهُ تَجعلُهُ بذٰلكَ جملةً مُستقِلَّةً مُشتمِلةً علىٰ ذكرِ وصفٍ مِنْ أوصافِ شيءٍ سبقَ في جملةٍ أخرىٰ .

وإذا كانَ الغرضُ المدحَ أوِ الذمَّ أوِ الترحُّمَ . . وجبَ حذفُ صدرِ الجملةِ التي فيها الوصفُ ؛ كقولِكَ : جاءَني زيدٌ السَّهلَ الطِّباعِ ، الحميدَ الخصالِ ، بنصبِ (السهلَ) و(الحميدَ) علىٰ نيَّةِ (أذكرُ السَّهلَ وأمدحُهُ) ، وكقولِكَ : رأيتُ زيداً المِسكينُ ؛ ترحُّماً ، أوِ الخبيثُ الشقيُّ ؛ ذمّاً ، علىٰ تقديرِ : هوَ ؛ فمِنْ (أذكرُ . . .) إلىٰ آخِرِهِ ، ومِنْ (هوَ . . .) إلىٰ آخِرِهِ . . جملةٌ مُستقِلَّةٌ حُذِفَ منها الفعلُ والفاعلُ أوِ المبتدأُ ذُكِرَتْ لغرضِ المدحِ أوِ الذمِّ

أوِ الترحُّمِ ، وإذا لم يكنِ الغرضُ ذٰلكَ . . لم يجبْ حذفُ صدرِ الجملةِ ؛ كما تقولُ : زارَني اليومَ أميرُ البلدِ المُتصرّفُ في أمورِ الناسِ وأنفسِهِم ، مُخاطِباً مَنْ يَجترِئُ عليكَ ؛ تريدُ بذٰلكَ التهويلَ عليهِ وإزاحةَ غفلتِهِ ، فلكَ أن تذكرَ صدرَ الجملةِ ، فتقولَ : أعني المُتصرِّفَ ، أو هوَ المُتصرِّفُ .

[انقسامُ النعتِ إلىٰ مفردٍ وجملةٍ]

ويَنقسِمُ إلىٰ مُفرَدٍ وجملةٍ ، لٰكنْ لا يُوصَفُ بالجملِ إلَّا النكرةُ ؛ فلو وقعَتْ جملُ الأوصافِ بعدَ المعارفِ . . أعرِبَتْ أحوالاً ، وإذا وقعَتْ بعدَ معرفةٍ فيها تنكيرٌ أو نكرةٍ مُخصَّصَةٍ . . جازَ لكَ الأمرانِ ؛ كقولِكَ : جاءَني رجلٌ يَقرأُ العِلْمَ ؛ فجملةُ (يَقرأُ) صفةٌ لـ (رجلٌ) النكرةِ ، وجاءَني زيدٌ يَتكلَّمُ بما يُعجِبُ ، فـ (يَتكلَّمُ) حالٌ مِنْ (زيدٌ) المعرفةِ .

وكقولِكَ : ادخلِ السُّوقَ يُباعُ فيهِ اللَّحمُ فاشترِ كذا ؛ حيثُ لم يكنْ بينَكَ وبينَ مُخاطَبِكَ معهوديةُ سُوقٍ بعينِهِ ، بلِ الغرضُ مِنَ التعريفِ الإشارةُ إلى الماهيةِ المُتعيّنةِ المُتحقِّقةِ في آحادِها ، فمعناهُ : ادخلْ واحداً مِنْ تلكَ الآحادِ المتساويةِ الأقدامِ في استحقاقِ اسمِ السُّوقِ ، فهوَ معرفةٌ في اللَّفظِ ، نكرةٌ في المعنىٰ ، فإن راعيتَ اللَّفظَ . . جعلتَ الجملةَ حالاً ، وإن راعيتَ المعنىٰ . . جعلتَها صفةً .

وكقولِكَ : رأيتُ رجلاً صالحاً يأمرُ بالمعروفِ وينهىٰ عنِ المنكرِ ، فـ (رجلاً) نكرةٌ مُخصَّصةٌ بالصفةِ ، فلكَ في الجملةِ أن تجعلَها صفةً ثانيةً ، فيكونَ التقديرُ : رجلاً صالحاً آمراً ناهياً ؛ أي : جامعاً بينَ الأوصافِ الثلاثةِ ، وأن تجعلَها حالاً ، فيكونَ المعنىٰ : رأيتُ رجلاً مُتَّصِفاً بالصَّلاحِ في حالِ أمرِهِ ونهيِهِ .

وإن تَعدَّدَ النعتُ لمُتعدِّدٍ ؛ فإن كانَ النعتُ أوصافاً متخالفةً . . وجبَ ذكرُ كلِّ نعتٍ علىٰ حِدَةٍ بعطفِ اللَّاحقِ على السابقِ ؛ كقولِكَ : جاءَني الزيدونَ العالمُ والتاجرُ والصانعُ .

وإن كانَتْ مِنْ جنسٍ . . ثَنَّيتَ وجمعتَ ؛ فتقولُ : الزيدانِ الفاضلانِ ، والزيدونَ الفاضلونَ ، والهِنداتُ الفاضلاتُ .

وإذا تَفرَّقَ المنعوتُ بهٰذا النعتِ في جملتَينِ ؛ فإنِ اتفقَ عاملاهُما لفظاً ومعنىً . . جازَ لكَ الإتباعُ ، وجازَ لكَ القطعُ بشرطِهِ ؛ نحوُ : جاءَني زيدٌ وجاءَني عمروٌ العالمانِ ؛ بالإتباعِ ، [والعالمَينِ] ؛ بالقطعِ ، علىٰ تقديرِ : اذكرِ العالمَينِ .

فإنِ اختلفَ العاملانِ لفظاً ؛ نحوُ : جاءَ وأتىٰ ، أو معنىً ؛ نحوُ : تَكلَّمَ ؛ أي : نطقَ ، وتَكلَّمَ ؛ أي : تَجرَّحَ . . وجبَ القطعُ ؛ كقولِكَ : تَكلَّمَ فأفصحَ زيدٌ وتَكلَّمَ فسالَ دمُهُ عمرٌو الشُّجاعَينِ ، وجاءَ زيدٌ وأتىٰ عمرٌو الفاضلَينِ ، كما إذا كانَ أحدُ المنعوتَينِ مرفوعاً والآخَرُ منصوباً مثلاً ؛ لتعذُّرِ الإتباعِ إذاً .

وما سمعتَ في تَعدُّدِ الخبرِ تُجريهِ بعينِهِ في الحالِ وفي النعتِ ؛ حيثُ كانَ الغرضُ العامُّ في الأنواعِ الثلاثةِ هوَ إثباتَ الأوصافِ ونسبتَها إلىٰ موصوفاتِها ، بيدَ أنَّ اختلافَ الأغراضِ الخاصَّةِ أوجبَ اختلافَ الكيفياتِ والمغايرةَ بينَ الألقابِ ، فكما تقولُ : هٰذا الرُّمَّانُ حُلْوٌ حامضٌ ، أو لا حُلْوٌ ولا حامضٌ . . . إلىٰ آخِرِهِ ؛ تقولُ : آكلُ الرُّمَّانَ حُلْواً حامضاً ، واشتريتُ فرساً أبيضَ أسودَ .

وقد جاءَ الإخبارُ والنعتُ والتقييدُ الحاليُّ بالمصدرِ ؛ مبالغةً في تَحقُّقِ الوصفِ للموصوفِ ؛ نحوُ : هٰذا الرجلُ صِدْقٌ ، وهٰذانِ الرجلانِ عَدْلٌ ؛ بإفرادِ المصدرِ وتذكيرِهِ ، علىٰ معنىٰ : أنَّهُ تَكوَّنَ من العدلِ ، وليسَ شيئاً آخَرَ وراءَهُ .

قالَتِ الخنساءُ في صفةِ ناقةٍ فقدَتْ ولدَها ، فهيَ لا تزالُ تُقبِلُ وتُدبِرُ في البحثِ عنهُ[1] : [من البسيط]

فَـــإِنَّـــمَـــا هِـــيَ إِقْـــبَـــالٌ وَإِدْبَـــارُ

وليسَ على التأويلِ ، ولا تقديرِ مُضافٍ كما قيلَ ؛ إذ هوَ خروجٌ عنِ الغرضِ ، ولعلَّ حكمَ النحويّينَ بشذوذِ وقوعِ المصدرِ حالاً . . مِنْ جهةِ إحداثِهِ كيفيَّةً في التركيبِ ، وإلَّا . . فهوَ مجازٌ سائغٌ مسموعُ نوعِ العلاقةِ ، كما هوَ شرطُ المَجازِ علىٰ ما أوضحَ أهلُ البيانِ .

[أحكامٌ متفرقةٌ للنعتِ والمنعوتِ]

ولا يَتقدَّمُ النعتُ على المنعوتِ ؛ فإذا تَقدَّمَ نعتُ النكرةِ . . جُعِلَ حالاً ، وإذا تَقدَّمَ نعتُ المعرفةِ . . جُعِلَ المنعوتُ عطفَ بيانٍ ، وخرجَ إذاً عن كونِهِ نعتاً .

❁

ولا يُفصَلُ بينَ النعتِ والمنعوتِ بأجنبيٍّ عنهُما ؛ نحوُ : إنَّ رجلاً علىٰ أبيهِ مُجترِئاً ، ولأُمِّهِ مُهيناً . . لَرجلُ سَوءٍ ، وإنَّ مُكرِماً أباهُ راحماً لهُ ، بارّاً بأُمِّهِ . . لَرجلُ خيرٍ وبِرٍّ .

فنحوُ قولِكَ : قراءةُ زيدٍ لا تعجبُني الدَّرْجُ . . لا يَصِحُّ ، بل يجبُ : قراءةُ زيدٍ الدَّرْجُ لا تعجبُني ؛ لأنَّ خبرَ المبتدأ ليسَ مُتعلِّقاً بمعنى المصدرِ ، فهوَ أجنبيٌّ مِنَ النعتِ والمنعوتِ .

❁

(١) انظر « ديوان الخنساء » رضي الله عنها (ص ٣٨٣) ، وهو عجز بيت ، والبيت بتمامه :

تَـرْتَـعُ مَـا رَتَـعَـتْ حَـتَّـىٰ إِذَا ٱدَّكَـرَتْ ... فَـإِنَّـمَـا هِـيَ إِقْـبَـالٌ وَإِدْبَـارُ

ويَكثُرُ حذفُ المنعوتِ ، فيقومُ النعتُ مَقامَهُ ، وربَّما التُزِمَ حيثُ اشتَهرَتِ الصفةُ لموصوفِها ، كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾ (١) ؛ أي : سفينةٍ ذاتِ ألواحٍ ومساميرَ ، فلا تَذكُرُ الموصوفَ في مثلِهِ ، وكقولِهِ : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ (٢) ؛ أي : دُروعاً سابغاتٍ .

وها هنا نكتةٌ بلاغيَّةٌ ؛ وهيَ الاقتصارُ في العبارةِ علىٰ موضعِ العجبِ ؛ كأنَّ الكلامَ يناديكَ : انظرْ أيُّها الإنسانُ هدايةَ مولاكَ الذي ألهمَكَ هـٰذهِ الأعمالَ حتى استخرجتَ مِنَ الخشبِ والحديدِ هـٰذا الشكلَ الذي سلكتَ بهِ البحورَ كما تسلكُ في البرورِ ، وكيفَ وصلتَ إلىٰ إلانةِ الحديدِ حتىٰ صارَ كشمع تُصوِّرُ منهُ ما شئتَ ، وتعملُ منهُ ما تعملُ مِنَ الكتَّانِ وشبهِهِ ثياباً سابغةً تَقيكَ البأسَ ، فلو قالَ : (سفينةٍ) و(دروعاً) . . لمضى الذِّهنُ وما اعتادَ ، فلم يَتأمَّلْ في حُسْنِ صنعِ اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ ، وفي كلِّ شيءٍ عجبٌ .

ولا يُحذَفُ منعوتُ الجملةِ إلَّا إذا كانَ بعضاً مِنْ مجرورٍ بـ (مِنْ) أو (في) ، نحوُ : القومُ منهُم ظَعَنَ ومنهُم أقامَ ؛ أي : منهُم فريقٌ ظَعَنَ ومنهُم فريقٌ أقامَ ، والناسُ فيهِمُ اجتهدَ في تحصيلِ العِلْمِ ، وفيهِم كَسِلَ واتبعَ الهوىٰ ؛ أي : فيهِم جمعٌ اجتهدَ وجمعٌ كَسِلَ .

ويَقِلُّ حذفُ النعتِ ؛ نحوُ : رأيتُ زيداً الصالحَ وعمراً ومِنَ العجبِ اجتماعُهُما ؛ تريدُ وعمراً الفاسقَ ؛ بدلالةِ الحالِ وإشعارِ المَقالِ .

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة القمر : (١٣) .

(٢) سورة سبأ : (١١) .

التوكيدُ

لفظٌ يُذكَرُ بعدَ ذكرِهِ أوَّلاً ، ويُسمَّىٰ : **توكيداً لفظيّاً** ؛ كقولِكَ : قامَ قامَ زيدٌ ، في تأكيدِ المحكومِ بهِ ، وكقولِكَ : قامَ زيدٌ زيدٌ ، في توكيدِ المحكومِ عليهِ ، وكقولِكَ : قامَ زيدٌ قامَ زيدٌ ، في توكيدِ الحكمِ .

وتوكيدُ الضَّمائرِ المُنفصِلةِ بإعادةِ ألفاظِها ؛ نحوُ : (أنتَ أنتَ) في قولِهِ : [من الكامل]

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ ... وَكَفَاكَ شَاهِدُ مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي
إِلَّا صَبَابَةُ مَاءِ وَجْهٍ صُنْتُهَا ... مِنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَنْتَ أَنْتَ ٱلْمُشْتَرِي

ونحنُ نحنُ السَّاعونَ في حاجتِكَ ، وإيَّاكَ إيَّاكَ قصدتُ .

والضَّمائرُ المُتصِلةُ تُؤكَّدُ بإعادةِ ألفاظِها معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ : أكرمتُ أكرمتُ زيداً ، ولهُ لهُ توجَّهتُ .

أو بضميرِ رفعٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ : كنتَ أنتَ ، وكنَّا نحنُ ، وإنَّا نحنُ ، وإنِّي أنا .

وحيثُ يُؤكَّدُ منصوباً أو مخفوضاً . . فهوَ مِنْ وضعِ ضميرٍ مكانَ ضميرٍ .

ولا يُؤكَّدُ مِنَ الحروفِ إلَّا أحرفُ الجوابِ ؛ كقولِهِ (١) : [من مجزوء الرجز]

نَعَمْ نَعَمْ مَحَّضْتُهُمْ ... صِدْقَ [ٱلْوَلَا] تَطَوُّلَا
فَمَا رَعَوْا عَهْداً وَلَا ... مَوَدَّةً وَلَا وَلَا

---

(١) انظر « خلاصة الأثر » للمحبي (٤/٤٨٣) .

وبقيةُ الحروفِ تُعادُ معَ ما اتصلَتْ بهِ ؛ نحوُ : لزيدٍ لزيدٍ قصدتُ ، وقولُهُ (١) : [من الوافر]

فَلَا وَٱللهِ لَا يُلْفَىٰ لِمَا بِي ... وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَداً دَوَاءُ

وقولُهُ (٢) : [من الكامل]

لَا لَا أَبُوحُ بِحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّهَا ... أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقاً وَعُهُودَا

مِنَ الشُّذوذِ بمكانٍ .

[التوكيدُ المعنويُّ وألفاظُهُ]

أو لفظٌ مخصوصٌ يلاقي لفظاً ذُكِرَ أَوَّلاً في المعنىٰ ، ويُسمَّىٰ : توكيداً معنويّاً .

وألفاظُهُ : النفسُ ، والعينُ ، وكلا ، وكلتا ، وكلٌّ ، وأجمعُ ، وجمعاءُ ، وأجمعونَ ، وجُمَعُ ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ نفسُهُ ، ومررتُ بعمرٍو عينِهِ ، وجاءَ الزيدونَ أنفسُهُم ، ورأيتُ العَمْرِينَ أنفسَهُم ، ومررت بهندٍ عينِها ، وبالهِنداتِ أعينِهِنَّ ، وجاءَ الزيدانِ أنفسُهُما أو أعينُهُما ؛ بجمعِ التأكيدِ ، وهوَ الأفصحُ ، ويجوزُ : الزيدانِ نفساهُما وعيناهُما بالتثنيةِ ، ونفسُهُما وعينُهُما بالإفرادِ .

ولا بدَّ مِنِ اتصالِ النفسِ والعينِ بضميرِ المُؤكَّدِ المُطابِقِ لهُ تذكيراً وتأنيثاً ، وإفراداً وتثنيةً وجمعاً ، كما رأيتَ ، ولكَ أن تُدخِلَ باءً على النفسِ والعينِ ، فتقولَ : جاءَني زيدٌ بنفسِهِ ، وهٰذا متاعي بعينِهِ ، وتقولَ : جاءَ الزيدانِ كلاهُما ، والهِندانِ كلتاهُما ، ورأيتُ الزيدَينِ كليهِما ، ومررتُ بهِما كليهِما ، وهٰكذا .

---

(١) انظر « خزانة الأدب » (٢/٣٠٨) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » (٥/١٥٩) .

وتقولُ : جاءَ الرجالُ كلُّهُم وأجمعُ ، والنساءُ جمعاءُ وجُمَعُ ، والأحسنُ أن تكونَ بعدَ (كلٍّ) .

ولا بدَّ مِنِ اتصالِ (كلٍّ) و(كلا) و(كلتا) بالضَّميرِ المُطابِق .

ولا تُؤكَّدُ نكرةٌ إلَّا إذا كانَتْ محدودةً بطرفَينِ ، فتُؤكَّدُ لإفادةِ الشُّمولِ ؛ نحوُ : انتظرتُكَ يوماً أجمعَ .

والغرضُ مِنَ التوكيدِ : دفعُ توهُّمِ مُخاطَبِكَ أنَّكَ سهوتَ أو غلطتَ أو تَجوَّزتَ عن شيءٍ بذكرِ مُتعلَّقِهِ ؛ إذ يجوزُ أن تقولَ : جاءَني زيدٌ ، وكنتَ تريدُ أن تقولَ : جاءَني عمرٌو ، فسهوتَ أو غلطتَ ، وتقولُ : هـٰذا كتابُكَ ؛ لنسخةٍ نُقِلَتْ منهُ تَجوُّزاً ، ولذٰلكَ تقولُ : هـٰذا كتابُكَ بعينِهِ .

وللتوكيدِ أغراضٌ أُخَرُ ، موضعُ شرحِها عِلْمُ المعاني كما ستقفُ عليهِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ (١) .

فاللفظُ المُؤكِّدُ يكونُ تابعاً لمُؤكَّدِهِ في إعرابِهِ رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً إن كانَ مُؤكَّدُهُ مُعرَباً ، وما سوى النَّفْسِ والعينِ لتوكيدِ الإحاطةِ والشُّمولِ وعمومِ الحُكْمِ ، وقد أكَّدوا بلفظِ (عامَّةٍ) فقالوا : جاءَ القومُ عامَّتُهُم ، وأكَّدوا بـ (جميعاً) و(طرّاً) و(قاطبةً) و(كافةً) منصوباتٍ على الحالِ .

* * *

(١) انظر (٢/٦٨) .

عطفُ البيانِ

اسمٌ ، فيهِ خصوصٌ ، يُذكَرُ بعدَ اسمٍ يَعُمُّ معنى الاسمِ الذي تذكرُهُ بياناً وغيرِهِ ، فيكونُ مُبيّناً لخصوصِ مُرادِكَ مِنَ العامّ .

فالبيانُ : إمَّا شخصٌ مِنْ أشخاصٍ اشتملَ عليها الأوَّلُ ، أو جنسٌ مِنْ أجناسٍ كذلكَ ، فيكونُ المعطوفُ والمعطوفُ عليهِ نكرتَينِ ؛ نحوُ : ﴿ مِن شَجَرَةٍ [مُّبَٰرَكَةٍ] زَيْتُونَةٍ ﴾ (1) ، وجاءَني اليومَ إنسانٌ رجلٌ ، أو إنسانٌ امرأةٌ ، ومعرفتَينِ ؛ نحوُ : قَدِمَ صديقُكَ خالدٌ .

ومِنْ عطفِ البيانِ : الاسمُ الواقعُ بعدَ اسمِ الإشارةِ ، المُبيِّنُ جنسَ المُشارِ إليهِ حيثُ يكونُ اشتباهٌ ، كما إذا كانَ بينَ يدَيكَ كتابٌ وقلمٌ ؛ فتقولُ : خذْ هٰذا الكتابَ ، أو خذْ هٰذا القلمَ .

ومنهُ : الأسماءُ والألقابُ الواقعةُ بعدَ الكنىٰ ؛ نحوُ : أبو حفصٍ عمرُ ، وأبو يزيدَ معاويةُ ، وأبو الحسنِ عليٌّ ؛ فلولا ما تَذكُرُ مِنَ البيانِ . . لم يُعرَفْ مرادُكَ ؛ لعمومِ الاسمِ الأوَّلِ وشمولِهِ للبيانِ وغيرِهِ .

وكلُّ موصوفٍ قَدَّمتَ عليه صفتَهُ . . صارَ عطفَ بيانٍ ؛ فلو قلتَ : رأيتُ زيداً التاجرَ . . كانَ لفظُ (التاجرَ) صفةً ، فإذا قلتَ : رأيتُ التاجرَ زيداً . . كانَ عطفَ بيانٍ .

[حرفانِ للتفسيرِ]

ويُستعمَلُ عطفُ البيانِ بكلمةِ (أيِ) التفسيريةِ فاصلةً بينَهُ وبينَ المعطوفِ عليهِ ، وبدونِها ؛ تقولُ : عندَ زيدٍ عسجدٌ ؛ أي : ذهبٌ ، وهٰذا هوَ الغضنفرُ ؛

---

(1) سورة النور : (٣٥) .

أيِ : الأسدُ ، أو : عسجدٌ ذهبٌ ، والغضنفرُ الأسدُ ، وتُسمَّىٰ (أي) حرفَ عطفٍ بيانيٍّ ، فعطفُ البيانِ تابعٌ للمعطوفِ عليهِ مُبيِّنُهُ في إعرابِهِ وتعريفِهِ وتنكيرِهِ .

وهنالكَ للتفسيرِ والبيانِ حرفٌ آخَرُ بمنزلةِ (أي) غيرَ أنَّهُ في موضعِهِ لازمٌ لا يَسوغُ حذفُهُ ؛ وهوَ (أنِ) التفسيريةُ ، ولا تقعُ إلَّا بينَ جملةٍ مُفسِّرةٍ ومُفرَدٍ مُفسَّرٍ يُذكَرُ ويُحذَفُ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ ﴾ (١) ، وقولِهِ : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ (٢) ، **فللتفسيرِ حرفانِ** .

❋ ❋ ❋

(١) سورة طه : (٣٨ ـ ٣٩) .

(٢) سورة المؤمنون : (٢٧) ، والذي في كتب النحو : أنَّ الجملة المُفسِّرة هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه . انظر « شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك » (٣/٢٨٥) .

عطفُ النسقِ

هوَ تابعٌ بواسطةِ حرفٍ ، يجعلُ الكلمتَينِ شبهَ خرزتَينِ مُنتسِقتَينِ ؛ أي : منتظمتَينِ .

وأحرفُهُ المُتفَقُ عليها : تسعةٌ ؛ وهيَ : (الفاءُ ، وثُمَّ ، والواوُ ، وحتىٰ ، وأو ، وأم ، ولٰكنْ ، ولا ، وبل) .

وهٰذِهِ الأحرفُ وإن سبقَ القولُ فيها لا بأسَ بالتكلُّمِ عليها في هٰذا الموضعِ ؛ لتكونَ علىٰ ثقةٍ مِنْ كيفيةِ استعمالِها وحفظِ أحكامِها ؛ فنقولُ :

الكلامُ على (الفاءِ)

الفاءُ : إن عطفَتْ ما لهُ إعرابٌ علىٰ ما لهُ إعرابٌ ؛ بأن عطفَتْ مفرداً علىٰ مفردٍ ، أو عطفَتْ جملةً واقعةً موقعَ مفردٍ علىٰ جملةٍ مثلِها . . شَرَّكَتْ بينَهُما في الحكمِ والإعرابِ ، معَ إفادةِ الاتصالِ الزمانِيّ ، وترتيبِ اللاحقِ معَ السابقِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ فعمرٌو . . **فمعناهُ** : أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، ومجيءَ عمرٍو واقعٌ بعدَ مجيءِ زيدٍ على الفورِ ، ولذٰلكَ يُقالُ : **الفاءُ للترتيبِ والتعقيبِ** .

وإذا قلتَ : زيدٌ يَحضرُ أبوهُ فيسافرُ أخوهُ . . **فجملةُ** (يسافرُ أخوهُ) **وجملةُ** (يحضرُ أبوهُ) واقعتانِ موقعَ مفردَينِ ؛ لكونِهما خبراً لمبتدأً ؛ **فالمعنىٰ** : زيدٌ حاضرٌ أبوهُ فمسافرٌ أخوهُ ، فأفادَتِ الفاءُ الاشتراكَ والتعقيبَ والترتيبَ .

وإذا عطفَتْ ما لا إعرابَ لهُ علىٰ مثلِهِ ؛ بأن عطفَتْ جملةً ليسَتْ واقعةً

موقعَ مفردٍ علىٰ مثلِها . . أفادَتِ اشتراكَهُما في الحصولِ والترتيبِ والتعقيبِ ، وفي عطفِ الجملِ ربَّما أُفيدَ بها سببيةُ السابقِ لِلَّاحقِ ؛ تقولُ : جاءَ زيدٌ فذهبَ عمرٌو .

الكلامُ علىٰ (ثمَّ)

ثمَّ : كالفاءِ في التشريكِ والترتيبِ وعطفِ المفرداتِ والجملِ ، إلَّا أنَّها تفيدُ المهلةَ والتراخيَ ، وتَلحَقُها التاءُ ؛ فيُقالُ : ثُمَّتَ ، وإذاً تَختصُّ بعطفِ الجملِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ ثمَّ عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ زيداً وعمراً اشتركا في المجيءِ ، وأنَّ مجيءَ عمرٍو بعدَ مجيءِ زيدٍ ، ولٰكنْ بينَ المجيئَينِ مُدَّةٌ طالَتْ أو قَصُرَتْ ، بحيثُ لا يَحكُمُ العُرْفُ معَها باتصالِهِما .

الكلامُ على (الواوِ)

الواوُ : لإفادةِ الاشتراكِ مطلقاً عنِ التقييدِ بترتيبٍ واتصالٍ أو تراخٍ ؛ فأيُّ واحدٍ حَصَلَ ولم يكنِ الغرضُ إفادتَهُ بخصوصِهِ . . تُستعمَلُ فيهِ الواوُ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ وعمرٌو . . فمعناهُ : أنَّهُما اشتركا في المجيءِ فقطْ ، ثمَّ تارةً يكونانِ جاءا معاً ، أو مُرتَّباً باتصالٍ ، وبدونِهِ ، فالعاطفُ بالواوِ غيرُ مُتعرِّضٍ لشيءٍ مِنْ ذٰلكَ .

وتَعطِفُ الواوُ المفرداتِ والجملَ علىٰ ما سبقَ في الفاءِ .

ولكونِ هٰذهِ الأحرفِ الثلاثةِ مُشرِّكةً جامعةً بينَ الشيئَينِ إذا وقعَتْ بينَ جملتَينِ . . جعلَتْهُما جملةً واحدةً ؛ بحيثُ متىٰ وقعتا في المواضعِ المحتاجةِ للربطِ . . كفىٰ وجودُ الرابطِ في المعطوفةِ ، كما إذا وقعَتا صلةً أو صفةً أو حالاً

أو خبراً ؛ كقولِكَ : (الذي أفرحُ فيفرحُ . . زيدٌ) ، فجملةُ (أفرحُ) ليسَ فيها ضميرٌ يعودُ على (الذي) ، ولا محذورَ في ذٰلكَ ؛ لأنَّها ليسَتْ صلةً مُستقِلَّةً ، بل جزءُ صلةٍ ؛ لأنَّ الفاءَ جعلَتْها وجملةَ (يفرحُ) المُشتمِلةَ علىٰ ضميرِ الموصولِ العائدِ الذي لا بدَّ منهُ لربطِ الصلةِ بالموصولِ جملةً واحدةً ، فيكونُ المعنى : الذي يعقبُ فرحُهُ فرحي ويَتسبَّبُ عنهُ . . زيدٌ ، فأنتَ ترىٰ بتبيينِ المعنىٰ أنَّ الجملتَينِ صارتا جملةً واحدةً .

وكذا البيانُ في نحوِ قولِكَ : رأيتُ رجلاً يفرحُ زيدٌ فيغضبُ ، وقولِكَ : رأيتُ زيداً يغضبُ عمرٌو فيفرحُ ، وقولِكَ : زيدٌ يشتدُّ الحربُ فيزدادُ إقداماً ، وكقولِكَ : زيدٌ يقعدُ عمرٌو ثمَّ يقعدُ ، وقولِكَ : زيدٌ يجيءُ عمرٌو ويذهبُ ، والبيانُ . . البيانُ .

ولكونِ الواوِ لا تفيدُ تعقيباً ولا ترتيباً ، فتُستعمَلُ في اشتراكِ المعيَّةِ والمصاحبةِ . . اختَصَّتْ بالعطفِ معَ الأفعالِ التي لا تَحصُلُ إلَّا مِنْ مُتعدِّدٍ ؛ نحوُ : اصطفَّ زيدٌ وعمرٌو ، واختصمَ بكرٌ وخالدٌ ، وتَشاجرَ هٰذا وذاكَ ، ومِنْ ثمَّ اختَصَّتْ بالوقوعِ بعدَ (بينَ) نحوُ : اجلسْ بينَ زيدٍ وعمرٍو .

الكلامُ علىٰ (حتىٰ)

حتىٰ : كالواوِ في إفادةِ اشتراكِ الشيئَينِ ، لٰكنْ لا تَعطِفُ إلَّا اسماً ظاهراً يكونُ بعضاً مِنَ المعطوفِ عليهِ أو بمنزلةِ بعضِهِ .

ولا بدَّ أن يكونَ بينَ أبعاضِ المعطوفِ عليهِ تَرتُّبٌ عقليٌّ في الوجودِ أوِ الشرفِ والخِسَّةِ ؛ ليكونَ المعطوفُ بـ (حتىٰ) غايةً للمعطوفِ عليهِ ؛ كقولِكَ : سرتُ الليلةَ حتىٰ آخِرَها ؛ فالليلةُ ذاتُ أجزاءٍ تَرتَّبَتْ عقلاً في الوجودِ ، والآخِرُ بعضُها وغايتُها ، فمعناهُ : سرتُ الليلةَ وآخِرَها أيضاً .

وكقولِكَ : ماتَ الناسُ حتَّى الأنبياءُ ؛ فالناسُ أشخاصٌ مُرتَّبةٌ في الشرفِ ، والأنبياءُ غايتُهُم فيهِ .

وكقولِكَ : قَدِمَ الحُجَّاجُ حتَّى المُشاةُ ، وأعجبَتْني الجاريةُ حتَّىٰ حديثُها ؛ فالحديثُ ليسَ بعضَ الجاريةِ ، لٰكنَّهُ بمنزلتِهِ ؛ لشِدَّةِ الاتصالِ .

وما بعدَ حتَّىٰ مُشارِكٌ ما قبلَها في الحكمِ كما رأيتَ .

الكلامُ علىٰ (أو)

أو : لإفادةِ أحدِ الأمرَينِ .

فإذا قلتَ : جاءَ زيدٌ أو عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ أحدَ الشخصَينِ ثبتَ لهُ المجيءُ ، ولم يجتمعا فيهِ .

فإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ لا يَجتمِعانِ عقلاً أو شرعاً . . سُمِّيَتْ : (أوِ التخييريةَ) لكونِها للتخييرِ بينَ الشيئَينِ ؛ كقولِكَ : اجعلْ هٰذا الثوبَ أسودَ أو أحمرَ ، وتَزوَّجْ هنداً أو أختَها ؛ فالسَّوادُ والحمرةُ لا يَجتمعانِ عقلاً ، وهندٌ وأختُها لا يَجتمِعانِ شرعاً .

وإذا وقعَتْ بينَ أمرَينِ يَجتمِعانِ . . سُمِّيَتْ : (أوِ الإباحيةَ) نحوُ : جالسِ العلماءَ أوِ الحكماءَ ، ولا تجالسِ الجُهَّالَ ، فمعناهُ : [حَظْرُ] مجالسةِ الجُهَّالِ ، وإباحةُ مجالسةِ العُلماءِ والحُكماءِ .

وإذا [وقعَتْ] بينَ أقسامِ شيءٍ . . سُمِّيَتْ : التقسيميةَ ، وتَصلُحُ مكانَها الواوُ ؛ نحوُ : الكلمةُ : اسمٌ ، أو فعلٌ ، أو حرفٌ ، يصِحُّ : اسمٌ وفعلٌ . . . ويَستعمِلُها الشاكُّ والمُشكِّكُ .

وتكونُ (أو) للإضرابِ والإعراضِ ؛ نحوُ : صلتُكَ أقاربَكَ حسنةٌ

أو واجبةٌ ، أعرضتَ عن إثباتِ الحُسْنِ إلىٰ إثباتِ الوجوبِ ، وهوَ معنىٰ (بل) الآتي بيانُها .

وقد سلفَ لكَ أنَّها تكونُ قائمةً مقامَ (إلىٰ أن) أو (إلَّا أن)(١) .

الكلامُ علىٰ (أم)

أمْ : حرفٌ يَستعمِلُهُ المُسوّي بينَ أمرَينِ بكلمةِ (سواءٍ) ، ويقعُ بينَ جملتَينِ لفظاً ، مفردَينِ لحظاً ، ويأتي في صدرِ جملتِها همزةٌ تُسمَّىٰ : همزةَ التسويةِ ، وتُحذَفُ تارةً ؛ نحوُ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ ﴾(٢) ، تقديرُهُ : إنذارُكَ وعدمُ إنذارِكَ سواءٌ ؛ أي : متساويانِ .

فالجملتانِ اللَّتانِ تكتنفانِ (أم) هٰذهِ . . مُنسبِكتانِ في الملاحظةِ بمصدرَينِ ؛ مبتدأً ومعطوفٍ عليهِ ، مُخبَرٍ عنهُما بـ (سواءٌ) ، فـ (أم) في هٰذا الاستعمالِ بمعنى : الواوِ .

وقد وردَ التركيبُ مُصرَّحاً فيهِ بالمُسوَّىٰ بينَهُما مفردَينِ والعطفِ بالواوِ ، قالَتْ بثينةُ العُذْريَّةُ(٣) : [من الطويل]

سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيلَ ٱبْنَ مَعْمَرٍ إِذَا مِتَّ بَأْسَاءُ ٱلْحَيَاةِ وَلِينُهَا

وتقولُ : سواءٌ كانَ لي زيدٌ أم كانَ عليَّ ، فلا تَذكُرُ الهمزةَ ، وتقديرُهُ : كونُ زيدٍ لي وكونُهُ عليَّ سواءٌ ؛ أي : لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ .

ويَستعمِلُها طالبُ التصوُّرِ بهمزةِ الاستفهامِ علىٰ ما سلفَ بيانُهُ ، ولذٰلكَ تُسمَّىٰ (أم) في هٰذينِ الاستعمالَينِ : (أمِ المُتصِلةَ) ، و(أمِ المُعادِلةَ) لأنَّها

---

(١) انظر (١/٤٧٨) .
(٢) سورة البقرة : (٦) .
(٣) انظر « خزانة الأدب » (١/٣٩٨) .

كما رأيتَ لا تقعُ إلَّا بينَ شيئَينِ لا بدَّ منهُما ، فشيئاها بمنزلةِ العِدلَينِ ؛ أي : شِقَّيِ الحِمْلِ .

وهيَ في الاستعمالِ الثاني كـ (أو) في كونِها لأحدِ الشيئَينِ ، إلَّا أنَّ (أو) لا تَصِحُّ في موضعِها ؛ لأنَّكَ إذا قلتَ : أزيدٌ قائمٌ أو عمرٌو ؟ فمعناهُ : هل أحدُ الشخصَينِ قائمٌ ؟ فتكونُ لم تعلمْ حصولَ أمرٍ وجهلتَ تَعيُّنَهُ ، فهوَ طلبٌ لأصلِ النسبةِ ، فجوابُهُ : نعم أو لا ، فإذا أجبتَ بـ (نعم) . . كانَ المعنىٰ : قامَ أحدُ الشخصَينِ ، وإذا أجبتَ بـ (لا) . . كانَ معناهُ : لم يقمْ أحدُ الشخصَينِ ، ومتىٰ أجبتَ بـ (نعم) . . علمتَ بوقوعِ النسبةِ مِنْ أحدِ الشخصَينِ ، وحينَئذٍ : فلكَ أن تطلبَ تعيينَهُ ، فتسألَ بالهمزةِ و(أمِ) المُتصِلةِ فتقولَ : أزيدٌ قامَ أم عمرٌو ، أو : مَنِ القائمُ منهُما ؟ والمعنى . . المعنىٰ ، فيُقالُ بتعيينِ أحدِ الشخصَينِ ، فتقولُ : (زيدٌ) إن كانَ الفاعلَ ، وتقولُ : (عمرٌو) إن كانَ إيَّاهُ ، فالسُّؤالُ بالهمزةِ و(أم) لا يكونُ إلَّا مِنْ عالمٍ بأمرٍ وجاهلٍ بآخَرَ ، والسُّؤالُ بالهمزةِ و(أو) لا يكونُ إلَّا مِنْ جاهلٍ محضٍ .

فمرتبةُ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أم) بعدَ مرتبةِ السُّؤالِ بالهمزةِ و(أو) ، وربَّما يَظُنُّ ظانٌّ أنَّ أحدَ الأمرَينِ واقعٌ اعتماداً علىٰ أمارةٍ ، ويكونُ الواقعُ خلافَ ما ظنَّ ، فيَسألُ بالهمزةِ و(أم) ، فيُجابُ بـ (لا) كما في حكايةِ غيلانَ ذي الرُّمَّةِ والعجوزِ ، التي ساقَها في قولِهِ[1] : [من الطويل]

تَقُولُ عَجُوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً عَلَىٰ بَابِهَا مِنْ عِنْدِ أَهْلِي وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِٱلْمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ أَرَاكَ لَهَا بِٱلْبَصْرَةِ ٱلْعَامَ ثَاوِيَا
فَقُلْتُ لَهَا لَا إِنَّ أَهْلِيَ جِيرَةٌ بِمَنْزِلَةِ ٱلدَّهْنَا جَمِيعاً وَمَالِيَا
وَمَا أَنَا مُذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ أُرَاجِعُ فِيهَا يَا بْنَةَ ٱلْعَمِّ قَاضِيَا

(١) انظر « ديوان ذي الرمة » (١٣١١/٢) ، وفيه (القرم) بدل (العم) .

الكلامُ علىٰ (لـٰكنْ)

لـٰكنْ : حرفٌ يَستعمِلُهُ المُستدرِكُ علىٰ كلامٍ سبقَ منهُ ؛ ليَرفعَ وهماً غيرَ صحيحٍ يَنشأُ مِنْ كلامِهِ السابقِ ، ولا تُستعمَلُ إلَّا بعدَ نفيٍ أو نهيٍ ، ولا تكونُ عاطفةً إلَّا إذا تَجرَّدَتْ مِنْ واوٍ تَسبقُها ، فإذا لم يَسبقْها نفيٌ ولا نهيٌ . . كانَتْ لمُجرَّدِ الاستدراكِ ، وسُمِّيَتْ : حرفَ ابتداءٍ ، ولم تكنْ عاطفةً ، وكذٰلك إذا سُبِقَتْ بواوٍ فتكونُ الواوُ للعطفِ ، وهيَ لمحضِ الاستدراكِ .

فالعاطفةُ : كقولِكَ : ما جاءَ زيدٌ لـٰكنْ أخوهُ ، ولا تضربْ زيداً لـٰكنْ أخاهُ .

بيانُ معنى الاستدراكِ فيهِ : أنَّكَ لمَّا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ ، ومِنَ العادةِ أنَّهُ إذا لم يجئْ أحدُ الأخوينِ لم يجئِ الآخَرُ . . فيَتوهَّمُ السامعُ عدمَ مجيءِ الآخَرِ بمُقتضى العادةِ ، فيَستدرِكُ المُتكلِّمُ ويرفعُ هـٰذا الوهمَ ويقولُ : لـٰكنْ أخوهُ .

وضابطُها : أنَّكَ تنفي أحدَ أمرَينِ متلازمَينِ في العادةِ ، فيَنصرِفُ ذهنُ المُخاطَبِ إلىٰ أنَّ النفيَ تَعلَّقَ بالمتلازمَينِ ، والواقعُ خلافُهُ ، فتَستدرِكُ وترفعُ الوهمَ .

والابتدائيةُ : كقولِكَ : جاءَ زيدٌ لـٰكنْ عمرٌو لم يجئْ .

وإذا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ ولـٰكنْ عمرٌو . . فالعاطفُ الواوُ ، فكأنَّكَ قلتَ : وعمرٌو جاءَ ، أقحمتَ كلمةَ (لـٰكنْ) لمكانِ الاستدراكِ .

الكلامُ علىٰ (لا)

لا : حرفٌ لنفيِ حكمِ ما قبلَهُ عمَّا بعدَهُ ، ولا يقعُ إلَّا بعدَ أمرٍ ، أو نداءٍ ، أو خبرٍ مثبتٍ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً لا عمراً ، ونحوُ : يا زيدُ لا عمرُو ، ونحوُ : جاءَ زيدٌ لا عمرٌو .

الكلامُ علىٰ (بل)

بل : إذا وقعَتْ بعدَ نفيٍ أو نهيٍ . . كانَتْ لتقريرِهِ وإعطاءِ ما بعدَها خلافَهُ .

فإذا قلتَ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو . . فمعناهُ : أنَّ انتفاءَ المجيءِ عن زيدٍ مُتقرِّرٌ ، لٰكنِ المجيءُ ثابتٌ لعمرٍو ، وكذٰلكَ إذا قلتَ : لا تُهِنْ زيداً بل عمراً .

وإذا وقعَتْ بعدَ أمرٍ أو إثباتٍ . . كانَتْ للإعراضِ عنِ السابقِ ، وتَنْقُلُ حكمَهُ لِلَّاحقِ ، ويُسمَّىٰ إضراباً إبطاليّاً ، وما قبلَهُ يُسمَّىٰ : إضراباً انتقاليّاً ؛ نحوُ : اضربْ زيداً بل عمراً ، فمعناهُ : غلطتُ في الأمرِ بضربِ زيدٍ ، ومطلوبي ضربُ عمرٍو ، ونحوُ : جاءَ زيدٌ بل عمرٌو ، معناهُ أيضاً : إظهارُ الغَلَطِ والتداركِ بالصَّوابِ .

وإذا جاءَ بعدَ (بل) جملةٌ . . لم تكنْ عاطفةً ، وسُمِّيَتْ : حرفَ ابتداءٍ ؛ كـ (لٰكنْ) إذ ما بعدَهُما يكونُ كلاماً مُبتدَأً .

وتُستعمَلُ (أو) و(أم) هٰذا الاستعمالَ كما سلفَ ، فتُسمَّىٰ (أم) : (أمِ المُنقطِعةَ) ، وتُفسَّرُ بلفظةِ (بل) فقطْ إن كانَ بعدَها (هل) نحوُ : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [1] فمعناهُ : بل هل تستوي . . . ، وهوَ انتقالٌ مِنْ ضربِ مثلٍ إلىٰ ضربِ مثلٍ آخَرَ .

وتُفسَّرُ بـ (بل) والهمزةِ إن لم تكنْ بعدَها (هل) وكانَ المعنىٰ على الاستفهامِ ؛ نحوُ : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ ﴾ [2] ، فمعناهُ : بل أكنتم شهداءَ .

وربَّما استُعمِلَتْ (بل) في التدرُّجِ في النفيِ أوِ الإثباتِ أوِ الأمرِ ، ويُسمَّى : الترقِّيَ ؛ فتقولُ : ما جاءَ زيدٌ بل عمرٌو ؛ تعني : أنَّهُ انتفىٰ مجيءُ زيدٍ ، بلِ

---

(١) سورة الرعد : (١٦) .

(٢) سورة البقرة : (١٣٣) .

انتفىٰ مجيءُ عمرٍو ؛ حيثُ يكونُ انتفاءُ مجيءِ عمرٍو أبعدَ مِنِ انتفاءِ مجيءِ زيدٍ ، وتُنبّهُ علىٰ ذٰلكَ ، كما تقولُ : ما حضرَ زيدٌ بل عمرٌو الذي يَحضرُ كلَّ مَأدُبةٍ وإن لم يُدعَ إليها ، وتقولُ : جاءَ الوزيرُ بلِ السلطانُ ، وتقولُ : أهِنْ زيداً بل أباهُ .

والأحسنُ في هٰذا توسيطُ الواوِ بينَ (بل) ومدخولِها ، فتقولُ : جاءَ الوزيرُ بل والسلطانُ ؛ لذٰلك الغرضِ .

وأمَّا المُختلَفُ في أنَّهُ حرفُ عطفٍ أو لا . . فهيَ كلمةُ (إمَّا) التفصيليةِ التي تقعُ مقابلةً لـ (إمَّا) مثلِها ؛ نحوُ : المُنطلِقُ إمَّا زيدٌ وإمَّا عمرٌو ، فقيلَ : (إمَّا) الثانيةُ حرفُ عطفٍ ، والصَّحيحُ أنَّ (إمَّا) وأختَها حرفا تفصيلٍ يفيدانِ ما تفيدُهُ (أو) وإن كانَ بينَهُما وبينَها فرقٌ دقيقٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ (أو) للتردُّدِ في المحمولِ ، وهما للتفصيلِ ، والسياقُ مُختلِفٌ ، والعطفُ معَ (إمَّا) على الصَّحيحِ للواوِ المصاحبةِ لها .

وأثبتَ بعضُهُم أنَّ كلمةَ (ليسَ) تكونُ عاطفةً ، فتقولُ : جاءَ زيدٌ ليسَ عمرٌو ؛ كما تقولُ : لا عمرٌو .

ويُعطَفُ اسمٌ ظاهرٌ على اسمٍ ظاهرٍ ؛ نحوُ : زيدٌ وعمرٌو ، وضميرٌ مُنفصِلٌ علىٰ ضميرٍ مُنفصِلٍ ؛ نحوُ : أنا وأنتَ ، وإيَّاي وإيَّاكَ قصدَ عمرٌو ، ويُعطَفُ ظاهرٌ علىٰ ضميرٍ وبالعكسِ ؛ نحوُ : أنا وزيدٌ ذاهبانِ ، وزيدٌ وأنا مقيمانِ .

إلَّا أنَّهُ لا يُعطَفُ علىٰ ضميرٍ مرفوعٍ مُتصِلٍ إلَّا بعدَ أن تَفصِلَ بينَهُ وبينَ العاطفِ بضميرٍ مُنفصِلٍ يُؤتىٰ بهِ للتوكيدِ ، أو بفاصلٍ آخَرَ ؛ نحوُ : سرتُ أنا

وزيدٌ ، وسلكتُ الطريقَ وعمرٌو ، فنحوُ : سرتُ وزيدٌ . . نادرٌ لا يُستعمَلُ ، فيُنصَبُ ما بعدَ الواوِ مفعولاً معَهُ .

وإذا عطفتَ علىٰ ضميرٍ مخفوضٍ ؛ فإن كانَ المعطوفُ ضميراً . . وجبَ إعادةُ الخافضِ ؛ نحوُ : بي وبكَ ، وغلامي وغلامُكَ ، وإلَّا . . كانَتِ الأفصحَ .

وكما يُعطَفُ الفعلُ على الفعلِ في نحوِ قولِكَ : لم يطعْ ويستقمْ زيدٌ . . يجوزُ أن يُعطَفَ الفعلُ علىٰ وصفٍ بمعناهُ ؛ نحوُ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ ﴾ (١) ، فهوَ علىٰ معنىٰ : إنَّ الذينَ تَصدَّقوا واللَّواتي تَصدَّقنَ وأقرضوا ، وضميرُ جماعةِ الذُّكورِ فيهِ عائدٌ على الذُّكورِ والإناثِ بتغليبِ الأشرفِ .

ونحوُ : زيدٌ راكبٌ فرسَهُ غداً ويسابقُ الفرسانَ ، فهوَ في معنىٰ : زيدٌ يركبُ ويسابقُ ، ويجوزُ عكسُهُ ؛ نحوُ : زيدٌ يركبُ فرسَهُ غداً فمسابقٌ ، فلكَ في مثلِ هٰذا التركيبِ أربعةُ أوجهٍ : راكبٌ فمسابقٌ ، يركبُ فيسابقُ ، راكبٌ فيسابقُ ، يركبُ فمسابقٌ .

وقد يُحذَفُ مِنَ الكلامِ اعتماداً على القرينةِ الفاءُ ومعطوفُها ، والواوُ ومعطوفُها ؛ نحوُ : ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ ﴾ (٢) ؛ أي : فضربَهُ فانفجرَتْ ، ونحوُ : راكبُ الناقةِ طليحانِ (٣) ؛ أي : راكبُ الناقةِ والناقةُ .

وقد يُحذَفُ عاملٌ معطوفٌ بالواوِ وتبقى الواوُ ومعمولُ المحذوفِ ؛ نحوُ :

---

(١) سورة الحديد : (١٨) .

(٢) سورة البقرة : (٦٠) .

(٣) طليحان : مثنىٰ طلح ؛ بمعنىٰ : متعب ومجهد .

﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ ﴾ (١) ؛ أيْ : وأَلِفوا الإيمانَ ؛ لأنَّ الدارَ تُسكَنُ والإيمانَ لا يُسكَنُ ، ويظهر أن لا تقديرَ ولا حذفَ في الآيةِ ، ويكونُ التبوُّءُ مُتعلِّقاً بالدارِ والإيمانِ ؛ فإنَّ لفظَ (الإيمانِ) في لسانِ الشرعِ لا يُقتَصرُ فيهِ علىٰ ملاحظةِ معنى التصديقِ ، بل يُلحَظُ هوَ والآثارُ المُترتِّبةُ عليهِ ؛ مِنْ وقوعِ الأمنِ بينَ الناسِ ، وارتفاعِ المَخافاتِ التي كانَتْ لا تبرحُ قائمةً إذ ذاكَ ، ومِنَ الاشتراكِ في المنافعِ ، والمحافظةِ على الحقوقِ ، وعمومِ ارتفاقِ البعضِ بالبعضِ ؛ حتَّىٰ تكونَ الأُمَّةُ في حالةٍ جامعةٍ ، فهيَ بمنزلةِ الأهلِ بينَ آباءٍ وأبناءٍ ، فتلكَ الحالةُ تُعتَبرُ اعتبارَ الظُّروفِ ، فكأنَّهُ قيلَ : جمعَتْهُم وأحاطَتْ بهِم واشتملَتْ عليهِمُ الدارُ وتلكَ الأحوالُ ؛ فهوَ مِنْ عمومِ المجازِ .

ولا يَتقدَّمُ المعطوفُ على المعطوفِ عليهِ .

* * *

---

(١) سورة الحشر : (٩) .

البدلُ

أربعةُ أقسامٍ :

ـ قسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِ ، وتَأدَّبَ المُتأخِّرونَ حيثُ لاحظوا وقوعَهُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ وتَقدَّسَ عن كلٍّ وبعضٍ ، فسمَّوهُ : البدلَ المُطابِقَ .

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ البعضِ مِنَ الكلِّ .

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ الاشتمالِ .

ـ وقسمٌ يُسمَّىٰ : بدلَ الغَلَطِ .

البدلُ المُطابِقُ

لفظٌ يُرادُ بهِ معنىً أُريدَ بلفظٍ سابقٍ ؛ نحوُ : رأيتُ صديقَكَ خالداً ، وارحمْ أخاكَ زيداً ، وسُمِّيَ بدلَ الكلِّ مِنَ الكلِّ ؛ لأنَّهُ أُريدَ بلفظِ (البدلِ) كلُّ ما أُريدَ بلفظِ المُبدَلِ منهُ .

وأمثلةُ هـٰذا القسمِ مِنَ البدلِ تَشتبهُ بأمثلةِ عطفِ البيانِ ؛ فربَّما تَخيَّلَ مُتخيِّلٌ أنَّ أحدَهُما يغني عنِ الآخرِ ، فلا حاجةَ إلىٰ إثباتِ تابعَينِ يُخَصُّ كلٌّ منهُما باسمٍ ، وهوَ تَخيُّلٌ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ بينَ عطفِ البيانِ وبينَ هـٰذا القسمِ مِنَ البدلِ فرقَينِ : فرقاً معنويّاً ، وفرقاً صناعيّاً .

أمَّا الفرقُ المعنويُّ . . فهوَ أنَّ عطفَ البيانِ إنَّما يُذكَرُ لبيانِ المرادِ مِنَ المعطوفِ عليهِ فحَسْبُ .

وأمَّا البدلُ . . فإنَّهُ يُذكَرُ لبيانِ خصوصيةٍ بمعناهُ اقتضَتِ الحكمَ السابقَ المربوطَ بالمُبدَلِ منهُ ربطاً غيرَ قارٍّ ، بلِ الغرضُ منهُ السلوكُ بهِ إلى المرادِ بالبدلِ

ملحوظاً فيهِ خصوصيةٌ ، ومِنْ هنا يقولُ النحويُّ : إنَّ البدلَ تابعٌ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، فلا يكونُ المُبدَلُ منهُ مقصوداً بهِ ، بل يقولُ : في نيَّةِ الطَّرحِ ، ويقولُ أيضاً : إنَّهُ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ؛ فمَنْ يَنطِقْ بالبدلِ معَ المُبدَلِ منهُ . . نَطَقَ بجملتَينِ ، غايةُ الأمرِ أنَّهُ حذفَ مِنَ الجملةِ الثانيةِ بعضَها ؛ اعتماداً علىٰ ذكرِ مثلِهِ في الجملةِ السابقةِ .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّكَ إذا قلتَ : تَوسَّلْ إلىٰ زيدٍ بحبيبِهِ خالدٍ ؛ فإن كنتَ لاحظتَ أنَّ التوسُّلَ إلىٰ زيدٍ وإفادتَهُ ما ترجوهُ منهُ يَحصُلُ بتوسُّطِ الحبيبِ مِنْ جهةِ كونِهِ حبيباً ، لا مِنْ جهةِ خصوصيَّةٍ في شخصِ خالدٍ ، حتَّىٰ لو كانَ حبيبُهُ غيرَ خالدٍ كنتَ آمراً بالتوسُّلِ بهِ ، وكان مفيداً . . كانَ لفظُ (خالدٍ) عطفَ بيانٍ تُعلِمُ بهِ مُخاطَبَكَ الشخصَ الذي أردتَهُ بلفظِ (الحبيبِ) الذي هوَ المعطوفُ عليهِ .

فإذا كانَ التوسُّلُ لخصوصيةٍ في خالدٍ ؛ بأن يكونَ أعزَّ الأحبَّةِ ، فلا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ؛ إذ ليسَ مُجرَّدُ المَحبَّةِ كافياً في ذٰلكَ . . كانَ لفظُ (خالدٍ) بدلاً ؛ كأنَّك قلتَ : تَوسَّلْ إليهِ بخصوصِ خالدٍ الذي لا يفيدُ التوسُّلُ إلَّا بهِ ، فكانَ لفظُ (الحبيبِ) كأنَّهُ لم يُذكَرْ .

وربَّما أفادَ البدلُ كشفاً وبياناً ، لٰكنَّهُ غيرُ مقصودٍ بهِ .

وكذٰلكَ تقولُ : ارحمْ أخاكَ زيداً المسكينَ الضَّعيفَ العاجزَ ، تجعلُ عِلَّةَ طلبِ رحمتِهِ كونَهُ خصوصَ زيدٍ بمسكنتِهِ وضَعفِهِ وعجزِهِ ؛ كأنَّكَ تقولُ : لو لم يكنْ زيدٌ أخاكَ . . لكانَ ينبغي أن يُرحَمَ .

وبتأمُّلِ هٰذا يُعرَفُ أنَّ البدلَ هوَ المقصودُ بالحكمِ ، وأنَّهُ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، وأنَّهُ لا يغني عنهُ عطفُ البيانِ .

وأمَّا الفرقُ الصناعيُّ . . فهوَ أنَّكَ تضيفُ لفظاً مُصدَّراً بـ (أل) إلىٰ لفظٍ كذٰلكَ ، فتجوزُ الإضافةُ ؛ كقولِكَ : رأيتُ الحسنَ الوجهِ ، فإذا أتبعتَ المُضافَ إليهِ بلفظٍ خالٍ مِنْ (أل) كقولِهِ [1] : [من الوافر]

أَنَا ٱبْنُ ٱلتَّارِكِ ٱلْبَكْرِيِّ بِشْرٍ ... عَلَيْهِ ٱلطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعَا

تَعيَّنَ في ذٰلكَ التابعِ الخالي مِنْ (أل) كونُهُ عطفَ بيانٍ ، ولا يجوزُ أن يكونَ بدلاً ؛ لأنَّهُ يلزمُ حينَئذٍ إضافةُ ما فيهِ (أل) إلىٰ خالٍ منها ؛ إذ هوَ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ كما عرفتَ ، وهوَ غيرُ جائزٍ ، فلفظُ (بشرٍ) عطفُ بيانٍ للمرادِ بلفظِ (البكريِّ) .

وتقولُ : يا رجلُ ، نداءً لمقصودِ العينِ مُوجِّهاً إليهِ الكلامَ ، والمُنادى الذي هٰذا شأنُهُ وليسَ مُضافاً ولا شبيهاً بهِ يُبنىٰ على الضمِّ كما سبقَ [2] ، وهوَ في محلِّ نصبٍ ، فإذا عطفتَ عليهِ بياناً . . جازَ لكَ نصبُهُ رعايةً للمَحَلِّ ، وجازَ لكَ رفعُهُ رعايةً لِلَّفظِ كما ستَعرِفُهُ في تفصيلِ تابعِ المنادىٰ [3] ، فإذا جعلتَهُ بدلاً . . وجبَ ضمُّهُ بناءً ؛ لكونِهِ منادىً مُستقِلّاً ، فتقولُ على العطفِ : يا رجلُ خالدٌ بالرفعِ ، وخالداً بالنصبِ ؛ على الرعايتَينِ ، وعلى البدلِ : يا رجلُ خالدُ بالضَّمِّ بلا تنوينٍ ، كأنَّكَ قلتَ : يا رجلُ يا خالدُ ، وسيأتي لهٰذا مزيدُ بيانٍ [4] .

ومِنْ هٰذا القسمِ مِنَ البدلِ : **بدلُ التفصيلِ** ؛ كقولِكَ : جاءَ الرجالُ زيدٌ وعمرٌو وبكرٌ .

---

(١) هو المرار الفقعسي ، كما في « خزانة الأدب » (٢٨٤/٤) .
(٢) انظر (٤١٩/١) .
(٣) انظر (٥١٠/١) .
(٤) انظر (٥١٠/١) .

بدلُ البعضِ مِنَ الكلِّ

لفظٌ يكونُ المرادُ بهِ بعضَ المرادِ بلفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ نحوُ : قرأَ زيدٌ الكتابَ أكثرَهُ ، وسرينا اللَّيلَ مُعظمَهُ ، ولم يفهمْ زيدٌ العِلْمَ شيئاً منهُ .

وهٰذا البدلُ يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ كما رأيتَ ، ونحوُ : رأيتُ الرجلَينِ أكبرَهُما .

ولا يُستعمَلُ هٰذا البدلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ البعضُ هوَ المُعتبَرَ حتىٰ كأنَّهُ الكلُّ ، وتقريبُهُ : أنَّ إنساناً يقولُ لصاحبِهِ : فلانٌ شربَ الماءَ ، فيقولُ لهُ صاحبُهُ : أشربَهُ كلَّهُ ؟ فيقولُ : أكثرَهُ ، فلمَّا كانَ المشروبُ أكثرَ الماءِ . . ساغَ للمُخبِرِ أن يقولَ : شربَ فلانٌ الماءَ ، كأنَّ الباقيَ عدمٌ بعدَ الذاهبِ .

بدلُ الاشتمالِ

لفظٌ يكونُ المرادُ منهُ شيئاً لهُ تَعلُّقٌ وارتباطٌ بالمرادِ مِنْ لفظِ المُبدَلِ منهُ ؛ كأوصافِهِ ، ومملوكاتِهِ ، وأهلِهِ ، ومظروفاتِهِ ؛ نحوُ : أعجبَني زيدٌ كلامُهُ ، ونفعَني بكرٌ علمُهُ ، وطابَ خالدٌ أبوهُ ، ونحوُ : لا يجوزُ يومُ العيدِ صيامٌ فيهِ .

وهٰذا البدلُ أيضاً يجبُ أن يَصحبَهُ ضميرُ المُبدَلِ منهُ ، ولا يُستعمَلُ بلاغةً إلَّا حيثُ يكونُ معنى البدلِ كأنَّ المُبدَلَ منهُ ليسَ شيئاً وراءَهُ ؛ فمَنْ يقولُ : أعجبَني زيدٌ كلامُهُ . . كأنَّهُ يقولُ : ليسَ زيدٌ شيئاً وراءَ كلامِهِ .

بدلُ الغَلَطِ

لفظٌ يُذكَرُ لإفادةِ أنَّ ذكرَ المُبدَلِ منهُ كانَ غَلَطاً أو سهواً ؛ نحوُ : جاءَ زيدٌ خالدٌ ، وخذِ الكتابَ الفرسَ ، واستعمالُهُ بـ (بل) أحسنُ .

ويُستعمَلُ هٰذا النوعُ مِنَ البدلِ عندَ تَغيُّرِ النيَّةِ ، ويُسمَّىٰ : بدلَ البَداءِ ، مثلاً : إذا أمرتَ خادمَكَ بإحضارِ الحمارِ ، ثمَّ تَغيَّرَتْ نيَّتُكَ إلى الفرسِ ، فقلتَ : أحضرِ الحمارَ الفرسَ . . فهوَ بدلُ البَداءِ ؛ أيِ : الظُّهورِ ؛ لأنَّهُ ظهرَ لكَ ما لم يكنْ ظاهراً .

ولا يُبدَلُ اسمٌ ظاهرٌ مِنْ ضميرِ مُتكلِّمٍ ، ولا مِنْ ضميرِ مُخاطَبٍ . . إلَّا حيثُ يُنبَّهُ بهِ على الإحاطةِ والشُّمولِ ؛ كقولِكَ : يا بني عُذْرةَ ؛ إنَّ العِشقَ فيكم أوَّلِكُم وآخِرِكُم ، وإنَّنا كبارَنا وصغارَنا راغبونَ إلى اللهِ .

ويُبدَلُ الاسمُ الظاهرُ مِنْ ضميرِ الغائبِ بدلَ كلٍّ ، ومنهُ ومِنْ غيرِهِ بدلَ بعضٍ واشتمالٍ وغَلَطٍ ؛ نحوُ : انتفعتُ بهِ زيدٍ ، وأعجبَتْني كلامُكَ .

وإذا أردتَ أن تُبدِلَ مِنِ اسمِ شرطٍ أوِ اسمِ استفهامٍ . . وجبَ أن تَذكُرَ معَ البدلِ مِنِ اسمِ الشرطِ كلمةَ (إنْ) ، ومعَ البدلِ مِنِ اسمِ الاستفهامِ همزتَهُ ؛ تقولُ : مَنْ عندَكَ أزيدٌ أم عمرٌو ؟ وما تريدُ أذهاباً أم بقاءً ؟ ومَنْ ذا تَطلُبُ أزيداً أم عمراً ؟ أو : أزيدٌ أم عمرٌو . . . وهٰكذا ، ومَنْ يأتِكَ إن زيدٌ وإن عمرٌو . . فأكرمْهُ ، وما تفعل إن خيراً وإن شرّاً . . تُجزَ بهِ .

ويُبدَلُ الفعلُ مِنَ الفعلِ ؛ نحوُ : ﴿ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾ [1] ، ونحوُ : نعبدُ اللهَ ؛ نصلِّي ونصومُ ، ونرجو ثوابَهُ ونخافُ عقابَهُ .

فهٰذِهِ التوابعُ يكونُ إعرابُها إعرابَ متبوعاتِها ، والعاملُ في متبوعاتِها هوَ العاملُ فيها ، إلَّا البدلَ .

---

(١) سورة الشعراء : (١٣٢ ـ ١٣٣) ، ولعل مراد المؤلف بإبدال الفعل من الفعل : إبدال الجملة من الجملة ، كما في « أوضح المسالك » (٣٦٢/٣) .

لـكنْ لكلِّ مِنْ تابعَي المُنادىٰ واسمِ (لا) التبرئةِ تفصيلٌ ؛ لأنَّ فيهما نوعَ مخالفةٍ ، فلا بدَّ مِنْ إيرادِهِ ، فنقولُ :

تابعُ المُنادىٰ

إن كانَ بدلاً أو معطوفاً عطفَ نسقٍ لم يُصدَّرْ بـ (أل) . . كانَ كمُنادىً مُستقِلٍّ ؛ لكونِ البدلِ علىٰ نيَّةِ تَكرارِ العاملِ ، ولنيابةِ العاطفِ عن حرفِ النداءِ ، فيُبنىٰ علىٰ ما يُرفَعُ بهِ إن كانَ مقصودَ العينِ غيرَ مُضافٍ ولا شبيهٍ بهِ ، ويُنصَبُ إن كانَ أحدَهُما ، سواءٌ كانَ المُنادىٰ متبوعُهُ مبنيّاً أو منصوباً ؛ نحوُ : يا غلامُ بشرُ ، ويا أبا عبدِ اللهِ بشرُ ، ويا زيدُ وعمرُو ، ويا أبا الفضلِ وعمرُو .

وإن كانَ التابعُ غيرَ بدلٍ وغيرَ معطوفٍ كذٰلكَ ؛ فإن كانَ نعتَ (أيٍّ) أوِ اسمِ إشارةٍ . . كانَ مبنيّاً علىٰ ما يُرفَعُ بهِ ؛ نحوُ : يا أيُّها الرَّجلُ ، ويا أيَّتُها المرأةُ ، ويا أيُّها الرَّجلانِ ، ويا أيُّها المؤمنونَ ، ويا هـٰذا الإنسانُ ، ويا تانِ المرأتانِ ، ويا هـٰؤلاءِ الفاضلونَ .

فإن لم يكنْ نعتاً لـ (أيٍّ) ولا اسمِ إشارةٍ ؛ فإن كانَ متبوعُهُ منصوباً . . كانَ منصوباً ، وإن كانَ متبوعُهُ مبنيّاً ؛ فإن كانَ مُضافاً . . وجبَ نصبُهُ ، إلَّا إذا كانَ المُضافُ نعتاً مُصدَّراً بـ (أل) ، فإنَّهُ يجوزُ رفعُهُ رعايةً لِلَّفظِ ، ونصبُهُ رعايةً للمَحَلِّ .

كما أنَّ بقيَّةَ التوابعِ إذا لم تُضَفْ كذٰلكَ في جوازِ الوجهَينِ ؛ نحوُ : يا زيدُ حسنَ الوجهِ نعتاً ، ويا زيدُ نفسَكَ توكيداً ، ويا زيدُ أبا عمرٍو عطفَ بيانٍ ، ويا زيدُ الحسنُ الوجهِ بالرفعِ ، أوِ : الحسنَ الوجهِ بالنصب ، نعتاً مُصدَّراً بـ (أل) ، ويا تميمُ أجمعونَ أو أجمعينَ توكيداً ، ويا غلامُ بشرُ أو بشراً عطفَ

بيانٍ ، ويا زيدُ والظَّريفَ الطِّباعِ أو والظَّريفُ الطِّباعِ ، معطوفاً عطفَ نسقٍ مُصدَّراً بـ (أل) .

تابعُ اسمِ (لا)

إذا أتبعتَ المبنيَّ بمُتَّصِلٍ بهِ نعتاً أو تأكيداً أو بياناً . . جازَ لكَ فتحُ التابعِ بناءً لتركيبِهِ معَ متبوعِهِ ، ونصبُهُ رعايةً لمَحَلِّ متبوعِهِ ، ورفعُهُ رعايةً لِمَا كانَ لهُ ؛ حيثُ كانَ مبتدأً كما وردَ في اللغةِ .

وإذا أتبعتَهُ بها مُنفصِلةً أو بمعطوفٍ عطفَ نَسَقٍ لم تُكرَّرْ معَهُ (لا) . . جازَ النصبُ والرفعُ دونَ الفتحِ ؛ لامتناعِ التركيبِ إذاً ، فإن كَرَّرتَ (لا) معَ المعطوفِ نَسَقاً . . جازَتْ فيهِ الأوجهُ الثلاثةُ ؛ وذٰلكَ حيثُ يكونُ التابعُ مفرداً ، وإلَّا . . فهوَ كالمُنفصِلِ ، وتابعُ المُعرَبِ لهُ حكمُ سائرُ التوابعِ ، والبدلُ جملةٌ مُستقِلَّةٌ .

[التنازعُ في العملِ]

هٰذا ؛ ومِنَ التراكيبِ تركيبٌ تَرجمَ النحويونَ لبيانِ أحكامِهِ بالتنازعِ في العملِ ، هٰذا موضعُ بيانِهِ ؛ لأنَّهُ يَتعلَّقُ بما سَلَفَ مِنَ الأبوابِ .

فاعلمْ : أنَّهُ متىٰ كانَ تركيبٌ . . فألبتةَ يكونُ مُشتمِلاً علىٰ : **عاملٍ** ، ومعمولٍ ، وعملٍ ، ومقتضٍ لذٰلكَ العملِ ، وبعضُهُم قسمَ النحوَ أربعةَ أقسامٍ لذٰلكَ ، ونِعْمَ ما صنعَ .

فالعملُ : هوَ ما نُسمِّيهِ إعراباً .

ومقتضيهِ : طالبُ التميُّزِ مِنَ الفاعليةِ والمفعوليةِ وغيرِهِما .

والمعمولُ : هوَ المُعرَبُ .

والعاملُ : هوَ ما تَنسُبُ إليهِ إيجادَ العملِ وإحداثَهُ ، فهوَ عندَهُم بمنزلةِ العِلَّةِ الفاعليَّةِ .

ومِنَ المعقولِ : أنَّهُ لا يمكنُ تأثيرُ مُؤثِّرَينِ في أثرٍ واحدٍ ؛ فمِنْ ثَمَّ إذا وُجِدَ عاملانِ بعدَهُما معمولٌ . . وجبَ أن تعطيَهُ لأحدِهِما ، وتُقدِّرَ للآخَرِ ، وهٰذا هوَ صورةُ التركيبِ المذكورِ .

حاصلُهُ : أن تذكرَ عاملَينِ مِنَ الأفعالِ وشبهِها فقطْ ، وتعقبَهُما بمعمولٍ مِنَ المرفوعاتِ أوِ المنصوباتِ أوِ المخفوضاتِ ، فيكونَ المعمولُ لأحدِهِما ، والثاني أَولىٰ بهِ عندَ البصريَّةِ ؛ لاتصالِهِ بهِ ، والأوَّلُ عندَ الكوفيَّةِ ؛ لسبقِ طلبِهِ .

وعلىٰ ملاحظةِ ما رُوِيَ مِنْ أنَّ الصَّيدَ لِمَنْ قَنَصَهُ ، لا لِمَنْ أثارَهُ[1] . . فالرأيُ معَ البصريَّةِ .

فإن كانَ المعمولُ فَضْلةً ؛ فإن أعملتَ الثانيَ . . أضمرتَ للأوَّلِ ضميراً مُطابِقاً للمعمولِ المذكورِ ، وحذفتَهُ وجوباً ، وإن أعملتَ الأوَّلَ . . أضمرتَ في الثاني ، وذكرتَهُ وجوباً ؛ نحوُ : أكرمتُ وحبوتُ زيداً ، التقديرُ : أكرمتُهُ ، فحُذِفَ الضَّميرُ علىٰ إعمالِ الثاني ، وتقولُ : أكرمتُ وحبوتُهُ زيداً ، ذاكراً للضَّميرِ علىٰ إعمالِ الأوَّلِ ، وتقولُ : مررتُ وطُفتُ بزيدٍ ؛ أي : مررتُ بهِ ، ومررتُ وطُفتُ بهِ بزيدٍ ، وخرجَ زيدٌ وسافرَ يومَ الجمعةِ ؛ أي : خرجَ فيهِ ، وخرجَ وسافرَ فيهِ يومَ الجمعةِ .

---

(١) انظر « الدراية في تخريج أحاديث الهداية » (٢/٢٥٦) .

وعلىٰ هٰذا القياسُ ، وجاءَ نادراً ما يخالفُ ذٰلكَ ، قالَ [1] : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ تُرْضِيهِ وَيُرْضِيكَ صَاحِبٌ جِهَاراً فَكُنْ فِي ٱلْغَيْبِ أَحْفَظَ لِلْوُدِّ

فذكرَ ما الحُكْمُ وجوبُ حذفِهِ ، وقالَ آخرُ في صفةِ سيفٍ [2] : [من مجزوء الكامل]

بِعُكَاظَ يُعْشِي ٱلنَّاظِرِيـ ـنَ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعَهْ

أي : لمحوهُ ، فحذفَ ما الحُكْمُ وجوبُ ذكرِهِ .

ومتىٰ كانَ المعمولُ عُمدةً ؛ بأن كانَ فاعلاً ، أو كانَ مبتدأً ، أو خبراً بحَسَبِ الأصلِ ؛ بأن كانَ العواملُ مِنَ النواسخِ . . وجبَ الإضمارُ للمُهمَلِ ، ووجبَ ذكرُ الضَّميرِ مطلقاً ، مُستتِراً في مواضعِ الاستتارِ ، وبارزاً في مواضعِ البُروزِ .

تقولُ : أصبحَ زيدٌ وأمساهُ قارئاً ، وأصبحَهُ زيدٌ وأمسىٰ قارئاً ، وظنَّنِيهِ زيدٌ وظننتُهُ أخاً ، وظنَّنِي زيدٌ وظننتُهُ إيَّاهُ أخاً .

وعلىٰ هٰذا القياسُ ، وفصلُ الضَّمائرِ ووصلُها علىٰ ما سلفَ لكَ شرحُهُ .

ومتىٰ لم يُطابِقِ المُفسِّرُ مُفسَّرهُ . . امتنعَ الإضمارُ ووجبَ الإظهارُ ، وفي هٰذا التركيبِ يعودُ ضميرٌ علىٰ مُتأخِّرٍ لفظاً ورتبةً ، وهوَ أحدُ مواضعَ ستَّةٍ **يعودُ فيها الضَّميرُ على المُتأخِّرِ لفظاً ورتبةً** ، ويُقالُ : إنَّ مَرجِعَ الضَّميرِ تَقدَّمَ حُكْماً ، **فأقسامُ تَقدُّمِ المَرجِعِ ثلاثةٌ : تَقدُّمٌ لفظيٌّ ، وتَقدُّمٌ رُتْبيٌّ ، وتَقدُّمٌ حُكْميٌّ** .

بقيةُ المواضعِ المذكورةِ هيَ : تركيبُ (نِعْمَ) و(بئسَ) ، وتركيبُ (رُبَّهُ

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (١/٤٣٨) .

(٢) القائل هو السيدة عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، كما في « شرح الحماسة » للتبريزي (٢/١٣٠) .

فتىً) ، وتركيبُ (مررتُ بهِ زيدٍ) ، وتركيبُ ضميرِ الشأنِ ، وتركيبُ نحوِ قولِكَ [1] : [من الطويل]

هِيَ ٱلنَّفْسُ مَا حَمَّلْتَهَا تَتَحَمَّلُ

وقولِكَ : هيَ العربُ تقولُ ما شاءَتْ ، علىٰ أنَّ كلمتَيِ (النفسُ) و(العربُ) خبرانِ .

❋ ❋ ❋

(١) تقدم (١/٣٣٥) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

هِـيَ ٱلـنَّـفْـسُ مَـا حَـمَّـلْـتَـهَـا تَـتَـحَـمَّـلُ ... وَلِـلـدَّهْـرِ أَيَّـامٌ تَـجُـورُ وَتَـعْـدِلُ

القسمُ الرابعُ
في الجملةِ الشرطيَّةِ

الجملةُ الشرطيَّةُ : هيَ المُصدَّرةُ بأداةِ شرطٍ ؛ حرفٍ أوِ اسمٍ ضُمِّنَ معناهُ ، وقد سلفَتْ [١] ، والغرضُ هنا : بيانُ مَفادِ الجملةِ الشرطيَّةِ ، وما يعملُ مِنَ الأدواتِ وما لا يعملُ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأحكامِ المُتعلِّقةِ بها ، فنقولُ :

أمَّا مَفادُ الجملةِ الشرطيَّةِ . . فهوَ ارتباطُ وقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنَها جملةُ الجزاءِ بوقوعِ النسبةِ التي تَضمَّنَها جملةُ الشرطِ ، علىٰ وجهِ توقُّفِهِ عليهِ توقُّفَ المُسبَّبِ على السببِ ، أوِ المشروطِ على الشرطِ ؛ فوقوعُ نسبةِ جملةِ الشرطِ . . سببٌ أو شرطٌ لوقوعِ نسبةِ الجزاءِ .

فالنسبةُ التي يَتعلَّقُ بها الحكمُ في الجملةِ الشرطيَّةِ . . مُستقَرُّها بينَ جملتَيِ الشرطِ والجزاءِ ، وهما طرفاها ، فهُما بمنزلةِ المحمولِ والموضوعِ في الجملةِ الخبريَّةِ ، فلا حكمَ فيهِما ، إلَّا أنَّهُ إذا كانَ الجوابُ طلباً . . فإنَّهُ يكونُ موضعَ الحكمِ ، والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وهٰذا هوَ المذهبُ الأخيرُ الذي انحطَّ عليهِ رأيُ المُحقِّقينَ بعدَ اختلافٍ أُطيلَتْ فيهِ الاعتراضاتُ والأجوبةُ ؛ فكانَ بعضُ العلماءِ المُتقدِّمينَ علىٰ أنَّ الحكمَ في الجزاءِ والشرطُ قيدٌ لمُسنَدِهِ ، وبعضُ المُتوسِّطينَ ـ كالشريفِ الجُرجانيِّ وشيعتِهِ ـ علىٰ أنَّ الحكمَ بينَ الشرطِ والجزاءِ مطلقاً .

[أدواتُ الشرطِ]

وأمَّا العاملُ مِنْ أدواتِ الشرطِ . . فهيَ حرفانِ : (إن) و(إذما) ، وعشرةُ

(١) انظر (١/٣٤٨) .

أسماءٍ : (مَنْ) و(ما) و(أيٌّ) و(مهما) و(متىٰ) و(أيَّانَ) و(أينَ) و(حيثُما) و(أنَّىٰ) و(كيفَما) .

فـ (كيفَما) منها منصوبةٌ على الحاليَّةِ أبداً ، وأسماءُ الأمكنةِ والأزمنةِ منها منصوبةٌ على الظَّرفيةِ ، وغيرُها مُعرَبةٌ حَسَبَ الاقتضاءِ ، وناصبُ المنصوبِ منها : هوَ فعلُ الشرطِ كما يظهرُ لكَ بحَلِّ التركيبِ لإبانةِ صريحِ المعنىٰ .

مثلاً : إذا قلتَ : كيفَما يُصَلِّ الإمامُ يُصَلِّ المأمومُ . . فحَلُّهُ لذٰلكَ : إن يُصَلِّ الإمامُ مُسرِعاً . . يُصَلِّ المأمومُ مُسرِعاً ، ومُبطِئاً إن مُبطِئاً ، ومُتوسِّطاً إن مُتوسِّطاً .

وإذا قلتَ : أينَ تجلسْ أجلسْ . . فحَلُّهُ : إن تجلسْ داخلَ المسجدِ . . أجلسْ داخلَهُ ، وخارجَهُ إن خارجَهُ .

وإن قلتَ : ما تصنعْ أصنعْ . . فحَلُّهُ : إن تصنعْ معروفاً . . أصنعْهُ ، ومُنكَراً إن مُنكَراً .

وغيرُ الحالِ والظُّروفِ : كما يكونُ منصوباً ـ مثلَ ما رأيتَ ـ يكونُ مرفوعاً ومخفوضاً ؛ نحوُ : مَنْ تزرْهُ . . أزرْهُ ، وحلُّهُ : كلُّ شخصٍ إن تزرْهُ . . أزرْهُ ، مبتدأٌ والجملةُ الشرطيةُ خبرٌ ، ونحوُ : غلامُ أيِّهم تُكرِمْهُ . . أُكرِمْهُ ، وحَلُّهُ : غلامُ كلِّ شخصٍ إن تُكرِمْهُ . . أُكرِمْهُ ، ونحوُ : بمَنْ تثقْ . . أثقْ ، وحَلُّهُ : إن تثقْ بزيدٍ . . أثقْ بهِ ، وبعمرٍو إن بعمرٍو ، وهٰكذا ، مَنْ أعملَ الفكرَ . . ينلْ ما يَطلُبُهُ .

[أحوالُ الشرطِ والجزاءِ]

هٰذا ؛ وأمَّا الشرطُ والجزاءُ . . فتارةً يكونانِ مضارعَينِ ، وتارةً ماضيَينِ ،

وتـارةً يكـونُ الشرطُ ماضياً والـجزاءُ مضارعاً ، وتـارةً يكـونُ الشرطُ مضارعاً والجزاءُ ماضياً ، وهوَ قليلٌ ، وتارةً يكونُ الجزاءُ جملةً .

والأوَّلُ هـوَ الأصـلُ ؛ لـموافقتِهِ مقتضىٰ تعليقِ ما ليسَ حاصلاً علىٰ مثلِهِ ، وظرفُ الحصولَينِ المستقبلُ ؛ ولذٰلكَ يكونُ الماضي الواقعُ شرطاً هوَ ماضٍ في اللَّفظِ فقطْ ، أُوقِـعَ موقعَ المضارعِ لغرضٍ يُبيَّنُ في عِلْمِ المعاني .

الأمثلة : ﴿ إِن تَعُودُواْ نَعُدۡ ﴾[1] ، ﴿ إِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا ﴾[2] ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦ ﴾[3] .

وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً . . غُفِرَ لَهُ »[4] .

وقالَتْ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : (إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أَسِيفٌ ؛ متىٰ يقمْ مَقامَكَ . . رَقَّ)[5] .

وقالَ العربيُّ[6] : [من الخفيف]

مَـنْ يَـكِـدْنِـي بِـسَـيِّـئٍ كُـنْـتُ مِـنْـهُ ... كَـٱلـشَّـجَـا بَـيْـنَ حَـلْـقِـهِ وَٱلْـوَرِيـدِ

وآخَرُ[7] : [من البسيط]

إِنْ تَصْرِمُونَا وَصَلْنَاكُمْ وَإِنْ تَصِلُوا ... مَـلأْتُـمُ أَنْـفُـسَ ٱلأَعْـدَاءِ إِرْهَـابَـا

(١) سورة الأنفال : (١٩) .
(٢) سورة الإسراء : (٨) .
(٣) سورة الشورىٰ : (٢٠) .
(٤) أخرجه البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) أخرجه البخاري (٣٣٨٤) .
(٦) انظر « خزانة الأدب » (٧٦/٩) .
(٧) انظر « همع الهوامع » (٥٥١/٢) .

وآخَرُ [1] : [من البسيط]

إِنْ يَسْمَعُوا سُبَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحاً مِنِّي وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

وآخَرُ [2] : [من البسيط]

إِنْ يَعْلَمُوا ٱلْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرّاً أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وحكمُ الشرطِ والجزاءِ الجزمُ لفظاً أو محلّاً ، ولا إعرابَ للماضي كما عرفتَ في غيرِ هٰذا الموضعِ ، لٰكنْ إذا كانَ الشرطُ ماضياً . . جازَ رفعُ الجزاءِ المضارعِ ، قالَ زهيرٌ يَمدحُ هرمَ بنَ سنانٍ [3] : [من البسيط]

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ يَقُولُ لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرِمُ

وإذا كانَتْ جملةُ الجزاءِ : جملةً اسميةً ، أو طلبيةً ، أو مُصدَّرةً بفعلٍ جامدٍ ، أو بـ (قد) ولو مُقدَّرةً ، أو بـ (ما) النافيةِ ، أو بـ (لن) ، أو بالسينِ ، أو بـ (سوفَ) . . كانَتْ كما يَحكُمُ بهِ الوِجدانُ آبيةً عنِ الربطِ الشرطيِّ ، فأوجبَتِ اللغةُ مساعدةَ الأداةِ بفاءِ السببيةِ الملاقيةِ لها معنىً ، وأجازَتْ ذٰلكَ حيثُ يكونُ مضارعُ الجزاءِ منفيّاً بـ (لا) ، وحيثُ يكونُ ماضيها مقصوداً بهِ الوعدُ أوِ الوعيدُ ، ولا تجوزُ الفاءُ في غيرِ ذٰلكَ ، وما وردَ علىٰ خلافِهِ مُؤوَّلٌ بتقديرِ ما يجعلُ الجملةَ مِنْ مواضعِ الفاءِ ؛ نحوُ : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ [4] ، تقديرُهُ : فهوَ ينتقمُ ، وحذفُ الفاءِ حيثُ وُجِدَتْ . . ضرورةٌ ؛ كقولِهِ [5] : [من البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللهُ يَشْكُرُهَا

---

(1) انظر « مغني اللبيب » (٢/٩٠٨) .

(2) انظر « عيون الأخبار » (٢/٢٨) .

(3) انظر « ديوان زهير بن أبي سلمىٰ » (ص ١٢٠) .

(4) سورة المائدة : (٩٥) .

(5) انظر « الكتاب » لسيبويه (٣/٦٥) ، و« خزانة الأدب » (١١/٣٥٧) ، وهو صدر بيت ، والبيت بتمامه :

مَنْ يَفْعَلِ ٱلْحَسَنَاتِ ٱللهُ يَشْكُرُهَا وَٱلشَّرُّ بِٱلشَّرِّ عِنْدَ اللهِ مِثْلَانِ

وقد وردَ بعدَ (إن) خاصَّةً إقامةُ (إذا) الفجائيةِ مُقامَ الفاءِ ؛ حيثُ يكونُ الجوابُ جملةً اسميةً غيرَ طلبيةٍ ولا مُصدَّرةٍ بـ (إنَّ) المُؤكِّدةِ ولا بأداةِ نفيٍ ؛ نحوُ : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ (١) ، وقد وردَ الربطُ بـ (إذا) مكانَ الفاءِ ، وبهما معاً بعدَ (إذا) مِنَ الأدواتِ غيرِ العاملةِ ؛ نحوُ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ (٢) .

وإذا جئتَ بعدَ الجزاءِ بمضارعٍ مسبوقٍ بفاءٍ أو واوٍ . . جازَ لكَ جزمُهُ على العطفِ ، ورفعُهُ على الاستئنافِ ، ونصبُهُ بـ (أن) مضمرةً بعدَ واوِ المَعيَّةِ وفاءِ السببيةِ ، ويُزادُ هٰذا علىٰ مواضعِهِما السالفةِ ، وبثلاثةِ الأوجهِ يُروىٰ قولُهُ (٣) : [من الوافر]

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ ... رَبِيعُ ٱلنَّاسِ وَٱلْبَلَدُ ٱلْحَرَامُ
وَنَأْخُذُ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ ... أَجَبِّ ٱلظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

الذِّنَابُ : ككتابٍ ، والسَّنامُ : كسَحابٍ ، وإذا وَسَّطتَهُ . . لم يجزِ الرفعُ .

❊

ويجوزُ حذفُ الجزاءِ ؛ نحوُ : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا . . . ﴾ الآيةَ (٤) ؛ أي : فافعلْ ، ونحوُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٥) ؛ أي : لكانَ (٦) .

---

(١) سورة الروم : (٣٦) .
(٢) سورة الأنبياء : (٩٦ ـ ٩٧) .
(٣) هو النابغة الذبياني في « ديوانه » (ص ١٠٥) .
(٤) سورة الأنعام : (٣٥) .
(٥) سورة الرعد : (٣١) .
(٦) أي : لكان هٰذا القرآن ، وقدره ابن هشام في « مغني اللبيب » (٨٤٩/٢) : لَما آمنوا به .

ويجبُ إذا كانَ الشرطُ ماضياً ولو معنىً ، وتَقدَّمَ على الأداةِ أوِ اكتنَفَها ما يَصلُحُ أن يكونَ جواباً ، أو تَقدَّمَها قَسَمٌ لم يَصحَبْهُ طالبُ خبرٍ ؛ نحوُ : أجلسُ إن جلسَ زيدٌ ، أو : إن لم يجلسْ ، وأنا إن لم يجلسْ جالسٌ ، ونحوُ : أَحلِفُ إن خرجَ زيدٌ لَأخرجنَّ ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، فإن تَأخَّرَ القَسَمُ أو صحبَهُ طالبُ خبرٍ . . لم يكنِ الجوابُ محذوفاً .

[الجوابُ إن توالىٰ شرطانِ]

وإذا توالىٰ شرطانِ ؛ فإذا عطفتَ بالواوِ . . كانَ الجوابُ المذكورُ لهُما معاً ، وإذا عطفتَ بـ (أو) . . أجبتَ أحدَهُما وأضمرتَ للآخَرِ ؛ نحوُ : إن زارَكَ زيدٌ أو إن زارَتْكَ هندٌ . . فأكرمْهُ ، أو فأكرمْها ، وفي نحوِ : إن جاءَ زيدٌ فإن جاءَ عمرٌو . . فأكرمْهُ ؛ الجوابُ : الفاءُ ومدخولُها ، وإذا لم تعطفْ . . فالجوابُ للأوَّلِ ، وجوابُ الثاني مُقدَّرٌ بجملةٍ قائمةٍ مِنَ الشرطِ الأوَّلِ وجوابِهِ ؛ كقولِكَ (٢) : [من البسيط]

إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إِنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا ... مِنَّا مَعَاقِلَ عِزٍّ زَانَهَا كَرَمُ

فالتقديرُ : إن تذعَرُوا ؛ فإن تستغيثوا بنا . . تجدوا .

وحذفُ كلِّ الشرطِ قليلٌ جدّاً ؛ كقولِهِ (٣) : [من الطويل]

مَتَىٰ تُؤْخَذُوا قَسْراً بِظِنَّةِ عَامِرٍ ... وَلَا يَنْجُ إِلَّا فِي ٱلصِّفَادِ يَزِيدُ

تقديرُهُ : متىٰ تُثقَفوا ، فعلٌ مجهولٌ ؛ أي : تُوجدوا ، والظِّنَّة بكسرِ الظاءِ : التُّهَمَةُ ، والصِّفادُ : جمعُ صَفَدٍ ، واحدُ الأصفادِ ؛ وهوَ القيدُ .

---

(١) سورة الأنعام : (١٢١) .

(٢) انظر « خزانة الأدب » (١١/٣٥٨) .

(٣) انظر « همع الهوامع » (٢/٥٦٣) .

وحذفُ بعضِه كثيرٌ ؛ كقولِه[1] : [من الوافر]

فَطَلِّقْهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكُفْءٍ وَإِلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ ٱلْحُسَامُ

أي : وإلَّا تُطلِّقْها ، وقولِ الناسِ : إمَّا لا ؛ أي : افعلْ هٰذا إلَّا تفعلْ ذٰلكَ ، ونحوِ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ ﴾[2] ، وإنْ خيراً . . فخيرٌ ، وقد سلفَ أنَّ كلمةَ (إن) مُقدَّرةٌ معَ الطَّلبِ الذي جزمَتْ ما يَدُلُّ على الحاصلِ المُرتَّبِ على امتثالِه[3] .

❋ ❋ ❋

(١) هو الأحوص الأنصاري في « ديوانه » (ص ٢٣٨) .

(٢) سورة التوبة : (٦) .

(٣) انظر (١/٣٦٠) .

القسمُ الخامسُ
في بيانِ الجملِ الإنشائيةِ ، والجملِ التي لها محلٌّ مِنَ الإعرابِ والجملِ التي لا محلَّ لها منهُ

[الجملُ الخبريةُ والإنشائيةُ]

عرفتَ أنَّ المُركَّبَ التامَّ : إن كانَ حكايةً عمَّا لهُ وقوعٌ وحصولٌ . . فهوَ الخبرُ والقضيةُ ، وإن لم يكنْ كذٰلكَ . . فهوَ الإنشاءُ .

فالخبرُ : مُركَّبٌ تامٌّ مفيدٌ بهيئتِهِ التركيبيةِ الحكمَ بثبوتِ أمرٍ لأمرٍ أوِ انتفائِهِ عنهُ ؛ نحوُ : زيدٌ قائمٌ ، وقامَ زيدٌ ، ويقومُ عمرٌو ، وما قامَ عمرٌو ، وليسَ خالدٌ بقائمٍ ، ويُسمَّىٰ هٰذا النوعُ مِنَ الخبرِ : خبراً حمليّاً .

أو مُركَّبٌ تامٌّ يفيدُ استلزامَ وقوعِ نسبةٍ وقوعَ نسبةٍ أخرىٰ ؛ وهوَ الخبرُ الشرطيُّ .

فالخبرُ : إمَّا حمليٌّ ، وإمَّا شرطيٌّ .

وأمَّا الجملةُ التي يُسمِّيها أهلُ المَنطِقِ الشرطيةَ المُنفصِلةَ في مقابلةِ الشرطيةِ المُتصِلةِ السابقةِ . . فهيَ عندَ النحويينِ داخلةٌ في الحمليَّةِ ؛ فإنَّ قولَكَ : الشيءُ إمَّا أن يكونَ وإمَّا ألَّا يكونَ . . بمنزلةِ قولِكَ : الشيءُ كائنٌ أو غيرُ كائنٍ ، فهوَ مبتدأٌ وخبرٌ .

وبينَ هٰذَينِ التركيبَينِ مِنْ جهةِ التعقُّلِ فرقٌ دقيقٌ ؛ وذٰلكَ أنَّ الحكمَ في الأولِ بالعِنادِ والتنافرِ بينَ وقوعَي النسبتَينِ ، ولذٰلكَ تلاحظُ أنَّهُ في تقديرِ شرطيتَينِ مُتصلتَينِ يَستلزِمُهُما ؛ وهما إن كانَ الشيءُ كائناً . . لم

يكنْ غيرَ كائنٍ ، وإن كانَ غيرَ كائنٍ . . لم يكنْ كائناً ، وبهٰذهِ الملاحظةِ سُمِّيَتِ المُنفصِلةُ شرطيَّةً ، والحكمُ في الثاني بثبوتِ أحدِ الأمرَينِ فحَسْبُ ، وليسَ للملاحظةِ عملٌ بعدَ ذٰلكَ ، ويُسمَّىٰ عندَهُمُ : **المحمولَ المُردَّدَ** .

والإنشاءُ هوَ :

الأمرُ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً .

والنهيُ ؛ نحوُ : لا تُهِنْ عمراً .

والتمنِّي ؛ نحوُ : ليتَ الحبيبَ حاضرٌ .

والحضُّ ؛ نحوُ : هَلَّا أو أَلَّا أو لولا أو لوما تفعلُ أو فعلتَ ؛ وهوَ في المُستقبَلِ بمعنىٰ : ينبغي أن تفعلَ ، وفي الماضي بمعنىٰ : ما كانَ ينبغي أن تفعلَ ، قيلَ : وهوَ طلبٌ لتداركِ ما يمكنُ تداركُهُ ، ويَستعمِلُهُ الزاجرُ ؛ لأنَّ الحَضَّ كما عرفتَ يكونُ بشِدَّةٍ وعنفٍ .

والعَرْضُ ؛ نحوُ : أَلَا تفعلُ ، ويَستعمِلُهُ المُستعطِفُ الخاضعُ ؛ وذٰلكَ أنَّ أصلَهُ الاستفهامُ ، فهوَ طلبٌ لرأيِ المُخاطَبِ ، ولذٰلكَ صُدِّرَ بأداةِ النفيِ ، فكأنَّهُ قالَ : هلِ الأحسنُ بقاءُ الشيءِ على الانتفاءِ ؟ والمقصودُ : أنَّ الأحسنَ كونُهُ وحصولُهُ ، ولذٰلكَ يُرتَّبُ عليهِ السببُ في الحكمِ بحسنِهِ ؛ كقولِهِ (١) : [من البسيط]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا

والاستفهامُ ، وسبقَ تفصيلُهُ (٢) .

---

(١) انظر « همع الهوامع » (٢/٣٨٩) .

(٢) انظر (١/١٦٣) .

والتعجُّبُ ؛ نحوُ : لِلّهِ أنتَ ، ولِلّهِ دَرُّكَ ، ولهُ صيغتانِ مشهورتانِ يَبحثُ النحويُّ عنهُما :

ـ **إحداهُما** : فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ يقبلُ معناهُ الشِّدَّةَ والضَّعفَ ، مسبوقٌ بكلمةِ (ما) التي معناها : شيءٌ عظيمٌ ، وهيَ مبتدأٌ ، وفاعلُ الفعلِ المذكورِ ضميرٌ واجبُ الاستتارِ يعودُ علىٰ (ما) نحوُ : ما أحسنَ زيداً ، وما أجملَ عمراً ، وما ألطفَ خالداً .

مَا أَقْدَرَ ٱللهَ أَنْ يُدْنِيْ عَلَىٰ شَحَطٍ ... مَنْ دَارُهُ ٱلْحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ [1]

معناهُ : شيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ اللهَ قادراً [2] ، وشيءٌ عظيمٌ صَيَّرَ زيداً جميلاً ، نُقِلَ هٰذا التركيبُ مِنْ هٰذا المعنى الخبريِّ المشروحِ لإنشاءِ التعجُّبِ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ وشِدَّتِهِ .

وكيفيةُ السلوكِ للانتقالِ : هيَ أنَّ المُتكلِّمَ لمَّا جعلَ حُسْنَ زيدٍ حُسْناً خارجاً عنِ العادةِ . . جعلَ لهُ مُوجِداً مُبهَماً غيرَ معلومٍ ، غيرَ المُوجِدِ الذي عُلِمَ أنَّهُ يَخلقُ الأوصافَ ، ولذٰلكَ يَجعلُ بعضُ النحويينَ كلمةَ (ما) فيهِ استفهاميةً ، وهٰذهِ المعاني مُحالةٌ في أنفسِها باطلةٌ ، ألا ترىٰ أنَّ قدرةَ اللهِ جلَّ وعزَّ ليسَتْ بإيجادِ موجدٍ ولا بتصييرِ مُصيِّرٍ حتىٰ يُقالَ : (ما أقدرَ اللهَ) بذٰلكَ المعنىٰ ؟! بل معناهُ : أتعجَّبُ مِنْ قُوَّةِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ معنىً صحيحٌ .

ـ **الصِّيغةُ الثانيةُ** : فعلٌ ثلاثيٌّ مهموزٌ بهمزةِ الصَّيرورةِ ، محمولٌ مِنْ صورةِ الماضي إلىٰ صورةِ الأمرِ ؛ نحوُ : أَنعِمْ بزيدٍ ، وأَكرِمْ بهِ ، وأَحسِنْ بخالدٍ ،

---

(١) من البسيط ، والبيت لحندج بن حندج المري ، كما في « شرح الحماسة » (١٦١/٤) .

(٢) وسيردُ المؤلفُ هٰذا المعنىٰ قريباً ، وذكر الإمام السيوطي في « همع الهوامع » (٣٢١/٣) : (والمعنىٰ في « ما أعظمَ اللهَ » : أنه في غاية العظمة ، ومعنى التعجب فيه أنه لا يُنكر ؛ لأنه مما تَحار فيه العقولُ ، وإعظامه تعالىٰ وتعظيمه : الثناء عليه بالعظمة واعتقادها ، وكلاهما حاصل ، والموجب لهما أمر عظيم) .

وأَظرِفْ بهِ ، أصلُهُ : أحسنَ زيدٌ ؛ أي : صارَ ذا حُسْنٍ ، يَتكلَّمُ بهـٰذا المُتكلِّمُ المُتعجِّبُ معَ مَنْ يَعلمُ حُسْنَ زيدٍ ، فلا يَحتاجُ لأن يُخبرَ بهِ فيَعلَمَ المُخاطَبونَ أنَّهُ مُتعجِّبٌ ، والباءُ بعدَهُ زائدةٌ ، والاسمُ بعدَها في محلِّ رفعٍ هوَ الفاعلُ .

يُقالُ : أَحسِنْ بزيدٍ : فعلٌ ماضٍ تَعجُّبيٌّ جيءَ بهِ علىٰ صورةِ الأمرِ ، والفعلُ الثلاثيُّ الذي تَهمِزُهُ ليصيرَ فعلاً تَعجُّبيّاً هوَ فعلٌ مِنْ بابِ (كَرُمَ) بالأصالةِ ؛ مثلُ : حَسُنَ ؛ مِنَ الحُسْنِ ، ونَعُمَ ؛ مِنَ النَّعْمةِ بفتحٍ فسكونٍ ؛ أيِ : التَّرَفِ ، أو بالتحويلِ ؛ كضَرُبَ وفَقُهَ المُحوَّلَينِ عن ضَرَبَ وفَقَهَ بفتحِ عينِهِما .

ولكَ ـ كما سلفَ ويأتي ـ أن تَستعمِلَ أفعالَ هـٰذا البابِ للتعجُّبِ ، وأن تهمزَها لتحصيلِ تينِكَ الصِّيغتَينِ ، والفعلُ المُتعدِّي يصيرُ بتحويلِهِ لازماً كما هوَ شأنُ البابِ .

وإذا أردتَ أن تذكرَ مفعولَهُ . . أوصلتَهُ إليهِ بلامِ التعديةِ ، وليسَ لها موضعٌ سواهُ ؛ تقولُ : ضَرُبَ زيدٌ لعمرٍو ، وفَقُهَ لمسائلِ الكلامِ .

ثـمَّ إنَّ فعلَ التعجُّبِ لا يُصاغُ إلَّا ممَّا يُصاغُ منهُ اسمُ التفضيلِ ، وما تَوصَّلتَ بهِ إلى التفضيلِ حيثُ تَمتنِعُ الصِّيغةُ . . تَتوصَّلُ بهِ إلى التعجُّبِ ، والبيانُ . . البيانُ .

ومِنَ الإنشاءِ : (نِعْمَ) للمدحِ و(بئسَ) للذمِّ وما جرىٰ مَجراهُما مِنْ كلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ علىٰ (فَعُلَ) بضمِّ العينِ ، حيثُ يُرادُ بهِ المدحُ والتعجُّبُ مِنْ قُوَّةِ الوصفِ في صاحبِهِ .

وهـٰذا الفعلُ الذي يُمدَحُ بهِ أو يُذَمُّ . . يرفعُ فاعلاً مُفتتَحاً بـ (أل) ، أو مُضافاً لمُفتتَحٍ بها ؛ نحوُ : نِعْمَ المُتقي ربَّهُ ، و﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (١) ، و﴿ فَبِئْسَ

(١) سورة الرعد : (٢٤) .

﴿ ٱلْقَرِينُ ﴾[1] ، أو ضميرٌ واجبُ الاستتارِ مُذكَّرٌ ، ولك تأنيثُهُ معَ المُؤنَّثِ كما سَلَفَ ، مفردٌ دائماً ، ويُفسَّرُ باسمٍ يُذكَرُ بعدَهُ منصوباً على التمييزِ ، وهـٰذا الاسمُ النكرةُ الذي يُجعَلُ تمييزاً مُفسِّراً للضَّميرِ . . هوَ الذي يُجعَلُ فاعلاً مُفتتَحاً باللَّامِ أو مُضافاً لمُفتتَحٍ بها ، ومعنىٰ هـٰذا الاسمِ هوَ الشيءُ الذي يقعُ المدحُ أوِ الذمُّ مِنْ جهتِهِ ولأجلِهِ ؛ وهوَ اسمُ جنسٍ ، والشخصُ المُعيَّنُ الذي سيقَ الكلامُ لمدحِهِ أو ذمِّهِ . . فردٌ لذٰلكَ الجنسِ ، فيُذكَرُ قبلُ أو بعدُ مبتدأً ، والجملةُ خبرُهُ .

وقيلَ : إذا تَأخَّرَ . . كانَ خبراً لمُبتدأً واجبِ الحذفِ ، والجملةُ منهُ ومِنَ المحذوفِ مُستأنفةٌ مبنيةٌ علىٰ سؤالٍ يَلزمُ نفسَ المُخاطَبِ ؛ نحوُ : زيدٌ نِعْمَ الرجلُ ، ونحوُ : نِعْمَ الفارسُ عمرٌو ، فـ (عمرٌو) على القولِ الثاني : خبرٌ لـ (هوَ) مُقدَّرٌ ، كأنَّ المُخاطَبَ لمَّا سمعَ المُتكلِّمَ يقولُ : نِعْمَ الفارسُ . . سألَ : مَنْ هوَ ؟ فقالَ المُتكلِّمُ : عمرٌو ؛ أي : هوَ عمرٌو .

ويقعُ بعدَ هـٰذهِ الأفعالِ كلمةُ (ما) نحوُ : نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ .

فإن لاحظتَ أنَّ المعنىٰ : نِعْمَ الشيءُ الذي يَصنعُهُ زيدٌ ، علىٰ كونِ (ما) موصولةً . . كانَتْ فاعلاً .

وإن لاحظتَ أنَّ المعنىٰ : نِعْمَ شيئاً يَصنعُهُ زيدٌ ، علىٰ كونِها نكرةً موصوفةً بالجملةِ . . كانَتْ تمييزاً ، والفاعلُ : الضَّميرُ المستترُ .

وعلىٰ كلٍّ يُذكَرُ المقصودُ بالمدحِ أوِ الذمِّ ، مثلاً : تقولُ : نِعْمَ ما يَصنعُ زيدٌ ؛ تَكلُّمُهُ في موضعِ الكلامِ ، وصمتُهُ في موضعِ الصمتِ .

والأفعالُ التي تُستعمَلُ في المدحِ والذمِّ هيَ : (نِعْمَ) و(بِئْسَ) و(ساءَ)

---

(١) سورة الزخرف : (٣٨) .

و(حُبَّ) ، وسائرُ الأفعالِ الثلاثيةِ الآتيةِ علىٰ (فَعُلَ) بضمِّ العينِ وضعاً أو تحويلاً ؛ فيُقالُ : شَرُفَ الرجلُ زيدٌ ، ونَبُهَ المرءُ خالدٌ ، وظَرُفَتِ المرأةُ دعدٌ ، وطابَتِ الفتاةُ هندٌ ، وأصلُهُ : طَوُبَ بواوٍ مضمومةٍ قُلِبَتْ أَلِفاً .

وقالوا : حَبَّذا مدحاً ، ولا حَبَّذا ذمّاً ، فجعلوا الفاعلَ اسمَ إشارةٍ مُذكَّراً مفرداً دائماً كما أفردوا الضَّميرَ الفاعلَ دائماً ؛ فيُقالُ : حَبَّذا زيدٌ والزيدانِ والزيدونَ ، وحَبَّذا هندٌ ، كما يُقالُ : نِعْمَ رجلَينِ [ورجالاً] ، وقالوا : حُبَّ الرجلُ زيدٌ ، وحُبَّتِ المرأةُ هندٌ بضمِّ الحاءِ ، وحُبَّ بزيدٍ عالماً ، وحُبَّ بهندٍ عفيفةً .

والاسمُ الخاصُّ الذي سيقَ لهُ المدحُ أوِ الذمُّ يُسمَّى : **المخصوصَ بالمدحِ أوِ الذَّمِّ** .

ومِنَ الإنشاءِ : صيغُ العقودِ والحلولِ ؛ نحوُ : بعتُ ، واشتريتُ ، وحَبَّستُ ، وسَبَّلتُ ، وفسختُ ، وطَلَّقتُ ، وأنتِ طالقٌ ، وأنتَ حرٌّ ؛ إذ لا يُقصَدُ بها الحكايةُ .

ومِنَ الإنشاءِ : الدُّعاءُ ؛ نحوُ : أصلحَ اللهُ حالَكَ ، وأطالَ بقاءَكَ ، ولا زلتَ معَ الحقِّ ، و[نحوُ] : [من الخفيف]

لَنْ تَزَالُوا كَذَٰلِكُمْ ثُمَّ لَا زِلْـ ... ـتُ لَكُمْ خَالِداً خُلُودَ ٱلْجِبَالِ (١)

لعدمِ قصدِ الحكايةِ أيضاً .

---

(١) هو الأعشى الكبير في « ديوانه » (١/١٢٥) .

وأمَّا الجملُ التي لا يَخرجُ الكلامُ عنها ، ومنها : ما لهُ مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ، ومنها : ما لا مَحَلَّ لهُ منهُ . . فهيَ خمسَ عشرةَ جملةً ؛ سبعٌ لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ ، وثمانٍ لا مَحَلَّ لها .

[الجملُ التي لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ]

فذواتُ المحلِّ :

ـ جملةُ الخبرِ عمَّا له خبرٌ ؛ مِنْ مبتدأٍ وناسخٍ .

ـ وجملةُ المفعولِ في (بابِ ظنَّ) إذا وقعَتْ مفعولاً ثانياً أو سادَّةً مَسَدَّ المفعولَينِ ؛ حيثُ يُعلَّقُ الفعلُ عن نصبِ الأجزاءِ بإحدى المُعلِّقاتِ ، وبقيةُ الأفعالِ الإدراكيَّةِ التي لم تُعامَلْ مُعاملةَ (ظنَّ) لعدمِ استحقاقِها ذٰلكَ بحَسَبِ معناها . . يَدخُلُها التعليقُ ، فالجملةُ بعدَها مفعولٌ ؛ نحوُ : ذكرتُ أقامَ زيدٌ أم لم يقمْ ، وشككتُ هل قالَ ما نسبوا لهُ ، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ (١) ، وفي هٰذا وجهٌ آخَرُ ؛ وهوَ أنَّ (كيفَ) اسمٌ لم يُضمَّنْ معنى الهمزةِ ، فهوَ المفعولُ ، ومنهُ : ﴿ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (٢) .

ـ وجملةُ الحالِ .

ـ وجملةُ النعتِ .

ـ والجملةُ المُضافُ إليها .

ـ وجملةُ الجزاءِ المُفتتَحةُ بالفاءِ (٣) .

ـ والجملةُ المعطوفةُ علىٰ إحدىٰ هٰذهِ الجملِ .

---

(١) سورة البقرة : (٢٥٩) .

(٢) سورة البقرة : (٢٦٠) .

(٣) أو المفتتحة بـ (إذا) الفجائية .

كلُّها في محلِّ إعرابٍ ؛ لأنَّها واقعةٌ موقعَ مفرداتٍ ـ وذٰلكَ ضابطُها ـ لو ذُكِرَتْ . . لكانَتْ مُعرَبةً لفظاً .

مثلاً : زيدٌ أبوهُ قائمٌ ، (زيدٌ) : مبتدأٌ ، و(أبوهُ) : مبتدأٌ ، و(قائمٌ) : خبرُ المبتدأ الثاني ، والجملةُ في محلِّ رفعِ خبرِ المبتدأ الأوَّلِ واقعةٌ موقعَ (قائمُ الأبِ) ، فلفظُ (قائمٌ) يكونُ خبراً مرفوعاً بضمةٍ ظاهرةٍ ، وعليهِ القياسُ .

[الجملُ التي ليسَ لها مَحَلٌّ مِنَ الإعرابِ]

والتي لا مَحَلَّ لها :

ـ جملةُ فعلِ الشرطِ .

ـ وجملةُ جزاءِ الشرطِ التي لم تَصحَبْها فاءٌ[1] .

ـ وجملةُ جوابِ القَسَمِ .

ـ وجملةُ الصِّلةِ لاسمٍ أو حرفٍ : وصلةُ الاسمِ جملةٌ خبريةٌ ضرورةَ كونِها مسوقةً لتعيينِ المرادِ بسببِ عهدِ المُخاطَبِ وسَبْقِ شعورِهِ بحصولِ مضمونِها .

ويجبُ أن تَشتمِلَ ـ كما هوَ شأنُ جميعِ الجملِ المُتعلِّقةِ بغيرِها تَعلُّقاً شديداً ـ علىٰ رابطٍ بمعنى الموصولِ ، ويُسمَّى : **العائدَ** ، ويجبُ كونُهُ مُطابِقاً للموصولِ في الإفرادِ وفرعَيهِ ، والتذكيرِ وفرعِهِ ، إلَّا في الموصولاتِ المُشترَكةِ ، فيجوزُ فيها اعتبارُ اللَّفظِ ، فيُفرَدُ ويُذكَّرُ ، ويكونُ مرفوعاً ومنصوباً ومخفوضاً ، ويجوزُ حذفُهُ مرفوعاً إن لم يكنْ فاعلاً وطالَتِ الصِّلةُ في غيرِ (أيِّ) لدفعِ البَشاعةِ ، ومنصوباً بفعلٍ أو وصفٍ تامَّينِ ، ومخفوضاً بمُضافٍ

---

(١) أو لم تصحبها (إذا) الفجائية .

وصفٍ أو حرفٍ ، وشرطُ الحذفِ تَعيُّنُهُ ؛ بحيثُ يكونُ عينَ المرادِ بيّناً ، والفصيحُ في صلةِ (أل) كونُها وصفاً جارياً مَجرى الفعلِ .

وفي الصِّلةِ والعائدِ تَلطَّفَ شرفُ الدين ابنُ عنينٍ حيثُ كانَ مريضاً وخاطبَ سلطانَ ديارِ الشأمِ في وقتِهِ عيسى المُعظَّمَ الأيوبيَّ بقولِهِ : [من الكامل]

أُنْظُرْ إِلَيَّ بِعَيْنِ مَوْلىً لَمْ يَزَلْ ... يُولِي ٱلنَّدَىٰ وَتَلَافَ قَبْلَ تَلَافِي
أَنَا كَٱلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ ... فَٱغْنَمْ ثَوَابِي وَٱلْجَزَاءَ ٱلْوَافِي

وأحسنَ السُّلطانُ ـ رحمَ اللهُ الجميعَ ـ جوابَهُ ؛ حيثُ زارَهُ بنفسِهِ ومعَهُ بدرةُ دنانيرَ ، وقالَ : (هٰذهِ الصِّلةُ ، وأنا العائدُ) (١) .

ـ **وجملةُ التفسيرِ** .

ـ **والجملةُ الاعتراضيةُ** : وهيَ الواقعةُ بينَ أجزاءِ الكلامِ لغرضٍ مِنَ الأغراضِ التي مَحَلُّ بيانِها عِلْمُ المعاني ؛ نحوُ : زيدٌ ـ والإكرامُ عادتُهُ ـ أكرمَني ، وتقعُ بالواوِ والفاءِ وبدونِهما ؛ نحوُ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٢) .

ـ **والجملةُ الاستئنافيةُ** : وهيَ الواقعةُ في افتتاحِ النطقِ ؛ نحوُ : زيدٌ قارئٌ ، أو بعدَ انتهاءِ الكلامِ جواباً عن سؤالٍ مُقدَّرٍ ؛ نحوُ : أكرمْ زيداً ؛ إنَّهُ عالمٌ ، أو غيرَ جوابٍ ؛ نحوُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) ، وأهلُ البيانِ يَخصُّونَ اسمَ الاستئنافيةِ بالواقعةِ جواباً (٤) .

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤٩٦/٣) ، وفي « ثمرات الأوراق » لابن حجة الحموي (ص ٤٤) : (فحضر إليه المعظَّم بنفسه ومعه ثلاث مئة دينار ، وقال له : أنت « الذي » ، وأنا « العائد » ، وهٰذه « الصلة ») .

(٢) سورة النحل : (٥٧) .

(٣) سورة الإسراء : (٨١) .

(٤) وهو ما يُعبَّر عنه بالاستئناف البياني .

ـ والجملةُ التابعةُ لإحدىٰ هـٰذهِ الجملِ .

فتَلخَّصَ : أنَّ الكَلِمَ العربيَّ مِنْ حيثُ يَبحثُ النحويُّ عنهُ . . هوَ المُركَّباتُ المتمايزةُ بالضَّوابطِ ، فلا بحثَ لهُ عنِ المُفرَدِ إلَّا مِنْ حيثُ كونُهُ جزءَ كلامٍ ، ولـذٰلكَ عَرَّفَهُ بما يكونُ إعرابُهُ واحداً ؛ إذِ الألفاظُ قبلَ التركيبِ لا تُوصَفُ بإعرابٍ ولا بناءٍ ؛ لأنَّكَ قد عرفتَ أنَّ الإعرابَ والبناءَ تأثيرُ مُؤثِّرٍ مُتحصِّلٍ مُصاحِبٍ وعدمُهُ [1] .

وأنَّهُ يَبحثُ عنِ المُركَّباتِ مِنْ جهاتٍ خاصَّةٍ ؛ وهيَ كونُ الكلماتِ ـ التي هيَ أجزاءُ التركيبِ ـ مُعرَبةً لفظاً وموضعاً إعراباً ظاهراً أو مُقدَّراً ، أو مُعرَبةً موضعاً مبنيةً لفظاً ، أو مبنيةً لفظاً وموضعاً ، وأنَّها واقعةٌ في مواضعِها التي يقتضيها لها الترتُّبُ التعقليُّ للمعاني أو لا ، التزاماً لذٰلكَ ودونَهُ ، وأنَّها ملفوظةٌ بأسرِها أو لا كذٰلكَ .

والأغراضُ المُترتِّبةُ علىٰ إيرادِ التراكيبِ في تلكَ الصورِ . . هيَ مباحثُ عِلْمِ المعاني ، ولكونِ تلكَ الصُّورِ في نظرِ صاحبِ عِلْمِ المعاني لأغراضٍ . . لم تكنْ عندَهُ صورةٌ غيرُ مُلتزَمةٍ ، والنحويُّ لمَّا لم يكنْ باحثاً عن تلكَ الأغراضِ ، ورأى التركيبَ تارةً وتارةً . . أثبتَ الجوازَ ؛ فتَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ بضبطِها ضبطاً نوعيّاً ، ومَيَّزَ كُلّاً باسمٍ مناسبٍ يَخُصُّهُ ، فخرجَتْ لهُ مِنْ ذٰلكَ أبوابٌ وفصولٌ ، ثمَّ كما تَتبَّعَ أجزاءَ التراكيبِ . . تَتبَّعَ أنفسَ التراكيبِ بالكيفيةِ التي تَتبَّعَ بها الأجزاءَ .

وعلىٰ ذٰلكَ تمَّ لهُ فنٌّ ضبطَ بهِ اللُّغةَ العربيةَ ضبطاً أصليّاً لازماً ؛ إذ بهِ

---

(١) انظر (١/٣٢٩) .

تبقى اللُّغةُ التي بها وصلَ إلينا دينُنا محفوظاً مَحُوطاً أن يَدخُلَهُ شائبةُ تغييرٍ أو زحزحةٌ عن مُستقَرٍّ .

فرحمَ اللهُ أولـٰئكَ المجتهدينَ في تأييدِ هـٰذا الدِّينِ المتينِ ، صلواتُ اللهِ وتسليماتُهُ علىٰ مَنْ جاءَ بهِ وعلىٰ تابعيهِ أجمعينَ .

❋ ❋ ❋

[الإخبارُ بـ (الذي) والألفِ واللَّامِ]

وقد جرتْ عادةُ النحويينَ أن يضعوا باباً لاختبارِ حافظةِ الطَّلَبةِ وتمرينِهِم على استعمالِ تلكَ القوانينِ التي صرفوا لتحصيلِها صدراً مِنْ نفيسِ أعمارِهِم ، واحتملوا لهُ بعضَ الخروجِ عن مألوفِ النفوسِ ، وسمَّوهُ : **الإخبارَ بـ (الذي) والألف واللَّام** .

وصورةُ ذٰلكَ : أنْ يسألَكَ سائلٌ : كيفَ تُخبِرُ بـ (أل) أو بـ (الذي) عن (زيدٍ) مِنْ : مررتُ بزيدٍ ؟ فتجيبُهُ : الممرورُ بهِ لي زيدٌ ، أوِ الذي مررتُ بهِ زيدٌ .

وبيانُ ذٰلكَ : أنَّ غرَضَ السائلِ أن يأتيَ بتركيبٍ ما ، ويَطلُبَ منكَ أن تُحوِّلَهُ إلىٰ صورةِ التركيبِ الذي تُخبِرُ فيهِ عنِ الموصولاتِ .

وضابطُهُ : أن تأتيَ بأحدِ الموصولاتِ حَسَبَ الاقتضاءِ وتَجعلَهُ مبتدأً ، وتجعلَ الاسمَ الذي قيلَ : (كيفَ تخبرُ عنهُ) خبراً عن ذٰلكَ المبتدأ ، بعدَ أن تضعَ موضعَهُ ضميراً مُطابِقاً يكونُ خلَفاً منهُ .

فيظهرُ لكَ حينَئذٍ : أنَّ قولَهُم : (أَخبِرْ بـ « الذي » عن زيدٍ) فيه قلبٌ ، ووجهُهُ : أَخبِرْ عنِ (الذي) بزيدٍ ، ومِنَ التكلُّفِ أن تُجعَلَ الباءُ للآلةِ ، وأنَّ الإخبارَ في الحقيقةِ عن ذٰلكَ الاسمِ ؛ لأنَّ ذٰلكَ التركيبَ الذي يُرادُ التحويلُ إليهِ في هٰذا البابِ تركيبٌ مقصودٌ ، جُعِلَ فيهِ المُسنَدُ إليهِ مِنَ الموصولاتِ لأحدِ الأغراضِ المُبيّنةِ لهُ في عِلْمِ المعاني .

فإذا عرفتَ أنَّ الغَرَضَ تأخيرُ اسمٍ مِنَ التركيبِ لتجعلَهُ خبراً ، وأن تضعَ مكانَهُ ضميراً ، وأن تأتيَ بموصولٍ تُصدِّرُهُ وتَجعلُهُ مبتدأً . . أطلقتَ فكرَكَ

في القواعدِ التي حفظتَها ، فقلتَ في نفسِكَ : إنَّ تأخيرَ الاسمِ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي يجبُ تصديرُها ، وأنَّ رفعَهُ خبراً يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنَ الأسماءِ التي تَلزمُ حالةً واحدةً ؛ كالمصادرِ الملازمةِ للنصبِ ، والظروفِ غيرِ المُتصرِّفةِ ، وألَّا يكونَ جزءَ مُركَّبٍ ذي معنىً واحدٍ ، وأنَّ وضعَ الضَّميرِ موضعَهُ يُوجِبُ ألَّا يكونَ مِنْ أجزاءِ التراكيبِ التي يجبُ أن تكونَ نكراتٍ أو أسماءً ظاهرةً ، وأن يكونَ بحيثُ يَصِحُّ وضعُ الضَّميرِ موضعَهُ ؛ بألَّا يكونَ مُضافاً ، ولا موصوفاً ، ولا مَصدراً عاملاً ؛ إذِ الضَّميرُ لا يُضافُ ، ولا يُوصَفُ ، ولا يَعملُ ، وألَّا يَحصُلَ بذٰلكَ العملِ فسادٌ في التركيبِ ؛ بحيثُ لا يكونُ مفيداً ، وأنَّ الإتيانَ بالموصولِ ليكونَ مبتدأً يُوجِبُ أن تكونَ الجملةُ التي يُطلَبُ فيها إجراءُ ذٰلكَ صالحةً لأن تكونَ صلةً ، وأن يمكنَ صَوْغُ صلةٍ منها لـ (أل) حيثُ يكونُ الإخبارُ عنها .

فحينَئذٍ متىٰ سألَكَ سائلٌ : كيفَ تُخبِرُ عن كذا ، وكانَ اسمَ استفهامٍ ، أوِ اسمَ شرطٍ ، أو ضميرَ شأنٍ ، أو مبتدأً ، أو مثلَ : معاذَ اللهِ ، وعندَ ولدىٰ ، أو حالاً ، أو تمييزاً ، أو مخفوضاً بـ (رُبَّ) أو بـ (حتىٰ) أو بـ (مذ) . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ممَّا تَمنعُ القواعدُ أن يكونَ عليهِ التركيبُ الذي تُحوِّلُ إليهِ المُركَّبَ الذي يُطلَبُ منكَ تحويلُهُ . . قلتَ : لا يمكنُ الإخبارُ ؛ للمانعِ الذي هوَ كذا .

مثلاً : يُقالُ لكَ : أَخبِرْ عنِ الصَّديقِ الخَصِيصِ والعدوِّ البغيضِ مِنْ قولِكَ : كانَ زيدٌ الصديقَ الخصيصَ والأيامُ باسمةٌ ، ثمَّ صارَ العدوَّ البغيضَ وهيَ كاشرةٌ . . فتقولُ : الذي كانَهُ ـ أو إيَّاهُ ـ زيدٌ والأيامُ باسمةٌ . . الصَّديقُ الخَصِيصُ ، ثمَّ الذي صارَهُ ـ أو إيَّاهُ ـ وهيَ كاشرةٌ . . العدوُّ البغيضُ .

ويُقالُ لكَ : أَخبِرْ عن رجلٍ مِنْ قولِكَ : رُبَّ رجلٍ يَعرِفُ فضلَ العِلْمِ

والتهذُّبَ وحُسْنَ السيرةِ . . فتقولُ : لا يمكنُ ؛ لأنَّ التركيبَ يصيرُ هٰكذا : الذي رُبَّهُ يَعرِفُ . . . رجلٌ ، فيلزمُ أن يكونَ مخفوضُ (رُبَّ) معرفةً ، وهوَ غيرُ سائغٍ .

وعليكَ بالفكرِ في القياسِ واستخراجِ ما يمكنُ فيهِ ذٰلكَ العملُ وما لا يمكنُ ، وقدِ التزمتُ شِدَّةَ الاختصارِ في هٰذا الموضعِ ؛ إبقاءً لفكرِكَ بسطَهُ وتفصيلَهُ حَسَبَ ما تَحصَّلَ معَكَ مِنَ الأحكامِ ومعرفةِ العملِ في هٰذا البابِ .

وبعضُ النحويينَ أوردَ هٰذا البابَ عندَ الكلامِ على المبتدأ والخبرِ ، وبعضُهُم عندَ الكلامِ على الموصولِ ؛ مخالفةً لوضعِ المُتقدِّمينَ لهُ في هٰذا الموضعِ ، ونِعْمَ ما صنعَ المُتقدِّمونَ ؛ فإنَّ الغَرَضَ بهِ ـ كما عرفتَ ـ اختبارُ حفظِكَ لسائرِ قواعدِ الفنِّ .

مسألةٌ
[في الطَّلَبِ بكلمتَي (أيٍّ) و(مَنْ)]

كلمتا (أيّ) و(مَنْ) إذا طلبتَ بهِما مِنَ المُخاطَبِ تعيينَ مرادِهِ بنكرةٍ أوردَها في كلامِهِ . . حكيتَ بالأُولىٰ وصلاً ووَقفاً صورةَ تلكَ النكرةِ مِنَ الإفرادِ والتذكيرِ وفروعِهِما ، وحَرَّكتَ آخِرَها ، وبالثانيةِ وَقفاً فقطْ .

فتقولُ : أيٌّ وأيَّةٌ بثلاثِ الحركاتِ ، وأيَّانِ وأيَّتانِ وأيَّينِ وأيَّتَينِ ، وأيَّاتٌ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعاً لا يَصلُحُ أن يُوصَفَ بجمعِ مُذكَّرٍ سالمٍ ، وأيُّونَ وأيِّينَ ؛ حيثُ تكونُ النكرةُ جمعَ مُذكَّرٍ سالمٍ ، أو جمعاً يَصلُحُ وصفُهُ بهِ ، مُوزِّعاً ذٰلكَ حَسَبَ ما عرفتَ .

وتقولُ : مَنُو ومَنَا ومَنِي ، بثلاثِ الحركاتِ وإشباعِها ، ومَنَانْ ومَنَينْ ومَنُونْ ومَنَهْ بفتحِ النونِ ، ومَنْتانْ ومَنْتَينْ بسكونِ النونِ ، ومَنَاتْ .

و(أيٌّ) علىٰ إعرابِها ، و(مَنْ) علىٰ بنائِها ، فلواحقُ الثانيةِ مِنَ الحركاتِ والحروفِ للحكايةِ اتفاقاً ، وفي لواحقِ الأُولىٰ خلافٌ ، وعلى القولِ بكونِها إعراباً يكونُ الخافضُ عندَ حكايةِ الخفضِ محذوفاً ، وعلى القولِ بكونِها للحكايةِ فضَمَّةُ (أيٍّ) مُقدَّرةٌ ؛ لكونِها حينَئذٍ مبتدأً .

وإذا أوردَ مُخاطَبُكَ في كلامِهِ عَلَماً مُشترَكاً وطلبتَ تعيينَهُ بـ (مَنْ) دونَ أن تَقرُنَها بـ (واوٍ) أو (فاءٍ) ، وجئتَ بعدَها بلفظِ العَلَمِ غيرَ متبوعٍ إلَّا بعطفِ نسقٍ أو وصفٍ بابنٍ أوِ ابنةٍ . . جازَ لكَ أن تَنطِقَ بهِ علىٰ صورتِهِ في كلامِ المُخاطَبِ ، فضمَّتُهُ مُقدَّرةٌ ؛ لكونِهِ مبتدأً أو خبراً ، والأفصحُ أن تَنطِقَ بهِ حَسَبَ الاقتضاءِ .

❋ ❋ ❋

الخاتمةُ
[في خلاصةِ ما تقدَّمَ]

قد عرفتَ أنَّ إفادةَ الكلامِ ما يُرادُ بهِ مُرتبِطةٌ بهيئتِهِ الصَّحيحةِ ، وذٰلكَ لا يَخُصُّ لغةً دونَ لغةٍ ، ولذٰلكَ احتاجَتْ كلُّ لغةٍ لوضعِ فنونٍ لضبطِ صورِها الصَّحيحةِ ، وكانَتِ اللغةُ العربيةُ أشدَّ احتياجاً لذٰلكَ ؛ بسببِ الإعرابِ والبناءِ وغيرِهما .

ولم يكنْ للعربِ خلا عربِ اليمنِ عِلْمٌ بالكتابةِ ، وإنَّما دخلَتْ فيهم بعدَ وُرودِ الإسلامِ الذي جمعَ بينَ الأُممِ ، وأوجبَ اختلاطَ الكافَّةِ ، فاحتاجَ كلٌّ لمعرفةِ كلٍّ ، فكتبَتِ العربُ أحرفاً دالَّةً علىٰ مادَّةِ اللفظِ دونَ صورتِهِ ؛ لاستغنائِهم بصحَّةِ لغتِهم .

ثمَّ تَنبَّهَ الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ ، فنقطَ المصحفَ ؛ حيثُ دخلَ الاشتباهُ ، وحصلَ اللحنُ بالسببِ الذي سبقَ شرحُهُ ، وجرى العملُ على الكتابةِ دونَ شكلٍ يُعرِّفُ صورَ الألفاظِ ، فاشتدَّتِ الحاجةُ لتحصيلِ طريقةٍ بمعرفتِها تُضبَطُ صورةُ اللغةِ ، ولوِ اشتملَتِ الكتابةُ علىٰ ما يَدُلُّ علىٰ صورِ الألفاظِ . . لَبقيَتْ لغةُ العربِ صحيحةً ، ولم يَدخُلْها كلُّ ذٰلكَ التغييرِ المشهودِ في لسانِ مَنْ يَتكلَّمُ باللغةِ العربيةِ ؛ وهُم ـ كما سلفَ ـ أهلُ مصرَ ومغربِها والشأمِ والحجازِ واليمنِ (١) ، ولم يَطُلْ فنُّ النحوِ هٰذا الطُّولَ .

ولٰكنْ لمَّا لم يكنْ ذٰلكَ . . قامَتْ طائفةٌ مِنْ عقلاءِ الأُمَّةِ مجتهدينَ في تحصيلِ الطُّرقِ التي تَنضبِطُ بها اللغةُ العربيةُ مِنْ كلِّ وجهٍ ، فتَحصَّلَتِ

(١) انظر (١٠٦/١) .

العلومُ العربيةُ المُسمَّاةُ بالفنونِ الأدبيَّةِ نسبةً إلى الأدبِ ؛ وهوَ تعويدُ المُتحرِّكِ بالإرادةِ على الحركاتِ المُستحسَنةِ الموافقةِ لِمَا جُعِلَ ذٰلكَ المُتحرِّكُ لهُ .

فلا تظنَّ أنَّ الأدبَ ـ كما تُوهِمُهُ الشُّهرةُ ـ هوَ الأشعارُ والنوادرُ والحكاياتُ وما أشبهَ ذٰلكَ ، ولا أنَّ الأدبَ خاصٌّ بالإنسانِ ، بل هوَ كما يَقتضيهِ تعريفُهُ عامٌّ لكلِّ حيٍّ ؛ فلكلِّ حيٍّ أدبٌ يليقُ بهِ .

فأدبُ الإنسانِ : تَعوُّدُهُ الأحوالَ التي يصيرُ بها نافعاً لنفسِهِ ولأهلِ الأرضِ المنفعةَ التي يمكنُهُ القيامُ بها في طائفتِهِ المُشارِكةِ لهُ في ذٰلكَ ، حَسَبَ الأوضاعِ الإلٰهيَّةِ ، حيثُ خلقَ كلَّ نوعٍ وخَصَّهُ بأعمالٍ ، وجعلَ نوعَ الإنسانِ هوَ النوعَ الرئيسَ المُدبِّرَ لبقيَّةِ الأنواعِ ، فكَثُرَتْ أعمالُهُ ، واقتضى الحالُ تقسيمَهُ طوائفَ مُوزَّعةً عليها أنواعُ الأعمالِ ، مربوطاً بذٰلكَ حفظُ حياتِهِم وحسنُ معيشتِهِم ، ولهٰذا المعنى الإشارةُ بقولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ ﴾ (١) .

وأدبُ الجَمَلِ : تَعوُّدُهُ البُروكَ حيثُ يُرادُ منهُ ، ونهوضُهُ بالأثقالِ المحمولةِ عليهِ ، وانقيادُهُ بتلكَ السَّلاسةِ . . . وهٰكذا .

وأدبُ حِمارِ الرُّكوبِ : التصاقُهُ بسَلَمِهِ ، وامتثالُهُ لتحريكاتِ اللِّجامِ . . . وهلمَّ .

إلَّا أنَّ للأدبِ أصولاً هيَ بمنزلةِ الأغذيةِ ، وفُروعاً هيَ بمنزلةِ الفواكهِ ، ولكَ التشبيهُ بصورةِ الإنسانِ مثلاً ؛ فوجودُهُ حيّاً بعِظامِهِ وعُروقِهِ وجميعِ ما لا بدَّ منهُ في الحياةِ ، وجَمالُهُ بأمورٍ لا تزولُ الحياةُ بزوالِها ؛ كالشَّعرِ الأسودِ

---

(١) سورة الزخرف : (٣٢) .

الأثيثِ المُسترسِلِ ، واللَّونِ الوَسَطِ ، وتناسُبِ الأعضاءِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الأمورِ المشروحةِ في الغزلِ .

فأصولُ الأدبِ لطائفةِ النَّجّارِ مثلاً : معرفةُ إمساكِ القَدُومِ والمِنشارِ والفأرةِ والمِخرازِ والمِنقرةِ ، واستعمالُ تلكَ الآلاتِ لتحصيلِ ما بهِ الوقايةُ مِنَ الحرِّ والبردِ والأمنِ مِنَ اللِّصِّ وخروجِ الحيوانِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ ، وفروعُهُ : النقوشُ ، والتحليةُ ، والعملُ على الحسابِ ، ورعايةُ التناسبِ بينَ أنواعِ مصنوعاتِهِ ؛ فالشُّبَّاكُ العالي يناسبُهُ ما لا يناسبُ الشُّبَّاكَ السافلَ ، وبابُ الدارِ لا يكونُ كبابِ أحدِ بيوتِها ، وبابُ القاعةِ الكبيرةِ غيرُ بابِ المبيتِ .

وعليكَ الفكرُ ؛ فعلىٰ ذٰلكَ تعرفُ أنَّ **أصولَ أدبِ طائفةِ العلماءِ** : أن يَعرِفوا الكتابةَ والقراءةَ ، وصحةَ الكلامِ مادَّةً وصورةً ، وَيتعقَّلُوا كيفيةَ تحصيلِ المعاني الأصليَّةِ التي تفيدُها أنفسُ التراكيبِ ؛ وذٰلكَ بمعرفةِ ما قبلَ علومِ البلاغةِ ومقاصدِها مِنْ علومِ العربيةِ ، وهوَ ما سبقَ تلخيصُهُ .

❊ ❊

وكانَ العملُ في تعليمِ تلكَ الفنونِ وتعلُّمِها في صدرِ الإسلامِ : أن يَنتخِبَ الشيخُ بعضَ الأشعارِ والخُطَبِ والمحاوراتِ ، ويلقيَها لتلامذتِهِ يَتحفَّظُونَها ويَتصوَّرونَ هيئاتِها الإفراديةَ والتركيبيةَ عملاً مُستمِرّاً ، حتىٰ يَحصُلَ للتلميذِ صورةٌ خياليَّةٌ تكونُ لهُ معياراً وقانوناً بما تقتضيهِ ، يَتكلَّمُ حكايةً وإنشاءً وإنشاداً .

ولم يكنْ ذٰلكَ كافياً للضَّبطِ المطلوبِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الاعتمادِ على الحافظةِ التي هيَ عُرْضةٌ لتغييراتِ حوادثِ الأيامِ ، فجَهَدوا في وضعِ القواعدِ .

وابتداءُ ذٰلكَ ـ كما سلفَ ـ لأميرِ المؤمنينَ عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، واستعملَ أبا الأسودِ الدُّؤليَّ في البناءِ علىٰ ما أَسَّسَ لهُ ، فعملَ ما يَسَّرَ اللهُ لهُ .

ثمَّ أخذَ الناسُ في تتميمِ ذٰلكَ ؛ مثلُ أبي عمرٍو ، وعبدِ الملكِ الأصمعيّ ، حتَّىٰ وضعَ عمرُو بنُ بشرٍ المشهورُ بسيبويهِ (١) كتابَهُ الذي صارَ الإمامَ في ذٰلكَ الفنّ ، وصارَ « الكتابُ » لهُ عَلَماً بالغَلَبةِ ، فأقبلَ الناسُ علىٰ قراءتِهِ وشرحِهِ وبيانِ معانيهِ .

ومعَ ذٰلكَ لم يتركوا الحالَ الأُولىٰ ، بل جمعوا بينَ معرفةِ القواعدِ وحفظِها واستعمالِها ، وقراءةِ دواوينِ العربِ ومحاوراتِهِم ، متفاوتينَ في ذٰلكَ حَسَبَ الاقتضاءِ ؛ فمَنْ يسعىٰ ليكونَ مُعلِّماً . . لايكونُ كأولادِ الملوكِ ، ومَنْ يسعىٰ ليكونَ في إحدى الخَدَمِ السُّلطانيَّةِ . . لا يكونُ كمَنْ يريدُ التفقُّهَ في الدِّينِ ليجتهدَ في تحصيلِ مذهبٍ يَستخرِجُهُ مِنْ أصولِ الدِّينِ المجملةِ ، التي يَحتاجُ مَنْ يريدُ استخراجَ أحكامِ الحوادثِ منها إلىٰ إعمالِ فكرٍ ، ودِقَّةِ نظرٍ ، وتحصيلِ علومٍ شتَّىٰ ، أو ليتولَّىٰ إفتاءً أو قضاءً . . . وهَلُمَّ .

ونِعْمَ ما كانوا يصنعونَ ، وعلىٰ ذٰلكَ جرىٰ عملُ الناسِ ، حتىٰ بلغَ العِلْمُ غايةَ قُوَّتِهِ ، ثمَّ أخذَ الناسُ في الاقتصارِ علىٰ معرفةِ بعضِ القواعدِ دونَ استعمالٍ ، ونظروا إلى الآلاتِ نظرَ المقاصدِ ، واقفينَ عندَ ذٰلكَ الحدِّ ، فصارَتْ علومُهُم بمنزلةِ حبوبٍ تُخزَنُ في أماكنَ صالحةٍ لذٰلكَ أو غيرِ صالحةٍ ؛ حتىٰ تصيرَ تراباً ، ويَنقلِبَ بعضُها حشراتٍ وهوامَّ بشعةَ المناظرِ ، رديئةَ الأعمالِ ، مُؤذيةً بلدغِها ونَتْنِ رائحتِها ، فما يَستحِقُّهُ ذٰلكَ مِنَ اللَّومِ والتعنيفِ والمقتِ مِنَ اللهِ والناسِ . . يَستحِقُّهُ أولٰئكَ الناسُ الذينَ يَتظاهرونَ بدعاوىٰ غيرِ مُدلَّلةٍ .

---

(١) في « سير أعلام النبلاء » (٨/٣٥١) : (عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر) .

وَٱلدَّعَاوَىٰ مَا لَمْ يُقِيمُوا عَلَيْهَا   بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ (١)

فالطَّريقةُ المُثلىٰ ـ كما سبقَ تنبيهُكَ عليهِ وإرشادُكَ لهُ (٢) ـ : أن يبتدئَ الطالبُ بتحصيلِ الفنونِ الأصليَّةِ صافيةً نقيَّةً مِنَ الشُّبُهاتِ والاعتراضاتِ ، وإيرادِ العباراتِ المنقوضةِ ؛ تَحفُّظاً لها ، وعملاً بها فيما يَرِدُ عليهِ أثناءَ ذٰلكَ مِنَ الكتبِ التي يَتعلَّمُ بها ، والأشعارِ المُضمَّنةِ فيها .

فإذا أتقنَ ذٰلكَ واعتادَ لسانُهُ أن يَنطِقَ بالكَلِمِ العربيةِ كما كانَتِ العربُ تَنطِقُ بها . . انتقلَ إلىٰ معرفةِ الفنونِ البلاغيَّةِ التي يستفيدُ بها دقائقَ المعاني الإشاريَّةِ الملحوظةِ وراءَ المعاني الأصليَّةِ ؛ ليبلغَ بذٰلكَ درجةَ إتقانِ الإنشاءِ حَسَبَ اقتضاءِ الأحوالِ ، فارقاً بينَ كلِّ مَقامٍ وغيرِهِ ؛ فخُطبةُ المِنبرِ غيرُ خُطبةِ عَقدِ الصُّلحِ ، وهما غيرُ خُطبةِ رفعِ المُهادنةِ ونبذِ العهدِ ، وهيَ غيرُ خُطبةِ الإملاكِ ، والعباراتُ عن صيغِ العقودِ والشهاداتِ والمشارطاتِ . . غيرُ عباراتِ التعزياتِ والتهنئاتِ والبشاراتِ . . . وهٰكذا .

وطريقُ الوصولِ إلىٰ ذٰلكَ : معرفةُ الفنونِ البلاغيَّةِ ، وكثرةُ القراءةِ في منشآتِ المُتقدِّمينَ على اختلافِ أنواعِها ؛ بتعقُّلٍ لسياقاتِها ومسالكِها ، ومباديها وأوساطِها وغاياتِها ، معَ الصبرِ علىٰ ذٰلكَ والتأنِّي في تَعقُّلِهِ ، كما قيلَ (٣) :   [من البسيط]

لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

---

(١) من الخفيف ، وانظر « ديوان البوصيري » (ص ٦٣) .

(٢) تقدم (١/٥٣٩) .

(٣) انظر « شرح الحماسة » للتبريزي (٤/٤٠) .

وقيلَ (١) : [من الطويل]

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبِ ٱلْحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى ٱلْبَذْلِ
وَمَنْ لَمْ يُذِلَّ ٱلنَّفْسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَا يَسِيراً يَعِشْ دَهْراً طَوِيلاً أَخَا ذُلِّ

وكما قيلَ (٢) : [من السريع]

أُطْلُبْ وَلَا تَضْجَرَ مِنْ مَطْلَبٍ فَآفَةُ ٱلطَّالِبِ أَنْ يَضْجَرَا
أَمَا تَرَى ٱلْحَبْلَ بِتَكْرَارِهِ فِي ٱلصَّخْرَةِ ٱلصَّمَّاءِ قَدْ أَثَّرَا

وقيلَ (٣) : [من المنسرح]

مَا وَهَبَ ٱللهُ لِٱمْرِئٍ هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ
هُمَا حَيَاةُ ٱلْفَتَىٰ فَإِنْ فُقِدَا فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَلْيَقُ بِهْ

وزمنُ التحصيلِ هوَ زمنُ أنفَسِ العمرِ ؛ حيثُ تكونُ الشبيبةُ مشبوبةً ، والقُوىٰ مُستكمَلةً ، والرُّوحُ فرِحاً بامتثالِ أمرِهِ ونهيِهِ ؛ وذٰلكَ يُوجِبُ الإعراضَ عنِ الشهواتِ ، والإغماضَ عن كثيرٍ مِنَ اللذَّاتِ ، كما كانَ يقولُ أحدُ شيخَيِ الحديثِ مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ النيسابوريُّ بعدَ كَتْبِهِ ما يَتحصَّلُ لهُ مِنْ نتائجِ أعمالِهِ وفرائدِ مكابداتِهِ : (لا يُنالُ العِلْمُ براحةِ الجسمِ) (٤) .

فيَحصُلُ الطالبُ المُجتهِدُ علىٰ ذٰلكَ الحدِّ علىٰ أمرٍ قَلَّما يكونُ في حسابِهِ وتحتَ نظرِهِ ؛ وهوَ أنَّهُ إذا مَسَّهُ بعضُ الضَّعفِ اللَّازمِ لخِلقةِ الحيوانِ ، واحتاجَ إلىٰ سكونِ راحةٍ ، وتَحفَّظَ مِنْ آلامِ أمورٍ لم تكنْ تُؤثِّرُ فيهِ أيامَ التهابِ

---

(١) البيتان لابن هشام الأنصاري ، كما في « بغية الوعاة » (٢/٦٩) .

(٢) انظر « المزهر » (٢/٣٠٣) .

(٣) انظر « معجم الأدباء » (١/٧٠) .

(٤) صحيح مسلم (٦١٢/١٧٥) عن يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالىٰ من قوله بلفظ : (لا يستطاع العلم . . .) .

شبيبتِهِ تأثيرَها فيهِ أيامَ تخامدِها واستيلاءِ ضدِّها عليهِ ؛ مِنْ يابسِ البردِ ، وبِلَّةِ الرُّطوبةِ . . وجدَ مأوىً كافياً ، ومَلبساً واقياً ، وخدمةً مريحةً ، وما يعينُهُ علىٰ عبادةِ ربِّهِ وسَدادِ رأيِهِ الذي يكونُ إذ ذاكَ وظيفتَهُ المُرادةَ منهُ ، بها ينتفعُ وينفعُ أُمَّتَهُ ، ويكونُ في تلكَ الحالةِ مُستقِرّاً في الرتبةِ النبويَّةِ التي ليسَ وراءَها رتبةُ شرفٍ .

وباللهِ التَّوفيق لأقوم طريق

خاتمة الطبع

يقولُ المفتقرُ إلىٰ ألطافِ ربِّهِ المَنَّانِ ، عبدُه أحمدُ مروانَ :

قد تمَّ بحمدِ اللهِ الجزءُ الأولُ مِنَ « الوسيلةِ الأدبيةِ للعلومِ العربيةِ »[1] ، ويليهِ الجزءُ الثاني ؛ أولُهُ : المقصدُ الثالثُ في فنونِ البلاغةِ ، تأليفُ الفاضلِ الأمجدِ ، والأستاذِ الأوحدِ ؛ حضرةِ العلَّامةِ الشيخِ حسينٍ المَرْصَفيِّ ؛ وذٰلكَ في عهدِ نظارةِ صاحبِ المعارفِ السنيةِ ؛ دولتلو محمد طوسون باشا ، ناظرِ عمومِ المدارسِ والأوقافِ المصريةِ ، ومستشاريةِ الإمامِ الجليلِ سعادة حسن باشا راسم .

وصارَ هٰذا الطبعُ بملاحظةِ حائزِ قصبِ السبقِ في ميادينِ البراعةِ ، ناظرِ قلمِ الروضةِ ومطبوعاتِ المعارفِ علي فهمي رفاعة ، بمطبعةِ المعارفِ الملكيةِ ، سنةَ ألفٍ ومئتَينِ واثنتَينِ وتسعينَ هجريةٍ .

وأزكى الصلاةِ وأتمُّ السلامِ ، على النبيِّ وآلِهِ وأصحابِهِ الأئمَّةِ الأعلامِ ، آمين .

❋ ❋ ❋

---

(١) كذا في نسخة الأصل ، وقد أثبت فيها عنوان الجزء الأول : « الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية » بإثبات (إلىٰ) بدل اللام ، فليتنبه .

تمّ المجلّد الأوّل

ويليه المجلّد الثّاني

وأوّله: (المقصد الثّالث في فنون البلاغة)

محتوى المجلّد الأوّل

❋ ❋ ❋